

مِنْ ذَخَائِرِ

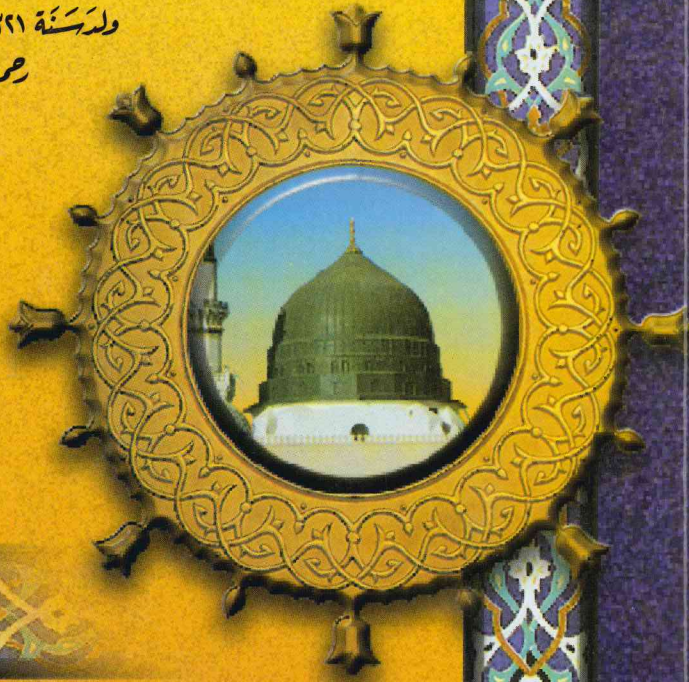
# السُّنَنِ النَّبَوِيَّةِ

للعلامة الشيخ طه محمد السَّكَّات

أستاذ الدراسات العليا بعصر الحديث في كلية أصول الدين  
بجامعة الأزهر سابقا  
ولد سنة ١٣٢١ وتوفي سنة ١٤٠٣  
رحمه الله تعالى

جمعها ورَبَّهَا وَعَلَىٰ عَلَيْهَا وَقَدَّمَ لَهَا  
مجد بن أحمد ميكي

الجزء الثاني



دار فؤاد للكتابيات

مِنْ ذَخَائِرِ

السُّنَنِ النَّبَوِيَّةِ

(٢)



جميع الحقوق محفوظة للمؤلف  
الطبعة الأولى  
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

كتاب المكيات

السعودية - جدة - حج السلامة - مجوامر جامع الشعيبي  
هاتف وفاكس: ٦٨٣٨٠٥١ - ص ب: ٤٠٣٧٤ - الشطر البريدي: ٢١٤٩٩

مِنْ ذَخَائِرِ

السِّيَرِ النَّبَوِيِّ

لِلْعَلَّامَةِ شَيْخِ طَهْ مُحَمَّدِ السَّاكِتِ

أستاذ الدراسات العليا بقسم الحديث في طيبة أصولب الربية  
بجامعة الأزهر سابقا

ولدت سنة ١٢٢١ هـ وتوفي سنة ١٤٠٣ هـ

رحمه الله تعالى

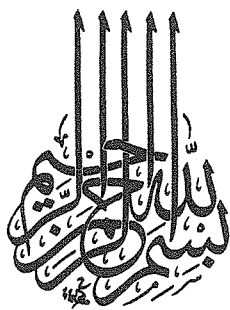
بجمعها ورثها وعلى عليها وقوم كرمها

محمد بن أحمد مكي

الجزء الثاني

دار نورا للكتاب





## الفصل السادس الآداب والأحكام

- ١ - اليد العليا خير من اليد السفلى.
- ٢ - سنة حسنة.
- ٣ - فضيلة كتمان السر.
- ٤ - من المروءات ستر العورات.
- ٥ - مكان النصح في الإسلام (١ - ٢).
- ٦ - الدين النصيحة.
- ٧ - الوصاة بكتاب الله (١ - ٢).
- ٨ - من لا يرحم لا يُرحم.
- ٩ - الواصل والمكافئ.
- ١٠ - الإصلاح بين الناس.
- ١١ - اشفعوا تُؤجروا.
- ١٢ - الوصاة بالجار والمرأة.
- ١٣ - الجوار في الإسلام (١ - ٣).
- ١٤ - وصية نبوية.
- ١٥ - تخيير العاملين.
- ١٦ - الجزاء من جنس العمل.
- ١٧ - مثل القائم على حدود الله والواقع فيها.
- ١٨ - عقوبة السارق.





## اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى\*

٥٤ - عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ فأعطاني، ثمَّ سألتُهُ فأعطاني، ثمَّ سألتُهُ فأعطاني، ثم قال: «يا حكيمُ، إنَّ هذا المالَ خَصْرَةٌ حُلُوَّةٌ، فمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ. اليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى».

قال حكيم فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأُ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا. فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعُو حكيماً إلى العطاء، فيأبى أن يقبله منه. ثمَّ إنَّ عمرَ رضي الله عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ، فأبى أن يقبلَ منه شيئاً. فقال عمر: إنِّي أشهدُكم يا معشرَ المسلمين على حكيم، أني أعرِضُ عليه حقَّه من هذا الفِئءِ فيأبى أن يأخذه. فلم يرزأُ حكيمٌ أحداً من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى تُوفي. رواه الشيخان<sup>(١)</sup>.

### المفردات:

إنَّ هذا المالَ خَصْرَةٌ حُلُوَّةٌ: تميل النفس إليه، وترغب فيه رغبتها في الخضر المُستلذ؛ لأنَّ الخَصْرَةَ يُسرُّ بها الناظر، والحلاوة يلتذُّ بها الطاعم، فإذا اجتمعا في شيءٍ اكتملت به متعة النفس وشهوتها.

\* مجلة الأزهر، العدد الثاني، المجلد الثامن عشر، سنة (١٣٦٦).

(١) أخرجه البخاري في الزكاة (١٤٧٢)، وفي الوصايا (٢٧٥٠)، وفي الخمس

(٣١٤٣)، وفي الرفاق (٦٤٤١)، ومسلم في الزكاة (١٠٣٥).

وفي هذا التشبيه لمحةً لطيفةً إلى فناء المال وسُرعة زواله؛ لأنَّ الأخضرَ سريعُ الذُّبول. والتأنيث في هذه الرواية؛ لأنَّ المال في معنى الدنيا، وهي مؤنثة. وفي رواية أخرى: «إنَّ المال خضرٌ حلوا»<sup>(١)</sup> الخ.

وروى مسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «إنَّ الدنيا حلوةٌ خضرةٌ، وإنَّ الله مُستخلفكم فيها، فناظرٌ كيف تعملون»<sup>(٢)</sup> وهما على الأصل.

فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ : بغير إلحاف في المسألة، ولا إلحاح بالطلب. والمراد بالنفس: نفس الآخذ، أو المعنى: فمن أخذه بطيب نفس المعطي، وانشرح صدره دون مضايقةٍ ولا إحراج. وإذا كان أصل السخاوة في اللغة: السهولة والسعة، فلن يضيق صدرها عن احتمال المعنيين معاً. وإشراف النفس: تطلُّعها وحرصها.

واليد العليا: هي المنفقة والمعطية، والسفلى: هي السائلة والآخذة. وهذا تفسير حديث الشيخين، فقد رَوَى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال - وهو على المنبر، وذكر الصدقة والتعفف والمسألة -: «اليد العليا خير من اليد السفلى، فالعليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة»<sup>(٣)</sup>. وقد استخلص صاحب «الفتح» من صحيح الآثار أن الأيدي خمسٌ: أعلاها المنفقة، ثم المتعقِّفة عن الآخذ، ثم الآخذة بغير سؤال، وأسفلها السائلة، والمانعة<sup>(٤)</sup>.

لا أرزأ: أي لا آخذ من أحدٍ شيئاً. وأصل الرزء: النقص، فكأنه يقول: لا أنقصُ مال أحدٍ بالآخذ منه.

(١) أخرجه البخاري في الوصايا (٢٧٥٠)، وفي فرض الخمس (٣١٤٣) كلاهما بلفظ: «إن هذا المال خضر حلوا».

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٢٩)، ومسلم (١٠٣٣).

(٤) فتح الباري ٣: ٣٥٠.

٤٩١

والفهيء : الغنيمة، ويُطلق على الخراج. وأصله: الردُّ والرجوع، ومنه سُميَ الظلُّ بعد الزوال فيئاً؛ لأنه رجع من جانبٍ إلى جانبٍ، فكأنَّ أموال الكفار كانت للمؤمنين ثم رجعت إليهم.

\* \* \* \* \*

### من أساليب التربية النبوية

سَلَّ مَنْ شَتَّ من أساطين العلم، ونَقَّب ما شَتَّ في وثائق التاريخ، وابتحث ما استطعتَ في فنون التربية والتعليم، وأنا زعيمٌ بأنَّك لن تجدَ ما يُداني هذا الأسلوب، فضلاً عمَّا يُماثله، هدياً وإرشاداً، وتعليماً وتقويماً، وبأنَّك ستعجبُ معي العجبَ كلَّ العجبِ، لا من أن يكون هذا هديً من علمه الله ما لم يكن يعلم، وكان فضلُ الله عليه عظيماً؛ ولكن من أن يذلَّ المسلمون وفيهم هذا الهدى النبوي الكريم، من بعد أن كانوا مُلوَك الدنيا وسادة العالمين!

### من آثار التربية النبوية

وإن شئتَ أن تتبينَ آثار هذه التربية النبوية، فتلك قصَّةٌ واحدٍ من ألوف الصحابة الذين تخرَّجوا في مدرسة النبي الأمي، صلوات الله عليه وسلامه، بعد أن تلقَّوا عنه دروس العزة الإسلامية في سيرتها الأولى.

### حكيم بن حزام

كان حكيمُ بن حزام رضي الله عنه من أشرف قريش ووجهها<sup>(١)</sup>، عاش

(١) وحسبك أنه ابنُ أخي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها. دخلت أمه الكعبة في نسوة من قريش، فضربها المخاض، فأثيت بنطح، فولدت عليه حكيماً (طه).



في الجاهلية ستين عاماً، وفي الإسلام مثلها<sup>(١)</sup>، وكان صديق النبي ﷺ قبل المبعث وبعده، وكان يُحبه ويودّه، ويتمنى لو سبق إلى الإسلام، ولكن لأمرٍ ما قضى الله أن يتأخر إسلامه إلى عام الفتح. ولعل نزعة من نزعات سُودده في الجاهلية بطأت به. وما كان أشدّ فرح النبي ﷺ بإسلامه، حتى قال: «من دخل دار حكيم فهو آمن»<sup>(٢)</sup>. وتألّفه بالعطاء حتى حسن إسلامه واكمل، وآتى أكله جنيّاً شهياً.

### مغانم غزوة حنين

شهد حكيم غزوة حنين، وقد أبلى فيها بلاءً حسناً، وكانت العاقبة لهم، بعد أن كادت تدور الدائرة عليهم، لما أعجبتهم كثرتهم فلم تُغن عنهم شيئاً... وغنموا مغانم ما كانت تخطر على قلب أحد!. كانت الإبل فيها أربعة وعشرين ألف رأس، وكانت الغنم أربعين ألفاً أو تزيد، وكانت الفضة أربعة آلاف أوقية؛ هذا عدا السبي الذي من النبي ﷺ به على هوازن لما جاؤوا تائبين، وكان ستة آلاف نفس بين امرأة وطفل!.

### عظة بليغة في العفة والقناعة

فلما قسم النبي ﷺ الغنائم بدأ بالمؤلفة قلوبهم، ومنهم حكيم بن حزام، أعطاه مئة من الإبل، فاستزاده، فأعطاه مئة ثانية، فاستزاده، فأعطاه ثالثة، بيد أنه لم يتركه على حاله تلك من الضراوة والشراهة، بل ألقى عليه عظة بليغة في

(١) قال الذهبي في «السير» ٣: ٤٥ : «قلت: لم يعيش في الإسلام إلا بضعا وأربعين سنة».

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ٨: ٩. وأورده الحافظ في «الفتح» ٨: ١١، ونسبه إلى موسى بن عقبة في المغازي، وأشار ابن حجر في «الإصابة» إلى صحته فقال: ثبت في السيرة وفي الصحيح. انظر: «سير أعلام النبلاء» ٣: ٤٨، و«الإصابة» ٢: ٩٨، و«مجمع الزوائد» ٦: ١٧٢، و«سبل الهدى والرشاد» ٥: ٣٢٦. وانظر ما تقدّم ص ١٥٣.

٤٩٣

العفة والقناعة، وضرب له مثلاً عالياً في العزة والكرامة، وأبان له أن طالب الدنيا إذا تكالب عليها كان منهوماً لا يشبع، ومغلولاً لا يُروى، وأنه «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»<sup>(١)</sup>.

### منهج حكيم في الاستعفاف والقناعة

أثر هذا الدرس في نفس حكيم تأثيراً بليغاً، وآتى أوّل ثماره ولماً يَبْرَحَ حكيم مجلسه، فما أن كاد النبي ﷺ يفرغ من عظته البالغة حتى اكتفى حكيمٌ بالمئة الأولى، وكفَّ عمّا عداها. وأكبر الظنّ أنه كان بسبيل الاستعفاف عن هذه المئة أيضاً، لولا أن رآها مبالغَةً في الردِّ غير حميدة، وخطةً في منهاج المكارم ليست رشيدةً. ثم عاهد النبي ﷺ، مُقسماً له بمن بعثه بالحق بشيراً ونذيراً، لا يأخذ من أحدٍ شيئاً كائناً مَنْ كان حتى يلقي الله عزّ وجلّ.

ولقد صدق ما عاهد الله عليه، فلم يأخذ من أحدٍ شيئاً حتى النبي ﷺ. فلا عجب إذاً أن يعطيه حقه أبو بكر وعمر، ثم عثمان ومعاوية رضي الله عنهم، فيأبى أن يأخذه. وناهيك من بيت المال في عصره الأول، وما كان يصيب المسلمين من أعطيته التي أفاء الله عليهم<sup>(٢)</sup>.

### الحكمة من امتناع حكيم عن نصيبه من العطاء

وإنما كان يمتنع حكيم عن نصيبه المفروض له، لأنه خشي أن تضرى<sup>(٣)</sup> نفسه، فتجاوزَ به إلى ما لا يريد، ففطمها حسماً لها أن تطمع، ورغبةً في أن

(١) اقتباس من حديث أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١) كلاهما من حديث

أبي هريرة.

(٢) وحسبك أن جيش المسلمين استولى فيما غنم بساط كسرى، وكان ستين ذراعاً في مثلها، وكان على هيئة روضة رُسمت عليها الزهور والطيور بالجواهر والذهب، فلما فرّقها عمر على المسلمين أصاب علياً قطعة منه باعها بعشرين ألف درهم (طه).

(٣) أي: تعتاد. يقال: ضرّى بالشيء تضرّى وضراً فهو ضار، إذا اعتاده.

تدع ما يريب إلى ما لا يريب. وهذا مذهبٌ بليغٌ في العفة والقناعة لا يسلكه إلا السادة من الزهاد والأكابر من ذوي الهمم، وكثيرٌ ما هم في صحابة رسول الله ﷺ وتابعيهم، وإلا فلا حرج على من عرض عليه شيءٌ من الدنيا، فأخذه بغير طلب ولا مسألة.

أخرج الشيخان عن عمر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء، فأقول: أعطه من هو أفقر مني، فقال: «خُذْهُ، إذا جاءك من هذا المال شيءٌ وأنت غير مُشرفٍ عليه ولا سائلٍ فُخُذْهُ، وما لا، فلا تُتبعه نفسك»<sup>(١)</sup>.

إشهاد عمر على حكيم في امتناعه عن عطائه

وإنما كان عمر يُشهد عليه أنه يعطيه عطاءه فيمتنع عنه؛ لئلا يكون لحكيم عند الخليفة معذرة، ولئلا يظن أحد ممن لا يعلم حقيقة الأمر أن أمير المؤمنين يتهاون في حق رعايته... رضي الله عنك يا عمر! ما أعدلك، وما أحزَمَكَ، وما أبصرَكَ!.

وحكمةٌ أخرى - ونراها جديرة بالنظر - في امتناع حكيم عن عطائه؛ تلك أنه رغب رغبةً صادقةً في أن يحقق الله وعد نبيه له؛ فيبارك عليه في قليله، ويجعل يده من الأيدي العُلا، التي تُعطي ولا تأخذ، وتنفق ولا تخاف من الإنفاق إقلالاً، وكذلك صنعَ الله له، فقد مات رضي الله عنه في خلافة معاوية، وإنه لمن أكثر قريش مالاً على الرُغم مما أنفق في سبيل الله. فمن ذلك أنه حجَّ في الإسلام، فأهدى ألف بدنة، وألف شاة، ووقف بعرفة ومعه مئة وصيف في أعناقهم أطواقٌ من الفضة منقوشٌ فيها «عتقاء الله عن حكيم بن حزام».

ومن ذلك أن الإسلام جاء ودار الندوة بيده، فباعها من معاوية بمئة ألف درهم وتصدق بها كلها، وقال: اشتريتُ بها داراً في الجنة. ولما لاهه ابن

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٣)، ومسلم (١٤٠٥).



٤٩٥

الزبير، وقال له: بعث مكرمة قريش! قال: يا ابن أخي، ذهبت المكارم إلا التقوى<sup>(١)</sup>.

### هدي أصحاب رسول الله ﷺ

بهذا الهدي النبوي الكريم اهتدى أصحاب رسول الله ﷺ وتابعوهم، فكان المال في أيديهم لا في قلوبهم، وكانت الدنيا تحت أقدامهم لا فوق رؤوسهم؛ ومن أجل ذلك ملكوا المال ولم يملكهم، وسخروه ولم يفتنهم، بل كان مطيتهم إلى البر، ووسيلتهم إلى الخير، وعوتهم على صالح الأعمال وكرائم الخصال، و«نعم المال الصالح للرجل الصالح»<sup>(٢)</sup> يورثه الفضائل، ويكسبه المحامد، ويعينه على نوائب الحق، ويقيه حرص النفس وشحها، ﴿وَمَنْ يُؤَقِّ سِحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*\*\*

(١) أخرجه الطبراني (٣٠٧٣) بإسنادين، قال الهيثمي في «المجمع» ٩: ٣٨٤: أحدهما حسن.

(٢) اقتباس من حديث رواه أحمد (١٧٧٦٣) من حديث عمرو بن العاص. وإسناده صحيح على شرط مسلم. كما تقدم ص ١٨٠.

(٣) اقتباس من الآية ٩ من سورة الحشر.

## سنة حسنة \*

٥٥ - عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ، قال : فجاءه قوم عُرَاة مُجْتَابِي النَّمَارِ - أو الْعَبَاء - متقلّدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر؛ فتمعر وجه رسول الله ﷺ؛ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً، فأذن وأقام، فصلى، ثم خطب فقال : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴿١﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) والآية الأخرى التي في آخر الحشر : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (٢).

تصدّق (٣) رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرّه، من صاع تمره، حتى قال : ولو بشقّ تمرّة. قال : فجاء رجلٌ من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت. قال : ثم تتابع الناس، حتى رأيتُ كومين من طعام وثياب، حتى رأيتُ وجه رسول الله ﷺ يتهلّل كأنه مُدْهَبَةٌ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من سنّ في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء؛ ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم

\* مجلة الأزهر، العدد السابع، المجلد الثامن عشر، سنة (١٣٦٦).

(١) سورة النساء: ١.

(٢) سورة الحشر: ١٨.

(٣) خبر بمعنى الأمر وهو أبلغ، كأن الامتثال قد تحقّق. (طه).

شيء». رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

المفردات :

مُجْتَابِي النِّمَارِ: النِّمَارُ جَمْعُ نِمْرَةٍ، وَهِيَ الْكِسَاءُ مِنَ الصُّوفِ الْمَخْطُطِ، وَالْاجْتِيَابُ مِنَ الْجَوْبِ وَهُوَ الْقَطْعُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾<sup>(٢)</sup> أَي نَحْتُوهُ وَقَطَعُوهُ. وَالْمُرَادُ: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لِفَاقَتِهِمْ وَرَقَّةَ حَالِهِمْ لَبَسُوا أَرْدِيَتِهِمْ، أَوْ عَبَاءَهُمْ (جَمْعُ عَبَاءَةٍ) وَقَدْ خَرَقُوهَا فِي رُؤُوسِهِمْ.

«أو»: لِلشُّكِّ مِنَ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ فِي أَيِّ اللَّفْظَيْنِ قَالَ أَبُوهُ: أَلنِّمَارُ أَمْ الْعَبَاءُ؟ وَإِذَا كَانَ هَذَا بَعْضُ تَحْرِيبِهِمْ فِي رِوَايَةٍ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، فَكَيْفَ بِتَحْرِيبِهِمْ فِي الرِّوَايَةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!.

وَمُضَرٌّ: مِنْ أُمَّهَاتِ الْعَرَبِ الْمُسْتَعْرَبَةِ وَأَشْهَرُهَا. وَرَبِيعَةٌ وَمُضَرٌّ مَضْرَبُ الْمِثْلِ فِي كَثْرَةِ الْعَدَدِ.

فَتَمَعَّرَ... النِّخ: أَي تَغَيَّرَ وَجْهُهُ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ رِثَاءً لَهُمْ وَحُزْنًا عَلَيْهِمْ.

وَالصَّاعُ: كَيْلٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، قَرِيبٌ مِنْ رِبْعِ الْكَيْلَةِ الْمِصْرِيَّةِ.

وَالكُومُ: بِفَتْحِ الْكَافِ وَضَمِّهَا، وَكَذَلِكَ الْكُومَةُ بِالضَّمِّ، مَا كُومَ وَجُمِعَ مِنْ طَعَامٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَنَظِيرُهُ الصُّبْرَةُ مِنَ الطَّعَامِ، وَهِيَ مَا جُمِعَ مِنْهُ بِلَا كَيْلٍ وَلَا وَزْنٍ.

وَالْمُدْهَبَةُ: الْقِطْعَةُ الْمَطْلِيَّةُ بِالذَّهَبِ. وَأَذْهَبَ الشَّيْءُ وَذَهَبَ طَلَاهُ بِالذَّهَبِ، وَإِنْ كَانَ الْمَعْرُوفُ فِي الرِّوَايَةِ التَّخْفِيفَ. وَضَبَطَهَا بَعْضُهُمْ: «مُدْهَنَةٌ» بِالذَّالِ وَالنُّونِ، وَهِيَ وَعَاءُ الدَّهْنِ، أَوْ الْمَاءِ الْمَجْتَمِعُ فِي الْحَجَرِ. وَالتَّأْنِيثُ هُنَا مُوَافِقٌ

(١) فِي كِتَابِ الزَّكَاةِ ٢: ٧٠٥ (١٠١٧)، وَفِي كِتَابِ الْعِلْمِ ٤: ٢٠٥٩ (١٠١٧)، وَمَعَ أَنَّ الرِّوَايَةَ الثَّانِيَةَ أَخْصَرَ فَنَائِدُ مَتَمِّمَةٌ انْتَفَعْنَا بِهَا فِي الشَّرْحِ (طه).

(٢) سُورَةُ الْفَجْرِ: ٩.



لرواية الشيخين في حديث الثلاثة الذين خَلَّفُوا، ثم تاب الله عليهم، «وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر»<sup>(١)</sup>. والمراد في كلِّ بيانٍ إشراقِ وجهه الشريف، وبريق أساريه صفاءً ونوراً حين فرحه بالخير.

\*\*\*\*\*

### التعاون على البر والتعاطف على الخير

يُعنى الإسلام بالتعاون على البرِّ، والمتعاطف في الخير، عنايةً تجعل ممَّن أتبع هداه أمةً واحدةً، يَسُرُّ كلها ما يَسُرُّ بعضها، ويحزن جميعها ما يحزن فرداً منها. وَحَسْبُكَ أن جعل المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً، وأن شبه المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، بالجسد الواحد، إذا اشتكى عضوٌ منه تداعى له سائرُه بالسَّهر والحمى.

ولقد استجاب المسلمون الأوَّلون لدعوة الإسلام إلى البرِّ على اختلاف أنواعه، فلم يدعوا طريقاً من طُرُقهِ إلا سلكوه، ولا باباً من أبوابهِ إلا ولَّجوه إثارةً لما عند الله، وابتغاء فضله ورضاه. وكاد أغنياؤهم وفقراؤهم يكونون في الفضل سواء، لم يمنع الفقير فقره وفاقتَه أن يبلغ الجهد في الإنفاق، ولو درهماً أو درهمين، أو حفنةً أو حفتين؛ كما لم يمنع الغنيَّ حبُّ المال والأولاد أن يبذلَ شطرَ ماله أو جلَّهُ أو كلَّهُ في سبيل الله، وكان يتجلَّى هذا التعاون إذا ادلَّهَمَّت الخطوب، واشتدَّت الأزمات.

### نموذج رائع

وهذا مثالٌ رائعٌ من أمثلة كثيرةٍ يخطئها العد، في استجابتهم لرسول الله ﷺ حين يدعوهم في المِلَمَّات، ويندبهم لكشف الكُرْبَات.

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

٤٩٩

هؤلاء قومٌ من أعرابٍ مضر، تنطقُ أحوالُهُم بالبؤس والفاقة، وتنادي رثائُهُ ثيابهم وهلهلتها بالعري والحاجة، قدموا على رسول الله ﷺ يبتغون ممّا أفاء الله عليه، ويرتجون تيسيرَ عُسرَتهم لديه؛ وَمَنْ أَوْلَىٰ بِذَلِكَ منه، وهو أجود بالخير من الريح المرسلة؟! ولكن ماذا يصنع صلوات الله عليه وليس عنده شيء؟! لقد دخل بيته لعله يجد شيئاً يعينهم به فلم يجد، وما كان أشدّ هذا الأمر عليه: أن يرى ذا حاجةٍ ليست عنده حاجته، أو طالب معونةٍ ليست بيده معونته!

إذاً فليدعُ أصحابه من حضر منهم لتفريح هذه الكربة، وليندبهم لإزالة هذه العسرة؛ فإنهم أوّل من يتدبّون للتعاون على البرِّ والتقوى، ويأتسون بمن لا يدخر شيئاً في سبيل الله. وكذلك فعلَ صلوات الله وسلامه عليه.

كان وقت الصلاة قد حان، فأمر بلالاً أن يؤذّن لها ويقيمها؛ وبعد الصلاة رقى منبره خطيباً على عادته كلما حَزَبَ أمر أو أَلَمَّتْ مُلِمَّةٌ؛ وأخذ يحثُّ على الصدقة والإنفاق، فأبطأ الناس بعضَ الإبطاء، ولعلّهم كانوا ينتظرون تمام خطبته، أو يستقلّون ما بأيديهم من المال والمتاع. وكان إذا كره شيئاً تغيّر، وإذا تغيّر رُئي ذلك في وجهه.

وما هي إلا لحظات حتى انبرى رجلٌ من الأنصار - ورحم الله الأنصار - إلى صُرّة من فضة كانت عنده، فأتى بها وكفه تعجز عن حملها حتى وضعها بين يديه، صلوات الله عليه؛ ثم تتابع الناس في البذل، كلٌّ على حسب وسعته، و﴿لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>(١)</sup> حتى كان كَوْمَان عظيمان من الطعام والثياب، عدا ما هنالك من الذهب والورق.

وحينذاك استبشر النبي ﷺ، واستنار وجهه فرحاً وسروراً بما رأى من تلبية الدعوى إلى البر، والمسابقة في الخير، وإغاثة هؤلاء الملهوفين! ثم بشر ذلك

(١) اقتباس من الآية ٢٨٦ من سورة البقرة.

الأنصاري الكريم، الذي فتح باب هذا الخير العظيم، بأنه قد سنَّ سنة حسنة له عند الله أجرها وذخرها، ومثل أجر من عمل بها واقتفى أثرها إلى يوم يعثون.

### عبرٌ وعظات

في هذا الحديث عبرٌ وعظات، حقٌّ على من قرأه أن يتأملها وينتفع بها، ولا سيما الدعوة إلى الله تعالى؛ فإنَّ فيه من الحكمة والموعظة الحسنة مثلاً للهداة، ونبراساً للمرشدين.

فيه: جمع الناس لعظائم الأمور، وحثُّهم على التعاون في الخير مع رعاية المناسبات، وتخيير الأوقات؛ وخيرها أوقات الصلوات، بعد الوقوف بين يدي الله، والاستمتاع بحلاوة الضراعة والمناجاة.

وفيه: تذكيرُ الناس بالبواعث على الإجابة والحوافز إلى المنافسة، ولهذا افتتح خطبته ﷺ بآيتي التقوى؛ وفي الآية الأولى تذكرةُ السامعين بنعمة الإيجاد والتربية، وأنهم جميعاً إخوةٌ لأب واحد وأم واحدة، لا فضل لأخ على أخيه إلا بالتقوى، وأنه سبحانه رقيبٌ عليهم، وسيجزئهم بما كانوا يصنعون؛ وفي الآية الأخرى تذكرةٌ بالدار الآخرة التي يرحلون إليها لا محالة في الغد القريب، وإذا كان لا بد للمسافر من زاد ﴿فَإِنَّكَ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى﴾<sup>(١)</sup>.

وفيه: التيسير على المحسنين، والرفق بالضعفاء المخلصين، فليتصدق كلُّ بما استطاع، ولو بشقِّ تمرَةٍ؛ ورُبَّ قليل هو عند الله أذكى وأطهر من كثير، وإنما الأعمال بالنيات.

### حقيقة السنة الحسنة والسنة السيئة

وفي الحديث كشفُ النقاب عن السنة الحسنة والسنة السيئة، وبيان حقيقة

(١) اقتباس من الآية ١٩٧ من سورة البقرة.

٥٠١

كلُّ منهما؛ إذ أوضح صلوات الله وسلامه عليه أن كلَّ عملٍ صالحٍ يبتدئُ به صاحبه، فيدعو الناس إلى مثله، فهو السنة الحسنة؛ ومنه يُعلم أن كلَّ عملٍ غير صالحٍ يبتدئُ به صاحبه، فيدعو الناس إلى مثله، فهو السنة السيئة.

وطوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير مغلقاً للشر، وويلٌ لمن جعله الله مفتاحاً للشر مغلقاً للخير<sup>(١)</sup>؛ للأول: أجره وأجر من اهتدى به إلى يوم القيامة، وعلى الثاني: وزرٌ ووزرٌ من اقتدى به إلى يوم القيامة.

ومن قبيل السنة الحسنة: ما يستنه ملوك المسلمين وكبرائهم من العطايا الجزيلة، والأعمال الجليلة، والمشروعات النافعة؛ من تلك الباقيات الصالحات التي تخلد ذكراهم بالدعاء لهم والافتداء بهم؛ وعلى العكس منها سنن سيئة؛ حمل بعضهم أثقالها وأثقال من اقتدى بهم فيها.

وبعد، فلعلَّ في هذا البيان على وجازته، مَقْنَعاً لِحَصْمَيْنِ اختصموا في السنة والبدعة، وأضاعوا العمر في جدالٍ عنيف، وسبابٍ جائر، ثم افترقوا على غير هدى من الله ولا بصيرة!

ولعلَّ الله أن يفتح على قومنا هؤلاء ويهديهم للتتي هي أقوم، ويبعث فيهم من يسنُّ لهم في الإصلاح سنةً حسنةً يفوز بأجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء!

\* \* \* \* \*

(١) اقتباس من حديث رواه ابن ماجه في «المقدمة» (٢٣٨) من حديث سهل بن سعد، أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ هذا الخير خزان، ولتلك الخزائن مفاتيح، فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحاً للخير، مِغْلَقاً للشرِّ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحاً للشرِّ، مِغْلَقاً للخير». قال البوصيري في «الزوائد»: إسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

## فضيلة كتمان السرِّ

٥٦ - عن ثابت بن أسلم البُناني، عن أنس رضي الله عنه قال: أتى عليّ رسول الله ﷺ، وأنا أَلعبُ مع الغلمان، فسَلَّم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأتُ على أمي، فلمَّا جئتُ، قالت: ما حَبَسَكَ؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حَاجَتُهُ؟ قلت: إنَّها سرٌّ، قالت: لا تُحدِّثَنَّ بسرَّ رسولِ الله ﷺ أحداً. قال أنس: والله لو حَدَّثْتُ به أحداً لَحَدَّثْتُكَ به يا ثابت. رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

### صدور الأحرار قبور الأسرار

خَلَّةٌ من خلال المروءة والنبل، وآيةٌ من آي الشرف والعقل، وسِمةٌ من سِمات المَجْد والرُّشد، تلك هي صيانة السرِّ، والمبالغة في كتمانها، والحرص عليه أن يُمسَّ.

وَحَسْبُكَ دليلاً على منزلة هذه الخَصْلَة في قلوب الناس قاطبةً، إجماعُهُم على امتداح صاحبها، ووزنهم عقلَ الرجل وشرفه، وهمته ومروءته، بميزان حفظه للسر ودفنه له. وقدِيماً قالوا: «صدور الأحرار قبور الأسرار».

وممَّا لا رَيْبَ فيه أن الناس على حفظ الأموال أقدر منهم وآمنُ على حفظ الأسرار، فليس كلُّ أمين على المال حفيظاً على السرِّ؛ ولذا يبلغ المرء من

\* مجلة الأزهر، العدد الرابع، المجلد الثامن عشر (١٣٦٦).

(١) أخرجه مسلم (٢٤٨٢) في كتاب فضائل الصحابة، وروى البخاري بعضه مختصراً (٦٢٨٩) بلفظ: أسرَّ إليَّ النبيُّ ﷺ سرّاً، فما أخبرتُ به أحداً بعدُ، ولقد سألتني عنه أمُّ سُلَيْمٍ، فما أخبرتُها به.



٥٠٣

الجهد والتَّصَبُّبُ في تَخْيِيرِ مَنْ يَسْتَوْدِعُهُ مَكْنُونِ سِرِّهِ، مَا لَا يَبْلُغُ مَعِشَارَهُ فَيَمْنُ يَسْتَوْدِعُهُ نَفِيسَ مَالِهِ؛ وَيَخَافُ عَلَى سِرِّهِ أَنْ يُذَاعَ، أَكْثَرَ مِمَّا يَخَافُ عَلَى مَالِهِ الضِّيَاعِ؛ لِأَنَّ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِحٌ، وَأَمَّا السِّرُّ فَقَدْ يَكُونُ فِي إِفْشَائِهِ إِزْهَاقُ رُوحٍ أَوْ تَمْزِيقُ عَرَضٍ.

وأولى الناس بأن يقدر هذه الفضيلة قدرها، مَنْ تَرَبَّأَ فِي حِجْرِ النُّبُوَّةِ، أَوْ تَأَدَّبُوا بِأَدَابِهَا، وَاقْتَبَسُوا مِنْ نُورِهَا.

### قِصَّةٌ رَائِعَةٌ فِي كِتْمَانِ السِّرِّ

وهذه قصة رائعة في كتمان السر، يقصُّها ثابتُ البُنَّانِي عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَثَابِتٌ هَذَا مِنْ سَادَةِ التَّابِعِينَ عُلَمَاءَ وَفَضَلَاءَ، وَعِبَادَةٌ وَتُبْلَاءُ، وَكَانَ أَثِيرًا لَدَى أَنَسٍ، وَمَقْرَبًا عِنْدَهُ، يُفْضِي إِلَيْهِ بِذَاتِ نَفْسِهِ، وَيَبْنِي مَكْنُونَ صَدْرِهِ، وَيَخْتَصُّهُ بِأَكْثَرِ مَا رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

### مُثَلِّ عَلَيْهِ فِي أَخْلَاقِ الْخَادِمِ وَالْمَخْدُومِ

القِصَّةُ بَيْنَهُ جَلِيلَةٌ، غَنِيَّةٌ عَنِ الْبَسْطِ وَالشَّرْحِ، وَإِنْ تَكُنْ مُوجِزَةً، فَهِيَ عَلَى وَجَازَتِهَا، تَرْجَمَةٌ وَاضِحَةٌ لِمُثَلِّ عَلَيْهِ فِي أَخْلَاقِ الْخَادِمِ وَمَخْدُومِهِ.

فَفيهَا: رَفَقُ الْمَخْدُومِ بِخَادِمِهِ، وَالتَّخْلِيَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لِدَاتِهِ وَأَتْرَابِهِ، يَلْعَبُ مَعَهُمْ لَعِبًا طَاهِرًا بَرِيئًا.

وَفيهَا: الْاهْتِشَاشُ لِلصَّبِيَّانِ وَالْخَدَمِ، وَإِيْنَاسُهُمْ، وَتَفْرِيحُهُمْ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّحِيَّةِ.

وَفيهَا: نِبَاهَةُ الْخَادِمِ وَحِذْقُهُ، وَكِتْمَانُهُ سِرِّ مَخْدُومِهِ، حَيًّا وَمَيْتًا، عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَأَكْرَمِهِمْ لَدَيْهِ.

وَمَوْضِعُ الْعَجَبِ فِي خُلُقِ أَنَسٍ وَتُبْلُهُ، أَنْ يَكْتُمَ حَاجَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (١) دُونَ

(١) قَالَ شَرَّاحُ الْحَدِيثِ: هِيَ حَاجَةُ بَيْتِهِ ﷺ، وَلَوْ كَانَتْ مِنَ الْعِلْمِ مَا وَسَّعَ أَنْسًا كِتْمَانُهَا.

أن يستكتمه إياها، ولو استكتمه لاعتذر بذلك لأمه. وأجمل من هذا وأعجب، أن يضبط نفسه وهو لا يزال يلعب مع الصبيان، على حين يتطوع بالأسرار كثير من الشيوخ والشبان.

أم مربية

ولله درُّ أم سليم<sup>(١)</sup> ما أعظم تربيته، وأجل مدرستها<sup>(٢)</sup>، وأكرم وصاتها لابنها، ألا يخبرن بسر رسول الله ﷺ أحداً كائناً من كان.

لا جرم أنها فرحت بأن يكون ابنها موضع ثقة الرسول الأكرم ﷺ، فأحبت أن يزداد عنده ثقةً وحباً. ومن أحظى وأسعد ممن وثق به المعصوم وأحبه؟! لقد كانت أم سليم صادقة الفراسة، كريمة الهيئة؛ إذ أتت بابنها رسول الله ﷺ مقدّمه إلى المدينة، وهو غلامٌ حدثٌ، فقالت: يا رسول الله هذا أنيس، غلامٌ يخدمك، فادعُ الله له، فدعا له، وقبله<sup>(٣)</sup>.

ولقد صدق فراستها أنه خدم النبي ﷺ عشر سنين، مقامه بالمدينة، فما قال له: أف قط، ولا لشيء صنعه لم صنعه؟! ولا لشيء تركه لم تركته؟!<sup>(٤)</sup>.

(١) اشتهرت بكنيتها هذه، حتى كأنها اسمها لا تُعرف بغيره؛ وليس لها ولد يدعى سليماً. وهي وابنها أنس وزوجها أبو طلحة وابنها عبد الله بن طلحة من أعظم بيوت الأنصار شرفاً وفضلاً، وحسبك أن النبي ﷺ، لم يكن يدخل بيتاً بعد بيوت أزواجه غير بيت أم سليم، فقيل له؟ فقال: «إني أرحمها، قتل أخوها وأبوها معي!» (طه). وانظر شرح حديث: مسامرة نبوية ص ٨١٩ - ٨٣٠.

(٢) إشارة إلى بيت حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٨١).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٠٩). ولفظه من حديث أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: أفأ قط. ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلاً فعلت كذا.

ذلك مثلٌ من الطراز الأول في الأمومة وتربيتها، والبُنوة وأدبها، إلى جانب النموذج الأسمى في حفظ السرِّ وكتمانه.

### مثال آخر في كتمان السر

ومثالٌ آخر لا يقلُّ عن سابقه جلالاً وروعةً، في كتمان السرِّ وإن لم يستكنتم، يرويه البخاري عن عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما قال: لما تأيَّمت حفصة من خنيس بن حذافة السهمي - وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، قد شهد بدرًا، وتوفي في المدينة - لقيت عثمان بن عفان، فعرضتُ عليه حفصة، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، قال: سأنظر في أمري، فلبتُ ليالي، فقال: قد بدأ لي ألا أتزوج يومي هذا.

قال عمر: فلقيتُ أبا بكر، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمتَ أبو بكر، فلم يرجع إليَّ شيئاً، فكنت عليه أوجد مني على عثمان، فلبتُ ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ، فأنكحها إيَّاه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟، قلت: نعم، قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت إلا أنني قد علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها لقبلتها<sup>(١)</sup>.

### موضع العبرة

وموضع العبرة في هذا المثال أن الصديق لو أجاب الفاروق، لكان مُفتاتاً على النبي ﷺ، بل لكان مُسيئاً إلى حفصة وأبيها؛ لأنَّ دخولها في حظيرة أمهات المؤمنين لا يعدله شيءٌ بعد الإيمان بالله ورسوله. أما التعريض بسرِّ رسول الله ﷺ فهو ممَّا تهابه السنة المؤمنین، فضلاً عن سيِّد الصديقين. على أن

(١) أخرجه البخاري (٤٠٠٥).

عُدُولَهُ ﷺ عنها كان مُحْتَمَلًا، فلو أن أبا بكر أذاع بالسِّرِّ أو عَرَّضَ به، ثم رَغِبَ عنها رسول الله ﷺ، لأَخَذَ عمر من الهمِّ والغمِّ - وهو الجَلْدُ الشُّجَاعُ - ما لا قِبَلَ له باحتماله! فَلْيَصْنَمِ الصَّدِيقَ إِذَا، وَلْيُؤَثِّرِ الصَّمْتَ، إِذَا كَانَ هُوَ الْحَزْمُ وَالْكَيْسُ، عَلَى وَجْدِ الْفَارُوقِ وَغَضْبِهِ، حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ أَمْرَهُ.

وقد خار الله لعثمان، وعمر وابنته جميعاً، فزَوَّجَ ذا الثُّورين خيراً من حفصة، أمَّ كلثوم بنت النبي ﷺ، وكان عثمان قد تَأَيَّم من شقيقتها رُقِيَّةَ؛ وزَوَّجَ حَفْصَةَ خيراً من أبي بكر، رسول الله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَنْقِ اللهُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾<sup>(١)</sup>.

ولم يجد أبو بكر في نفسه حَرَجًا بعد أن أعلن النَّبِيُّ ﷺ خَطْبَتَهُ، أن يعتذر لصديقه الذي عَتَبَ عليه و غَضِبَ؛ لأنه لم يُحِرْ عند السؤال جواباً<sup>(٢)</sup>، وتركه في حَيْرَةٍ من أمره. بل رأى حقاً عليه في باب المكارم أن يزيل ما في نفسه بإبداء المعذرة واضحة صادقة.

### نموذج ثالث في كتمان السر

ومن هذا الطراز في كتمان السِّرِّ إلى أن يَحِينَ إِبَانُهُ، قِصَّةُ الزَّهْرَاءِ مَعَ الصَّدِيقَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

روى الشيخان عن عائشة قالت: كنَّ أزواجُ النَّبِيِّ ﷺ عنده، لم يغادر منهنَّ واحدةً، فأقبلت فاطمة عليها السلام تمشي، ما تُخْطِي مَشِيَّتُهَا من مَشِيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شيئاً، فلَمَّا رَأَاهَا رَحَّبَ بِهَا، فقال: «مرحباً يا بُنْتِي»، ثم أَجْلَسَهَا عن يمينه أو عن شماله، ثم سارَّهَا، فبكت بكاءً شديداً، فلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سارَّهَا الثانية، فضحكت. فقلت لها: خَصَّكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ من بين نسائه بالسَّرَارِ، ثم

(١) سورة الطلاق: ٤.

(٢) لم يُحِرْ أي: لم يرد.

أنت تبكين؟!

فلما قام رسول الله ﷺ سألتها: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سره.

قالت: فلما توفي رسول الله ﷺ، قلت: عَزَمْتُ عليك بما لي عليك من الحقِّ لِمَا حَدَّثْتَنِي ما قال لك رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>؟ فقالت: أما الآن فنعم.

أما حين سارني في الأولى، فأخبرني أن جبريلَ كان يُعارضه القرآن<sup>(٢)</sup> في كلِّ سنةٍ مرَّةً، وإنه عارضه الآن مرَّتين، وإني لا أرى الأجلَ إلا قد اقترب، فاتَّقِي اللهَ واصبري، فإنه نِعَمَ السَّلَفِ أنا لك. قالت: فبَكَيْتُ بكائي الذي رأيت.

فلما رأى جَزَعِي سارني الثانية، فقال: «يا فاطمةُ، أما تَرْضَيْنَ أن تكوني سيِّدة نساء المؤمنين، أو سيِّدة نساءِ هذه الأمة؟! قالت: فضحكتُ ضحكي الذي رأيت<sup>(٣)</sup>.

رأى النبيُّ ﷺ أمارَةً تدلُّ على اقتراب أجله، ومنها مُدارسته القرآن مرَّتين، بعد أن كان جبريلُ يُدارسه كلَّ عام مرَّةً فحسب. وعلم أن سيكون أشدَّ الناس حُزناً عليه هي ابنته فاطمة، التي لم يترك من بعده ذُرِّيَّةً سواها؛ فأحبَّ أن يهُوَّنَ عليها وَقَعَ المصيبة الجلي، رحمةً بها وحناناً. فلَمَّا جَزَعَتْ بِشَرِّها بأنها أقرب أهل بيته لحوقاً به، كما في إحدى روايات مسلم<sup>(٤)</sup>، وبأنها سيِّدة نساء المؤمنين في الجنة.

(١) تقول: أقسمت عليك لما فعلت كذا أي: إلا فعلت (طه).

(٢) أي: يدارسه إياه، فيقرأ جبريل، والنبيُّ ﷺ يتابعه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٨٥) (٦٢٨٦) في كتاب الاستئذان، ومسلم ٩٨ (٢٤٥٠) في فضائل الصحابة، واللفظ له..

(٤) أخرجه مسلم ٩٧ (٢٤٥٠).

فَطَنْتُ الزهراءِ إلى أنَّ مناجاةَ أبيها لها بهذا الحديث من الأسرار الخطيرة التي لا بدَّ من كتمانها في حياته، وإلا فِلمَ خَصَّها بالنَّجوى دون أزواجه؟! .  
وعبثاً حاولت الصَّدِيقَةُ من بين أمّهات المؤمنين أن تلجَّ باب هذا السِّرِّ، لأنَّ الزهراء - وهي أكرم ابنة لأعظم أب - قد أغلقت، فأحكمت إغلاقه، حتى إذا قضى الله قضاءه، فتحت؛ إذ لم تجد في فتحه ضرراً، بل رأت فيه نفعاً وخيراً.  
متى يستحبُّ إظهار السِّرِّ؟

ومن هذا استنبط العلماء أنَّ من السِّرِّ ما يجوز إظهاره، وقد يُستحبُّ، إذا انتهى أجلُّه، وقُصدت المصلحة من وراء إعلانه، وقد يجب إظهاره إذا كان وصيةً بخير أو قضاءً لدينٍ أو أداءً لحق؛ وأما إذا لم يكن في إظهاره مصلحة، فمن الخير والإيمان أن يُكتم أبداً، ولو مات صاحبه.  
هذه ثلاثة أمثلة من النماذج العليا في كتمان السِّرِّ، في كلِّ واحدٍ منها هديٌّ لمن أراد أن يكون للأسرار كِتوماً، وللمروءات أهلاً، وللثقة والمكارم موضعاً.

\*\*\*\*\*



## من المروءات ستر العورات \*

٥٧ - عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلُّ أمتي مُعافى إلا المُجاهرين، وإنَّ من المَجَانَةِ أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يُصبح - وقد ستره الله - فيقول: يا فلانُ، عمِلتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربُّه، ويصبح يكشف سِتْرَ الله عنه». رواه الشيخان<sup>(١)</sup>.

٥٨ - وعنه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يَسْتُرُ اللهُ على عبدٍ في الدنيا، إلا سَتَرَهُ اللهُ يومَ القيامة»<sup>(٢)</sup>.

وعنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: «لا يَسْتُرُ عبدٌ عبداً في الدنيا، إلا سَتَرَهُ اللهُ يومَ القيامة». رواهما مسلم<sup>(٣)</sup>.

### المفردات:

المَجَانَةُ: تركُ المبالاة بالقول والفعل، وأصلها من المجون، وهو الغلظُ والصَّلابَةُ، كأنَّ الماجن، وهو الهازل المُسْتَهْتَر، صُلِبَ الوجه غليظه. وأكثر ما تكون المَجَانَةُ بالليل، فلذا قِيدَتْ به.

والبارحة: أقربُ ليلةٍ مَضَتْ من وقت القول، من برح مكانه: إذا زال عنه.

\* مجلة الأزهر، العدد الخامس، المجلد الثامن عشر (١٣٦٦).

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٩) في كتاب الأدب، واللفظ له، ومسلم (٢٩٩٠) في الزهد والرفائق.

(٢) أخرجه مسلم ٧١- (٢٥٩٠).

(٣) أخرجه مسلم ٧٢- (٢٥٩٠).

وكذا وكذا: كناية عن المعصية التي جأهر بها الماجن، فاستوجب سخط الله، وحرّم معافاته ومغفرته.

\*\*\*\*\*

الهمُّ بالمعصية بين داعي العقل وداعي الهوى والشهوة  
داعيان قويان يتجاذبان المرء حينما يهْمُ بمعصية: داعي العقل والحكمة،  
وداعي الهوى والشهوة. وليغلبن المرء ويظفرن به أيهما أشدُّ عليه وأقوى.  
﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾<sup>(١)</sup>.

وليس بضائر العبد، ولا بقادح في إيمانه وبقينه، أن تزل قدمه، أو تغلبه  
خطيئته؛ فإنه ليس في الناس معصوم كائناً من كان، حاشا النبيين صلوات الله  
وسلامه عليهم أجمعين.

#### المجاهرة بالمعصية والاستهتار بالخطيئة

وإنما يضير العبد، ويضعف إيمانه أن يجمع إلى جرّمه جرماً آخر أفضح منه  
وأنكى، وهو مجاهرته بجريمته، وانتهاكه لحرّمات الله عزّ وجل، على مرأى من  
الناس ومسمع، وفي غير استحياء من الله وعباده!

وقد يستر الله هذا الأثم، فلا يُطلع على جريرته أحداً من خلقه، فضلاً منه  
ونعمة، أو بلاء ومحنة، ثم يأبى عليه جحوده وقحته إلا أن يتحدّث إلى إخوان  
الشياطين، وجلساء السوء، بما سوّكت له نفسه، وزين له شيطانه، غير آسف  
ولا مُستغفر! وكيف، وهو فخورٌ بما أسلف، ومُعجَبٌ بما اقترف، وكأنه يقول:  
إن فاتكم أن تشهدوا المخزاة عياناً، فلن يفوتكم نعتها كأنكم رأيتموها!.

(١) سورة النساء: ٢٨.

ضربٌ من ضروب الإجهار بالمعصية، والاستهتار بالخطيئة، بل أثرٌ من آثار لُؤم الطبع، وندس النفس، وفساد الفطرة!

وحقيقٌ بهذا المجاهر الأثيم ألا ينظر الله إليه، وألا يرحمه، على سعة رحمته ومغفرته، وأن يُخزبه في الدنيا والآخرة؛ جزاء ما عاند وأفسد، ومزق من ستر الله، وحرّض عباده على انتهاك حماه، «.. ألا وإن لكلّ ملك حمى، ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه»<sup>(١)</sup>.

### الجزء من جنس العمل

وأما من زلت به قدمه، فاستتر في خطيئته بستر الله عزّ وجل، فقد بشره الصادق المصدوق، صلوات الله وسلامه عليه، بأن يستره الله في الآخرة كما ستره في الأولى، وأن يشملّه بعفوه ومغفرته.

روى الشيخان في حديث النّجوى<sup>(٢)</sup> عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله يُدني المؤمن، فيضع عليه كنفه، ويستتره»<sup>(٣)</sup>، فيقول: أتعرفُ ذنبَ كذا؟ أتعرفُ ذنبَ كذا؟ فيقول: نعم أي ربّ. حتى إذا قرّره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلّك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»<sup>(٤)</sup>.

ويؤثر عن عليّ كرم الله وجهه قال: مَنْ أذنب ذنباً، فستره الله في الدنيا،

(١) اقتباس من حديث أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) أي مناجاة الله تعالى لعبده في السرّ، حيث تشملّه رحمته، وتحيطُ به عنايته، فالقرب هنا قربُ رحمةٍ وكرامةٍ (طه).

(٣) كنفه: قال في «الفتح» ١٠: ٤٨٨: «الكنف: السّتر، وهو المراد هنا». وقال النووي في «شرح مسلم» ١٧: ٨٦: «المراد بالذنوب هنا ذنوبُ كرامةٍ وإحسانٍ، لا ذنوبُ مسافة، والله تعالى مُنزه عن المسافة وقربها».

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

فالله أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة، ومن أذنب ذنباً، فعوقب عليه في الدنيا، فالله تعالى أعدل من أن يُثني عقوبته في الآخرة.

### استحياء العبد من المجاهرة بالمعاصي

وإنما كان المُستتر بالمعصية خليقاً بمعافة الله وسرّه؛ لأن فيه بقيةً من الحياء، إن لم يكن من الله فمن خلقه، ومن استحيا من الناس أو شك أن يستحيي من الله. والحياء لا يأتي إلا بخير، وحسبك أنه شعبة من الإيمان.

واستحياء العبد من الإجهار بالمعاصي دليلٌ على أنه يبغضها ويمقتها، ويستقدر أن يراه الناس عليها. ومن استقدر المعصية فهو حريٌّ بأن يُقلَّ من غشيانها إن لم يُقلع عنها، ثم هو منكسر النفس عند المعصية، منقبض الصدر منها، قريب الندم والتوبة؛ لأنه لم يمرن عليها مرانة المُستهترين<sup>(١)</sup>، ولم يمرد عليها مرادة الماجنين الآثمين.

والمُستتر بعد هذا كله لم يحرض على المعاصي أحداً، وشؤمُ معصيته على نفسه خاصةً، فكان أخفَّ من المُتهتك ضرراً، وأقلَّ وزراً، وأضعف أثراً.

ولا يحسبنَّ أحدٌ أن رسول الله ﷺ - وحاشاه - يقنط مجاهراً من رحمة ربه، أو يعفي مُستتراً من تبعه ذنبه؛ ولكن يُبين ما للمجاهرة بالمعاصي من سوء العاقبة، وما للستتر والحياء من كريم الأثر، وعسى أن يستحيي مجاهر، أو ينيب إلى ربه مُستتر.

### وجوب ستر المسلم على أخيه المسلم

ومن الحق المحتوم للمُستتر على أخيه المسلم ألا يهتك ستره، وألا يُفشي

(١) المُستهتر: كثير الأباطيل، كما جاء في «اللسان» و«التاج»، أو: يتبع هواه فلا يبالي بما يفعل، كما جاء في «المصباح» والفعل: «استهتر» من الأفعال المبنية للمجهول كما في «معجم الأخطاء الشائعة» للأستاذ محمد العدناني ص ٢٥٧.

٥١٣

سرّه، سواء أوقف على زلته أثناء اقترافها، أم علم بها بعد انقضائها؛ والله ستيرٌ يحب الستّر<sup>(١)</sup>، ويجزي عليه بمثله في الدنيا والآخرة، والجزاء من جنس العمل.

غير أن ستر المسلم على أخيه لا يمنعه من التصح له، وتغيير المنكر الذي ارتكبه، والحيلولة بينه وبين صاحبه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ فإنّ هذا من الحقوق المحتومة عليه كذلك.

ومثل هذا الستر الذي اقترن بالنصيحة، هو الذي رغب فيه النبي ﷺ، حفظاً لحرمة المؤمن، وقال فيه كما روى أبو داود وغيره عن عُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه: «من رأى عورةً فسترّها، كان كمن أحيا مؤءودةً»<sup>(٢)</sup>.

وإنما كان الستّر كذلك، لأنه أحيا صاحب العورة حياةً أدبية كريمة، وأنقذه من بلاء يكاد يمحّقه، كمن أنقذ البنية التي كان العرب يدفنونها حيّة، خشية إملاقٍ أو فضيحة، وربما كانت الحياة الأدبية أعلى من الحياة النفسية، فكثيراً ما

(١) اقتباس من حديث أخرجه أحمد ٤: ٢٢٣ (١٧٩٧٠)، وأبو داود (٤٠١٢)، والنسائي (٤٠٧) من حديث يعلى بن أمية عن النبي ﷺ. ولفظه عند أحمد بسنده عن صفوان ابن يعلى بن أمية عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله حييٌ ستيرٌ، فإذا أراد أحدكم أن يغتسل، فليتوارى بشيء».

وأخرجه أبو داود (٤٠١٣)، والنسائي (٤٠٦) من حديث يعلى بن أمية بلفظ: «إن الله عز وجل حلِيمٌ حييٌ ستيرٌ يحب الحياء والستّر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر».

ومما ينبّه إليه أن الأستاذ عبد القادر أرناؤوط سمى يعلى في «جامع الأصول» ٧: ٣٠٠: يعلى بن شدّاد بن أوس؟! وهو يعلى بن أمية التميمي كما جاء في مصادر الحديث، من رواية ابنه صفوان عنه، ثم إنّ يعلى بن شدّاد ليس من رجال النسائي كما في «الكاشف» للذهبي (٦٤١٤).

(٢) أخرجه أحمد ٤: ١٤٧ (١٧٣٣١) و (١٧٣٣٢)، و ٤: ١٥٣ (١٧٣٩٥)، وأبو داود (٤٨٩١)، والنسائي في السنن الكبرى (٧٢٤١)، (٧٢٤٢) وهو حديث ضعيف الإسناد لسوء حفظ أحد رجاله، وهو ابن لهيعة، وجهالة آخر، وهو: كثير أبو الهيثم مولى عبّبة بن عامر الجهني.

تهون النفس في سبيل الشرف والكرامة!.

### التحذير من تتبُّع العورات والبحث عنها

وإذا كان كشف عورة المؤمن قحّةً وجُرماً، فأشدُّ منها وقاحةٌ وجريمة تلمُّسها وتتُّبُّعها والبحثُ عنها، إجابةً لداعي الهوى، وإشباعاً لنهم الشهوة، وإشاعةً للساء والقالة في المؤمنين الغافلين، وفي هؤلاء ينادي النبي ﷺ من فوق منبره بصوت رفيع فيقول: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفَضِّص الإيمانُ إلى قلبه: لا تؤذوا المسلمين، ولا تُغيروهم، ولا تتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»<sup>(١)</sup> أخرجه الترمذي وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما.

### كشف الستر بين المصلحة والمفسدة

على أن العورة التي أمرنا بسترها هي التي يكون في دنفها مصلحةٌ أرجحُ من مصلحة كشفها. أما إذا كان في كتمانها مفسدةٌ مظنونة أو محققة - كمن رأى آخر يسفك دماً، أو ينتهك عرضاً، أو ينتهب مالاً، ولم يكفَّ إلا بكشف أمره، وإظهار جرمه. فإن على من أطلع عليه حيثئذ أن يُذيع سرّه، ويطلع الحاكم عليه، حقناً للدماء، وصوناً للأعراض، وحفظاً للأموال، وتأديباً للمفسدين في الأرض.

وكذلك من بلغه أن فلاناً سيرتكب جريمةً مفسدةً، كان حقاً عليه أن يعمل ما في وسعه للحيلولة بين المجرم وجريمته؛ فليس المحافظة على هذا المجرم بأولى من العناية بذلك الوداع الآمن، وليس هذا مقام الإفاضة في أحكام الشريعة، وحكمتها البليغة، وأسرارها الدقيقة.

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٣٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٦٣) إلا أنه قال فيه:

«يامعشر من أسلم بلسانه، ولم يدخُل الإيمانُ قلبه: لا تؤذوا المسلمين، ولا تُغيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم».



## ذكر محاسن الموتى

وأحقُّ الناس بأن نستَرَّ عوراتهم، ونغفرَ زلَّاتهم، ونكفَّ عن مساوئهم إن لم نذكرْ محاسنهم، أولئك الذين ترحلوا عنا إلى ربِّهم، وهو أعلم بهم. وقد رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «لا تسبوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا»<sup>(١)</sup>.

وروى أبو داود والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اذكروا محاسن موتاكم، وكفُّوا عن مساوئهم»<sup>(٢)</sup>. وبعد فهذه حَسَنَةٌ من حَسَنَات الإسلام، وأثارةٌ من هديه عليه الصلاة والسلام، في سترِ عورات المؤمنين والمؤمنات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

## طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس

فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس<sup>(٤)</sup>، وكفَّ لسانه إلا عن خير، وعلم أن وقته - وهو رأس ماله - لا يتسع للواجبات، فضلاً عن الهنات والمهاترات، ثم وقف قليلاً عند ما قال بعض السلف: أدركنا أقواماً لم تكن لهم عيوب فذكروا عيوب الناس، فذكر الناس لهم عيوباً، وأدركنا أقواماً كانت لهم عيوب، فكفُّوا عن عيوب الناس، فنسيت عيوبهم. والله المستعان.

\*\*\*\*\*

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٠٠)، والترمذي (١٠١٩).

(٣) اقتباس من الآية ٥١ من سورة المائدة.

(٤) اقتباس من حديث رواه الديلمي في «الفردوس» من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة، فلم يعدل عنها إلى البدعة» والحديث ضعيف جداً.

## مكان النَّصْح في الإسلام\*

- ١ -

٥٩- عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بايعتُ رسولَ الله ﷺ على إقامة الصَّلَاة، وإيتاء الزكاة، والنُّصْح لكلِّ مسلم»<sup>(١)</sup>.

٦٠- وعنه رضي الله عنه قال: «بايعتُ النَّبِيَّ ﷺ على السَّمْع والطاعة، فلَقَّنني - فيما استطعتُ<sup>(٢)</sup> - والنُّصْح لكلِّ مسلم». رواهما الشيخان<sup>(٣)</sup>.

### مكانة جرير في الصَّحابة

روى الشيخان هذا الحديث بروايات عدَّة، لمناسباتٍ مختلفة، عن جرير رضي الله عنه.

وجريرٌ أحدُ الصَّحابة الأجلَاء ذَوِي التاريخ الحافل بالمناقب العليَّة والهمم الأبيَّة، وإن تأخَّر إسلامه - كما قيل - إلى السنة العاشرة.

كان سيِّد قومه بَجيلة، ووَفد على النَّبِيِّ ﷺ ليبياعه على الإسلام فأسلم،

\* مجلة الأزهر، العددان الأول والثاني، السنة التاسعة والعشرون (١٣٧٧ = ١٩٥٧).

(١) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦) كلاهما في كتاب الإيمان.

(٢) قال النووي في «شرح مسلم»: والرواية بفتح التاء، وقال صاحب «الفتح»: رويناه بفتح التاء وضمها. (طه).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٠٤) في كتاب الأحكام، ومسلم (٥٦) في كتاب الإيمان، وسيأتي ذكر موضع الحديث في الصحيحين.

٥١٧

وما حَجَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ منذ أسلم، وما رآه إلا تَبَسَّمَ<sup>(١)</sup>، وشكا إليه أنه لا يثبُت على الخيل، فضرب بيده الكريمة على صدره، وقال: «اللهم ثبته، واجعله هادياً مَهْدِيًّا»<sup>(٢)</sup>، وحجَّ مع النبي ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ، فاختره أن يستنصت له الناس كي يخطبهم خطبته الجامعة.

وبعثه ﷺ إلى ذي الْخَلَصَةِ - بيتٌ كان فيه صنم لدَوْسٍ وَخَثْعَمٍ وبجيلة وغيرهم - فهدمه<sup>(٣)</sup>.

وخرج مع أنسٍ في سفر، فكان يخدم أنساً مع أنه أكبرُ منه سنّاً، ويقول: لَمَّا رَأَيْتُ الْأَنْصَارَ تَصْنَعُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَشْيَاءَ، آلَيْتُ أَلَّا أَصْحَبَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا خِدْمَتَهُ..

وكان رضي الله عنه رجلاً طَوَالاً وَسِيمًا، حتى قال فيه عمر رضي الله عنه: جريرٌ يوسُفُ هذه الأمة.

ووجد عمر يوماً رَائِحَةً في مجلسه، فقال: عزمْتُ على صاحب هذه الرائحة، إلا قام فتوضأ، فقال جرير: اعزم علينا جميعاً يا أمير المؤمنين. قال: عليكم كلُّكم عزمْتُ، ثم قال: يا جرير، ما زلت سيِّدًا في الجاهلية والإسلام.

ومن دلائل سيادته وعظيم نصحه وورعه: أنه كان إذا اشترى شيئاً أو باع يقول لصاحبه: اعلم أن ما أخذنا منك أحبُّ إلينا ممَّا أعطيناك، فاختر.

وروى الطبراني: أن غلامه اشترى له فرساً بثلاثمائة دينار، فلمَّا رآه جاء إلى صاحبه، فقال: إن فرسك خيرٌ من ثلاثمائة، فلم يزل يزيده حتى أعطاه ثمانمائة.

(١) أخرج البخاري (٣٠٣٥) و (٦٠٨٩)، ومسلم (٢٤٧٥) عن جرير بن عبد الله قال: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، وما رأني إلا ضحك».

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٥) (٣٠٣٦)، ومسلم (٢٤٧٥).

(٣) انظر الحديث في البخاري (٤٣٥٥)، ومسلم (٢٤٧٦).

## موضع الحديث في صحيح مسلم

روى مسلمٌ هذا الحديث - بروايتيه هاتين، وبينهما رواية ثالثة مختصرة - في «كتاب الإيمان» عقبَ الحديث المشهور، الذي رواه تميم الداري رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «الله، وكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»<sup>(١)</sup>. وليس لتميم الداري حديثٌ ما في صحيح البخاري عن النبيِّ ﷺ، وليس له في صحيح مسلم غيرُ هذا الحديث «الدين النصيحة»<sup>(٢)</sup>، ونرجو أن نشرحه في الجزء الآتي بمشيئة الله تعالى وتوفيقه.

## مواضعه في صحيح البخاري

وأما البخاري فرواه كذلك في «كتاب الإيمان» بالرواية الأولى، في باب قول النبيِّ ﷺ: «الدين النصيحة...»، وأتبعها في الباب نفسه برواية ثانية تُبيِّن سببه فقال: عن زياد بن علاقَةَ قال: سمعت جريرَ بن عبد الله يقول - يوم مات المغيرة بن شعبة، قام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: عليكم بأنقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة، حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن. ثم قال: استعفوا لأميركم، فإنه كان يحبُّ العفو، ثم قال: أما بعد؛ فإنني أتيتُ النبيَّ ﷺ قلت: أبايعك على الإسلام، فشرط عليّ: «والنُّصح لكلِّ مسلم»، فبايعتهُ على هذا، وربُّ هذا المسجد إني لناصحٌ لكم، ثمَّ استغفر ونزل<sup>(٣)</sup>.

وكان المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة في خلافة معاوية، ولماً حضرته

(١) أخرجه مسلم (٥٥).

(٢) وحديثه يبلغ ثمانية عشر حديثاً في السنن الأربعة، منها في «صحيح مسلم» (٢٩٤٢) في الفتن وأشراط الساعة حديث الجساسة، وهي الدابة التي رآها في جزيرة البحر، وسميت بذلك لأنها تجسُّ الأخبار للرجال.

(٣) أخرجه البخاري (٥٨).

الوفاة استتاب عنه ابنه عروة، وقيل: استتاب جريراً؛ ولذا خطب.

وكانت وفاة المغيرة سنة خمسين، وتوفي جرير سنة إحدى وخمسين،  
وقيل: سنة أربع وخمسين.

والمسجد الذي يشير إليه جرير في قَسَمِهِ بِرَبِّهِ - إنه لناصحٌ لهم - هو مسجد الكوفة؛ إذ كانت خطبته به، وقيل: هو المسجد الحرام، ويؤيده ما جاء في رواية الطبراني: «وربُّ الكعبة». وأياً ما كان الأمر، فقد وفى رضي الله عنه بما بايع عليه النبي ﷺ في كلِّ شأن من شؤونه عامّة وخاصّة، لم يدخر في ذلك وسعاً، ولم يأل جهداً.

ثم رواه البخاري في باب «البيعة على إقامة الصلاة»، من كتاب «مواقيت الصلاة»<sup>(١)</sup>، وفي باب «البيعة على إيتاء الزكاة»، من كتاب «الزكاة»<sup>(٢)</sup>، ورواه في باب: هل يبيع حاضر لباد؟ من كتاب «البيوع»، ولفظه فيه:

«بايعتُ رسولَ الله ﷺ على شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والسَّمع والطاعة، والنُّصح لكلِّ مسلم»<sup>(٣)</sup>.

كما رواه في أوائل «كتاب الشروط»<sup>(٤)</sup>، ثم رواه أخيراً بالرواية الثانية التي اخترناها مع الرواية الأولى، في باب: «كيف يبايع الإمام الناس، من كتاب «الأحكام»<sup>(٥)</sup>.

(١) البخاري (٥٢٤).

(٢) البخاري (١٤٠١).

(٣) البخاري (٢١٥٧).

(٤) البخاري (٢٧١٥).

(٥) البخاري (٧٢٠٤).

### جانب من فقه الإمام البخاري

وإنما ذكرنا مواضعه من صحيح الإمام البخاري؛ تبييناً لجانبٍ من فقه البخاري رحمه الله، ودقيق صنعه في تكرير الحديث الواحد في غير موضع من كتابه؛ وتحقيقاً لرغبة المستزيدين من فقه الحديث وشرحه.

لَمْ لَمْ يَذْكَرِ الصَّوْمَ وَالْحَجَّ فِي الْمَبَايَعَةِ؟

ولم يذكر الصَّوْمَ وَالْحَجَّ فِي الْمَبَايَعَةِ؛ وهما ركنان من أركان الإسلام الخمسة؛ اكتفاءً بأهم الأركان ومعظمها، على أنهما داخلان في عموم المبايعة على السمع والطاعة.

تقييد السمع والطاعة بالاستطاعة

وتقييدُ السمع والطاعة بالاستطاعة، موافقٌ لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>(١)</sup>.

وتلقينه ﷺ<sup>(٢)</sup> من كمال رأفته ورحمته بأتمته؛ لئلا يتكلفوا من الأمر ما لا يطيقون، فيقعوا في العسر والحرج: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>(٣)</sup> وفي ذلك إشارةٌ إلى رفع المؤاخذه بالخطأ والنسيان وما أكره عليه المرء.

الرجال والنساء سواء في حق النُّصْح

والمسلمة كالمسلم في وجوب السمع والطاعة والنُّصْح؛ لأنَّ النساء شقائق الرجال وأخواتهم في التكليف العام.

بل إنَّ للكافر على المسلم حقَّ النُّصْح والإرشاد، وحقُّ الكافر على المسلم

(١) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٢) أي: إلقاء الكلام عليه وسماعه منه قوله: «فيما استطعت».

(٣) سورة الحج: ٧٨.

٥٢١

في النَّصْح والدعوة إلى الحقِّ، ولا سيما إذا رَغِبَ في الهداية بلسان الحال أو المقال، وإنما خصَّ المسلم، لأنَّ حقَّه أَوْجَبٌ، واستجابته أقرب، وأخوته أعظم شأنًا وألصق جواراً.

أما بعد؛ فهذه مبايعةٌ نبويَّةٌ على الدِّين كُلهُ عامَّةً، وعلى النصيحة منه خاصَّةً؛ لأنها عماده وملاكه... وتفصيل هذا في الجزء الآتي إن شاء الله.

\*\*\*\*\*



## مكان النصح في الإسلام

- ٢ -

منزلة هذا الحديث من السنة

منزلة هذا الحديث من السنة، بمنزلة سورة (العصر) من الكتاب المبين؛ أجمل الدين كله، أصوله وفروعه، في هذه المبايعة الجامعة التي اختتمها بالنصح لكل مسلم، كما أجملت السورة الكريمة الدين كله، أصوله وفروعه كذلك، في الإيمان وعمل الصالحات، ثم اختصت من بين الصالحات بالذكر، توأسي المؤمنين بالحق، وتوأسيهم بالصبر، وفصل الكتاب ما أجملته السورة، كما فصلت السنة ما أجمله الحديث.. وقام الدين الحنيف كاملاً شاملاً صالحاً لكل زمان ومكان، على كتاب الله وسنة رسوله معاً، لا يزيغ عنهما إلا هالك.

المسلم الحق ناصحٌ ومنصوحٌ

والنصح لكل مسلم يقتضي أن يخلص كل من المسلمين لأخيه، كائناً من كان، ويأدله النصيحة ما استطاع إليها سبيلاً، فيكون كل منهم ناصحاً ومنصوحاً.

وهذا التناصح الشامل والمتبادل، هو التوأسي بالحق والتوأسي بالصبر، في سورة العصر، التي بينت أبلغ بيان وأكدته أنهما ركنا السعادة والفوز في الحياتين، بعد الإيمان بالله والعمل الصالح جميعاً.

النصح عام وخاص

ومهما تختلف درجات النصح، وتعدد مناحيه وشؤونه في الدين والدنيا، فإنه نصحان، عام وخاص:

٥٢٣

فأما النصيحة العام، فهو في أبواب الحلال والحرام ممّا يستوي فيه الخاصّة والعامة، والعالم وغير العالم، وهذا لا يُعذر أحدٌ بجهله، فإنّ الحلال بيّن وإنّ الحرام بيّن، وإنّ من الحرام البيّن: الغش في المعاملة، والخديعة، والنفاق في النصيحة.

وهذا النوع من النصيحة فرضٌ على كلِّ مسلمٍ.. وعلى كلِّ جاهلٍ أن يتعلّم الضروري من دينه؛ ليعمل به وينصح فيه، وإلا كان آثماً ومقصراً، وبعيداً عن أخلاق المؤمنين وسياهم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وأما النصيحة الخاص، فهو في دقائق الفقه، وأسرار الشريعة، ومسائل الاجتهاد والاستنباط، وما إليها من معضلات السياسة، ومُشْتَبِهَاتِ الأمور، وتدير المملك في حدود ما أنزل الله على رسوله..

وتلك مرتبة خاصّة لا ينهض بأعبائها إلا أولو الأمر من الأئمة المجتهدين، والعلماء الراسخين، ممّن اختارهم الله حملةً لشريعته، وحُماةً لملكته، وورثةً لنبيه ﷺ، فهم بهديه يهتدون، وعلى بصيرةٍ من ربهم يهدون، علّموا وعلموا، وبيّنوا ولم يكتموا، ونصّحوا لله ورسوله، فجزّاهم الله عن نبيه وأُمَّته خيرَ ما يجزي الناصحين المخلصين.

ثمّ خَلَفَ من بعدهم خُلُوفٌ خَلَطُوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً بما انحرفوا عن الجادة، واحتالوا وتألّوا.. ولكن لا تزال من بينهم طائفةٌ متفكّهةٌ في دين الله، ظاهرةٌ على الحقّ، ناصحةٌ لله ورسوله، لا يضرُّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله.

(١) سورة التوبة: ٧١.

ولئن جاز أن يكون هذا النوع الخاص من النَّصَح موضعَ بحث بين العلماء - في أنه فرضٌ كفاية أو فرضٌ عينٌ على كلِّ مستطيعٍ له - فإنه لا جدال في أنَّ النَّصَح في الحديث مُطلقٌ، وأنَّ الحديث يدعو كلَّ مسلمٍ ألا يألوَ جهداً في النصيحة على قدر علمه ووسعه: ولا يكلفُ الله نفساً إلا وسعها، وإلى هذا البحث عودةٌ نرجو أن تكون بمشيئة الله قريباً<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*\*

---

(١) في ختام هذا الحديث استعرض المؤلف منهاج السنة في مجلة الأزهر منذ صدورها إلى وقت كتابته هذا الحديث، وقد تقدّم نقل كلامه في مقدمة الكتاب بعنوان: منهاج السنة في مجلة الأزهر ص ٧٢ - ٧٥. فاستعّنتُ عن إعادته هنا.

## الدين النصيحة\*

٦١- عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة». قلنا: لمن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»<sup>(١)</sup>. رواه مسلم.

### منزلة النصيحة من الدين

بدأنا أحاديث النَّصْح في الإسلام بحديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه: «بايعتُ رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنُّصْح لكل مسلم»<sup>(٢)</sup> وبينا كيف كانت منزلة هذا الحديث من السُّنَّة، بمنزلة سورة (العصر) من الكتاب المبين.

ونظرةً في حديث تميم هذا - الذي وعدنا أن نُقَفِّيَ به على حديث جرير - تُبيِّن أنه أولى أحاديث النَّصْح بسابقه، وأدناها إلى أن تكون فاتحةً بيانه وتفصيله، فيما يأتي بعده إن شاء الله من بيان وتفصيل.

وحديث تميم - في إيجازه الجامع وإجماله الرائع - يُبيِّن منزلة النصيحة من الدين، فيجعلها عمادته وملاكه، بل يجعلها الدين كله أصوله وفروعه وآدابه.

وتلك هي خصال الإسلام والإيمان والإحسان، في حديث جبريل عليه السلام، الذي قال العلماء فيه: إنه من السُّنَّة، بمنزلة الفاتحة من الكتاب، وقد

\* مجلة الأزهر، العدد الثالث، المجلد التاسع والعشرون (١٣٧٧ = ١٩٥٧).

(١) أخرجه مسلم (٥٥) في كتاب الإيمان.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

قال صلوات الله وسلامه عليه في خاتمة هذا الحديث: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»<sup>(١)</sup>، فجعل تلك الخصال كلها ديناً.

وإذا كان حديث تميم هذا مُجْمَلًا، بالقياس إلى ما سواه من أحاديث النَّصِيحَةِ المَفْصَلَةِ، فإنه على إجماله وإيجازه، جماعها وعمادها، وإليه مردُّها في مقصدها ومغزاها..

### منهاج التربية النبوية

وإمام المربين ﷺ، يُرَبِّي أُمَّتَهُ بالإجمال، ثم التفصيل. ويبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم، مُتَدَرِّجًا في البيان تَدْرُجَ التَّنْزِيلِ، ثم يُتَّبِعُ هذا التفصيل إجمالاً جامعاً في بيان رائع، هو الشَّمْسُ ساطعةً، والنَّهَارُ دليلاً.

فهل يعلم أساطين التربية، وعلم النفس والاجتماع، في أرجاء دنيانا الحديثة، أن متتهى ما بلغوه من أسس، وما وضعوه من قواعد، وما طاروا به فرحاً وتيهاً - من كشف اجتماعيٍّ، زعموا أنه جديدٌ، أو نهج تربوي اتفقوا على أنه رشيد.. هل يعلمون أن ذلك كله - وما هو أقرب منه نفعاً، وأعظم منه رشداً - من المبادئ الأولى في منهاج التربية النبوية، التي جاء بها معلّم الناس الخير، ومُخْرِجَهُم من الظلمات إلى النور، وهادِيَهُم إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيم؟!.

### إجمالٌ ثم تفصيل

بيِّن الحديث إجمالاً موقعَ النصيحة من الدين، ثم بيِّن تفصيلاً لمن تكون النصيحة، ثم ترك تفصيل ما ينبغي للناصح والمنصوح، لأحاديث أخرى تأتي في مواطنها بعون الله تعالى وتوفيقه.

والنصيحة أجمعُ كلمةٍ وأدلُّها على إخلاصِ الناصح، وعنايته بالمنصوح له، وقيامه بكلِّ ما ينبغي له، من وجوب الخير، قولاً وعملاً. لا جرَمَ أن

(١) أخرجه مسلم (٨) بلفظ: «فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم».

النصيحة إذاً تختلف باختلاف المنصوح.

النصيحة لله تعالى: صدقُ الإيمان به، وصحةُ الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته، والحبُّ فيه والبغضُ فيه، وموالاةُ مَنْ أطاعه ومعاداةُ مَنْ عصاه، وَوصفهُ بكلِّ كمال، وتنزيهه عن كلِّ نقص.

والنصيحة لكتاب الله تعالى: إجلاله وتعظيمه، وتعلُّمه وتعليمه، والعملُ به، والتأدُّبُ بأدبه، والوقوفُ عند حدوده، والذبُّ عنه، والدعاءُ إليه، والإنفاقُ في سبيله.

والنصيحة لرسول الله ﷺ: تصديقه، والإيمانُ بكلِّ ما جاء به، وتعظيمه وتوقيره، وإحياءُ سنته، ونشرُ دعوته، والاعتداءُ به، والتأدُّبُ بأدابه، وإيثاره على المال والولد والنَّاسِ أجمعين.

وغنيٌّ عن البيان أن هذه النصائح الثلاث متلازمةٌ مترابطةٌ، ويمكن أن تغنيَ إحداها عمَّا عداها.. ولكنها ذُكرت كلها متعاطفة؛ لتعظيم حقِّ الله، وحقِّ كتابه، وحقِّ رسوله، وتوكيد ما ينبغي لكلِّ من الإخلاص والتوقير.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين، فهي طاعتهم في غير معصية الله عز وجل، ومعاونتهم على البرِّ والتقوى، وحبُّ صلاحهم ورشادهم، وإعزازهم بعزة الله ورسوله والمؤمنين، وحبُّ اجتماع الكلمة لهم، وبغضُ التفرُّق والاختلاف عليهم، ودعوتهم إلى الخير، والتلطُّف معهم في الإبعاد عن الشرِّ، وحفظُ عهدهم وبيعتهم، ما أقاموا الصلاة.

أئمة المسلمين صنفان

ومن أئمة المسلمين: فقهاؤهم وعلماؤهم، الداعون إلى الخير، والآمرون بالمعروف، والنَّاهون عن المنكر.. لهم حقُّ الطاعة والامتثال، والتوقير والإجلال، والأخذ عنهم فيما فقهوا من الكتاب والسنة، ورووا عن أعلام هذه الأمة..

وجملة القول: أن أئمة المسلمين هم الصنفان اللذان إذا صلحوا صلح الناس،

وإذا فسدوا فسد الناس، ونرجو أن نبين ما لهم وما عليهم في حديث خاص.  
وأما النصيحة لعامة المسلمين، فتعليمهم وإرشادهم والرفق بهم، وحبُّ  
الخير لهم، ودفعُ الأذى عنهم، والزهدُ عما في أيديهم، وإصلاحُ السيرة  
والسريرة فيهم، وقضاءُ حاجاتهم، والعتو عن سيئهم، والدعاءُ بإصلاح دينهم  
ودنياهم.

هذه كلماتٌ مجملة في هذا الحديث الجامع الذي نحسب أنه أصلٌ لكل  
حديث بعده في النصيح والدعوة، مما نعرض لهم بعدُ إن شاء الله.

### نظرة في حياة تميم

بقيت نظرةٌ لا غنى عنها، في حياة تميم رضي الله عنه، راوي هذا الحديث  
عن رسول الله ﷺ، فإنَّ بينه وبين هذا الحديث نسباً يكاد يتميِّزُ به عن أصحاب  
رسول الله ﷺ.. ولو أننا تقصينا البحث ما وسعنا الجهد، عن كلِّ ما امتاز به  
صحابيُّ في روايته، إذًا لانتهينا إلى آيات وعجائب في علم النفس والتربية  
والاجتماع، تُضاف إلى كنوزنا الفريدة، التي نجهلها وهي بين أيدينا.

هو تميم بن أوس.. ويكنى أبا ربيعة، بابنة ليس له سواها، يُنسب إلى جدِّه  
الدار بن هانيء<sup>(١)</sup>، ويقال: الديري، نسبةً إلى الدير الذي كان يتعبَّد فيه قبل  
الإسلام، فإنه كان نصرانياً وأسلم سنة تسع من الهجرة، ورُوي له عن النبيِّ  
ﷺ ثمانية عشر حديثاً، روى مسلم منها حديثه هذا.

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ روى عنه قصة الجساسة<sup>(٢)</sup> - دابة

(١) قال الحافظ الذهبي في «سير النبلاء» ٢: ٤٤٢: «والدار: بطن من لخم، ولخم: فخذ من يعرب بن قحطان».

(٢) تفسير هذا أن النبيَّ ﷺ حدَّث أصحابه عن المسيح الدجال والجساسة، في آيات الساعة، فلما أسلم تميم، قصَّ على النبيِّ ﷺ شيئاً من ذلك ممَّا تعلَّمه من الكتب السماوية السابقة قبل تحريفها، فأعجبه ﷺ من تميم هذه الموافقة، فحدث بها على أثر الصلاة أصحابه...



٥٢٩

معدودة في آيات الساعة - وتلك منقبة شريفة لتميم، لا يشاركه فيها غيره،  
وتدخل في رواية الأكابر عن الأصغر.

قدِمَ تميمٌ المدينة، وغزا مع النبي ﷺ، وظلَّ بالمدينة إلى أن انتقل إلى  
الشام بعد قتل عثمان رضي الله عنه، وسكن فلسطين.

كان كثيرَ العبُدِّ والتهجُّد، قام ليلةَ بآية واحدة حتى أصبح، وهي قوله  
تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾<sup>(١)</sup>

### أوائل تميمية

وتميم أول من أسرج السراج في المسجد<sup>(٢)</sup>، وأول من قصَّ في صدر الإسلام  
بمسجد رسول الله ﷺ بإذن من عمر، ثم بإذن من عثمان، رضوان الله عليهم.  
والقصصُ تذكيرُ الناس، وترقيقُ قلوبهم بالمواعظ المؤثِّرة، وكثيرٌ منه  
مدخول بعد الصِّدْر الأول، وربَّما عرضنا لتفصيل شيءٍ منه بعد. والله المستعان  
على النصيحة له، ولكتابه، ولرسله، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

\*\*\*\*\*

انظر: كتاب الفتن وأشراط الساعة في آخر صحيح مسلم. (طه). ورقم الحديث (٢٩٢٤).

(١) سورة الجاثية: ٢١.

(٢) أخرج ابن ماجه (٧٦٠) بإسناد ضعيف، عن أبي سعيد، قال: أول من أسرج في  
المساجد تميم الداري. وفي سننه خالد بن إياس متفق على ضعفه.

## الوصاة بكتاب الله عز وجل\*

- ١ -

٦٢- عن طلحة بن مصرف قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: هل كان النبي ﷺ أوصى؟ فقال: لا، فقلت: كيف كُتِبَ على الناس الوصية، أو أمرُوا بالوصية؟! قال: أوصى بكتاب الله. رواه الشيخان، واللفظ للبخاري<sup>(١)</sup>.

### جماع الوصايا

بيِّنًا في الحديث السابق أنَّ النصيحة لكتاب الله تعالى، إجلاله وتعظيمه، وتعلُّمه وتعليمه، والعملُ به، والتأدُّب بأدبه، والوقوف عند حدوده، والذبُّ عنه، والدعاء إليه، والإنفاق في سبيله<sup>(٢)</sup>.

هذه النصيحة، هي جماع الوصاة بهذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل

\* مجلة الأزهر، العدد الرابع، المجلد التاسع والعشرون (١٣٧٧=١٩٥٧).

(١) رواه البخاري في الوصايا (٢٧٤٠)، وفي المغازي (٤٤٦٠)، وفي فضائل القرآن (٥٠٢٢)، ومسلم (١٦٣٤) في كتاب الوصية.

(٢) لمناسبة إشراف الأزهر المعمور على جمعيات تحفيظ القرآن الكريم بأرض الكنانة، أعزها الله وسائر بلاد المسلمين بكتابه. وهذا العنوان هو ترجمة الامام أبي عبد الله البخاري للحديث في «فضائل القرآن» [فتح الباري ٨: ٦٨٥] غير أننا اخترنا لفظ روايته له في أوائل «الوصايا» (٢٧٤٠)، وقد رواه رواية ثالثة في باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٦٠)، والروايات الثلاث متقاربة (طه).

٥٣١

من بين يديه ولا من خلفه.

والوصية بكتاب الله عزَّ وجلَّ، هي - بلا ريب - عينُ الوصية بحقوق الله وحقوق رسوله، بل هي عينُ الوصية بحقوق المسلمين بعضهم على بعض، أئمتهم وعامتهم جميعاً.

بقاء المسلمين ببقاء هذا الكتاب

إنَّ المسلمين في مَشَارِقِ الأَرْضِ ومَغَارِبِهَا: عَزَّهُمْ وَمَجَّدَهُمْ، بل بقاءهم على ظهر البسيطة، دَيْنٌ في أعناقهم لهذا الكتاب الذي تعهدَّ الله بحفظه: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ؟﴾<sup>(١)</sup>.

فَلْيَنْظُرِ المسلمون - أفراداً وجماعات، شعوباً وحكومات - كيف يقضون هذا الدَّيْنِ، نَظَرْتَهُمْ إلى البقاء والفناء، أو نَظَرْتَهُمْ إلى المقام الكريم، والذللَّ المقيم!!

فوالله الذي يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ أَنْ تَزُولَا، لولا هذا الكتاب لذهب الإسلام والمسلمون إلى غير رَجْعَةٍ، ولذهب على أثرهما ما في الأرض جميعاً - إي وربي إنَّه لحقٌّ - ومنْ أصدق الشواهد على ذلك، رفعُ هذا الكتاب آية من آيات الساعة<sup>(٢)</sup>!!!

(١) اقتباس من الآية ١١١ من سورة التوبة.

(٢) أخرج ابن ماجه في كتاب ذهاب القرآن والعلم ٢: ١٣٤٤ (٤٠٤٨) بسند قوي - كما قال الحافظ في «الفتح» ١٣: ١٦ - والحاكم في «المستدرک» ٤: ٤٧٣ وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يُخرِّجْاه، ووافقه الذهبي، عن حُدَيْفَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدْرَسُ الإسلام كما يُدْرَسُ وشيُّ الثوب، حتى لا يُدْرَى ما صيامٌ، ولا صلاة، ولا نُسْكُ، ولا صدقة؟ ويُسرى على كتاب الله في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية..»

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لَيُنزَعَنَّ القرآن من بين أظهركم، يُسرى عليه ليلاً، فيذهب من أجواف الرجال فلا يبقى في الأرض منه شيء». رواه الطبراني، ورجاله

=

## فرية مسطورة

كان بعض أشباع علي رضي الله عنه، وكرّم الله وجهه، أشاعوا أنّ النبيّ ﷺ أوصى بالخلافة لعلي من بعده، وأنّ الصّدّيق ثم الفاروق رضوان الله عليهما انتزعاها منه.. ووضعوا في هذه الفرية أكاذيب لا تزال مسطورة إلى اليوم، يُخدع بها وينخدع، مَنْ ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً﴾<sup>(١)</sup>.

وقد انبرى لردّ فريتهم حَمَلَة العلم، وأمناء هذه الأمة من سلفها الصالح إلى يومنا هذا..

بل إنّ علياً نفسه رضوان الله عليه يُكذّبهم، ويتبرأ منهم، ويردّ عليهم، ولم يدعها لنفسه قط، لا قبل خلافته ولا بعدها، ولا ادّعاها له أحدٌ من أصحابه وأبنائه.

وهذا أبو جُحيفة رضي الله عنه يقول: قلت لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيءٌ من الوحي إلا كتاب الله؟ فقال: لا، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لا أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل<sup>(٢)</sup>، وفكاك الأسير، وألاً يقتل مسلم بكافر<sup>(٣)</sup>.

وعنه كرّم الله وجهه: ما خصّنا رسول الله ﷺ بشيءٍ لم يعم الناس كافةً إلا ما في قراب سيفي هذا، ثم أخرج صحيفة مكتوبة<sup>(٤)</sup>.

وقالت عائشة رضي الله عنه - وقد ذكروا أن علياً كان وصياً -: متى أوصى

رجال الصحيح، غير شدّاد بن معقل، وهو ثقة كما في «مجمع الزوائد» ٧: ٣٢٩. وقال ابن حجر في «الفتح» ١٣: ١٦: سنده صحيح، ولكنه موقوف.

(١) اقتباس من الآية ٧ من سورة البقرة.

(٢) أي الدية؛ لأنهم كانوا يعطون فيها الإبل، ويعلقونها بفناء دار المقتول بالعقال، وهو الحبل. والمراد: أن بالصحيفة أحكام الدية ومقاديرها (طه).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٤٧).

(٤) أخرجه مسلم (١٩٨٧).

٥٣٣

إليه رسول الله ﷺ؟! فقد كنت مُسندتهُ إلى صدري - أو قالت حجري - فدعا بالطَّسْتِ، فلقد انحنث - مال - في حجري، وما شعرت أنه مات! فمتى أوصى إليه<sup>(١)</sup>؟! كلُّ هذا ثابت في الصحيحين وغيرهما..

ترويح هذه الفرية بين صديق جاهل أو عدو مختال

وهؤلاء الذين يزعمون الوصية لعلِّي رضي الله عنه من الأصدقاء الجهلة، الذين يتنقصونه ويذمونه من حيث يظنون تعظيمه وتكريمه! وذلك بأنهم نسبوه مع شجاعته وعُلوِّ همته وصلابته في دين الله عزَّ وجل، نسبوه مع هذا كله إلى المُصانعة والمُداهنة والتقيَّة، والجبنُ عن المطالبة بحقه، وهو قادرٌ عليه، والله مؤيِّدهُ وناصره!! إنَّ هذا لهو العجز الشائن الذي يحمي الله أوليائه وأهل بيته منه.

لقد كان رضي الله عنه يتطلَّع إليها، ويريدها لذات الله عزَّ وجل، ولكنَّ الله الحكيم العليم لم يُردها له، ولو أرادها، لأعلن بها الأمين المأمون صلوات الله وسلامه عليه، ولصاحت بها الدنيا صيحة الحق في الآفاق مُدويةً.

ولقد استحثه عمه العباس أن يسألها النبي ﷺ، والفرصةُ في ظنِّه مواتية، فأبى. روى البخاريُّ أنَّ العباس أخذ بيد عليٍّ، فقال له: أنت بعد ثلاث عبد العصا! وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت.

اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنُساله: فيمن هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه، فأوصى بنا.

فقال عليٌّ: «إنا والله لئن سألتها رسول الله ﷺ فمَنَعناها، لا يُعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٤١)، ومسلم (١٦٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٤٧).

٥٣٤

## إساءة وإيذاء

إن هؤلاء الذين يزعمون أنه صلوات الله عليه وسلامه أوصى إلى عليٍّ بالخلافة، وانتزعتها منه أبو بكر وعمر، ليؤذون رسول الله ﷺ في أصحابه وأهل بيته، قصدوا إلى هذا الإيذاء أم لم يقصدوا، ويُسيئون إلى دين الحق والعدل! أرادوا أم لم يريدوا... ثم لن يبلغوا من ذلك مآرباً...

## تثبت واستيثاق

لما شاعت تلك الفرية وذاعت، وعمل على ترويجها صديقٌ جاهلٌ أو عدوٌ لدين الله مُخاتلٌ، أحبَّ طلحة بن مُصرّف أن يستبين ويستوثق من أحد علماء الصحابة وأئمتهم: عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما.

## طلحة بن مُصرّف

وظلح بن مُصرّف أحد كبار التابعين وخيارهم، اتفقوا على إمامته وجلاله وورعه، ووفور علمه بالقرآن وغيره. وكان يُسمى سيد القراء، ولما أجمعوا على أنه أقرأ أهل الكوفة غداً إلى الأعمش يقرأ عليه؛ ليذهب ذلك الاسم.

## عبد الله بن أبي أوفى

وأما عبد الله بن أبي أوفى فهو الصحابيُّ ابن الصحابي رضي الله عليهما. شهد بيعة الرضوان وخيبر وما بعدهما من المشاهد مع رسول الله ﷺ، ولم يزل معه بالمدينة حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى، ثم تحوّل إلى الكوفة، وهو آخر من توفي من الصحابة بها<sup>(١)</sup>.

وكان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقة قال: اللهم صلّ عليهم، فلما أتاه

(١) توفي سنة ستٍ وثمانين. وقيل: بل توفي سنة ثمان وثمانين، وقد قارب مئة سنة،

رضي الله عنه.

أبو أوفى<sup>(١)</sup> بصدقته قال ﷺ: «اللهم صلّ على آل أبي أوفى»<sup>(٢)</sup>.

### الوصية المفتراة

لا يجهل طلحة أن النبي ﷺ أوصى عند موته بثلاث. وأن آخر ما تكلم به: «الصلاة، وما ملكت أيمانكم»<sup>(٣)</sup>، مما نُفِصَّله قريباً إن شاء الله، وإنما أراد الوصية الخاصة المزعومة، وفهم ذلك منه بحق عبد الله رضي الله عنه، فنفى نفيًا باتًا تلك الوصية المفتراة دون تردّد.

### الوصية الوافية الشافية

ثم أثبت الوصية بكتاب الله تعالى، وهي الوصية الوافية الشافية التي ينطوي فيها كل ما عداها من الوصايا النبوية، وهذا هو سرُّ اقتصاره - في الإجابة - عليها.

وما أجدنا - نحن والنبي ﷺ يوصينا بما فيه رفعتنا ومجدنا - أن نتواصى برفعتنا ومجدنا وحياتنا خيرًا، والله المستعان على البقية.

\*\*\*\*\*

(١) واسمه: علقمة بن خالد بن الحارث.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩٧) في الزكاة، وفي المغازي، وفي الدعوات، ومسلم (١٠٧٨) في الزكاة.

(٣) رواه أحمد ١: ٧٨ (٥٨٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٥٨)، وأبو داود (٥١٥٦) وابن ماجه (٢٦٩٨)، وأبو يعلى (٥٩٦) وهو حديث صحيح. رجاله ثقات رجال الصحيح. وانظر شرح المؤلف له في حديث: «آخر الكلام النبوي» ص ٧٨٠ - ٧٨٤.

## الوصية بكتاب الله عز وجل\*

- ٢ -

٦٣- عن طلحة بن مُصَرِّف قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى: هل أوصى رسول الله ﷺ؟ فقال: لا، قلت: فلمَ كُتِبَ على المسلمين الوصية؟! أو: فلمَ أُمرُوا بالوصية؟! قال: أوصى بكتاب الله عز وجل.

رواه الشيخان، واللفظ لمسلم<sup>(١)</sup>

### الوصية في صدر الإسلام

كانت الوصية حقاً مفروضاً للوالدين والأقربين في صدر الإسلام، على كلِّ من ترك مالا، وذلك قوله جلَّ سلطانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فلما نزلت آيات الفرائض نَسخت الوصية للوارثين، وأضحت الموارث المقدرة فريضةً من الله يأخذها أهلها من غير وصية ولا مئة، وخطب ﷺ في

\* مجلة الأزهر، العدد الخامس، السنة التاسعة والعشرون، ١٣٧٧=١٩٥٧.

(١) رواه البخاري (٢٧٤٠) في الوصايا، و(٤٤٦٠) في المغازي، و(٥٠٢٢) في فضائل القرآن، ومسلم في كتاب الوصية برقم (١٦٣٤)، وقد اخترنا في الجزء الماضي لفظ البخاري في كتاب الوصايا، وبيننا أنه رواه في موضعين آخرين: في مرض النبي ﷺ ووفاته، وفي فضائل القرآن.. والمناسبات في المواطن الثلاثة واضحة (طه).

(٢) سورة البقرة: ١٨٠.



٥٣٧

ذلك فقال: «إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث»<sup>(١)</sup>.

وصارت الوصية بشيء من المال لغير الوارثين قربة من القرب المندوبة لمن كان ذا فضل وسعة، وأعظم النبي ﷺ شأنها حتى كاد يلحقها بالحقوق الواجبة، فقال فيما رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما: «ما حق أمرىء مسلم له شيء يوصي فيه، بيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»<sup>(٢)</sup>.

ميراث الأنبياء

لا جرم أن الوصية إنما تكون فيما يصح أن يورث، والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لم يورثوا مالاً، وكل ما تركوه فإنما هو صدقة محبوسة على الأمة، شأنها شأن الوقف المحبس، وإنما أورثوا النبوة والعلم والهدى والحكمة، ومن ذلك قول الله جل ثناؤه: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله سبحانه حكاية عن نبيه زكريا عليه السلام: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾<sup>(٤)</sup>.

مطالبة السيدة فاطمة عليها السلام بميراثها

وجاءت السيدة فاطمة إلى أبي بكر رضي الله عنهما، فقالت: من يرثك؟ قال: أهلي وولدي. قالت: فما لي لا أرث أبي؟ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

(١) أخرجه أحمد ٥: ٢٦٧ (٢٢٢٩٤) والترمذي (٢١٢٢) وأبو داود: (٢٨٧٠)، والنسائي (٣٦٤١)، (٣٦٤٣) كلهم من حديث أبي أمامة الباهلي مرفوعاً وبأسانيد حسنة، وأخرجه ابن الجارود (٩٤٩) من طريقه عن أبي أمامة وغيره بإسناد صحيح. انظر: التعليق على المسند ٣٦: ٦٣٠.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣٨)، ومسلم (١٦٢٧).

(٣) سورة النمل: ١٦.

(٤) سورة مريم: ٦٥.

«لا تُورث»<sup>(١)</sup>، ولكنني أعولُ من كان رسول الله ﷺ يعوله، وأنفقُ على من كان ينفق عليه.

وفي الصحيحين عن عائشةَ أمِّ المؤمنين رضي الله عنها أن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ والعباس أتيا أبا بكر، يلتمسا ميراثهما من رسول الله ﷺ، يطلبان أرضيهما من فذك<sup>(٢)</sup> وسهمهما من خبير، فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تُورث، ما تركنا صدقةً، إنما يأكل آل محمد من هذا المال»، والله لا أدعُ أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه إلا صنعته، فهجرتُه فاطمةُ رضوان الله عليها، فلم تكلمهُ حتى ماتت!<sup>(٣)</sup>

#### صَلَابَةُ الصَّدِيقِ وَشِدَّتِهِ فِي دِينِ اللَّهِ

وهذا أحدُ الأدلة التي لا تُحصى على صلابة أبي بكر رضي الله عنه، وشِدَّتِهِ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، مع بلوغه الغاية التي لا مَطْمَعَ وراءها في حُبِّ النَّبِيِّ ﷺ وابنته وآل بيته، وافتدائه إيَّاهم بماله ونفسه.

#### لَمْ يَتْرُكْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَالاً يُوصِي بِهِ

وروى مسلمٌ عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً، ولا أوصى بشيء<sup>(٤)</sup>.

وروى البخاري عنها، قالت: توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله

(١) أخرجه الترمذي (١٦٠٨).

(٢) بفتحيتين: قرية بخبير، على ثلاث مراحل من المدينة، وكانت حبساً لأبناء السبيل، وأما خبير فكانت ثلاث أجزاء: جزأين بين المسلمين، وجزءاً نفقة أهله، فما فضل منهم جعله بين فقراء المهاجرين (طه).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٩٢) (٣٧١١) (٤٠٣٥) (٤٢٤٠) (٦٧٢٥)، ومسلم

(١٧٥٩).

(٤) أخرجه مسلم (١٦٣٥).

٥٣٩

ذو كبدٍ إلا شطرَ شعيرٍ في رَفِّ لي، فأكلت منه، حتى طال عليَّ فكلته، ففني<sup>(١)</sup>.

### المراد بالوصية

لعلَّ هذه الأدلة الواضحة على أنه ﷺ لم يترك مالاً يوصي فيه - وهي قليل من كثير - تُرَجِّح ما اقتصرنا عليه في الجزء السابق من أنَّ طلحة سأل عن الوصية المزعومة: وصيته ﷺ بالخلافة.. ولا مانع أن يريد الوصية بالمال، ويؤيد ذلك تعجبه من عدم وصيته ﷺ مع أمر الله ورسوله بها! وأياً ما كان المسؤول عنه من خلافة أو مال، فقد نفاه ابن أبي أوفى رضي الله عنه نفيًا باتاً من غير تردّد.

### أمانة الرواة وتحريهم في نقل الحديث

و «أو» التي بين الاستفهامين، للشك من الراوي عن طلحة: هل قال: فَلِمَ كتب على المسلمين الوصية؟ أو قال: فَلِمَ أمروا بالوصية؟ وهي من الأدلة القائمة على أمانة الرواة وتحريهم في نقل الحديث، ممّا لم يعهد في غير الأمة المحمديّة.

### أجمع الوصايا خيراً وبراً

ولمّا عجب طلحة من عدم وصيته ﷺ بمال أو خلافة، مع أنه أولى الناس بالوصية، أجابه ابن أبي أوفى بأن الوصية لن تفته ﷺ فهو أولى الناس بالخير، وأسبقهم إليه، وأحرصهم عليه، فليطب نفساً، وليطمئن فؤاداً، وليعلم أن هناك وصية أوصى بها، هي أجمع الوصايا خيراً، وأعظمها ذخراً وبراً، هي الوصاة بكتاب الله عزّ وجل: تعلماً وتعليماً، وفهماً وتفهماً، ودرساً ونشراً ومهما تكن

(١) أخرجه البخاري (٣٠٩٧)، ومسلم (٢٩٧٣). وأخرج الإمام أحمد ٥: ٤١٤ (٢٣٥٠٨) والطبراني في الكبير (٣٨٥٩) عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعاً: «كيلوا طعامكم يُبارك لكم فيه». فلعلها رضي الله عنها نسيت التسمية عند الكيل، فنزعت بركة الطعام، وللتسمية سرٌّ عظيم على رُغم أنف الجاحدين، أو لعلها كالتّه لمجرّد الاختبار ذاهلة عن فضيلة الامتثال، والعلم عند الله تعالى (طه).

من وصية في خير فإنها مُقتبسة منه أو متصلة به نصاً أو استنباطاً.

وصاياه ﷺ

هذا هو سرُّ اقتصاره على الإجابة بهذه الوصية الجامعة الشافية، وإلا فقد أوصى رسول الله ﷺ بالصلاة وما ملكت أيمانكم.

الوصاية بالصحابة رضي الله عنهم

ووصى بالمهاجرين والأنصار، وأوصى بأصحابه خيراً، وقال: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّاً أحدهم ولا نصيفه»<sup>(١)</sup> ... ولم يعرف تاريخ الخليفة - ولن يعرف - من يداني رسول الله ﷺ في كرم صحبته، ومحافظته على أصحابه ووصيته بهم.

الوصية بسنته والمحافظة عليها

وأوصى بسنته والمحافظة عليها، فقال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه. ألا يوشك رجلٌ شبعان على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلُّوه، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرِّموا»<sup>(٢)</sup>. والأريكة: السرير.

وفي هذا الأسلوب أبلغ ردٌّ على هؤلاء الغواة الحمقى، الذين يزعمون أنهم استغنوا بكتاب الله عن سنة رسوله ﷺ، وما هو إلا الضلال والخُبث. والكتاب العزيز نفسه يردُّ عليهم حماقتهم وضلالتهم إذ يقول: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾<sup>(٣)</sup>.

والحقُّ أن هؤلاء يكيدون للإسلام بطرح شطره الثاني، طمعاً في أن يسهلَ

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠)، (٢٥٤١).

(٢) أخرجه أحمد ٤: ١٣١ (١٧١٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٤).

(٣) سورة الحشر: ٧.

٥٤١

عليهم شرطه الأول: ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ ثَوْرُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

### ثلاث وصايا

لما اشتد برسول الله ﷺ وجعه، وكان ذلك يوم الخميس<sup>(٢)</sup> أوصى أصحابه بثلاث: أن يُخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأن يُجيزوا الوفد بنحو ما كان يُجيزهم به. قال الراوي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو سعيد بن جبير: ونسيت الثالثة<sup>(٣)</sup>، فقيل: هي الوصية بالقرآن، وقيل: هو تجهيز جيش أسامة، وقيل: أن لا يتخذ قبره وثناً. وكل هذه الوصايا في جملتها وتفصيلها منطوق في كتاب الله تعالى.

وأحاديث الوصاة بالكتاب العزيز والعناية به، من الشهرة بمكان عظيم، ومن أشهرها - ولعل ابن أبي أوفى رضي الله عنهما يشير إليه في إجابته - ما رواه مالك في «موطئه» عن النبي ﷺ قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ»<sup>(٤)</sup>.

### حق مفروض

ألا إن حقاً مفروضاً على كل من يؤمن بالله وكتابه أن يكون له سهم - بقدر وسعه - في المحافظة على القرآن الكريم، والعناية به والدعوة إليه، ونشره في بقاع الأرض. فإن لم يكن ذلك لإيمانه بالكتاب وحق الكتاب العزيز عليه،

(١) سورة التوبة: ٣٢.

(٢) في الثامن والعشرين من شهر صفر، وانتقل إلى الرفيق الأعلى يوم الاثنين الذي يليه، ثاني ربيع الأول لتمام عشر سنين من الهجرة (طه). والراجح أنه في الثاني عشر من ربيع الأول كما في «سلوة الكتيب بوفاة الحبيب» لابن ناصر الدين الدمشقي ص ١٧٠ - ١٧٢.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٣١)، ومسلم (١٦٣٧).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ: ٢: ٨٩٩.

٥٤٢

فليكن لفضل القرآن ورحمته وإنقاذه؛ فإن حياة العالم رهناً هذا الكتاب، الذي لولاه لذهب الإسلام والمسلمون إلى غير رجعة كما قلنا في الجزء الماضي، ولذهب على أثرهما من في الأرض جميعاً.

أين مكاننا من القرآن؟

فلينظر المسلمون أئمة وعامة أين مكانهم من القرآن؟ وأين مكان القرآن منهم؟ قبل أن يشكوهم الصادق المصدوق إلى ربه، كما شكوا المشركين إليه من قبل، فقال: ﴿يَنْرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*\*

(١) سورة الفرقان: ٣٠.

## مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ \*

٦٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسِ التَّمِيمِيِّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»<sup>(١)</sup>.

٦٥- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ، فقال: تُقَبِّلُونَ الصَّبِيَّانَ؟! فما نقبلُهم، فقال النبي ﷺ: «أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟!» رواهما الشيخان<sup>(٢)</sup>.

### المفردات:

الأقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ وَحُكَّامِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَفْدٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَأَسْلَمُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ، وَكَانَ فِيهِ مَعَ حُسْنِ إِسْلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نَزَعَةٌ مِنْ خَشُونَةِ الْبَادِيَةِ. شَهِدَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حُنَيْنًا وَفَتَحَ مَكَّةَ وَالطَّائِفَ، وَشَهِدَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَكْثَرَ وَقَائِعِهِ حَتَّى الْيَمَامَةَ. وَاسْتُشْهِدَ فِي خِلَافَةِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِقَرَعِ كَانَتْ فِي رَأْسِهِ.

\* مجلة الأزهر، العدد الرابع، المجلد السابع عشر (١٣٦٥ = ١٩٤٦).

(١) برفع الفعلين على أن «مَنْ» موصولة، وبجزمهما على أنها شرطية، والعبارة تفيد العموم على كلا الوجهين.

(٢) الأول: أخرجه البخاري في الأدب (٥٩٩٧)، ومسلم في فضائله ﷺ (٢٣١٨).

والثاني: أخرجه البخاري في الأدب أيضاً (٥٩٩٨)، ومسلم في فضائله ﷺ (٢٣١٧).

والوَلَد، والوَلَدُ: يجيء للواحد والجمع، والذكر والأنثى، وقد يُجمع على أولاد.

\*\*\*\*\*

### حنان الجدِّ الرحيم

بينما الأقرع بن حابس جالسٌ عند النَّبِيِّ ﷺ - وكان حديثَ عهدٍ بالإسلام - أبصره يُقبَلُ سبطه ورِيحانته<sup>(١)</sup> الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما، في مداعبة الأب الرحيم، وحنان الجدِّ الكريم، فقال الأقرع، وقد أخذته دهشةٌ من حنانٍ لم يألفه، وبرٌّ لم يعرفه: إنَّ لي عشرةً من الأولاد، ما قبّلت منهم أحداً، فنظر إليه النبيُّ ﷺ نظرَ المتعجبِّ، ثم ردَّ عليه هذا الردَّ الحكيم.

وجاء أعرابيٌّ - قيل إنَّه قيس بن عاصم التميمي، وقيل: إنه عيينة بن حصن الفزاري - فشهد هذه المداعبة الرحيمة، فما تمالك أن قال في خشونة الأعراب وجفوتهم: أتقبّلون صبيانكم؟! فوالله ما تُقبّلهم<sup>(٢)</sup>، فما كان منه صلوات الله وسلامه عليه إلا أن أنكرَ عليه قسوته، مُعتذراً عمّا لا يملك له من ردِّ رحمةٍ نزعها الله منه، وحنانٍ حرّمه الله إياه.

وقيل: إنَّ هذا الأعرابي هو الأقرع نفسه، قال المقاتلين جميعاً، وأجابه النبيُّ ﷺ بالجوابين جميعاً. ثم روى أبو هريرة رضي الله عنه شطراً، وروى

(١) السَّبَط بالكسر: ولد الولد، والريحان يُطلق على نبت طيب الريح، وعلى الرزق، ويقال للولد أو ولده: ريحانته، لأنه يقبل ويُسَم، أو لأنه رزق من الله عز وجل، وفي حديث البخاري (٥٩٩٤): «هما - يعني الحسنين - ريحانَتاي في الدنيا» (طه).

(٢) ثبت هذا القسَم في رواية الإسماعيلي (طه).



عائشة رضي الله عنها الشطر الآخر.

على أنه لا مانع أن يكون التساؤل قد وقع من الثلاثة جميعهم، والإجابة كانت لهم كذلك، ويعضد هذا ما جاء في رواية مسلم عن عائشة من إسناد القصة إلى أناس من الأعراب.

### قانون عام خالد

وأجل ما يعيننا في الحديثين أنه صلوات الله وسلامه عليه، لم يكتف بالدعوة العملية إلى الحنان والرحمة، حتى أرسلها حكمة جامعة، وشريعة ساطعة، وقانوناً عاماً خالداً: «من لا يرحم لا يُرحم» أي: من لا يتصف بالرحمة، أو من لا يرحم خلق الله، فليس أهلاً لأن تناله رحمة الله؛ لأنها - وإن وسعت كل شيء - مُحَرَّمَةٌ على الأشقياء الذين نُزِعَتْ من قلوبهم، فلم تجد إليها سبيلاً.

### رحمة عامة شاملة

فليست الرحمة إذاً مقصورةً على الولد والأهل والأحبة، بل ليست مقصورة على الأناسي، وإنما هي عامة شاملة لجميع الخلق، فتتناول جميع الناس مؤمنهم وكافرهم، كما تتناول البهائم والطيور وكل دابة في الأرض.

ويدخل في الرحمة بها تعهدها بالإطعام والسقي، والتخفيف عنها في الحمل، وعدم العدوان عليها بالضرب والأذى، وما إلى ذلك مما يتصل بالعدل والرفق.

### أولى الخلق بالرحمة

وإذا طُلب إلى العبد الرحمة بجميع الخلق، فأولاهم بها نفسه التي بين جنبيه؛ ورحمتها بامثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده؛ حتى يكون ذلك وقاية لها من سخط الله وغضبه، وسبيلاً إلى رحمته ورضوانه.

ومن الحماسة أن يرحم المرء غيره ولا يرحم نفسه، ثم يزعم لها أنها أحبُّ

الأشياء إليه، وآثرها لديه! وقد غَفَلَ أو تغافل عن أنه جنى عليها جنابةً نكراء، لا يكفرها إلا أن يحملها على الجادة، ولو أن يقسوَ عليها بعض القسوة!.

وَمَنْ يَكُ حَازِماً فَلْيَقْسُ أحياناً على من يُرحم.

ومن المهمات هنا أن ننبه على أن الأمر بالرحمة العامة، وتوكيد طلبها، لا يعارض ما جاءت به الشرائع من تأديب الطفل ولو يتيماً، والزوج إذا كانت ناشزة، والمتعلم وغيره عند الحاجة. ولا يعارض إقامة الحدود على العصاة وتعزيرهم، وجهاد الكفار والغلظة عليهم؛ فإن في هذا كله من الرحمة بهم في مستقبل أمرهم، والرحمة بالأسرة والمجتمع، ما لا تعدُّ الرحمة بالترك في جانبه شيئاً مذكوراً، بل الرحمة بالترك والتفريط صورتيه فحسب، إذ هي في حقيقة أمرها قسوة ليس وراءها قسوة؛ لما تُفضي إليه من فساد أمرهم، وشقاء الأسرة والمجتمع بهم.

ومن الرحمة بالمريض أن تعالجه بالدواء، ولو كان مُراً، بل بالكِيِّ أو البثر إذا لم يكن بدُّ منها لسلامة بقية الجسم.

وكذلك لا يعارض إباحتها القصاص، والدفاع عن النفس، وذبح ما يُذبح، وصيد ما يُصاد.

وإذا كان في ترك القصاص رحمةً بالقاتل، ففي أدائه رحمة بولي القتل، وشفاء نفسه من سورة الحزن والألم، ورحمةً بالأمة، ووقاية لها من شرور الأثمين.

وليس الحيوان ولا الطير المأكول ممَّا يستطيع الدفاع عن نفسه، فإن تركهما الإنسان رحمةً بهما لم ترحمهما الجوارح والكواسر.

على أن الشريعة لم تنس الرحمة عند الذبح أو القتل حتى النفس الأخير، ولعل هذه اللحظة هي أحق الأوقات بالرحمة وأجدر؛ فقد روى مسلم عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتل، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحدَّ

أحدكم شَفَرْتَهُ وَوَيْرَحَ ذَيْبِحَتَهُ»<sup>(١)</sup>.

### أساس الأخلاق

لم يدعُ الإسلام إلى الرحمة على أنها من الفضائل الكمالية التي يُغني عنها غيرها، بل دعا إليها على أنها من الأسس والقواعد التي يقوم عليها بناء البيت والأسرة، وتعتمد عليها سعادة الفرد والجماعة؛ لذلك بوأها من المكارم ذروتها وسنامها، وجعل السعيد كلَّ السعيد من رزقها، والشقي كلَّ الشقي من حُرْمها، وجعلَ حظَّ الأفراد والأمم من الخير والسعادة على حَسَبِ نصيبهم منها.

وهل أدلَّ على ذلك من أن الله تعالى كَتَبَ على نفسه الرحمة التي غلبت غضبه، والتي وَسَعَتْ كلَّ شيءٍ، وَوَصَفَ نفسه ونبيه بها، ودَعَانَا إلى أن نسميه باسمه مَقْرُونًا برحمته، في طعامنا وشرابنا ومنامنا، وسائر شؤوننا وأحوالنا؟! ما ذلك إِلَّا لِنَتَرَبَّى على الرحمة تربيةً عمليةً حتى تختلط بها قلوبنا، وتمتزجَ بها نفوسنا، فلا نَصْدُرُ إلا عنها، ولا ننتهيَ إلا إليها.

### حاجة البشرية إلى إنقاذ

إنَّ العالم اليوم - وقد طَحَّتْه الحروبُ وأَشَقَّتْهُ القسوة - لِيَبْحَثَ عن منفذٍ يُخَلِّصُهُ من بلاياه، وَيَنْتَشِلُهُ من وهاده، ومُحَالٌ أن يجدَ ضالَّته التي ينشدُ، وأمنيته التي يتمنى، إلا في ظلال الإسلام وتعاليمه، ومبْدؤها الرحمة، وإن شكَّ في ذلك فليجربْ، فإن لم يكسب من هذه التجربة - ومحال ألا يكسب - فليس يخاسر شيئاً.

\*\*\*\*\*

(١) أخرجه مسلم (١٩٥٥).

## الواصلُ والمُكافىءُ \*

٦٦- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الواصلُ بالمُكافىءِ، وَلَكِنَّ الواصلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَّهَا». رواه البخاري<sup>(١)</sup>.

### الرَّحْمُ عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ

الرَّحْمُ: عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ، وَكُلُّ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، فِي غَيْرِ مُحَادَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ: فَأَمَّا الرَّحْمُ خَاصَّةٌ، فَهِيَ الْقَرَابَةُ عَلَى اخْتِلَافِ دَرَجَاتِهَا، فَإِذَا اشْتَدَّتْ، فَإِنَّ قَطِيعَتَهَا لَغَيْرِ اللَّهِ أَعْظَمَ جُرْمًا، كَمَا أَنَّ صَلَاتَهَا لِلَّهِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا.

### صلة الرحم العامة والخاصة

وتكون صلة الرحم العامة بالعدل والإنصاف، وتأدية الحقوق الواجبة ثم المُسْتَحَبَّة. وتمتاز صلة الرَّحْمِ الخَاصَّةِ بمزيد العناية في النفقة والمودة والتناصح والتسامح، وتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم، والسَّعي في مصالحهم، في حدود الوُسْعِ والطاقة، ولاسيما أهل الصلاح منهم والاستقامة.

### سيد الواصلين في قومه

فأما الكفار والفجار، فأهمُّ صَلَاتِهِمْ بذلُّ الجهد في إصلاحهم.. ثم إنذارهم بالقطيعة إن تمادوا عنهم في غيِّهم.. مع إعلامهم بأنَّ القَطْعَ في الله تعالى هو عينُ

\* مجلة الأزهر، العدد الثالث، المجلد الثلاثون، سنة (١٣٧٨).

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩١) في كتاب الادب. والرواية بتشديد «لكن»، ويجوز تخفيفها. وأكثر الروايات في «قطعت» بفتحات، وفي بعضها بضم القاف وكسر العين (طه).

الوصل، ومع الدعاء لهم بظهور الغيب أن يهديهم الله إليه صراطاً مستقيماً. وقد نال سيّد الواصلين ﷺ من أذى قومه ما لم يتّله أحدٌ، فغفَّ وعفا، وقال: «اللهمّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون»<sup>(١)</sup>.

ووصّى صلوات الله وسلامه عليه، فشدّد الوصيّة بأهل بيته خيراً، وقال في بعض رحمه: «إنّ آل أبي فلان ليسوا بأوليائي، إنّما وليي الله وصالح المؤمنين، ولكنّ لهم رحم أبلها ببلالها»<sup>(٢)</sup>.

ولما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(٣)</sup> دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا، فعمّ وخصّ، فقال: «يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مُرّة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، [يا بني مُرّة ابن كعب أنقذوا أنفسكم من النار]، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار! فإنّي لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أنّ لكم رحماً سألها ببلالها»<sup>(٤)</sup>. رواه مسلم عن أبي هريرة

(١) رواه البخاري (٣٤٧٧)، (٦٩٢٩)، ومسلم (١٧٩٢). ولفظه عند البخاري من حديث عبد الله قال: «كأنّي أنظر إلى النبيّ ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». وانظر ص ٥٦٨.

(٢) رواه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥).

(٣) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٤) البِلَال بالفتح والكسر مصدر «بلّ» كـ«ردّ»، ويجوز على الكسر أن يكون جمع «بلل» كـ«جَمَل». شبّه قطيعة الرحم بالحرارة، وشبّه صلتها بالماء الذي يندبها ثم يطفئها، وهو من بديع التشبيه، ومنه الحديث: «بلوا أرحامكم ولو بالسلام» وانظره: في الجامع الصغير (طه). رواه البزار عن ابن عباس، والطبراني عن أبي الطفيل، والبيهقي عن أنس وسويد بن عمرو، وقيل: ابن عامر الأنصاري. والحديث حسن كما في «صحيح الجامع الصغير».

رضي الله عنه<sup>(١)</sup>

وجاءه رجل فقال: يا رسول الله: إن لي قرابةً أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسئون إليّ، وأحلمُ عنهم ويجهلون عليّ، فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم مادمت على ذلك»<sup>(٢)</sup>.

### رحم القرابة

والرَّحْمُ الخاصّةُ هذه هي موضوع حديثنا هذا والحديث السابق، وهي التي تُراد عند الإطلاق، وقد أعظم الله شأنها، ورفع مكانها، حتى اشتقَّ اسمها من اسمها، وصفتها من صفتها، وأجابها وهي في مقام العائد به من القطيعة: «أما ترَضِينَ أن أصلَ مَنْ وَصَلَك، وأقطعَ مَنْ قَطَعَك؟ قالت: بلى يا رب! قال: فهو لك»<sup>(٣)</sup>.

ثمَّ قرَّنها بذكره، في مقام تقواه ومراقبته، فقال جلَّ سلطانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٤)</sup> ولو لم يكن لها من عظيم الشأن عند الله إلا هذا لكفى.

### رحم الدين

وأما الرَّحْمُ عامّة، فهي رَحِمُ الدين الحقّ..

وقد تقوى هذه الرَّحْمُ حتى تكون أعظم من الرَّحْمِ الخاصّة شأنًا وأعلى مكانًا.

(١) أخرجه مسلم (٢٠٤) وما بين معكوفتين سقط من الأصل.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٨) في كتاب البر والصلة من حديث أبي هريرة وقوله ﷺ: «تُسَفَّهُمُ الْمَلَّ» أي: الرماد الحار، شَبَّه ما يلحقهم من آثام القطيعة بما يلحق طاعم الرماد الحار من الغيظ والألم، وقد تكفَّل الله للواصل المطعم بالبر والمعونة والرعاية والكفاية.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٨٧)، ومسلم (٢٥٥٤).

(٤) سورة النساء: ١.

فإذا تعارضت الرَّحْمَانُ في رغبةٍ، قُدِّمَتْ رَحِمُ الدينِ على رَحِمِ القِرابَةِ، فلا طاعة لمخلوق - كائنًا من كان - في معصية الخالق؛ والله ورسوله أولى بالمؤمنين من أنفسهم ومن الوالدين والأقربين.

وهذه الرحم العامة شعب وضروب شتى :

فمنها رَحِمِ العلم، ومنها رَحِمِ العمل، ومنها رَحِمِ الجوار، أفراداً وأممًا، وممالك وشعوبًا. وأرفعها درجةً وأعظمها قُربًا، ما اجتمعت فيه هذه المعاني كلها، ثم هي بعد ذلك درجاتٌ لا تُحصى عددًا.

### رَحِمُ الأخوة العظمى

وهذه الرَّحْمُ العامة في حقيقة أمرها، واختلافِ شُعْبِها، تُمثِّلُ الجانبَ الأعظم، من رَحِمِ أعمِّ وأشمل، رَحِمِ الأخوة العظمى، والإنسانية الكبرى، التي خلقها الله من نفسٍ واحدة، وخلق منها زوجها، وبثَّ منها رجالاً كثيراً ونساءً.. ثمَّ جعلهم شعوباً وقبائل؛ ليعرف بعضهم بعضاً، فيصلبوا أرحامهم، ويتبينوا أنسابهم، ويتعاونوا على البرِّ والتقوى.

وكما تختلف الأرحام قُرباً وبعُدًا، يختلف الواصلون كذلك ضيقاً ووسعاً، وقدرةً وعجزاً، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَى﴾ ﴿١﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٢﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٣﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٤﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٥﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿٦﴾ (١).

### أصناف الناس في معاملتهم للأرحام

ومهما يختلف الناس في معاملتهم للأرحام، فهم أصناف ثلاثة:

١ - صنف قاطع - وعياداً بالله منه ومن القطيعة معاً - وحسبُ هذا وعيداً

(١) سورة الليل: ٥ - ١٠.

على عظيم إثمه وكبير جرمه، قولُ الصادق المصدوق صلوات الله عليه وسلامه: «لا يدخل الجنة قاطع» رواه الشيخان عن جُبَيْر بن مطعم رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

٢ - وصنفُ مكافىء، وهو الذي يَصِلُ مَنْ وَصَلَهُ، وَيَقْطَعُ مَنْ قَطَعَهُ، فهو في جملة أمره واصل، وإن كان يُقَارِضُ وَيُبَادِلُ، فَإِنَّ فِي الْمِبَادَلَةِ صَلَاةً، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَامِلَةً.

وإنما ألغى صلوات الله وسلامه عليه صلة المكافىء، ولم يعد صاحبها في الواصلين حقاً؛ لأنَّ الصَّلَاةَ عَلَى سَبِيلِ الْمِبَادَلَةِ فَقَطْ، لَيْسَتْ مِنْ تَمَامِ الْمَكَارِمِ الَّتِي بُعِثَ لَهَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ؛ وَلِأَنَّ صَاحِبَهَا لَيْسَ مِنَ الرَّاشِدِينَ الْكَامِلِينَ، الَّذِينَ يَعُدُّهُمْ الْمُرَبِّي الْأَعْظَمُ ﷺ، لِأَنَّ يَكُونُوا سَادَةً وَقَادَةً فِي خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

نفي الشيء أو إثباته مراداً منه جنسه الكامل

ونفي الشيء أو إثباته مراداً منه جنسه الكامل، من الأساليب المعروفة على السنة المريين والبلغاء، ومن ذلك قول بعض السلف: ليس الإحسان أن تُحَسِّنَ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِتَاجِرَةٌ، وَإِنَّمَا الْإِحْسَانُ أَنْ تُحَسِّنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ.

وأبلغ من هذا قول إمام المريين وأبلغ الناطقين ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»<sup>(٢)</sup>، «ليس الغنى عن كثرة العرَضِ، ولكن الغنى غنى النفس»<sup>(٣)</sup>، «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة ولا اللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف»<sup>(٤)</sup>. روى

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٧٩)، ومسلم (١٠٣٩).



الشيخان ثلاثتها عن أبي هريرة رضي الله عنه.

### أفضل الأصناف

٣ - وصنف واصل، وهو المتفضل، وهو مراد النبي ﷺ ومقصوده الأعظم في هذا الحديث.

ذلك الصنف الثالث أقل المتقين عدداً، وأكثرهم إحساناً ورشداً، ذلك هو الأتقى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*\*

(١) اقتباس من الآيات ١٨ - ٢١ من سورة الليل.

## الإصلاح بين الناس \*

٦٧- عن أمّ كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيْط رضي الله عنها، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس فينمي خيراً، أو يقول خيراً». قالت : ولم أسمعهُ يُرَخِّص في شيءٍ مماً يقوله الناس إلا في ثلاث : يعني الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها. رواه الشيخان<sup>(١)</sup>.

المفردات :

نمي الحديث : ينميهِ (بالتخفيف)، بَلَّغَهُ على وَجْهِ الإصلاح والخير؛ ونمَّاه ينميهِ (بالتشديد فيهما): بَلَّغَهُ على وَجْهِ الإفساد والشر. و«أو» للشكُّ من الراوي في أيِّ اللفظين قال النبي ﷺ، وهي تدل - كما قلنا في أمثالها - على العناية والضبط، وتحريُّ ألفاظه صلوات الله وسلامه عليه؛ وفي هذا أبلغ ردُّ على من يزعم أن الأحاديث المروية بألفاظها قليلة معدودة.

### أهمية الإصلاح بين الناس

أمرٌ عظيم الشأن، جليل الخطر، أعظمه العرب في الجاهلية، ورفع النبي ﷺ مكانه في الإسلام؛ ذلك هو الإصلاح بين الناس.

\* مجلة الأزهر، العدد الأول، المجلد الثامن عشر (١٣٦٦).

(١) ورواه البخاري (٢٦٩٢) في كتاب الصلح، ومسلم (٢٦٠٥) في البرِّ والصلَّة إلا أن قوله: «ولم أسمعهُ يُرَخِّص» الخ مما انفرد به مسلم في إحدى روايات الحديث.

طبائع الناس متفاوتة، ورغباتهم متضاربة، وأهواؤهم شتى؛ فلا جرم أنهم يتنازعون ويتقاتلون ما بقي على ظهر الأرض نفسٌ منفوسة ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١﴾.

### آثار الخلاف في الأسر والجماعات

وغنيٌّ عن البيان ما تنطق به الشواهد، وما تكشف عنه الحوادث من آثار الخلاف في الأسر والجماعات، والأحزاب والأمم.

إنه ليقعُ في الأسرة الواحدة بين الزوجين أو بين الأخوين، فيُظلم البيت، وتُقطع الأرحام، وتُشردُّ الأطفال، وتُسوءُ الحال.

وإنه ليقع بين الجارين أو الشريكين أو الصاحبين، فينصرم جبل المودة، وتنفسم عُروة المحبة، ويغلي مرَجَلُ العداوة والبغضاء؛ وكفى بذلك تنغيصاً للعيش، واضطراباً في الحياة!

وإنه ليقع بين الحزبين أو البلديين، فيكون الطعان واللعان، والزُّور والبُهتان، حنى تتعطلُّ وتقع الأمة في الهاوية!.

وإنَّ الخلاف ليقع - وما أسوأ ما يكون - بين الأمتين أو القطرين، فيسوء الجوار ويعمُّ الدمار، وتشتعل نار الحرب التي تُهلك الحرث والنَّسل، وتأتي على الأخضر واليابس، فلا تأتي أن تحصد شيخاً فانياً أو طفلاً باكياً!

### إزالة آثار الخلاف

وإذا كان الخلاف في أغلب أحيانه شراً لا بدَّ منه، وداءً لا محيصَ عنه، فمن رحمة الله بعباده، وقد ابتلاهم به - وله الحكمة البالغة - أن يرشدهم إلى

(١) اقتباس من الآيتين ١١٨ و ١١٩ من سورة هود.

دواء يَطْبُهُ، فيزيل سَوْرَتَهُ<sup>(١)</sup>، وَيُخَفِّفُ وَطْأَتَهُ، إن لم يَسْتَأْصِلْ شَأْفَتَهُ، ويذهب به. وقد يُجْرِي اللهُ على أيدي الأَسَاءَةِ<sup>(٢)</sup> من المُصْلِحِينَ خيراً كثيراً، وَغُنْماً كريماً، وآثاراً حميدةً.

من أجل ذلك نَدَبَ اللهُ إلى الإصلاح، وَحَضَّ عَلَيْهِ في غير آية من كتابه، حتى قَضَى بأنه لا خير في كثير من كلام الناس ونجواهم ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾<sup>(٣)</sup> وَرَغَّبَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ، حتى جعله أفضل الصَّدَقَاتِ، وَفَضَّلَهُ على نوافل العبادات.

وروى الطبراني عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصَّدَقَةِ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ»<sup>(٤)</sup>.

وروى الترمذي وغيره عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قالوا: بلى، قال: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فِسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ، لا أقولُ تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»<sup>(٥)</sup>.

(١) يَطْبُهُ: أي: يداويه ويعالجه. والسَّوْرَةُ: الغضب.

(٢) الإِسَاءَةُ: جمع آسي، وهو الجِرَاحُ والطَّيِّبُ.

(٣) اقتباس من الآية ١١٤ من سورة النساء.

(٤) أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» ص ١٣٥، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٣: ٢٩٥، والطبراني في «الكبير» - كما في «نصب الراية» ٤: ٣٥٥-، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» ١: ٤٠٠، ومن طريقه القضاعي في «مسند الشهاب» ٢: ٢٤٤، والبيهقي في «الشَّعْب» ٧: ٤٩٠ كلهم من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وهو ضعيف. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٨: ٨٠، والسيوطي في «الجامع الصغير» ٢: ٣٤٩ وضعفه. وحسنه المنذري في «الترغيب» ٣: ٤٨٩ لحديث أبي الدرداء الآتي.

(٥) رواه أحمد في المسند ٦: ٤٤٥ (٢٧٥٠٨)، وأبو داود (٤٩١٩)، والترمذي

### الكذبُ في الإصلاح بين المتخاصمين

ومن أوضح الدلائل على خطر الإصلاح، وجيليل شأنه، وعظيم عناية النبي ﷺ به، أن رخص في الكذب فيه، مع أن الكذب شعبةٌ من شعب النفاق والتي لا تجتمع هي والإيمان أبداً.

والكذب في الإصلاح أن يُبلغ المصلحُ كلاً من الخصمَيْن ما لم يَقُلْهُ صاحبه، قَصْداً إلى تأليف القلوب، وتقريب المودة؛ حتى يحلّ الوثام محلّ الخصام، والوفاق محلّ الشقاق. وذلك من أسمى المقاصد التي جاءت بها الشرائع، والأديان، وبنيت عليها سعادة الإنسان.

### الكذب بين الزوجين

وموضعٌ آخر رخص النبي ﷺ في الكذب فيه، وهو حديث الرجل زوجته، وحديث المرأة زوجها: كأن يُثني كل منهما على صاحبه بما ليس فيه؛ توطيداً لعقدة الزواج والألفة، وتوثيقاً لأصرة المحبة والمعاشرة.

### الكذب في الحرب

وموضعٌ ثالث وهو الحرب، والكذب فيها سلاحٌ حاد، يعرفه كلٌّ من المتحاربين، ويستعمله للإيقاع بصاحبه والتنكيل به، ما أمكنه الخداع وواتته الفرصة، ورُبَّ كذبةٍ أنقذت دولةً، وهوتُ بأخرى. و«الحرب خدعة»<sup>(١)</sup>.

### الحكمة في الترخيص بالكذب

وبعد، فلا بدّ لهذا الترخيص الذي رخص النبي ﷺ من حكمة سامية، ولا بدّ

(٢٥٠٩) وصحّحه، وابن حبان (٥٠٧٠).

(١) لفظ حديث رواه البخاري (٣٠٣٠) ومسلم (١٧٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه. و«خدعة» مثلثة الخاء، كهزمة. قال في القاموس: وروي بهنّ جميعاً (طه).

لمن عرض لهذا الحديث - وهو حديثٌ مَنْ لا ينطق عن الهوى - أن يحاول كشفَ القناع عنها؛ ليكون من هدي نبيِّه، صلوات الله وسلامه عليه، على بصيرة.

### ذم الكذب وامتداح الصدق

لقد جاءت الشرائع والقوانين قاطبةً بدم الكذب، وامتداح الصدق، مساوقةً للفظرة، وموافقة للعقل. وأجمع الناس على ذلك قديماً وحديثاً، حتى عدوا من أصدق القول وأحكمه ما قال ابن المقفّع: «رأس الذنوب الكذب؛ هو يؤسّسها، وهو يتفكّدها ويثبّتها».

أما الإسلام فإنه لم يرفع من فضيلة كما رفع فضيلة الصدق، ولم يشن من رذيلة، كما شان من رذيلة الكذب. وحسبك ما جاء في حديث الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إنَّ الصّدقَ يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنّة، ولا يزال الرجلُ يصدق ويتحرّى الصّدقَ حتى يكتبَ عند الله صديقاً. وإنَّ الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النار. ولا يزال الرجل يكذب ويتحرّى الكذب حتى يكتبَ عند الله كذاباً»<sup>(١)</sup>.

وما جاء في «الموطأ» عن صفوان بن سليم رضي الله عنه أنه قيل للنبيّ ﷺ: أيكون المؤمن جبّاناً؟ قال: «نعم». قيل: أفيكون بخيلاً؟ قال: «نعم». قيل: أفيكون كذاباً؟ قال: «لا»<sup>(٢)</sup>. فإذا كان هذا بعض ما جاء عن النبيّ ﷺ، في ذم الكذب والتحذير منه، فكيف يرخص فيه في هذه المواطن الثلاثة؟!.

### مراعاة المصلحة

لقد بُني الإسلام على أسس ثابتة، ومناهج محكمة، تكفل لمن استمسك بها في جملتها وتفصيلها، سعادة الآخرة والأولى؛ ذلك لأنه لم يقف فيما أمر

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ٢: ٩٩٠.

٥٥٩

ونهى، وأحلَّ وحرَّم، موقف التنطُّع والجمود، ولم يذهب مذهب السَّرَفِ والمغالاة، وإنما سار على المصلحة أئى كانت. فبينما هو يرفع شأن الصَّدق إلى أن يجعله رأس الفضائل، تراه يُحرِّمه إذا أدَّى إلى ضررٍ أو فساد، كما حرَّم الغيبة، وجعل المغتاب آكل لحم أخيه ميتاً، وحرَّم النميمة وأخبر بأنه «لا يدخل الجنة نمام»<sup>(١)</sup>.

### الكذب حرام إلا لضرورة ملحة أو رخصة مسوَّغة

وبينما هو يخفض شأن الكذب إلى أن يجعله رأس الرذائل، تراه يُحلُّه، بل يوجبُه إذا أدَّى إلى حَقْن دم مَصُون، أو حفظ حقٍّ واجب.

فإذا اختفى امرؤٌ من ظالم يريد قتله أو أخذ ماله، وسأل إنساناً عنه، وجَبَ على المسؤول أن يكذب في إخفائه، وكذا لو كانت عنده وديعةٌ وأراد الظالم أن يغتصبها وجَبَ الكذب في إخفائها، ولو حَلَفَ في سبيل ذلك؛ إعظاماً للدماء وصوناً للحقوق. فالكذب حرامٌ إلا لضرورةٍ مُلحةٍ أو رخصةٍ مُسوَّغة. ومن قواعد الشريعة: أن الضرورات تبيح المحظورات.

### تقدير المصلحة وتحديدها

غير أن الإسلام لم يدع للناس أن يُقدِّروا المصلحة، ويحدِّدوا الضرورة، وإنما تولَّى هو تحديدها، ونصَّ على مواضعها؛ لئلا يترك مجال التأويل فسيحاً، تتلاعب به الأهواء والشهوات.

### للسائل حكم الغايات

ولا يرتاب أحدٌ بعد الذي قدَّمنا من آثار الخصام، أن الكذب في سبيل الوثام والسلام حسنٌ محمود، بل هو خيرٌ من الصَّدق حينئذ، ومن المعروف:

(١) لفظ حديث أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه. وكفى به تهديداً للنمام ودليلاً على مَقْت السَّعاية (طه).

أن للوسائل حكم الغايات.

أما الكذب بين الزوجين في تقارض الود، وتبادل المحبة - لا فيما يسقط حقاً، أو يُفضي إلى باطلٍ - فهو من وسائل السعادة الزوجية التي توصي بها الأديان، ولاسيما دين الإسلام، ثم هو في جملته يرجع إلى الإصلاح، وإن شئت فقل: هو وقاية للزوجين من الشقاق ومساوى الأخلاق. والوقاية خيرٌ من العلاج.

وأما الكذب في الحرب، فهو في حقيقة الأمر ليس كذباً؛ لأنَّ حال المتحاربين تنادي بالألَّا يُصدِّق أحدهما صاحبه، وإن كان صادقاً، وبأن يأخذ حذره منه ما استطاع.

#### التحرُّز من الكذب بالتعريض والتورية

على أنه يجمل بمن تحلَّى بفضيلة الصدق ألا يألُو جهداً في التحرُّز من الكذب المرخص فيه، بالتعريض والتورية<sup>(١)</sup>، صَوْناً للسانه عن الكذب الصراح. ومن ذلك ما حكى الله تعالى عن خليته إبراهيم عليه السلام، إذ قال لقومه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> حين أراد أن يتخلَّف عنهم ليحطِّم أصنامهم، فظنَّوه مريضاً فتركوه، وما به إلا مرضُ الغيظ من أصنامهم التي اعتزم تحطيمها. ومن ذلك قول أبي بكر رضي الله عنه، وقد سئل عن رفيقه وهو مهاجر مع النبي ﷺ: مَنْ ذَا؟ فقال: هَادٍ يَهْدِينِي السَّبِيلَ<sup>(٣)</sup>.

(١) بأن يكون لكلامه معنيان يريد أحدهما وهو صادق فيه، ويفهم السامع المعنى الآخر وهو غير ما يريد (طه).

(٢) سورة الصافات: ٨٩.

(٣) رواه أحمد ٣: ١٢٢ (١٢٢٣٤) (١٣٢٠٥) (١٤٠٦٢)، وأبو يعلى (٣٤٨٦) كلاهما من حديث أنس رضي الله عنه، وهو حديث صحيح. انظر التعليق على «المسند» ١٩: ٢٦٤ و



٥٦١

ألا إنَّ الإِصْلاحَ بينَ الناسِ خِصْلَةٌ منَ خِصالِ الشَّرَفِ والمِروءةِ، وَخَلَّةٌ منَ خِلالِ الفِضْلِ والنُّبْلِ، وَجِزءٌ منَ شِرائِعِ الأنبياءِ والمرسلينَ، بل هو عِمامَةٌ دَعوتِهِم، وأساسُ رسالتِهِم.

وما أحوَجَ هؤلاءِ البشرِ - وقد اصْطَحَبَتْ بينهمُ المِعارِكُ، واشتعلتَ فيهِمُ نيرانُ الخِصومةِ - إلى مَنْ يَنْهَجُ في إِصْلاحِهِمُ منْهَجَ النُّبِيِّينَ، وَيَسْتارُ فيهِمُ سِيرةَ الصَّادِقِينَ المِخلِصِينَ، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*\*

.٤٥١ :٢١

(١) اقتباس من الآية ١٧ من سورة فاطر.

## اشْفَعُوا تُؤَجَّرُوا \*

٦٨- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ أنه كان إذا أتاه السَّائِلُ، أو صاحبُ الحاجة قال: «اشْفَعُوا فلتؤجروا، وليقض الله على لسانِ رسوله ما شاء». رواه الشيخان، واللفظ للبخاري في كتاب الأدب<sup>(١)</sup>.

### زكاة السيادة

في خاتمة الحديث أهبنا - وما زلنا نُهيب - بالكبراء والسادة، أن يؤدوا زكاة السيادة بالإصلاح النقيّ الجليّ، وبالشفاعة الحسنة الخالصة، وبال دعوة الجادة الصّادقة إليهما، ما استطاعوا إلى الجدِّ والصدق سبيلاً.

وفي هذا الحديث نرجو أن تُؤلي الشفاعة الحسنة بعض ما أولاهها الإسلام، ورسولُ السلام، صلوات الله وسلامه عليه، من رفيع الذكر، وعظيم الأجر، وبلغ العناية.. شأنه في تربية الفضائل، وتنمية المكارم، ودعم خصال العفو والصّفح والإحسان، ومدّ ظلال المروءة والفضل والرّضوان، وتهيئة حياة طيبة مباركة، للذين يعملون السوء بجهالة، ثم يتوبون من قريب.

### الشفاعة الحسنة

والشفاعة الحسنة التي يأمر بها الشفيعُ المُشفّع أمته صلوات الله وسلامه

\* مجلة الأزهر، العدد السابع، المجلد الخامس والعشرون، (١٣٧٣).

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٢) في باب قول الله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ

نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبَتْ﴾، ومسلم (٢٦٢٧).

٥٦٣

عليه، هي نفسها التي يدعو الله إليها عباده في مُحكم كتابه؛ إذ يقول جل ثناؤه:

﴿وَمَنْ يَسْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كَفْلٌ مِنْهَا﴾<sup>(١)</sup>.

وأجمع ما يُقال في بيانها: إنها التوسط، ابتغاء وجهِ الله تعالى في جلبِ نفعٍ للناس، أو دفعِ ضررٍ عنهم، في غير معصيةٍ لله تعالى ولا حدٍّ من حدوده بعد أن يبلغ الإمام.

### الشفاعة السيئة

فأمَّا الوساطة في حدِّ الله بعد بلوغ الإمام، أو في معصيةٍ من معاصيه، أو مع رشوةٍ أو هدية، فهي الشفاعة السيئة التي نهى الله ورسوله عنها، وحمل صاحبها كِفلاً منها؛ لأنها تُجرئ الناس على ارتكاب المحارم، واقتحام المآثم، والتلاعب بدين الله تعالى.

وقد اشتدَّ غَضَبُ النَّبِيِّ ﷺ على أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وهو حبهُ وابنُ حبهُ، لما كَلَّمه في شأنِ فاطمة بنتِ الأسود المخزومية<sup>(٢)</sup> أن يرفعَ عنها الحدَّ، وكانت قد سرقت حلياً في غزوة الفتح، فأهمَّ قريشاً شأنها، لشرفها وخيفَةَ الفضيحة عليها، ثم اختاروا أسامة شافعياً لها عند رسول الله ﷺ، وقالوا: ومن يجترئ عليه إلا حبهُ وابنُ حبهُ؟! فلما كَلَّمه أسامة فيها تلوّن وجهه ﷺ، وأنكر عليه، وقال: «أتشفعُ في حدٍّ من حدود الله؟!» فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله.. فلما كان العشيّ قام رسول الله ﷺ فاخْتَطَبَ على عادته في الأمر الجلل! فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أيُّها الناس، إنَّما هلك الذين من قبلكم، أنهم

(١) سورة النساء: ٨٥.

(٢) شرحَ الشيخ الجزيري رحمه الله حديث المرأة المخزومية شرحاً مبسوطاً في الجزأين: الأول والثاني من المجلد التاسع؛ بيّن فيه الحكمة في الحدود الشرعية، ومدى الشفاعة فيها (طه).

كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعت يدها، ثم أمر بها فقطعت<sup>(١)</sup>.

وقد تابت رضي الله عنها، فأحسن توبتها، وكانت تأتي أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها، فترفع حاجتها إلى النبي ﷺ.

### الشفاعة في الحدود

وما شرع الله الحدود إلا لكسر شوكة الظالمين، والقضاء على الفساد والمفسدين. لا جرم أن الشفاعة فيها عند الحاكم عون لهذا الفساد والظلم، ولا جرم أن قبول الحاكم الشفاعة حينئذ إضعاف لهيبته، وإهدار لسلطته، بل لسلطان الله في الأرض<sup>(٢)</sup>، والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن<sup>(٣)</sup>.

### ستر العورات وإقالة العثرات

أمّا الشفاعة في العقوبة التي لم تبلغ الحد، أو في الحد قبل أن يبلغ الحاكم، ولا سيما الشفاعة لأرباب المروءة والحياء، الذين لم يستمرئوا العيوب، ولم يصرّوا على الذنوب، فإنها تدخل في ستر العورات، وإقالة العثرات، والإصلاح بين الناس، وتلك من مكارم الأخلاق.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

(٢) في هذا اللفظ نظر، نعم ورد في الحديث عن أنس مرفوعاً: «إنما السلطان ظلّ الله ورمحه في الأرض» قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص ١٠٥: «رواه أبو الشيخ والبيهقي والديلمي عن أنس مرفوعاً: «إذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان، فلا تدخلها، إنما السلطان...» وذكره.

وفي لفظ للديلمي وأبي نعيم وغيرهما من جهة فتادة عن أنس مرفوعاً: «السلطان ظلّ الله ورمحه في الأرض» وهما ضعيفان.

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٤: ١٠٧ من قول عمر بن الخطاب: «لما يزع الله بالسلطان أعظم ممّا يزع بالقرآن».

٥٦٥

وقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أن رسول الله ﷺ قال: «تعافوا الحدود فيما بينكم، فما بلغني من حدٍّ فقد وجب»<sup>(١)</sup>.

ولقي الزبير رضي الله عنه سارقاً فشفع فيه، فقيل له: حتى يبلغ الإمام، فقال: إذا بلغ الإمام فلعن الله الشافع والمشفع.

وكل ما جاء عن المعصوم ﷺ، من فضائل الذب عن المسلم والستر عليه والإغضاء عنه، وما إلى ذلك من نجدة ومروءة ودفاع، فموضعه ولا ريب في غير حدود الله إذا بلغت الإمام، أو نائبه من الحكام.

ولقد كان النبي ﷺ أشدّ الناس حياءً، وأكثرهم عن العورات إغضاءً، وما كان يُخَيَّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم لنفسه قط، إلا أن تُتَّهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ، فينتقم لله بها<sup>(٢)</sup>.

### أعظم الجرائم التي تُبطل الشفاعة الحسنة

ومن أعظم الجرائم التي تسوّى الشفاعة الحسنة وتُبطل أجرها، أن تُباع وتُشتري بهديّة أو رشوة أو عرض من الدنيا.

والشافعُ والمشفعُ كلاهما يقترfan بذلك أمراً جسيماً، إلى ما يجتلبان من حقارة ودناءة، ويستوجبان من لعنة الله والناس في الدنيا والآخرة.

### ضروبٌ من الشفاعة الحسنة

وتتنظم الشفاعة الحسنة التحريض على الصدقات للفقراء والمساكين، وتفريج الكربات عن المكروبين، وقضاء الحاجات لأصحابها، ولا سيما العاجزين.

(١) رواه أبو داود (٤٣٧٦)، والنسائي (٤٨٨٥)، (٤٨٨٦)، وقوله: «تعافوا» أمر بالعفو، وهو التجاوز عن الذنب، أي: أسقطوا الحدود فيما بينكم، ولا ترفعوها إليّ، فإنه متى علمتها أقمته.

(٢) اقتباس من حديث رواه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ومن ذلك: التوسط في الإقالة من بيع لمضطر، والإِنْظَار إلى ميسرة في دينٍ على مُعسر؛ وأما التوسط في تخفيف الدين عن المدين، أو إبرائه منه، أو تأديته عنه - من غير منٍّ ولا أذى - فذلك من كرائم الشفاعات وعظائم المروءات.

ومن ذلك: التوسط في إعانة اللاجئين، وإجارة المُستجيرين، وينبغي لهذين الصنفين من الشفاعة حديثٌ خاص.

### أعجبُ الشِّفَاعَاتِ وَأَحَبُّهَا

ومن أعجب الشفاعات الحسنة وأروعها، وأحبها إلى الله ورسوله، وأرجاها في القبول، شفاعَةُ الأخ المسلم لأخيه في الغيب، وما نفع أخ أخاه بمثل شفاعته، أو دعوة يدعو له بها في ظهر الغيب؟.

تلك خَلَّةٌ من خلال الملائكة المقربين ﴿ الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (١).

ومن شدة فرح الملائكة بدعاء المسلم لإخوانه في ظهر الغيب، أنها تُؤمِّنُ على دعائه، وتدعو له بمثله.

ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان يقول: «دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملكٌ موكلٌ، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل» (٢).

### مواقف كريمةٌ لأم سلمة

ومن عيون الشفاعات في ظهر الغيب: شفاعَةُ أمِّ سلمة رضي الله عنها لأصحاب رسول الله ﷺ في صلح الحديبية، فقد دخل عليها مُغضباً مهموماً

(١) اقتباس من الآية ٧ من سورة غافر.

(٢) رواه مسلم (٢٧٣٣) في كتاب الذكر من حديث أمِّ الدرداء رضي الله عنها.

٥٦٧

وهو يقول: هلك المسلمون، أمرتهم بالأمر فلم يفعلوا!! فقالت: يا رسول الله لا تلمهم؛ فإنهم قد دخلهم أمرٌ عظيمٌ مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح، فاخرج إليهم يا رسول الله، ولا تُكلم أحداً منهم حتى تنحرَ بَدَنِكَ، وتدعوَ حَالِقَكَ فيحلقك.

فخرج ولم يكلم أحداً منهم حتى نحرَ بَدَنَهُ، ودعا حَالِقَهُ فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً<sup>(١)</sup>.. وجلا الله عنهم الكرب الذي كاد يقتلهم وسلمهم منه بأمر المؤمنين أم سلمة.

ولا يتنبه لهذه الشفاعة العجيبة الرائعة إلا الأخيار الأبرار، ممن لهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد ضربَ صلوات الله وسلامه عليه أعلى الأمثال في الشفاعة بأمته والدعاء لهم بظهور الغيب في أشد الأوقات وأحرجها، وأولاها بالتشفي والانتقام!!

#### شفاعات نبوية

ناداه ملك الجبال فسلم عليه، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك، وما ردوا عليك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني إليك ربك لتأمرني بأمرك، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين<sup>(٢)</sup> فعلت. فقال ﷺ: «بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له»<sup>(٣)</sup>.

ولما كُسرَت رِباعِيَّتُهُ، وشجَّ وجهُهُ الشَّرِيفُ يومَ أحدٍ، شقَّ ذلك على أصحابه شقاً شديداً، وقالوا له: لو دَعَوْتَ عليهم! فقال: «إني لم أبعث لعاناً،

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١)، (٢٧٣٢) من حديث طويل.

(٢) هما جبلا مكة أبو قيس، ومقابله قعيقان. وكان ذلك في أثناء عودته من الطائف مهموماً حزينا (طه).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) كلاهما من حديث عائشة رضي الله

عنها.

ولكن بُعثت داعياً ورحمة، اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون»<sup>(١)</sup>.  
وقد أعطى الله كلَّ نبيٍّ دعوةً دعا بها في الدنيا فاستُجيبت، واختبأ النبيُّ  
ﷺ دعوته شفاعاً لأُمَّته يوم القيامة.  
أمره ﷺ بالشفاعة عنده

ومن اللطائف التي يجدر بنا أن نقفَ عندها ونتأملها ملياً ما يشير إليه بعضُ  
شُرَّاح الحديث، من أنه صلوات الله وسلامه عليه يأمر أصحابه بالشفاعة عنده  
مع علمهم بأنه مُستغنٍ عنها؛ لأنَّ عنده شافعاً من نفسه، وباعثاً من كرمه ورأفته  
ورحمته، فما ظنُّك بالشفاعة عند غيره، ممَّن يحتاج إلى بعثٍ على الخير  
وتحريك الهمة؟!.

لا جرَم أنه صلوات الله وسلامه عليه مُتخلِّقٌ بأخلاق ربِّه، إذ يقول له وهو  
ساجدٌ يوم الفزع الأكبر: «يا محمد، ارفع رأسك، سلَّ تعطى، واشفع  
تشفع..»<sup>(٢)</sup>.

ولم يكتف صلوات الله وسلامه عليه بالاحتفال بالشفاعة الحسنة والدعوة  
إليها وتقبلها قبولاً حسناً، دون أن يشفعَ هو نفسه لدى أصحابه كلِّما دعا  
داعي الإنسانية المثلى، والمروءة الفضلى، واستجابت لأهلها مكارم  
الأخلاق!.

وحسبنا - ونحن نخاف السامة كما كان يخافها ﷺ على أصحابه - أن نشيرَ

(١) أخرج مسلم (٢٥٩٩) الشطر الأول منه، ولفظه عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله! ادع على المشركين: قال: «إني لم أبعث لعاناً، وإنما بُعثت رحمة». وأما قوله ﷺ: «اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون» فقد أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٣: ٢١٤ من حديث سهل بن سعد، وفي «الشعب» ٢: ١٦٤ (١٤٤٨)، وأصله في الصحيحين.

(٢) رواه البخاري (٤٧١٢) (٦٥٦٥)، (٧٤٤٠)، (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٢).



إشارة خاطفة إلى مثلين اثنين:

#### ١ - شفاعته في وفد هوازن

بعد ليل من غزوة الطائف، قدّم عليه صلوات الله وسلامه عليه وفد هوازن<sup>(١)</sup> مُسْتَشْفِعِينَ به أن يردّ إليهم نساءهم وأبنائهم: «أما ما لي ولبني عبد المطلب فهو لكم»، ثم شفّع لهم عند أصحابه أن يردّوا عليهم سيّهم، فقبل شفاعته المهاجرون والأنصار، وقالوا: ما كان لنا فهو لله ورسوله. وامتنع جماعة من الأعراب، فقال ﷺ: «من تمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ست فرائض من أول سبي أُصيبه» ففرحوا واستجابوا<sup>(٢)</sup>.

#### ٢ - شفاعته في بريرة

وأعجب من هذه شفاعته في بريرة، وهي أمة كانت تخدم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكانت عائشة تُعينها على تحريرها من الرّق، فلما عتقت وهي تحت زوجها مُغيث - وكان عبداً لآل المغيرة من بني مخزوم - أضحى لها الخيار، بحكم دين الحرية والسّماحة، أن تفارقه، وقد فعلت. فكان مغيث يطوف خلفها يبكي، ودموعه تسيل على لحيته، حتى قال ﷺ لعمة العباس: «ألا تعجب من حُبّ مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثاً!»، ثم قال ﷺ لها: «لو راجعته!» قالت: يا رسول الله أتأمرني؟ قال: «إنما أنا أشفع». قالت: لا حاجة لي فيه<sup>(٣)</sup>.. ونقف هنا ملياً ساكتين خاشعين، ثم نردّد قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ...﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) في «شرح المواهب اللدنية» [٤: ٦] عن الواقدي أنهم كانوا أربعة وعشرين بيتاً، قدموا مسلمين، وجاؤوا بإسلام من وراءهم من قومهم (طه).

(٢) رواه أحمد ٢: ٢١٨ (٧٠٣٧) من حديث عبد الله بن عمرو، وهو حديث حسن.

(٣) رواه البخاري (٥٢٨٣) في الطلاق.

(٤) سورة آل عمران: ١٦٤.

## الشفاعة والمشية

ولم يفت المربي الأعظم ﷺ، وهو يدعو أمته إلى الشفاعة - بأبلغ العبارات وأوجزها - أن ينبههم على أمرين خطيرين كثيراً ما يحول أحدهما أو كلاهما دون الشفاعة: خوفهم ألا تُقبل، واحتجاجهم على قضاء الله النافذ، وفق مشيئته المحجبة؛ ليعلمهم أن من أتى الشفاعة من بابها، فله أجرها كاملاً غير منقوص، وافقت قضاء الله على لسان رسوله المعصوم ﷺ، أو خالفت، وأن الغيب لله وحده، لا ينبغي لأحد أن يتكل عليه، ولا أن يحتج به..

## حاجة الحاكم والمحكوم إلى الشفاعة

وأخيراً، ليعلم الأمة والأئمة جميعاً، خطر الشفاعة الحسنة، وعظيم منزلتها، حتى لا يجبن الأفراد والجماعات أن يتقدموا بها، ولا يتعاضم الولاة والحكام أن يستمعوا إليها، وحتى يكونوا جميعاً بنياناً قوياً يشدُّ بعضه بعضاً، وجسداً واحداً، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُه بالسهر والحمى! وما أحوج الحاكم والمحكوم إلى أن يكون بعضهم لبعضٍ ناصرًا وظهيراً.

\*\*\*\*\*

## الوصاية بالجار والمرأة\*

٦٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يُوْذِي جَارَهُ، وَاسْتَوْصَا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيْمُهُ كَسَرَتْهُ، وَإِنْ تَرَكَتُهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ؛ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» رواه الشيخان<sup>(١)</sup>.

المفردات:

كان: تأتي كلمة كان في مثل هذا المقام، للدلالة على توكيد المعنى المراد، وربطه برباط الدوام والاستمرار، أي: مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ، بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقَهُ وَمَجَازِيهِ فِي يَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ بِهِ، كَانَ جَارُهُ فِي مَأْمَنٍ مِنْ أَذَاهِ. وهذا أولى من القول بزيادتها؛ لأن الزيادة من غير معنى عبث يُنزّه عنه كلام البلغاء فضلاً عن كلام الله ورسوله.

والنساء: اسم جمع للمرأة لا واحد له من لفظه، ومثله النسوة، وقيل: إنَّ الأول جمعٌ للثاني.

واستوصوا بهن: أي اطلبوا الوصية بهنَّ من أنفسكم، أو اطلبوا الوصية من

\* مجلة الأزهر، العددان التاسع والعاشر، المجلد السابع عشر، سنة (١٣٦٥).

(١) أخرجه البخاري (٥١٨٥) (٦٠١٨) (٦١٣٦) في كتاب النكاح، ومسلم (٤٧) في الإيمان، إلا أن البخاري جمع بين الوصاية بالجار والمرأة في هذه الرواية (٥١٨٥)، وستأتي الحكمة في جمع النبي ﷺ بينهما في حديث واحد. وقيل: إنهما حديثان جمع بينهما الراوي، وأفرد مسلم كلا على حدة (طه).

غيركم بهنّ، ويلزم لذلك أن تحافظوا أنتم عليهنّ؛ لأنّ من وصّى غيره بأمرٍ كان هو أحرص عليه. وقيل معناه: اقبلوا وصيّتي فيهنّ، واعملوا بها وارفقوا بهنّ. فالسين والتاء على هذا ليست للطلب، بل للقبول والمطاوعة، كأحكامته فاستحكم، ورجّح هذا المعنى صاحبُ «الفتح».

والضَّلَع: بكسر أوله وفتح ثانيه وقد يُسَكَن، واحدة الأضلاع، وهي تَوَثُّت وتُذَكَّر؛ ولذا عاد الضمير هنا إليها مذكراً. وفي رواية أخرى: «المرأة كالضَّلَع إن أقمته كسرتها، وإن استمتعتَ بها، استمتعتَ بها وفيها عوج»<sup>(١)</sup>، وقد عاد الضمير إليها مؤنثاً<sup>(٢)</sup>. وسيأتي تأويل خلقها من الضَّلَع.

\*\*\*\*\*

### عناية الإسلام بالجار

عني الإسلام بالجار والإحسان إليه عنايةً لم يُعرف، ولن يُعرف، لها مثل في تاريخ الأخلاق والاجتماع. ذلك بأنّ الإسلام يأمر بالتحابّ والتوادّ والتعاون على البرّ والتقوى، وعدم التعاون على الإثم والعدوان. وإذا كان سوءُ الجوار يدعو إلى الشُّقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق، فإنّ حُسْنَ الجوار يدعو إلى البرّ والخير ومحاسن الأخلاق.

ومتى تنافس الجيران في المكارم، وتعاونوا على الفضائل، فبشرهم بحياة طيبةٍ وعيشٍ هنيءٍ. وهذا بعض ما جاء به مَنْ بعثه الله ليتمّم مكارم الأخلاق. لقد بلغ من عنايته ﷺ بالجوار أن نفى الإيمان - مُقسماً بالله ثلاثاً - عمّن لا

(١) أخرجه البخاري (٥١٨٤).

(٢) ويجوز أن يعود إلى المرأة، وربما أيده ما بعده.

يَأْمَنُ جَارُهُ شَرَّهُ وَغَوَائِلَهُ<sup>(١)</sup>.

فقد روى الشيخان عن أبي شريح وأبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»، قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمنُ جَارُهُ بِوَأْتِقِهِ»<sup>(٢)</sup>.

### من دلائل العناية بالجوار

ومن دلائل العناية بالجوار: ما رواه الشيخان أيضاً عن ابن عمر وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوَصِّينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُهُ»<sup>(٣)</sup>.

ومن دلائل العناية بالجوار - وما أكثرها - : اختلاف الأساليب النبوية في الوصية بالجوار والحرص عليه، فمنها ما جاء في البخاري: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمِ جَارَهُ»<sup>(٤)</sup>.

ومنها ما جاء في مسلم: «فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ»<sup>(٥)</sup>.

ومنها ما جاء مفصلاً لهذا الإكرام والإحسان في أحاديث كثيرة، يُؤيِّد بعضها بعضاً، منها ما أخرجه الطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قالوا: يا رسول الله: ما حقُّ الجار على الجار؟ قال: «إِنْ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ، وَإِنْ اسْتَعَانَكَ أَعْتَنْتَهُ، وَإِنْ مَرَضَ عُدْتَهُ، وَإِنْ احتَاجَ أَعْطَيْتَهُ، وَإِنْ مَاتَ اتَّبَعْتَ جَنَازَتَهُ،

(١) لأن إيذاء الجار لا يتفق مع الإيمان الحق، بل هو من موجبات الكفر، والعياذ بالله (طه).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٦)، ومسلم (٤٦) وأحمد ٢: ٢٨٨ (٧٨٧٨). وزاد أحمد قالوا: يا رسول الله، وما بوائقه؟ قال: «شره». وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٤) (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٤) (٢٦٢٥).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨).

(٥) أخرجه مسلم (٤٨).

ولا تستطيلَ عنه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تُؤذيه بريحٍ قدركَ إلا أن تغرف له منها، وإن اشترت فاكهةً فأهد له، وإن لم تفعل فأدخلها سرّاً، ولا تُخرج بها ولدك؛ ليغيظ بها ولده»<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الجار يشمل المسلم والكافر، والعابدَ والفاسق، والصديق والعدو، والنافع والضار، والقريب والأجنبي، والغريب والبلدي، والأقرب والأبعد، إلى أربعين داراً من كلِّ جانب، فإن الإحسان إليه يختلف باختلاف السعة والحال، وكلما كان أقرب جواراً كان أعظم حقاً.

أخرج الطبراني عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «الجيران ثلاثة: جارٌ له حق، وهو المشرك: له حقُّ الجوار. وجارٌ له حقان، وهو المسلم: له حقُّ الجوار وحقُّ الإسلام. وجارٌ له ثلاثة حقوق، مسلم له رحم: له حق الجوار والإسلام والرحم»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: «يا رسول الله، إنَّ

(١) عزاه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣٧٦٨) للخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٠٤) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه عن النبي ﷺ.

قال الحافظ المنذري: ولعلَّ قوله: أتدري ما حقُّ الجار إلى آخره في كلام الراوي غير مرفوع، لكن قد روى الطبراني عن معاوية بن حيدة قال: قلت: يا رسول الله. ما حقُّ الجار عليّ؟ قال: «إنَّ مَرَضَ عِدَّتِهِ، وإنَّ مَاتَ شَيْعَتُهُ، وإنَّ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ، وإنَّ أَعْوَزَ سِتْرَتَهُ» فذكر الحديث بنحوه. اهـ كلام المنذري. وحديث معاوية بن حيدة فيه أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف. انظر: «مجمع الزوائد» ٨: ١٦٥.

(٢) قال الحافظ العرافي في «تخريج أحاديث الإحياء» ٢: ٢١٢: أخرجه الحسن بن سفيان والبخاري في مسنديهما، وأبو الشيخ في كتاب «الثواب»، وأبو نعيم في «الحلية» من حديث جابر. وابن عدي من حديث عبد الله بن عمر، وكلاهما ضعيف.

وقال الحافظ الهيثمي في «المجمع» ٨: ١٦٤: رواه البخاري عن شيخه عبد الله بن محمد الحارثي، وهو وضاع.

لي جارين ، فإلى أيهما أهدي؟» قال: «إلى أقربهما منك باباً»<sup>(١)</sup>.

### كف الأذى عن الجار

وأقلُّ ضرُوب الإحسان إلى الجار: كفُّ الأذى عنه، ودفع سيئته بالتي هي أحسن، كما يشير إليه هذا الحديث.

وكفُّ الأذى عن الجار أساس خيرٍ كثير، وفضلٍ عظيم، اللهمَّ إلا أن تُنتهك حرُمات الله، فينتقم الله بها، وليس هذا من الإيذاء في شيء، بل هو من الإصلاح والخير، وممَّا يدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك من صفات المؤمنين.

### الوصية بالنساء

ولما كانت المرأة من الرجل، أقرب الجيران صلةً، كانت أعظم حقاً، وأولاهم بحُسن المعاملة وكرم الجوار، ومن ثمَّ خصَّها النبي ﷺ بمزيد العناية إذ كرَّر الوصاة بها<sup>(٢)</sup>، ووَكَّد العطف عليها، والتجاوز عن هفواتها. وعلل ذلك بأنها خُلقت من ضلعٍ أعوج، ولا سبيل إلى تقويمها إلا أن تكسر، وكسرها طلاقها. فمن ابتغى لها كمالاً مطلقاً، فقد طلب المَحال، وسبَّح في عالم الخيال، وأضاع جهده سدىً؛ فليسدِّد وليُقارب، وليتغافل عن هناتها ما لم تتعدَّ طورها، وتُسرف في غيرها، وإلا هذبها بالحكمة والموعظة الحسنة، وقومها بما يدعو إليه العدل والإنصاف، دون أن يتعدَّى حدود الله.

### معنى خلق المرأة من ضلع

وفي خلق المرأة من ضلع تأويلان: قيل: إنَّ حواءَ خُلقت من ضلع

(١) أخرجه البخاري (٢٢٥٩).

(٢) يؤثر عن علي رضي الله عنه أنَّ الزوجة هي المرادة بالصاحب بالجنَّب في قوله:

﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْأَجْنَبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنَّبِ﴾ [النساء: ٣٦] (طه).

آدم عليه السلام، أي: أخرجت منه كما تخرج النَّخْلَةُ من النواة. وبهذا قال كثيرٌ من العلماء<sup>(١)</sup>، واختاره صاحب «قصاص الأنبياء»<sup>(٢)</sup>، في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾<sup>(٣)</sup>. وهذا ما جاء في «التوراة» التي بين يدي الكتابيين الآن: «فأوقع الإله الربُّ سُبَاتًا على آدم فنام، فأخذ واحدةً من أضلاعه، وملاً مكانها لحماً وبنى الربُّ الإله الضَّلْعَ التي أخذها من آدم امرأةً، وأحضرها إلى آدم، فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي، ولحم من لحمي، تُدعى امرأة؛ لأنها من امرئ أخذت».

والتأويل الثاني: أنَّ الكلام على التشبيه والتمثيل، أي: أنَّها خُلقت خَلْقًا فيه اعوجاج، كأنها أنشئت من أصل معوج، فلا سبيل إلى الانتفاع بها إلا بمداراتها والصَّبْر عليها، وذلك من قبيل قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾<sup>(٤)</sup> تمثيلاً لما طبع عليه الإنسان من العَجَلَة والطَّيش، حتى كأنَّ العَجَل مادة أنشئ الإنسان منها.

واختار هذا الوجه بعض المحققين من القُدَامَى والمُحَدِّثِينَ. ويَعَاضِدُهَا فيما ذهبوا إليه ما جاء في رواية البخاري، التي ذكرناها آنفاً: «المرأة كالضَّلْع» الخ، هذا إلى ضعف الأدلة على الوجه الأول وعدم قيامها على ساق؛ وقد أمرنا ألا نُصَدِّقَ أهل الكتاب ولا نُكذِّبَهُمْ، فيما لم يَرِدْ فيه عندنا نصٌّ صريح.

ففي حديث البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «لا تُصَدِّقُوا

(١) وقيل: معناه من جنسها وعلى صورتها وهيئتها، فلا تعرُّض إذاً للمادة التي أخذت منها المرأة (طه).

(٢) قصص الأنبياء، لعبد الوهاب النجار ص ٢٥.

(٣) سورة النساء: ١.

(٤) سورة الأنبياء: ٣٧.



أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله»<sup>(١)</sup>. وهذا يُرَجِّحُ عندنا أن تُفَوِّضَ أمر المرأة الأول إلى بارئها عزَّ وجل.

وأياً ما كان خَلَقُها، فلا جدال أن المقصود من الحديث بيان ضعف المرأة، وما جُبِلَتْ عليه من العوج والاضطراب، فهي معذورةٌ - فيما تأتي وتذّر - إلى مدى غير قريب.

وإذا كان أمرها كذلك، فحقُّ على صاحبها أو وليِّها أن يأخذها بالرفق والحلم والأناة، وأن يُساعدَها على صفاء العيش، واستقرار الحياة.

وفي قوله ﷺ: «وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه» إشارة إلى أنّها خُلِقَتْ من أشدِّ أجزاء الضلع اعوجاجاً، فيكون ذلك أدعى إلى العطف عليها والرفق بها؛ أو إشارة إلى موضع الأذى منها، وهو لسانها الذي ينبغي لها أن تتقيّه، ولصاحبها أن يتصامَّ عنه ما استطاع.

ثمَّ أشار ﷺ إلى أنه مهما بالغ في الرفق بها لا يتركها وشأنها، وإلا فسَدَتْ وأفسدت، واستعصى علاجها، بل ينبغي تقويمها وتعديلها كما يُقوِّم الضلع المعوج، فلا يبالغ في تقويمه فيكسر، ولا يهمله كلَّ الإهمال فيظلَّ دهره أعوج.

ثمَّ كرَّر الوصيَّةَ بها مبالغةً في الرفق، وإعذاراً إلى الرجال.

ونرجو أن يعتبر الغلاة في شأن المرأة بهذه الوصاة النبويَّة وأمثالها، وينظروا بعين الإنصاف إلى هذا التحليل النفسي الدقيق، وإلى هذه الرحمة المحيطة الشاملة، وإلى تلك الحكمة البالغة في حُسن المعاملة، وكرَم الجوار، ثمَّ ليحكموا بعد ذلك للإسلام أو عليه، في نظره إلى المرأة وأين وضعها؟!.

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٥).

## مراعاة حقَّ الحافظين

وقد يكون من الحسن أن نختم الحديث بتلك الإشارة اللطيفة، التي أشار إليها صاحب «بهجة النفوس» إذ قال رحمه الله: «وإذا وكَّد النبي ﷺ حقَّ الجار مع الحائل بينه وبين جاره، وأمر بحفظه وإيصال الخير إليه، وكفَّ أسباب الأذى والضَّرر عنه، فإنه ينبغي أن يُراعى حقَّ الحافظين اللذين ليس بينه وبينهما جدارٌ ولا حائلٌ، فلا يُؤذيهما بإيقاع المخالفات، في مرور الساعات؛ فقد جاء أنهما يُسرَّان بوقوع الحسنات، ويحزنان لوقوع السيِّئات؛ فينبغي مراعاةُ جانبهما وحفظُ جوارهما بالتكثير من الطاعات والابتعاد عن المعاصي، فهما أولى برعاية الحق من سائر الجيران»<sup>(١)</sup>.

\* \* \* \* \*

(١) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها، لابن أبي جَمْرَةَ الأندلسيِّ ٤: ١٦٥. وابن أبي جَمْرَةَ هو: عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جَمْرَةَ الأندلسي المتوفى سنة ٦٩٥ رحمه الله تعالى. كما في «الأعلام» للزركلي ٤: ٨٩.

## الجوار في الإسلام\*

- ١ -

٧٠- عن أمّ هانئ رضي الله عنها قالت: ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ عام الفتح، فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تسترّه، فسلمت عليه، فقال: «من هذه؟» فقلت: أنا أمّ هانئ بنت أبي طالب؛ فقال: «مرحباً بأمّ هانئ». فلمّا فرغ من غسله قام فصلّى ثماني ركعات مُلتحفاً في ثوبٍ واحد، فقلت: يا رسول الله، زعم ابن أمي عليّ أنه قاتل رجلاً قد أجزته - فلان ابن هبيّرة - فقال رسول الله ﷺ: «قد أجزنا من أجزت يا أمّ هانئ». قالت أمّ هانئ: وذلك ضحى. رواه الشيخان، واللفظ للبخاري<sup>(١)</sup>.

### من معاني الجوار

للجوار معانٍ متقاربة في لسان العرب

منها - وهو أسبقها إلى الذهن، وأشهرها في العرف -: مجاورة الناس بعضهم لبعض، في سكن أو عمل.

والجوار بهذا المعنى على درجاتٍ ومراتب، بعضها ألصق من بعض؛ وأدناها جوار الزوجة، وقد بينّا كيف عني الإسلام بالجار والمرأة عنايةً لم يُعرف - ولن يعرف - لها مثيلٌ في تاريخ الأخلاق والاجتماع.

\* مجلة الأزهر، العدد الثامن، المجلد الخامس والعشرون، (١٣٧٣ = ١٩٥٤).

(١) أخرجه البخاري (٣١٧١) في باب أمان النساء وجوارهن، من كتاب «الجهاد»، ومسلم (٣٣٦) في كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب استحباب صلاة الضحى. والحديث في «الموطأ» ١: ١٥٢ في قصر الصلاة، باب صلاة الضحى.

ومنها - وهو موضوع حديثنا هذا - : إجارة المُستجير بتأمين مخافته، وإغاثة لهفته، حتى يبلغ مأمنه مُطمئناً وادعاً.  
وإحسان الجوار - على كلِّ معنًى من معانيه - في الذُّروة من معالي الهِمَم ومكارم الأخلاق.

### الجوار في الجاهلية

وكان العرب في الجاهليَّة يذُبُّون عن الجوار، ويمنعون مَنْ حالفهم أو استجار بهم، ممَّا يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وكانوا يقولون في معرض الفخر والثناء: فلان منيع الجار، حامي الذُّمار؛ بيد أنهم كانوا يسرفون في حماية الجار إسرافاً جائراً، يجاوز حدود العدل والإحسان، وي طرح بهذه المنقبة الكريمة في متاهة العسف والعدوان!.

كانوا يبذلون المَهَج والأرواح، ويشنُّون الحروب والغارات، انتصاراً لِمَنْ حالف أو استجار، مُحققاً كان أو مُبطلاً، ظالماً كان أو عادلاً!.

لا يسألون أخاهم حين يندبهم للنائبِ على ما قال برهانا

### تهذيب الإسلام للجوار

فلما جاء الإسلام بالهدى والنُّور، والشفاء لما في الصدور، هذَّب أخلاقهم، وأكمل آدابهم، ونفى منها الخبث والرَّجْس كما ينفي الكبير خبث الحديد، وأقرَّ - فيما أقرَّ من مكارم الأخلاق - حُسْنَ الجوار، وحماية الذُّمار في غير منٍّ ولا أذى، ولابغي ولا عدوان.

بل فرض على الناس فيما فرض، أن ينصرَ كلُّ منهم أخاه ظالماً أو مظلوماً<sup>(١)</sup> ... فلمَّا عرتهم الدهشة من دعوتهم إلى نصر الظالم، بيَّن لهم بياناً

(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو

٥٨١

عجباً لم يكن ليخطر لهم على بال، بين لهم أن ليس نصر الظالم ما ألفوه في الجاهلية الأولى، وإنما هو كفه عن الظلم، والأخذ على يديه حتى يرعوي، فذلك نصرٌ له أي نصر، على داعي الشهوة والهوى، والاعتساف والطغيان!

### الجوار في الحرب

ولقد بلغ من عناية الإسلام بالجوار وحبّه له، أن أجاز لكل مسلم أن يجير في الحرب ويؤمّن، رجلاً كان أو امرأة، عبداً كان أو حراً، وجعل ذمامهم وأمانهم كشيء واحد، فلو صدر أمان من أحدهم - كائناً من كان - لعدو، فليس للإمام ولا للقائد ولا لغيرهما من أولي الأمر أن ينقضه، وذلك قوله صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه الشيخان: «ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين!»<sup>(١)</sup> وحدث في عهد عمر رضي الله عنه أن عبداً آمن أهل بلد بالعراق، فكتب إلى عمر قائد الجيش أبو عبيدة بن الجراح يستشيريه في هذا التأمين، فكتب له أمير المؤمنين: «إن الله عظمّ الوفاء، فلا تكونون أوفياء حتى تفوا، فوفوا لهم، وانصرفوا عنهم».

### النبي ﷺ يجير من أجارت أم هانئ

وهذه فاختة شقيقة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، راوية هذا الحديث، يجير النبي ﷺ من أجارت، ويؤمن من أمنت.

كانت فاختة من ذوات الرأي الجزل، والأدب الجم في عقائل قريش... فلما أسلمت عام الفتح فرق الإسلام بينها وبين زوجها هبيرة بن أبي وهب

مظلوماً». فقال رجل: يارسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إن كان ظالماً: كيف أنصره؟ قال: «تحجزه أو تمنعه عن الظلم، فإن ذلك نصره» رواه البخاري (٢٤٤٣)، والترمذي (٢٢٥٦).

(١) أخرجه البخاري (٦٧٥٥)، ومسلم (١٣٧٠).

المخزومي، الذي هربَ عند فتح مكة إلى نجران مُشركاً، فلم يزل بها حتى مات. وكانت قد انكشفت منه عن أربعة بنين<sup>(١)</sup>، أصغرهم هانيء الذي اشتهرت كنيئتها به.

وكان النبي ﷺ قد أهدر دم خمسة عشر رجلاً وامرأة، أمعنوا في الكيد للإسلام والإفساد في الأرض، لكن تداركتهم - إلا قليلاً منهم - مع فظاعة جرمهم، نعمة الجوار في الإسلام، وشفاعة الصَّحْبِ الكرام، عند مَنْ أرسله الله رحمة للعالمين.

فرَّ من هؤلاء - وعدتَّهم أحد عشر - جُعْدَةُ بن هُبَيْرَةَ، ورجل آخر من أحماء أمِّ هانيء<sup>(٢)</sup>، لم يُذكر في حديث البخاري، وكلاهما من بني مخزوم<sup>(٣)</sup>، فرأى إليها، واختبأ في بيتها، فتوعدَّهما عليٌّ، وأقسم ليقتلنَّهما، إنفاذاً لإيعاد النبي ﷺ، وجزاءً لما اجتَرَّحا من الحنث العظيم!!.

لكنَّ أخته أجارَتْهُمَا ومنَعَتْهُمَا منه، ثم ذهبت تشكوه إلى الرؤوف الرحيم صلوات الله وسلامه عليه.

(١) هم: عمرو بن هُبَيْرَةَ، وجعدَةُ، وهانيء، ويوسف. كما في «السير» ٢: ٣١٢.

(٢) أي: من أقارب زوجها.

(٣) قال الزرقاني في حاشيته على «المواهب» ٢: ٣٢٦: والرجلان: الحارث بن هشام ابن المغيرة القرشي المخزومي، شقيق أبي جهل، من مُسلمة الفتح، استشهد في خلافة عمر، روى له ابن ماجه، وله ذكرٌ في الصحيحين، أنه سأل عن كيفية الوحي. وزهير بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة أم المؤمنين، قال ابن إسحاق: كان ممن قام في نقض الصحيفة، وأسلم وحسن إسلامه.

وقيل: إن الثاني جُعْدَةُ بن هُبَيْرَةَ، وفيه: إنه كان صغير السن، فلا يكون مقاتلاً عام الفتح حتى يحتاج إلى الأمان، ولا يهيمُّ عليٌّ بقتله. وجوزَّ ابن عبد البر أن جعدَةَ ابن هُبَيْرَةَ من غير أمِّ هانيء مع نقله عن أهل النسب أنهم لم يذكروا له ولداً من غيرها. انتهى.

## صلاة الضحى وصلاة الشكر لله عز وجل

صادفته يغتسل، والزَّهراء رضوان الله عليها تَسْتُرُهُ، فسَلَّمْت من وراء حجاب، فسأل عنها وحيَّها بأحسن من تحيَّتها، حتى إذا اغتسل قام فصلَّى ثماني ركعات: صلاة الضحى كاملة، أو صلاة الشكر لله جلَّت آلاؤه على ما أنعم عليه من نعمة الفتح، أو الصَّلَاتين معاً، في ثوبٍ واحدٍ مشتملاً عليه.

لا جَرَمَ أنَّ علياً ابنَ أمِّها وأبيها، ولكنها نسبته إلى الأمِّ فحسب، كما قال هارون يستعطف أخاه موسى عليهما السلام: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾<sup>(١)</sup> توكيداً لحرمة القرابة، وتوسُّلاً بوشيجة الرَّحْم التي آوتهما، والبطن الذي ضمَّهما في قرارٍ مكين..

تقول: إنَّ أولى قرابتي برَّعي عهدي وذمَّتي، هو أخي، ولكنه توعدَّ بنكث جوارِي وقطع رَحِمِي! ونِعْمَ الْحَكَمُ أنت.. فاستجاب لها صلواتُ الله وسلامُه عليه، وطَمَّأنها بأنه قد أجار هو نفسه من أجات، وأمن هو من أمنت، فلتقرَّ عيناً، ولتطب نفساً.

النبي ﷺ يُجبرُ من أجاته ابنته زينب

ومثل آخر: زينب<sup>(٢)</sup> كبرى بناته ﷺ، يفرِّق الإسلام بينها وبين زوجها وابن خالتها: أبي العاص بن الربيع<sup>(٣)</sup>، ويحتال عليه كفار قريش أن يُطلقها، فيمتنع،

(١) سورة طه: ٩٤.

(٢) توفيت سنة ثمان من الهجرة، وغسلتها أم عطية، فأعطاهنَّ حَقَّوهُ أي: إزاره - كما في «صحيح البخاري» - (١٢٥٤) وقال: «أشعرناها إياه»، وكان النبي ﷺ يحبُّها ويشني عليها، رضي الله عنها، عاشت نحو من ثلاثين سنة.

(٣) صهر رسول الله ﷺ، وهو والدُ أمانة التي كان يحملها النبي ﷺ في صلواته، وهو ابن أخت أم المؤمنين خديجة، أمه هي هالة بنت خويلد. ومات أبو العاص في شهر ذي

ويقول: والله لا أفارق صاحبتني، ولا أحبُّ أن لي بها امرأة من قريش، ففُتْهاجر هي، ويبقى هو كافراً بمكة، حتى يقع أسيراً في قافلة يسوقها على بكرة أبيها زيد بن حارثة إلى النبي ﷺ في السنة السادسة من الهجرة.

وهنالك يستجير أبو العاص بزینب التي طوّفته بصنيعتها؛ إذ افتدته - وهو أسيرٌ ببدر - بقلادتها التي حلّتها بها ليلة عرسها أمّها أمّ المؤمنين خديجة، فتعدُّ خيراً، ثمّ تنادي بعد صلاة الفجر: إني قد أجرتُ أبا العاص ابن الربيع، فيقول صلوات الله وسلامه عليه: «أيها الناس: هل سمعتم ما سمعت؟» قالوا: نعم، قال: «فوالذي نفسي بيده ما علمتُ بشيءٍ ممّا كان حتى سمعت الذي سمعتم، المؤمنون يدُّ على مَنْ سواهم، يُجير عليهم أذنهم، وقد أجرتنا مَنْ أجارت»<sup>(١)</sup>.

ثم يعود أبو العاص إلى مكة فيؤدّي الحقوق إلى أهلها - وكان من المعدودين في رجال مكة تجارةً وأمانةً ومالاً - ويؤوبُ إلى المدينة مسلماً

الحجة سنة اثنتي عشرة في خلافة الصديق كما في «السير» ١: ٣٣٤.

(١) أخرجه ابن هشام في «السيرة» ١: ١٥٧، ١٥٨، وابن سعد ٨: ٣٢ عن ابن إسحاق، حدثني يزيد بن رومان.. وأخرجه الحاكم ٤: ٤٥ من طريق ابن وهب، أنبأ ابن لهيعة، عن موسى بن جبير الأنصاري، عن عمران بن مالك الغفاري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن، عن أمّ سلمة زوج النبي ﷺ، أن زينب بنت رسول الله ﷺ أرسل إليها أبو العاص بن الربيع أن خذي لي أماناً من أبيك، فخرجت، فأطلعت رأسها من باب حجرتها، والنبي ﷺ في الصبح يصلي بالناس، فقالت: يا أيها الناس: إني زينب بنت رسول الله ﷺ، وإني قد أجرتُ أبا العاص، فلما فرغ النبي ﷺ من الصلاة، قال: «يا أيها الناس، إنه لا علم لي بهذا حتى سمعتموه، ألا وإنه يجير على المسلمين أذنهم» ورجاله ثقات.

وقوله ﷺ: «المؤمنون يدُّ على مَنْ سواهم» أي: ذوو يد. يعني قدرة واستيلاء على غيرهم من أصحاب الملل. وقد روى البخاري في العلم (١١١)، والجهاد (٣٠٤٧)، ومسلم (١٣٧٠) في الحج من حديث علي رضي الله عنه في صحيفته التي كانت في قراب سيفه: «...وذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أذنهم..».



مُحَسَّنًا، فِيرِدُّ عَلَيْهِ الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ زَوْجَهُ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ ثَنَاءً كَرِيمًا.

متى تعرف المسلمة مكانها في الإسلام؟

مَنْ لَنَا بِأَنْ تَفْقَهَ نَسَاؤَنَا مَكَانَ الْمَرْأَةِ فِي الْإِسْلَامِ، وَكَيْفَ حَاطَهَا بِرِعَايَتِهِ، وَمَنْحَهَا مِنَ الْكِرَامَةِ وَالتَّجَلُّةِ مَا تَحْسُدُهَا عَلَيْهِ الْمَرْأَةُ الْغَرِيبَةُ، وَلَوْ فَطِنَتْ الْغَرِيبَةَ لِمَزَايَا الْإِسْلَامِ وَأَدَابِهِ لَسَعَتْ إِلَيْهِ سَعِيَّ أَخْتِهَا الشَّرْقِيَّةِ لِلْمُظَاهَرِ وَالْمَدْنِيَّةِ أَوْ أَشَدَّ سَعِيًّا؟!.

لَمْ يَكُنِ الْإِسْلَامُ الَّذِي هَذَّبَ الْجَوَارِ وَجَمَّلَهُ، وَدَعَا إِلَيْهِ صَفِيًّا زَاكِيًّا، لِيَقْبَلَ مِنْهُ مَا يَنْقُضُ عَهْدًا، أَوْ يُفْسِدُ وَدَاءً، أَوْ يَوْقِظُ فِتْنَةً، أَوْ يُحَرِّكُ ضَمِيرًا، أَوْ يَهَيِّجُ سَلَامًا وَأَمْنًا.

وَكَيفَ وَهُوَ دِينَ الْوَفَاءِ وَالْإِخَاءِ، وَالْوَثَامِ وَالسَّلَامِ، وَالصُّلْحِ وَالْإِصْلَاحِ، وَالرُّشْدِ وَالْفَلَاحِ؟!

وَرَدَّ اللَّاجِئِينَ وَالْمُسْتَجِيرِينَ فِي صَلْحِ الْحَدِيثِيَّةِ، وَقَدْ جَاؤُوا مُسْلِمِينَ خَائِفِينَ - وَفَاءً بِالْعَقْدِ وَحِفَاطًا عَلَى الشَّرْطِ - بَعْضُ الشُّوَاهِدِ الصَّادِقَةِ عَلَى مَا تَقُولُ<sup>(١)</sup>. وَلَوْلَا مَخَافَةُ السَّامَةِ لَكَانَ لَنَا فِي تَفْصِيلِ هَذَا الْإِجْمَالِ، مَجَالٌ أَيُّ مَجَالٍ.

نَعَمْ، كَانَ لِلْمَرْأَةِ إِذَا هَاجَرَتْ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ، حَبًّا لَلَّهِ وَرَسُولِهِ، لَا بُغْضًا لَزَوْجٍ وَلَا طَلْبًا لِآخِرٍ، وَلَا التَّمَاسًا لِدُنْيَا؛ كَانَ لِلْمَرْأَةِ إِذَا شَأْنٌ آخَرَ غَيْرَ شَأْنِ الرَّجُلِ رَفَقًا بِهَا، وَرَحْمَةً بَضْعَفِهَا، وَخَوْفًا عَلَيْهَا أَنْ تَفْتَنَ فِي دِينِهَا

(١) مثل ردِّ أبي جندل بن سهل بن عمرو، وأبي بصير بن أسيد الثقفي، كما في صحيح البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب (٢٣٧١). (٢٣٧٢).

٥٨٦

أو عرضها<sup>(١)</sup>. فمن لنا - مرة أخرى - بأن تفقه نساؤنا مكان المرأة في الإسلام، وكيف يصونها من الشرور والآثام؟!.

### الكلمة الأخيرة للإسلام

وأخيراً - وليس آخراً كما يقول الباحثون - لو نظر أعداء الإسلام نظرة تقدير وإنصاف إلى الجوار في الإسلام، لما تردّدوا أن يستجبروا به، ويلتجئوا إليه، وهنالك يرون رأي العين أعزّ مانع للجار، وحام للذمار<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*\*

(١) لقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۚ﴾ [الممتحنة: ١٠].

(٢) الذّمار: ما يلزمك حفظه وحمايته.

## الجوار في الإسلام\*

- ٢ -

٧١- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإنَّ ريحها تُوجد من مسيرة أربعين عاماً».

٧٢- وعن عمر رضي الله عنه قال: «وأوصيه - يعني الخليفة بعده - بدمّة الله ودمّة رسوله ﷺ: أن يوفى لهم بعهدهم؛ وأن يُقاتل من ورائهم؛ ولا يُكفّوا إلاّ طاقتهم» رواهما البخاري<sup>(١)</sup>.

### عزّة المجير في الإسلام

لم نكن مبالغين حين قلنا في ختام الحديث الماضي: لو نظر أعداء الإسلام نظرة تقدير وإنصاف إلى الجوار في الإسلام، لما تردّدوا أن يستجروا به، ويلتجئوا إليه، وهناك يرون رأي العين أعزّ مانع للجار، وحام للذّمار، بل لا نكون مبالغين إذا قلنا: إنهم لو أنصفوا الإسلام، أو أنصفوا أنفسهم لما تردّدوا ساعة في أن يهتدوا بهديه، ويستقيموا على طريقته، وأن يقولوا كما قال الحواريون من قبل: ﴿رَبَّنَا آمِنَا بِمَا أَنْزَلْتَ وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ

\* مجلة الأزهر؛ العدد التاسع، المجلد الخامس والعشرون؛ (١٣٧٣).

(١) الحديث الأول رواه البخاري (٣١٦٦) في باب «إنم من قتل معاهداً بغير جرم»، من كتاب «الجزية»، والحديث الثاني رواه البخاري (٣٠٥٢) في باب «يقاتل عن أهل الذمة ولا يسترقون»، من كتاب «الجهاد». وراح يريح، وراح يراح، وأراح يريح: إذا وجد رائحة الشيء، والثلاثة قد روي بها الحديث، كما في «النهاية» ٢: ٢٧٢ لابن الأثير.

الشَّهِيدُ<sup>(١)</sup>

ذلك بأنَّ الإسلامَ لم يعد الجوار فيه مجردَ نافلة فاضلة، أو فضيلة مكملَّة، وإنَّما عدَّ فيه الجوار عقداً محتوماً يوجب احترامه، وعهداً مسؤولاً يحتمُّ الوفاء به. هذا إلى ما يضيفه الإسلام على المُجِير - وإنَّ قَلَّ شأنه - من معاني الإعزاز والتكريم لأتباعه، ممَّا لا يوجد له نظيرٌ في قانونٍ دوليٍّ على وَجْه المعمورة..

وأَيُّ عِزَّةٍ وَعَظْمَةٍ وَمَنَعَةٍ يشعر بها الجنديُّ العاديُّ من جنود الإسلام وهو يوقن أنه ذو حقٍّ أن يجيرَ من استجار به، ويحمي من التجأ إليه؛ ويرى أن قانون الإسلام الحربي تكفَّل له بهذا الحقِّ أحسنَ كفالة، وضمَّنه له أحسنَ ضمان.

## تقدير الإسلام للإنسانية

لا جرمَ أنه حيثُ يستعمل هذا الحق في خير وجوهه وأدناها إلى المصلحة العامة؛ ليكون دائماً موضعَ ثقة الإسلام والمسلمين به. وكفى بهذا تقديراً للإنسانية في منهاج الإسلام، الذي جاء ناشراً للسلام، و متمماً لمكارم الأخلاق<sup>(٢)</sup>.

## منهج الإسلام في معاملة غير المسلمين

إنَّ غير المسلمين في منهاج الإسلام أصناف ثلاثة: مُحَارِبُونَ، ومُعَاهِدُونَ، وذميُّون. وكلُّ من هؤلاء ذاقَ - أو عرف - من حلاوة الجوار في الإسلام، ما كان كفيلاً بأن يجذبه إليه، لولا حوائل الكِبَرِ والبغْيِ والحسد، وغوائل العناد والعصبيَّة والجُحود.

(١) سورة آل عمران: ٥٣.

(٢) بسط هذا المعنى السيد محب الدين الخطيب في مجلته «الفتح»، وهو يوازن بين كبرياء الجندي البريطاني المصطنعة، وعزَّة المسلم المجاهد الحقَّة في مقال عنوانه: جوار العروبة وذمَّة الإسلام. انظر العدد (٨٣٠) مفتتح العام السابع عشر (طه).

فأما المحاربون، فسيبُّه معهم أن يدفعَ كيدهم، ويردَّ عدوانهم، ويقاتلهم كما قاتلوا أهلَهُ؛ حمايةً لدعوته، ودفاعاً عن حوزته، ولذلك يشتدُّ نكير الإسلام على مَنْ يقاتل مَنْ لا يدله في القتال ولا رأي من النساء والصبيان، والعجزة والرُّهبان، فإنَّ هؤلاء ومَنْ إليهم في حماية الإسلام ورعايته، يقيهم ويحميهم ما استطاع إلى الحماية سبيلاً.

### إجارة الإسلام رُسل المحاربين

وكذلك يُجيرُ الإسلامُ رُسلَ العدوِّ المُحارب، فلا يعرض لهم بسوء ولا أذى، ولو جاؤوا مُنذرين بالحرب، مُستهزئين بالإسلام، فقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء ابن التَّوَّاحة وابنُ أثال، رسولاً مُسَيِّمَةً إلى النبي ﷺ، فقال لهما: «أتشهدان أني رسول الله؟» قالا: نشهد أن مُسَيِّمَةً رسولُ الله، فقال ﷺ: «آمنت بالله ورسوله، لو كنت قاتلاً رسولاً، لقتلتكما». قال عبد الله: فمضت السنَّة على أن الرُّسل لا تُقتل (١).

وروى أحمد وأبو داود عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: بعثتني قريش إلى النبي ﷺ، فلمَّا رأيت النبي ﷺ وقع في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله: لا أرجع إليهم، قال: «إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد، لكن أرجع إليهم، فإن كان في قلبك الذي فيه الآن، فارجع»، فرجع أبو رافع، ثم أقبل إلى رسول ﷺ فأسلم (٢).

وفي إجارة الإسلام لرسول المحاربين وحمائيتهم، دعوة إلى هدايته، ونشرُ لرسالته، في سياسةٍ رشيدة، وخطَّة حميدة. وقد تردَّد بين النبي ﷺ وقريش

(١) رواه أحمد ١: ٣٩١ (٣٧٠٨)، ١: ٣٩٦ (٣٧٦١). وهو حديث صحيح كما في

التعليق على «المسند»، طبعة مؤسسة الرسالة.

(٢) رواه أحمد ٦: ٨ (٢٣٨٥٧)، وأبو داود (٢٧٥٢).

٥٩٠

جماعةً من الرسل واحداً بعد واحد، فأوا من مكارم أخلاقه ومعاملته لأصحابه ما لم يروهُ عند كسرى ولا قيصر، فأخبروا قومهم بذلك. وكان لهذا وأمثاله أعظم الآثار في نشر الدعوة، ودخول الناس في دين الله أفواجاً.

### معاملة الإسلام للمعاهدين والمستأمنين

وأما المعاهدون فهم الذين أبرمت بينهم وبين المسلمين معاهدة وميثاقٌ على السلم، ومنهم المُستأمنون الذين دخلوا في جوار الإسلام بتأمين واحدٍ من أهله، على ما بينا في الحديث السابق.

وسبيل الإسلام مع هؤلاء أن يُوفي لهم بعهدهم كاملاً غير منقوص، وأن يستقيم لهم ما استقاموا للمسلمين.

ومن هؤلاء المستأمنين: مَنْ يستجير بنا ليسمع كلام الله ويتعلم شرائع دينه، حقاً علينا أن نؤمّنه ليكون على بينة من الأمر، ثم نحّميه حتى يبلغ منزله الذي يأمن فيه ويسكن إليه، ائتماراً بأمر السلام المؤمن عزَّ سلطانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن عجيب أمر الإسلام في الوفاء بالمعاهدات - التي أضحت حبراً على ورق في الدول الكبرى - أنه لا يبيح لنا أن ننصر إخواننا المسلمين الذين حُرّموا التمتع بسلطاننا، على المعاهدين من الكفار، وقد كان الرجل يفرُّ بدينه مسلماً لائذاً بالمسلمين في عهد الحديدية، فيردُّه النبي ﷺ إلى قومه الكافرين ويقول له: «إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ عَهْدًا، وَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَّكَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا»<sup>(٢)</sup>، وكانوا

(١) سورة التوبة: ٦.

(٢) رواه أحمد في المسند ٤: ٣٢٥ (١٨٩١٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٥: ٢٢٧.

(١٨٦١١)، مِنْ حَدِيثٍ طَوِيلٍ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ. كَمَا فِي التَّعْلِيقِ عَلَى «الْمُسْنَدِ».

عاهدوا النبي ﷺ فيما عاهدوه، أن يردَّ إليهم من جاء منهم مسلماً، على حين لا يردُّون من جاء من المسلمين كافريناً..

وقد حمى الله المؤمنين أن يردَّ أحدٌ منهم عن دينه، كما صدَّق رسوله، فجعل لهم مخرجاً وفرجاً، بتحلُّل المشركين أنفسهم واستغاثتهم من هذا الشرط؛ لأنه كان عليهم وحدهم بلاءً وشرأاً..

### عناية الإسلام البالغة بأهل الذمة

وأما الذميون فهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وهم في حقيقة الأمر معاهدون من طراز آخر، لهم ذمَّة الله وذمَّة رسوله، وعهدُ الله وعهدُ رسوله، في جوار الإسلام ورعايته، لهم ما لنا وعليهم ما علينا، نحميهم وندافع عنهم، ونقاتل من يعتدي على دينهم أو أنفسهم وأموالهم، ولا نكلِّفهم من الجزية - التي أمر الله بها أن تُؤخذ منهم - ما لا طاقة لهم به، فمن ضيَّع حقاً من حقوقهم هذه أو أعان على ضياعه، فقد ضيَّع ذمَّة الله وذمَّة رسوله، وانتَهك حرمة الإسلام والمسلمين! ومن قتل واحداً منهم كان جديراً بسخطِ الله ورسوله، خليفاً بأن يتوعده الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه بما يتوعَّد به التارك لدينه، فلا يدخل الجنة ولا يشمُّ ريحها، وإنَّ ريحها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً.

ومن المقرَّر في قواعد الشريعة: أنَّ مرتكب المعصية المُجمَع على تحريمها مرتدٌّ عن دينه إن استحلَّها، وإلَّا فهو آثمٌ متخلِّفٌ عن ركب الطائعين، إلى رضوان الله تعالى إلَّا من تاب وآمن وعمل صالحاً.

### الجزية على الذميين والزكاة على المسلمين

وليست الجزية التي فرضها الله تعالى على أهل ذمته إلا جزاءً يسيراً، لا يكاد يُكافئ ما يلتزمه المسلمون من إعانتهم والدفاع عنهم والسَّهر على مصالحهم، وهي أيسر من الزكاة التي فرضها الله على الموسرين من المسلمين،

وأمر نبيه صلوات الله وسلامه عليه أن يأخذها منهم؛ لأن فريضة الزكاة عامّةٌ على كلِّ مُوسر، وإن كان طفلاً أو امرأة؛ وأمّا الجزية فلا تؤخذ - كما قال الماوردي في «الأحكام السلطانية» - إلاّ من الرجال الأحرار العقلاء، مع أنّ حماية المسلمين شاملةٌ لأهل الذمة جميعاً.

### ليست الجزية كالضرائب

ومعاذ الله والإسلام أن تكون الجزية كالضرائب التي يفرضها الفاتحون والمستعمرون على من يتغلّبون عليهم. بل تلك مغارم فادحة يُثقلون بها كواهلهم، ويمصّون بها خيرات بلادهم! وما نظنُّ أهل الكتاب يجهلون هذا، وكثيرٌ منهم يعرفون الكتاب كما يعرفون أبناءهم، ولكنّه تهاون المسلمين وانتهاكهم لحرمات الله ورسوله، ثم تجرّؤ الكتابيين عليهم واعتداؤهم، جزاءً وفاقاً!

ومصدق هذا ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كيف أنتم إذا لم تجتّبوا ديناراً ولا درهماً؟! فقليل له: وكيف ترى ذلك كائناً يا أبا هريرة؟! قال: إي والذي نفس أبي هريرة بيده، عن قول الصادق المصدوق. قالوا: عمّ ذاك؟ قال: «تنتهك ذمّة الله وذمّة رسوله ﷺ، فيشدُّ الله عزّاً وجل قلوب أهل الذمة، فيمنعون ما في أيديهم»<sup>(١)</sup>.

وما رواه أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «يوشك الأمم أن تدّاعى عليكم كما تدّاعى الأكلة إلى قصعتها!» فقال قائل: «ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟! قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن!» فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «حُبُّ الدنيا

(١) رواه البخاري معلقاً (٣١٨٠) في الجزية والموادعة.



وكراهية الموت!!»<sup>(١)</sup>.

### عناية دولة الإسلام بجوار أهل الذمة

وبعد، فهل بلغ أهل الذمة عامة أن دولة الإسلام وأئمة المسلمين، عنوا بجوارهم والإحسان إليهم، عناية لم تعرفها - ولن تعرفها - دولة أخرى على وجه البسيطة ولو كانت تدين بدينهم؟!.

وهل بلغهم أن اليهود - وهم أشد الناس عداوةً للذين آمنوا - كانوا يعيشون في جوار الرسول ﷺ والمسلمين، في رَغَدٍ من العيش آمنين مطمئنين، حتى نَقَضُوا عهدهم، و نَكثُوا أيمانهم، و خانوا الله ورسوله في كل مرة، ثم أُخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين؟!.

### خليفة المسلمين يوصي بأهل الذمة وهو يودع الدنيا

وهل بلغهم أن خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه - الذي أجلى اليهود من جزيرة العرب إلى الشام تنفيذاً لوصية النبي ﷺ - أوصى وشدّد في الوصية بإحسان الجوار لأهل الذمة والرفق بهم، تنفيذاً لوصية الرسول ﷺ كذلك، و يبلغ من عنايته بهذه الوصية أن تكون منه في سكرات موته، وهو يودّع هذه الدار، ويُقبل على الله و الدار الآخرة!! وأن تكون في سلك وصيته الجامعة للخليفة بعده، بالمهاجرين الأولين، وبالأنصار الذين تبوّؤوا الدار والإيمان، في حديث رواه البخاري في آخر كتاب «الجنائز»<sup>(٢)</sup>، وبسطه في مناقب عثمان رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>!!.

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧) في كتاب الملاحم، باب تداعي الأمم على الإسلام.  
(٢) (١٣٩٢)، واقتصر في كتاب الجهاد (٣٠٥٢) على بعض الذي سقناه هنا لمناسبة الباب، ولا مانع من اختصار الحديث بقدر المناسبة (طه).  
(٣) مناقب عثمان رضي الله عنه (٣٧٠٠).

وأخيراً، هل بلغ أقباط مصر أنّ الرسول الأكرم ﷺ خصّهم من أهل الكتاب بوصيةً كريمةً بالغة؛ لأنّ لهم ذمّةً وصهراً؟!.. ذلك ما نرجو أن نفصّله بعض التفصيل في الحديث القادم إن شاء الله، ومن الله سبحانه العون والتوفيق.

\*\*\*\*\*

## الجوار في الإسلام\*

- ٣ -

٧٣- عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إنكم ستفتحون مصرَ، وهي أرضٌ يُسمَّى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإنَّ لهم ذمَّةً ورحمًا - أو قال : ذمَّةً وصِهراً - فإذا رأيت رجُلين يختصمان فيها في موضع لبنة، فاخرج منها» قال : فرأيتُ عبدَ الرحمن بن شُرْحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة، فخرجتُ منها. رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

### المفردات :

القيراط : جزء من الدينار والدرهم والأرض وغيرها. قال بعض الحُساب : القيراط في لغة اليونان حبة خرنوب، والحُساب يقسمون الأشياء أربعة وعشرين قيراطاً؛ لأنه أولُّ عدد له ثمن وربع ونصف وثُلث صحيحات. والقيراط يُذكر قديماً في بلاد العرب وغيرها، وفي البخاري : «كنت أرهاها - الغنم - على قراريط لأهل مكة»<sup>(٢)</sup>، إلا أنه في مصر أكثر ذكراً وتسمية؛ فلهذا خصَّها بتسميته صلوات الله عليه وسلامه.

ويقال : إنَّ أهل مصر كانوا يستعملون القيراط في السَّبِّ وإسماع المكروه، فيقولون : أعطيت فلاناً قراريط، يعنون : سببتهُ وأسمعتهُ ما يكره! ومردُّ هذا إلى

\* مجلة الأزهر؛ العدد العاشر، المجلد الخامس والعشرون (١٣٧٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٣) في فضائل الصحابة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب : رعي الغنم على قراريط (٢٢٦٢).

التاريخ، فإن صحّت روايته؛ فمناسبة الجمع بين الوصية بهم وتسمية القيراط، أن في القوم بذاءة، فإذا فتحتم بلادهم - وأنتم بإذن الله فاتحوها - فأحسنوا إليهم، واستوصوا بهم خيراً، ولا يجرمنكم سوء مقالهم على الإساءة إليهم.

والذمة: العهد والأمان والحرمة. وتقدّم القول في حرمة أهل الذمة في الحديث السابق.

والرَّحِم: القرابة. والصحُّر: القرابة، وحرمة الختونة، وقد صاهرهم وصاهر فيهم، وأصهر بهم وإيهم: صار فيهم صهراً<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*\*

### قبط مصر وصلتهم بالإسلام

وقبطُ مصرَ يمتُّون للمسلمين ونبيِّ المسلمين صلوات الله عليه وسلامه بسببين عظيمين - ولهم بذلك شرفٌ أيُّ شرفٍ - بأجر - أو هاجر - أمُّ أبي العرب إسماعيل عليه السلام، وهي التي أهداها جبار مصر إلى سارة لما عصمها الله منه، فوهبتها للخليل صلوات الله عليه، في حديثٍ طويلٍ..<sup>(٢)</sup>

(١) كما في «القاموس المحيط». وقال ابن الأثير في «النهاية» ٣: ٦٣: «الصحُّر: حرمة التزويج. والفرق بينه وبين النسب: أن النسب ما رجَّع إلى ولادة قريبةٍ من جهة الآباء، والصحُّر ما كان من خلطةٍ تُشبه القرابة يُحدثها التزويج».

(٢) أخرجه أحمد ٢: ٤٠٤ (٩٢٤١)، والبخاري (٢٢١٧) (٢٦٣٥)، والنسائي (٨٣١٦)، وهو حديث طويل كما ذكر المؤلف، إلا أنه لم يرد فيه ذكر هبتها لإبراهيم عليه السلام، على أن الهبة ذكرها ابن حجر في «الفتح» ١٢: ٣٩٥ في معرض شرحه حديث رؤيا إبراهيم في كتاب التعبير.

٥٩٧

ثُمَّ بِمَارِيَةِ الْقِبْطِيَّةِ، أُمَّ إِبْرَاهِيمَ - وَلِدِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ عَلَيْهِمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ - أَهْدَاهَا إِلَيْهِ نَائِبُ مَلِكِ الرُّومِ وَحَاكِمُ مِصْرَ فِي هُدَايَا أُخْرَى عَظِيمَةٍ.. وَذَلِكَ لَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِ ﷺ رَسُولَهُ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، كَمَا كَانَ يَدْعُو مَلُوكَ الدُّنْيَا وَعِظَمَاءَهَا فِي صَلْحِ الْحَدِيثِيِّةِ.. فَقَالَ الْحَاكِمُ خَيْرًا، وَقَارِبَ الْأَمْرِ وَلَمْ يَسْلَمْ، وَكَانَ يَعْلَمُ مِنْ نَعْتِهِ فِي الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ أَنَّهُ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ، فَتَوَدَّدَ إِلَيْهِ بِإِهْدَائِهِ وَإِكْرَامِ رَسُولِهِ حَاطِبَ، وَقَدْ عَرَضَ حَاطِبُ الْإِسْلَامَ عَلَى مَارِيَةَ فَأَسْلَمَتْ فِي طَرِيقِهَا، وَأَكْرَمَهَا النَّبِيُّ ﷺ إِكْرَامًا عَظِيمًا وَأَكْرَمَهَا الْخَلِيفَتَانِ بَعْدَهُ، وَرَعِيََا حَرَمَتَهَا حَقًّا رِعَايَتَهَا، إِلَى أَنْ جَاوَزَتْ رَبَّهَا فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرَ سِتَّةَ عَشْرَةَ، فَحَشَرَ النَّاسَ لِيَشْهَدُوا جَنَازَتَهَا، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا وَدَفَنَهَا بِالْبَقِيعِ..

تراجم الصحابة المذكورين في الحديث

والمذكورون في هذا الحديث جميعاً من أصحاب رسول الله ﷺ:

فَأَمَّا أَبُو ذَرِّ الْغِفَارِيِّ (وَأَسْمُهُ جُنْدُبٌ) فَهُوَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، رَابِعُ الْإِسْلَامِ أَوْ خَامِسُهُ، أَوَّلُ مَنْ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ بِجَوَارِ الْكَعْبَةِ.. فَأَكْبَتَ عَلَيْهِ قَرِيشٌ يَضْرِبُونَهُ حَتَّى كَادُوا يَقْتُلُونَهُ، أَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً بِشَهَادَةِ الرَّسُولِ ﷺ<sup>(١)</sup>، وَكَانَ مِنَ الْمُبْرِزِينَ فِي الزَّهْدِ، ذَاهِبًا إِلَى أَنْ مَا زَادَ عَلَى الْحَاجَةِ مِنْ مَالٍ فَهُوَ كَنْزٌ، وَحَاوَلَ أَنْ يَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى زَهْدِهِ هَذَا، فَشَكَاهُ مَعَاوِيَةُ إِلَى عُثْمَانَ - وَكَانَ بِالشَّامِ حَيْثُذُ - فَاسْتَقْدَمَهُ عُثْمَانُ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَيْهِ بِأَنْ يَسْكُنَ الرَّبْدَةَ بِالْقَرْبِ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى جَاوَرَ رَبَّهُ سِتَّةَ أَثْنَتِينَ وَثَلَاثِينَ.

(١) أخرج الترمذي (٣٨٠١)، وابن ماجه (١٥٦) من حديث عبد الله بن عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء من رجلٍ أصدق لهجة من أبي ذر ». والحديث قويٌّ بشواهده.

وصلى عليه عبد الله بن مسعود، وكان مُقبِلاً من المدينة إلى الكوفة، فلَمَّا دُعِيَ إِلَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِ، بَكَى طَوِيلًا، وَقَالَ: أَخِي وَخَلِيلِي، عَاشَ وَحْدَهُ، وَمَاتَ وَحْدَهُ، وَيَبِعثُ وَحْدَهُ، طَوْبِي لَهُ (١).

وَأَمَّا شُرْحُبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ فَهُوَ مِنْ مَهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ، وَحَسَنَةُ أُمُّهُ، وَلَهَا صَحْبَةٌ وَهَجَرَةٌ مَعَ أَبِيهَا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ كَذَلِكَ..

وَأَمَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَرَبِيعَةَ، فَهُمَا أَخْوَانُ شَقِيقَانِ، ابْنَا شُرْحُبِيلِ بْنِ حَسَنَةَ، وَكِلَاهُمَا شَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ مَعَ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَمَا يَشْهَدُ بِذَلِكَ هَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ، وَكَمَا نَقَلَ السِّيُوطِيُّ جَازِمًا فِي «حُسْنِ الْمَحَاضِرَةِ» (٢).

وَأَمَّا شُرْحُبِيلُ فَقِيلَ: إِنَّهُ شَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ مَعَ وَلَدِيهِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ أَحَدُ أَمْرَاءِ أَجْنَادِ الشَّامِ، وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ، أَيْ قَبْلَ فَتْحِ مِصْرَ بِنَحْوِ عَامَيْنِ..

### معرفة ﷺ بطبائع البشر وسياسة الأفراد والأمم

واختصاصُ النَّبِيِّ ﷺ أبا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَمْرِهِ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حِينَمَا يَرَى رَجُلَيْنِ مُتَنَازِعَيْنِ فِي مَوْضِعٍ لَبَنَةٍ (٣) مِنْهَا؛ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى عِرَاقَتِهِ صَلَوَاتِ

(١) إسناده ضعيف، لضعف بُريدة بن سفيان، فقد ضعفه البخاري والنسائي.. وذكره الحافظ في «الإصابة» ٧: ١٠٩ عن ابن إسحاق، وضعف سنده.

(٢) ذكر السيوطي رحمه الله في «حُسْنِ الْمَحَاضِرَةِ» ١: ١٩٧ (٩٥) ربيعة بن شرحبيل بن حسنة، ثم ١: ٢١٦ (١٦٩) أخاه عبد الرحمن، ونقل في ترجمة عبد الرحمن عن «التجريد» للذهبي ١: ٣٤٩ (٣٧٠٢) قوله: «له رواية وشهد فتح مصر». وهذا تحريف صوابه: له رؤية، هكذا في «التجريد»، وهو مقتضى صنيع الحافظ في «الإصابة» إذ ذكره في القسم الثاني، ومثله حال أخيه ربيعة، فإنَّ الحافظ ترجمه في القسم الثاني أيضاً.

(٣) اللَّبَنَةُ مِثْلُ كَلِمَةِ، مَا يُعْمَلُ مِنَ الطِّينِ وَيُنَى بِهِ.

٥٩٩

الله عليه وسلامه، في أصول التربية الإلهية، والسياسة النفسية، والعلم المُلهم بطبائع البشر، وسياسة الأفراد والأمم، وتأدية رسالات الله على خير وجهها وأكمله..

ذلك بأنه يعلم أن أبا ذر رضي الله عنه، ذلك العريق في الزهد، الحادُّ الدعوة، الحارُّ الإيمان واللهجة، لن يطيق أن يرى الناس يبنون ما لا يسكنون، ويجمعون ما لا يأكلون، وهو ساكت!! إذاً فلا بد أن يثور، ولا بد أن يفرق مال الله في عباد الله - وقد فعلها غير مرة - ولن يطيق الناس ثورته الصادقة تلك..

أرأيت الذي يصرخ بالشهادتين في آذان المشركين لا يباليهم، والمسلمون حينئذ بضع أنفُس، فما كان من المشركين إلا أن قاموا فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكبَّ عليه، فقال: ويلكم! أستم تعلمون أنه من غفار، وأنَّ طريق تجارتكم إلى الشام عليهم، فأنقذه منهم.. ثم عاد من الغد إلى مثلها فضربوه، وثاروا إليه، فأكبَّ العباسُ عليه فأنقذه.. فقال له رسول الله ﷺ: «هل أنت مُبلغ عني قومك، عسى الله أن ينفَعَهُم بك، ويأجرك فيهم»، فعاد فأسلم أخوه أنيس وأمهما، وأتوا قومهم فأسلم نصفهم.. ثم أسلم باقيهم حينما قدم النبي ﷺ المدينة.. في حديثٍ طويلٍ مُعجَب<sup>(١)</sup>!!

ألا إنَّ خيراً لأبي ذر رضي الله عنه، ومَن كان مثله في صدق لهجته، وعميق إيمانه وزهده - ولن يكونه - أن يعتزل الناس، فيعيش وحده، ويموت وحده<sup>(٢)</sup>.. وبهذا أمره الصادق المصدوق صلوات الله عليه وسلامه<sup>(٣)</sup>، ليريح

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧٣) في فضائل الصحابة، وأحمد ٥: ١٧٥ (٢١٥٢٥) على شرط مسلم.

(٢) اقتباس من حديث تقدّمت الإشارة إلى ضعفه ص ٥٩٨.

(٣) أمره ﷺ بترك الإمارة، وقال له - مع قوة أبي ذر في بدنه وشجاعته -: « يا أبا ذر إني

=

٦٠٠

ويستريح ، ويحمي نفسه التي أمره الله بإسماكها ، أن تشتعل بحرارة الإيمان فتحرقه !.

ثم تأدب معاوية وذو النورين صهر النبي ﷺ بأدبه ، وصنعا معه ما يجمل به ، فحماه الأول من الناس ، وحمى الناس من شعلة إيمانه المتقد ، وأعاشه الآخر وحده رحمةً به وإشفاقاً عليه !!.

### من آيات النبوة

بعد هذا التمهيد الطويل الذي اضطررنا إليه - ولم نجد بداً منه - يرى الناظر في هذا الحديث - يسرٍ وسهولة - آياتٍ من آي النبوة ، في بشارة عظيمة ، ووصاة نبوية كريمة ، أشرنا إليها في ختام الحديث السابق :

فأما آيات النبوة فإنها تتجلى في إنبائه ﷺ أمته بفتح مصر ، وإنبائه أبا ذر رضي الله عنه ، بأنه سيرى رجلين يختصمان في شبر من أرضهما ، وأمره حينئذ أن يخرج منها خشية أن تمتد ثورته ، فتكون فتنة ، وقد تحقق ذلك كله ، ورآه أبو ذر وغيره رأي العين.. وذلك لا يتصور البتة إلا بوحي من العليم الخبير عز وجل . وما أشبهه بما أنزل على النبي ﷺ في أمر الروم ، من أنهم سيغلبون في بضع سنين ، بعد أن غلبوا في أدنى الأرض<sup>(١)</sup> ، ولا يفرق بين الوحيين إلا أن ذاك وحي غير متلو ، وهذا وحي وقرآن يتلى .

أراك ضعيفاً ، وإني أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي ، لا تأمرن على اثنين ، ولا تؤكّن مال يتيم .  
أخرجه مسلم (١٨٢٦) في الإمارة . قال الذهبي في «السير» ٢ : ٧٥ : «فهذا محمولٌ على ضعف الرأي ، فإنه لو ولي مال يتيم ، لأنفقه كله في سبيل الخير ، ولترك اليتيم فقيراً . فقد كان لا يستحب ادّخار التّقددين . والذي يتأمر على الناس ، يريد أن يكون فيه حِلْمٌ ومدارة ، وأبو ذر رضي الله عنه ، كانت فيه حدة ، فنصح النبي ﷺ» .

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الروم : ﴿عَلَيْتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ

عَلَيْهِمْ سَيَقْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴿٣﴾ .



٦٠١

وقد صدق الله نبيّه، وأرى أمته ما أنبأهم به في عهد أمير المؤمنين عمر، على يد الصحابي الهمام، والقائد المقدم عمرو، عليهما رضوان الله عزّ وجلّ.

### بشارة للمسلمين والقبط

وأما هذه البشارة العظيمة فإنّها تتجلّى في هذا الإنباء بالغيب، إذ يعدّ النبيُّ ﷺ صحابته وأمته بهذا الفتح.. ونخطئ خطأ عظيماً، في حقّ النبيِّ ﷺ إذا قَصَرْنَا البشارة على المسلمين وحدهم، بل نخطئ خطأ عظيماً في حقّ التاريخ نفسه، فإنّها - وإيم الحق - بشارة عامة، للمسلمين والقبط، مَنْ سَعَدَ منهم بالإسلام ومن لم يسعد به.

فأمّا الذين سَعَدُوا بالإسلام وآمنوا، وكانوا يَتَّقُونَ، فلهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿لَا بُدَّ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

وأما الذين لم يُسَعَدُوا بالإسلام، فلهم البشري في الدنيا فقط، إذ أنجاهم الله على أيدي الهداة العادلين، الذين وعدهم الله لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ، من أولئك الطّغاة الجائرين، الذين فرّقوهم أحزاباً وشيعاً، وساموهم سوء العذاب، من أكاسِرَةِ العجم، وقياصرة الرُّوم، ونوآبهم في مصر.

### القبط بين الروم والفرس

كانت مصر قبل الفتح الإسلامي في طريق الهلاك والدّمار، لا يُنْجِيها منه شيءٌ، فأعلاها: مهرجان لعصابات اللصوص، وقطاع الطريق، والغزاة من بلاد النوبة والبدو، وأسفلها: ميدان للشعّب ومُلتقى للفتن والثورات من كلِّ فجٍّ، ولا همّ لحكامها إلاّ جمع المال لخزائن الملوك ومن إليهم..

(١) اقتباس من الآية ٦٤ من سورة يونس.

وكانت إذا انتقلت من حكم الفرس إلى حكم الروم، فكأنما رُفِعَ عنها التعذيب بالسيّاط، ليحلَّ بها تعذيبٌ آخر من لَسَعِ العقارب على حدِّ تعبير «بتلر» الإنجليزي، صاحب «فتح العرب لمصر».

هذا إلى إكراه في دينهم ومذاهبهم، وتحويلهم - مُرغمين - إلى نِحْلِ يكرهونها أشدَّ الكُره، ومذاهبَ يُبغضونها أشدَّ البغض، وفي ظلِّ من التنكيل والتعذيب والعسف.

### القبط في جوار الإسلام

فلما جاء نصر الله والفتح، أنقذهم الله من هذا البلاء العظيم والجور، ومتَّعهم الإسلام الذي لا إكراه فيه، بظله وجواره، في نظامٍ كريم من الأمن يكفلُ حرية الحياة والملِك والعقيدة والثروة، ممَّا لا يمكن أن يحلموا به في غير الإسلام وجواره..

### قبط يُعجبون بالإسلام فيدخلون فيه

ولقد أسلمَ كثيرٌ من أولئك المُعجبين بالإسلام وفضائله ممثلة في المسلمين الصَّادقين، إسلاماً حقاً لا نفاق فيه، ولا تقيَّة معه، وإلا فماذا كان يمنعهم أن يظلُّوا على مسيحيَّتهم، وليس هناك من يُكرههم على تركها، ولو كان إمام المسلمين نفسه؟! وليس لهم مَعْنَمٌ في ترك المسيحيَّة إلى الإسلام بعد أن علمَ الكافَّة - فيما قدَّمنا في الأحاديث السَّابقة - أنَّ عبءَ الجزية المُقدَّرة على الذميين، أيسرُ من عبءِ الزكاة المفروضة على المسلمين.

بل مَنْ ذا الذي يُجبرهم على الإسلام، ونبيُّ الإسلام يُوصي بأهل الذمَّة عامة - والقبط خاصَّة - خيراً وحسناً؛ لأنَّ لهم فوق الذمَّة والعهد رَحِمًا أمرَ الله بها أن تُوصَلَ، وَصِهْرًا أمرَ الله به أن يُجَلَّ ويُكْرَم؟! وهو صلوات الله عليه وسلامه أوصلُ النَّاسِ لِلرَّحِمِ وإن قُطِعَتْ، وأحفظُ النَّاسِ لِلْمُصَاهِرَةِ وإن بَعُدَتْ، ولا يرضى عن أمته إلاَّ أن يكون لهم فيه أسوة حسنة؟!.

٦٠٣

### بين الفتوحات الإسلامية والفتوحات الأخرى

ألا إنَّ الفتوحات الإسلامية - وإنَّ حَادَتْ في القليل النادر عن طريقها المستقيم - خيرٌ مقاماً وأحسَنُ ودّاً وعهداً، من الفتوحات الأخرى، وإن تراءتْ في القليل النادر أنها أَوْسَعُ حُرِيَّةً، وأعظمُ مدنيَّةً، وما هي إلا السُّمُّ النَّافِعُ، والداءُ العُضَالُ..

بهذا شَهِدَ الْمُتَصِفُونَ من المؤرِّخين والباحثين من غير المسلمين، وعليهم عولنا فيما كتبنا من موازنةٍ بين الفريقين، واللهُ يقولُ الحقَّ، ويهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*\*

(١) من أهم مراجعنا في هذا الحديث بعد الصحيحين وشروحهما:

١ - حُسْنُ الْمُحَاضَرَةِ، للسيوطي.

٢ - الرسالة الخالدة، للدكتور عبد الرحمن عزام.

٣ - فتح العرب لمصر، للدكتور بتلر، ترجمة الأستاذ محمد فريد أبو حديد (طه).

## وَصِيَّةٌ نَبَوِيَّةٌ \*

٧٤- عن عبد الرحمن بن سمرّة رضي الله عنه قال : قال لي النبي ﷺ : « يا عبد الرحمن بن سمرّة، لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أُوتيتها عن مسألة وكُلتَ إليها، وإن أُوتيتها من غير مسألة أعنتَ عليها. وإذا حَلَفْتَ على يمين، فرأيتَ غيرها خيراً منها، فكفّر عن يمينك، وأتِ الذي هو خيرٌ». رواه الشيخان<sup>(١)</sup>.

عبد الرحمن بن سمرّة

عبد الرحمن بن سمرّة رضي الله عنه، أحدُ القادة الفاتحين، والولادة المحنّكين، الذين أبلوا في الإسلام بلاءً حسناً. هو قرشيٌّ عبّشميٌّ، يقال: كان اسمه الجاهلية عبد كلال، أو عبد الكعبة، فغيّره النبيُّ صلى الله عليه وسلم. أسلم يوم الفتح، وشهد غزوة تبوك، وافتتح سجستان وكابل وغيرها في خلافة عثمان رضي الله عنه.

حكيمته ﷺ في وصاية أصحابه

رأى فيه النبي ﷺ رغبةً في الإمارة وتطلّعاً إليها، وكان من سنّته صلوات الله وسلامه عليه، أن يُوصي كلَّ امرئٍ بما يتوسّم فيه أو يصلح له، فحذّره أن يسألها، أو أن يسعى لها؛ لأنَّ أمرها خطير، وحسابها عسير، وعبئها شاقٌّ لا يحتمله إلا مَنْ يسرها الله له، وأعانها عليها، فأدّى أمانتها، وقام بحقّها، وإنه وإيّم الله عظيمٌ.

\* مجلة الأزهر، العدد الخامس، المجلد السابع عشر (١٣٦٥ = ١٩٤٦).

(١) أخرجه البخاري (٦٦٢٢) في الأيمان والنذور، ومسلم (١٦٥٢) في الأيمان.

٦٠٥

## من أمارات توفيق الله في الإمارة

ثم بيّن له أن من أمارات توفيق الله لها، وإعانتته عليها، أن تحيء إليه مُنقادةً ذلواً، غير حريص عليها ولا مُتشبّث بها؛ وإذا يقيم حقّ الله فيها، لا يخاف إلا ذنبه، ولا يرجو إلا ربّه، ولا يبالي أغضب الناس أم رضوا؛ لأنّ عليه من الله حافظاً، وله منه ولياً ونصيراً؛ ولأنّه لا يندم عليها إن أدبرت، كما لم يحفل بها حين أقبلت.

## من علامات الإخفاق في الإمارة

كما بيّن له أن من علامات الإخفاق فيها، أن يحرص عليها راغبها حتى تكون شغلُهُ الشاغل، وجُهدُهُ الدائب؛ وإذا فهو يفتديها بنفسه ونفيسه، وقد يشتريها بدينه وعرضه.

وجديرٌ بمثل هذا أن يتخلّى الله عنه، وأن يكَلِّه إليها، حتى تكون وبّالاً عليه في الدنيا، ونكالاً عليه في الآخرة.

## سياسة الرسول ﷺ ألاّ يُؤلّي الإمارة من يحرص عليها

لهذا كان من هديهِ ﷺ ألاّ يُؤلّي العمل من يسأله أو يحرص عليه. وذلك من السياسة الرشيدة؛ لأنّ من اشتهى شيئاً، وجدّ في طلبه يصرف همته إليه لا محالة، ويعمى أو يتعمى عن طريق الرُّشد والمصلحة، فلا يصاحبه توفيق، ولا تُؤازره كفاية، وفي الأثر: «حبُّك الشيء يُعمي ويُصم»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أبو داود مرفوعاً وموقوفاً برقم (٥١٣٠)، ولم يصب من حكم عليه بالوضع. وانظر: «كشف الخفاء» [١: ٣٤٣] (طه). والحديث رواه أحمد مرفوعاً ٥: ١٩٤ (٢١٦٩٤) من حديث أبي الدرداء، وإسناده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم، وأورده السيوطي في «الدرر المنتشرة» (١٨٦) وقال: الوقف أشبه. والحديث صحيح موقوفاً. وقد أخرجه موقوفاً البخاري في «التاريخ» ٢: ١٠٧ والبيهقي في «الشعب» (٤١٢)، وإسناده صحيح.

## القضاء والوصاية

ومثل الإمارة في ذلك: القضاء والوصاية وما إليها، من كل ما فيه هيمنة وحكم، وتولية وعزل، وكان صلوات الله وسلامه عليه يحذّر أصحابه، ولا سيما الضعفاء منهم، أن يطلبوها؛ رحمةً بهم أن يتورطوا في سوء مغبتها، ووخيم عاقبتها.

## متى يجوز طلب الإمارة؟

وإنما يكره طلب الإمارة وما إليها ما لم تتعین على ذي الكفاية، ولم يكن هناك من يقوم مقامه أو يملأ فراغه، وإلاّ جاز له طلبها والسعي إليها، بل كان واجباً عليه محتوماً؛ إحقاقاً للحق وإقراراً للعدل.

وقد رغب يوسف الصديق عليه السلام إلى ملك مصر أن يولّيه خزائنها، وزكّى نفسه بما هو حق: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾<sup>(١)</sup>؛ لأنه لم يجد أحداً سواه يقوم على خزائن الدولة بالحفظ والعلم، والتدبير والقسط؛ ولهذا أجابه الملك إذ تبين صدق مقالته، وعظيم كفايته، فسلم إليه مقاليد الأمور، وشؤون الملك.

## امتناع كثير من السلف عن القضاء

فأما من وجد غيره أهلاً لأن يقوم بهذا العبء، فلا عليه أن يتخلى عنه، وإن طلب منه. ومن أجل هذا نعدّر كثيراً من الأئمة رضي الله عنهم حملوا على القضاء، وأودوا في سبيله، ولكنهم اتقوا الفتنة، وبالغوا في المخافة، حتى آثروا الجلد والسجن والموت فيه أحياناً، على هذا المنصب الذي يخشون الزلل فيه.

ولقد كنّا نودُّ - ونحن نعذرهم ونجلُّهم - أن يتقبّلوا هذه الولاية إذ جاءتهم

(١) سورة يوسف: ٥٥.

٦٠٧

عن غير مسألة؛ ليكونوا مثلاً تُحتذى في القضاة المقسطين، اللهم إلا أن يكون لهم من العذر ما لم نُحط به خُبراً، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

### طريق التحلل من يمين يحول دون الخير

ولمّا كان الشَّغْفُ بالإمارة أو الزهد فيها، ممّا يدعو المرء أحياناً إلى الحلف ليطلبنّها إذا فاتته، أو ليمتنعن عنها إذا جاءته، أو صاه ﷺ في وصية حكيمة جامعة، بأنه إذا حلف على شيء، فظهر له غيره خيراً منه، فليكفر عن يمينه، وليفعل الذي هو خير؛ فإن لليمين مخرجاً وهو الكفارة، وأما الخير فقد يفوت ولا عوض له.

### قصة الرَّهْطِ الأشعريين

ومن هذا القبيل ما رواه الشيخان من قصة أبي موسى، إذ جاء إلى النبي ﷺ في رهط من الأشعريين يستحملونه في غزوة تبوك، في ساعة العسرة، فقال: «والله لا أحملكم، ولا أجد ما أحملكم عليه». فما لبثوا أن دعاهم النبي ﷺ وقد وافته غنيمَةٌ من إبل، فأعطاهم ستة أبعرة غر الذرا<sup>(٢)</sup>، فخشوا أن يكونوا تغفلوا النبي ﷺ يمينه، فقالوا له: استحملناك فحلقت ألاًّ تحملنا، ثم حملتنا، أفنسيت يا رسول الله؟ قال: «انطلقوا فإنّما حملكم الله، إني والله - إن شاء الله - لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها، إلا أتيت الذي هو خير، وتحللتها»<sup>(٣)</sup>.

(١) اقتباس من الآية ٧٦ من سورة يوسف.

(٢) ذروة كل شيء أعلاه، والمعنى: أنها بيض الأستة، وفي بعض الروايات - مسلم (١٦٤٩) -: أنه اشتراها من سعد. والتوفيق بينهما: أنه قَسَمَ الغنائم، ثم ابتاع نصيب سعد ليحملهم عليه. هذا والقصة مبسطة ميسورة في كتاب الأيمان وغيره من الصحيحين (طه).

(٣) أخرجه البخاري (٧٥٥٥)، ومسلم (١٦٤٩).

أيُّ الأمرين يُقدِّمُ : التكفير أم فعل ما هو خير؟  
وللفقهاء هنا بحثٌ طويلٌ في أيِّ الأمرين يُقدِّمُ : آلتكفير - كما يُؤخذ من  
رواية عبد الرحمن - أم فعل ما هو خير - كما يُؤخذ من رواية أبي موسى -؟.

وقد كفانا الإمام النووي المؤنة إذ جمع أطراف المسألة رحمه الله، فقال:  
«أجمعوا على أنه لا تجب على الحالف الكفارة قبل الحنث، وعلى أنه يجوز  
تأخيرها عن الحنث، وعلى أنه لا يجوز تقديمها على اليمين.

واختلفوا في جوازها بعد اليمين وقبل الحنث، فجوزها مالك والأوزاعي  
والثوري والشافعي وأربعة عشر صحابياً وجماعاتٌ من التابعين، وهو قول  
جماهير العلماء، ولكن قالوا: يُستحبُّ كونها بعد الحنث. واستثنى الشافعي  
التكفير بالصوم، فقال: لا يجوز قبل الحنث؛ لأنه عبادة بدنية، فلا يجوز  
تقديمها على وقتها كالصلاة والصوم.

وقال أبو حنيفة وأصحابه وأشهب المالكي: لا يجوز تقديم الكفارة على  
الحنث بكلِّ حال. ودليلُ الجمهور ظواهر الأحاديث، والقياس على تعجيل  
الزكاة»<sup>(١)</sup>.

وإذا جاز لنا أن نقرب شقة الخلاف ذهبنا إلى ما ذهب إليه ابن القيم رحمه  
الله من تخير الحالف: إن شاء قدم الكفارة على الحنث، وإن شاء أخرها.  
فالتقديم والتأخير كلاهما في روايات الصحيحين، وهي تقتضي عدم الترتيب.  
فالأمرُ واسعٌ، ولا حرج فيه.

والذي يقصد إليه صاحبُ الشرع صلوات الله وسلامه عليه ألا يتنطع مُتنطعٌ  
بدرت منه يمينٌ، فيجعلها حائلاً دون البرِّ والتقى والإصلاح بين الناس. وأما  
طريق التحلل منها فسهلٌ يسيرٌ.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١١: ١٠٩.



سبب إيجاز المؤلف رحمه الله في استنباط الأحكام الفقهية

وبعد: فلعلَّ في هذه الإلمامة من الأحكام الفقهية التي تُستنبط من الحديث، مَقْنَعاً لأفاضل القُرَّاء الذين يرغبون إلينا أن نسط الأحكام الشرعية في باب السنة، ونتوسَّع فيها إلى أمدٍ بعيدٍ؛ وعُذْرُنَا إليهم في الإيجاز أنَّ الأحكام مبسوطة في كتبها، ميسورة لراغبيها.

وأكبر العلم أنَّ من توسَّع في الأحكام قصرَّ في نواحٍ مهمة من الأخلاق والآداب، والسياسة والاجتماع، ممَّا يجدر بخَلْفِ هذه الأمة أن يثيروها من كنوز السنة كما أثار سلفهم من قبل ثروتها الواسعة في الفقه والأحكام.

\*\*\*\*\*

## تَخِيرُ الْعَامِلِينَ \*

٧٥- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمِّي ، فقال أحد الرجلين : يا رسول الله أمرنا على بعض ما ولأك الله عزَّ وجل ، وقال الآخر مثل ذلك ؛ فقال : «إِنَّا، والله ، لا نولِّي على هذا العمل أحداً سأله ، ولا أحداً حرص عليه»<sup>(١)</sup> .

٧٦- وعن أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنه أَنَّ رجلاً من الأنصار خلا برسول الله ﷺ ، فقال : ألا تستعلمني كما استعملت فلاناً؟ فقال : «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بعدي أثره ، فَاصْبِرُوا حتى تَلْقَوْنِي على الحَوْضِ». رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم<sup>(٢)</sup> .

### سياسته ﷺ في تَخِيرِ عُمَّالِهِ

عرضنا في حديث سابق لهدي النبي ﷺ في تقدير الأكفاء من صحابته<sup>(٣)</sup> ، والاستعانة بهم على بناء أمة قوية رشيدة ، جديرة بأن تكون خيراً من أمم الأرض جميعاً - موضع القدوة والإمامة - مصداقاً لقول بارئها جل ثناؤه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾<sup>(٤)</sup> .

ونعرض في هذين الحديثين لهديه صلوات الله وسلامه عليه ، وحُسن

\* مجلة الأزهر ، العدد الخامس ، المجلد الرابع والعشرون (١٣٧٢) .

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٩) في كتاب الأحكام ، ومسلم (١٧٣٣) في الإمارة .

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٩٢) في مناقب الأنصار ، ومسلم (١٨٤٥) في الإمارة .

(٣) انظر : حديث حقوق الأَكْفَاء ص ٨٩٩ .

(٤) سورة آل عمران : ١١٠ .

٦١١

سياسته في تخيير عمّاله، وتوجيه كل منهم إلى الوجهة التي أعدّها الله لها، والانتفاع بالموهبة التي مازّه الله بها، وكلّ مسرّاً لما خلّق له.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>. فهو صلواتُ الله وسلامُهُ عليه - بشهادة ربّه - معلّمُ أمته الأول، وإمامها الأمثل، وقائدها الأعلى، وأسوتها الحسنّة، في كلّ ما جاءت به شريعته الباقية الدائمة، وما دعت إليه رسالته العامة الخالدة: من إقامة دينهم، وولاية أمرهم، وسياسة دولتهم، ورعاية مصالحهم، في الحضر والسفر، والسلم والحرب ...

#### أوفى الناس من الفضائل والمكارم

لا جرّم أنّ هذه أعباء جسام، وشؤون عظام، لا بدّ أن يعاون الإمام الأعظم فيها ولاةٌ وأمراء وقواد وعمّال، وقضاةٌ وهداة؛ يمثلونه في حفظ الدين وسياسة الدنيا العامة، وفيما وسّد إلى كلّ منهم خاصّة.

ولئن قضى ربك أن يجعل عباده درجات، وأن يقسم بينهم الكفايات، فقد قضى - بشهادة المعصوم عليه السلام - أن يكون أصحابه أوفى الناس من الفضائل والمكارم حظاً، وأعظمهم سداداً ورشداً، كما هدى خاتم النبيين، لفضائل الرسل السابقين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِهْ﴾<sup>(٢)</sup>

معرفة عليه السلام بأصحابه

وكان صلوات الله وسلامه عليه أدرى الناس بأصحابه، وأعلمهم بما يصلح

(١) سورة آل عمران: ١٦٤.

(٢) اقتباس من الآية ٩٠ من سورة الأنعام.

٦١٢

له كلُّ منهم، وبما يجدرُ به أن يتولاه ويُحسن البلاء فيه.

فَرُبَّ شيخٍ وقورٍ يصومُ النهارَ ويقومُ الليلَ، ويُسْتَسْقَى بوجهه الغمامَ، لا رأيَ له في الحرب.

ورُبَّ فتىٍّ مُحَنِّكٍ ضِرْغَامَ، يقودُ الجيوشَ، ويخوضُ المعاركَ، وينازلُ الفرسانَ والأبطالَ، لا خِبرةَ له بإدارةِ الأموالِ وحسابِ الخراجِ.

ورُبَّ قويٍّ في الدينِ، راسخٍ في اليقينِ، لا يغني في ولايةٍ أمرٍ يسيرٍ، غناءً مَنْ هو أَقلُّ منه شأنًا، وأضعفُ منه يقينًا.

ومن هنا كانت معرفة الرجال، وتوزيع الولايات والأعمال - على ما تقتضيه المصلحة الخالصة والسياسة الراشدة - من أخصِّ صفات الأئمة الهادين، والوُلاةِ المُقسطين، وفي المقام الأول منهم أنبياء الله ورُسله؛ فقد عرّفهم الله سبحانه طبائع النفوس، وسياسة البشر، وكلَّ ما تحتاج إليه الدعوة؛ ليدعوا إلى الله على بينة وبصيرة.

### خصلتان للنجاح في الأعمال

على هذا الأساس جرت سياسته ﷺ في شؤون الدولة الإسلامية. ومن عرف أن خُلِقَ القرآن - يرضى برضاه ويسخط بسخطه، ويتأدّب بأدبه - عَلِمَ أن هديّة في الإمارة والولاية على الجيوش والبُلدان والصدقات وغيرها من مرافق الدولة، هو هديُّ القرآن الكريم نفسه، الذي يفرض أوّل ما يفرض تحقيق خُلَّتَيْنِ لا مناصَ منهما للنجاح في الأعمال وأدائها على وجهها كاملةً غير منقوصة، تانكم القوّة، والأمانة، وإن شئتم فقولوا: الحفظ، والعلم، كما قالت ابنة الشيخ الكبير<sup>(١)</sup> في شأن موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ

(١) المشهور أنه النبيُّ المرسلُ شعيب عليه السلام، وعليه أكثر المفسرين (طه).

والصحيح خلفه، انظر: التتمة الثانية ص ٩٤٩.

الْأَمِينُ ﴿١﴾ وكما قال قبلها يوسفُ الصِّدِّيقُ عليه السلام لملك مصر: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿٢﴾.

### القوة والعلم

والقويُّ على الأمر الذي يُسند إليه هو العليم به، البصير بمدخله ومخارجه، القديرُ على إحكام خطته، وإنفاذ سياسته، على مقتضى العلم والحكمة، والمصلحة العامة، وإيثار الحقِّ والعدل على نفسه وأهله والناس أجمعين.

وليس القويُّ بالفظُّ الغليظ، ولا بالمتكبر الجبار، الذي يتسلَّح بسلاح العظمة والجبروت ساعةً من نهار، ثم يلقيه مهزوماً أمام الشهوات والأهواء. ولقد رأينا رأيَ العين أن أصلب القادة عوداً، وأقوم الهداة طريقاً، أرقُّهم قلباً، وألينهم جانباً، وأولاهم بالرعيَّة حياً ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ ﴿٣﴾.

### الأمانة والحفظ

والأمين على الأمر هو الحفيظ عليه، والحريصُ على أدائه كما حُمِّل، الذي يُدرك - بإخلاصه لله عزَّ وجل، ثم بصدقه ونصحه وكياسته - ما لا يدرك الخائن بإخلاصه لنفسه، ثم بكذبه وغشِّه وشطارته ﴿٤﴾.

والإمام الأعظم ونوابه، ومن يعاونه في سياسة الدولة من بطانته وأهل

(١) سورة القصص: ٢٦.

(٢) سورة يوسف: ٥٥.

(٣) اقتباس الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.

(٤) شطر فلان على أهله من بابي قتل وظرف: ترك موافقتهم وأعيامهم لؤماً وخُبئاً (طه).

مشورته، أحوجُ الناس إلى التخلُّق بالقوة والأمانة، والحفظ والعلم، والتطبُّع بها حتى تكون منهم بمنزلة الخليقة الثابتة، والسَّجِيَّة المتأصِّلة، وإلَّا فخيرٌ لهم أن يتنحَّوا عن سياسة الأمة طائعين، قبل أن ينحِّيهم الأقوياء والأمناء يوماً مكرهين مدحورين.

### عدم تولية العمل أحداً سألَه

ومن دقاتك السياسة النبويَّة التي يَجْحَدُها أو يجهلها من لا يقدرُ النبيَّ ﷺ قدره، إلَّا يولِّيَ العمل أحداً سألَه أو حرص عليه، ولا سيما إن كان من يغني غنَاءَهُ كفايَةً ورُشْداً، بله من يفضُّله ويزيد عليه. وذوو الكفايات في العهد النبوي أكثر من أن يحصيهم العد.

### اختلاف موقفه ﷺ من السائلين الإمارة

ومن هذه الدقائق التي تطالع الناظر في السنة النبوية، أنه صلوات الله وسلامه عليه إن أنس من السائل رفقاً ولطفاً، وكان في سؤاله أقرب إلى العرض والاستشارة، تلطَّف في إجابته، وبيَّن له وجه المعذرة في الرد؛ وإن أنس منه إلحافاً وحرصاً اقتصر على إجابته بمجرد الرد؛ ليعلمه أن الحفيَّ بالسؤال والحريصَ على الأمر قلماً يواتيه التوفيق والرُّشد، وأن من آتاه الله الإمارة عن غير مسألة أعانه عليها، ومن آتاه الإمارة عن مسألة وطلبٍ وكلَّه إليها، ومن وكلَّه الله إلى غيره فالويل له!

وما قصَّةُ أبي موسى الأشعري، وأسيد بن حضير الأنصاري إلاَّ شاهدان من الشواهد التي لا تُحصى على صدق هذا الهدي الحكيم النبوي:

قدم على أبي موسى رجلاً من أبناء عمومته الأشعريين، فقالوا: انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإنَّ لنا إليه حاجة، ولم يُخبراه ما هي؟ ولم يسألهما عنها. وما إن ذهب بهما إليه صلوات الله وسلامه عليه حتى سألاه أن يؤمِّرهما على بعض البلدان التي جعلها الله تحت يده، فقال النبيُّ ﷺ: «ما تقول يا أبا موسى أو يا

٦١٥

عبد الله بن قيس؟» كأنه يلومه في أمرهما، فاعتذر له أبو موسى مُقسماً بمن بعثه بالحقّ إنهما لم يُطلعا على ما في أنفسهما، فقبل عذره وصدّقه، وقال لهما: «إنّا لن نستعمل على عملنا منّ أراد، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى»<sup>(١)</sup>.

فبعثه على اليمن، ثمّ أتبعه معاذ بن جبل، فكان كلاّ منهما على عمل مُستقلّ، وكانا يتزاوران ويتعاونان، ويتذاكران قيام الليل ...

ولم يولّ هذين الأشعريّين عملاً حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى صلوات الله عليه. وكذلك الحرص على الأمر مع الإصرار عليه لا يزيد طالبه إلاّ بُعداً عنه.

فلقد كان خيراً منهما أُسيد بن حُضَيْر رضي الله عنه، وهو نفسه الذي خلا برسول الله ﷺ، وفلان الذي يعنيه هو عمرو بن العاص رضي الله عنه، كما قال صاحب «الفتح»<sup>(٢)</sup>، وكأنه كَتَى في الموضعين، ولم يصرّح رمزاً إلى معانٍ من الآداب واللطف لا تخفى على ذي لب.

لم يكن أُسيد حريصاً على طلب الولاية ولا مُصرّاً، بل كان إلى العَرَض والاستشارة أقرب منه إلى الطلب والحرص، ولذا لم يجبه الرسول ﷺ بما أجاب به الأشعريّين، وإنّما أفهمه بلطف أنّ مصلحة المسلمين العامة - وهي مُقدّمة على المصالح الخاصة - تقتضي ألاّ يوليه العمل، لا غمطاً لحقه، ولا نقصاً بفضله، ولا إيثاراً لغيره عليه، فقد علّم الناس من هم الأنصار، ومكانهم من رسول الله ﷺ؟! وقد كان أُسيد من أفاضلهم وأسبقهم إلى الإسلام، وحسبه شرفاً أنه أحد النقباء ليلة العقبة، وأنه ممّن ثبت يوم أحد، وأن أبا بكر رضي الله عنه لم يكن يقدّم أحداً من الأنصار عليه.

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٣) في استتابة المُرتدّين، ومسلم (١٧٣٣) في الإمارة.

(٢) الفتح ٧: ١٤٧.

بيد أن الرسول ﷺ اختار عمراً لكفايته النادرة في الحرب، وعظيم بلائه ودهائه فيها، وسياسته في ولاية الأمور. وفتوحاته وبلاؤه في الإسلام أشهر من أن تُذكر.

### المزية لا تقتضي الأفضلية المطلقة

وما أجدره بشهادة عمر رضي الله عنه وقد رآه ذات مرة يمشي، فقال: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميراً.

وما كان اختياره ﷺ عمراً أو تأميره إياه على العُمَريين والسَّابِقين من أصحابه ليقدمه عليهم في الفضل، إنما هي مصلحة المسلمين فوق كل شيء. ومن القضايا الثابتة: أن المزية لا تقتضي الأفضلية<sup>(١)</sup>.

### من أعلام نبوته

ثم زاد أسيداً طمأنينةً بأن الإيثار للهوى وللحظوظ الدنيوية لن يكون في عهده ﷺ، وإنما يقع بعده حينما تفتح الدنيا، ويتنافسون فيها، وإن عليهم حينئذ أن يصبروا ويرضوا، خشية الأحداث والفتن، وسيلقونه ﷺ على حوضه المورد راضياً عنهم: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾<sup>(٢)</sup>، وإخباره ﷺ بهذا ونحوه من أعلام نبوته.

### مصلحة الأمة

هكذا كان رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون من بعده يُؤلُّون الأقوياء الأمانء شؤون الدولة، ويؤثرون مصلحة الأمة على ما سواها، لا يباليون أن يكون الأمير صغيراً وكبيراً ما دام للإمارة أهلاً، وحسبنا ما قدمنا في أسامة بن زيد رضي الله

(١) انظر ما كتبه حول هذه العبارة في التتمة الأولى ص ٩٤٧.

(٢) اقتباس من الآيتين ٨٨ - ٨٩ من سورة الشعراء.



عنهما، في الحديث السابق.

### حَزْمُ الْعُمَرَيْنِ وَوَرَعُهُمَا

غير أن العُمَرَيْنِ رضي الله عنهما، بالغاً في الحزم والورع واتقاء الشبهات، فأغلقاً في وَجْهِ الأهل والأقارب باب الولايات، حتى فتحه ذو النورين رضي الله عنه، فلمَّا عوتِبَ في ذلك أجاب بأن له في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد ولَّى أولي الكفاية من أقاربه، وبأن الخليفين بعده منعا أقاربهما في الله عز وجل، فإن طريقة الخليفين أحكم وأحزم، وطريقة ذو النورين - على شاكلته - أرفق وأرحم. أما الرسول الأكرم ﷺ فهو المؤيد المعصوم الذي لن تحوم حوله شبهة، ولن يقترب من ساحته هوى.

### خطر الحرص على الولايات والتنافس فيها، وتولية غير ذوي الكفايات

إنَّ الحرص على الولايات والتنافس فيها، وتولية غير ذوي الكفايات والأمانة، كل ذلك أدَّى إلى سَفْكَ الدماء، وهتك الأعراض، واستباحة الأموال، وظهور الفساد في البرِّ والبحر! بل أدَّى إلى قتل الكفايات وإهدارها، والطمع في رياضة الأعمال وسياسة الأمم بالرِّشَا والنفاق والدهاء والمكر!!

### متى يجب طلب الإمارة؟

وإنه ليؤذن لأولي الكفايات حيثئذٍ أن يطلبوا الإمارة، ويحرصوا عليها قَصْدًا إلى الإصلاح ما استطاعوا. بل يجب عليهم الطلب والحرص وجوباً لا رخصة فيه إذ لم يكن من ولايتهم بدٌّ. وحقُّ عليهم أن ينبهوا على أنفسهم إذا لم يُنبه عليهم أحد.

ومن هنا قال يوسف الصِّدِّيق عليه السلام لملك مصر: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَيَّ

خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴿١﴾. وربما أوحى الله إليه أن اطلب ذلك من الملك لتؤدِّي رسالتك كما أداها آباؤك من قبل، وقد جعلتُ الملكَ طَوْعَ يمينك جزاء ما اتَّقيت وصَبَّرت!

بل إنَّ حقاً محتوماً على القادرين من الأمة، وأولي الغيرة فيها والحرص عليها أن ينقذوها من الفساد والطغيان ما استطاعوا إلى الإنقاذ سبيلاً، ثم لا يمكنوا من ولايتها ورعايتها إلا قوياً أميناً حفيظاً عليها، يهديها إلى الحق، ويُبصِّرُها طريقَ الرُّشد، ويفتحُ لها أبوابَ المجدِّ والكرامة... .

### اختيار العاملين المخلصين

وعلى وليِّ الأمة الذي تختاره قائداً لها وإماماً ألاَّ يألوا جهداً في اختيار العاملين المخلصين في نُصحهِ وإعلاء كلمة الله فيها، ولن يكون إلاَّ كما وصف الفاروق رضي الله عنه إذ قال: «لا يصلح أن يليَ أمورَ الناس إلاَّ حصيْفُ العقل، وافر العلم، قليل الغرَّة»<sup>(٢)</sup>، بعيد الهمة، شديد في غير عنف، لين في غير ضعف، جواد في غير سرف، لا يخاف في الله لومة لائم».

واستشار عمر بن عبد العزيز رحمه الله بعض صفوته في قوم يستعملهم، فقال له: عليك بأهل العذر، قال: «ومن هم؟» قال: الذين إن عدلوا فهو ما رجوت، وإن قصرُوا قال الناس: اجتهد عمر.

### خيار الولاية وشرارهم

والقول الفصلُ في خيار الولاية وشرارهم، ما رواه مسلم عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «خيار أئمتكم: الذين

(١) سورة يوسف: ٥٥.

(٢) الغرَّة: الجهل والغفلة.

٦١٩

تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ<sup>(١)</sup>، وَشَرَارَ أُمَّتِكُمْ: الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ». قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تُنَابِذُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*\*

---

(١) أي: تدعون لهم ويدعون لكم.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

## الجزء من جنس العمل\*

٧٧- عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُفًّا أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ؛ وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ - أَوْ يَفْرُونَ مِنْهُ -، صَبَّ فِي أُذُنِهِ الْإِثْمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عَذِّبَ، وَكُفًّا أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ».

رواه البخاري<sup>(١)</sup>

### المفردات :

تَحَلَّمَ: تَكَلَّفَ الْحُلْمَ وافتراه. والحلم بضم الحاء وسكون اللام، وقد تُضْمُّ أيضاً: ما يراه النائم، ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلبَ الحلم على ما يراه من الشرِّ والقيح والأضغاث، وهي الأخطا التي لا تعبير لها.

والمراد بالعقد بين الشعيرتين: قتل إحداهما بالأخرى، وربطها بها، وهي من قبيل المستحيل.

و«أو»: في مثل هذا الموضع؛ للشك من الراوي في أيّ الجملتين قال النبي ﷺ، وهي من دلائل التحري في الرواية، والعناية بضبطها، والمحافظة على ألفاظ الحديث.

\* مجلة الأزهر، العدد السادس، المجلد السابع عشر (١٣٦٥).

(١) في كتاب التعبير (٧٠٤٢) باب من كَذَبَ فِي حُلْمِهِ .

والآنك - بالمد وضمّ النون -: الرّصاص المذّاب.  
والمراد بالنفخ في الصّورة: إحيائها، وهو من باب المستحيل أيضاً.

\*\*\*\*\*

### موبقات ثلاث

هذه موبقات ثلاث، نهى عنهنّ النبي ﷺ فيما نهى، وقرّن كلّ واحدة منهنّ بجزائها؛ ليكون ذلك أبين للإثم، وأبلغ في الزجر، وأقطع للمعذرة، وأجدر ألا يقربها من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ومن كان يخشى الفضيحة بين يدي الله ورسوله.

المُوبقة الأولى: الافتراء في المنام، وإراءة العين ما لم تره، وهذا من أقبح فنون الكذب وأشدّها، وأبغضها عند الله عز وجل.

روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «إن من أفرى الفري<sup>(١)</sup> أن يُريَ عينه ما لم تر»<sup>(٢)</sup>.

### دركات الكذب

والكذب دركات بعضها أسفل من بعض، فأهوئُه - وإن كان عظيماً - ما كان على الناس، حاشا النبي ﷺ، وتختلف شناعته باختلاف آثاره وما يقصد منه، وأشدّه ما كان على الله ورسوله.

(١) جمع فرية، وهي: الكذبة العظيمة التي يتعجّب منها. ونسبة الكذبات إلى الكذب للمبالغة، نحو قولهم: ليل أليل (طه).  
(٢) أخرجه البخاري (٧٠٤٣).

فأما الكذب على الرسول ﷺ - وهو صاحب الشرع - فهو كذبٌ في دين الله، وجُرأةٌ على رسول الله، بل هو كذبٌ على الله عزَّ وجل. وليس المجال هنا لبسط القول في خطر هذا الكذب ووخيم آثاره<sup>(١)</sup>.

وأما الكذب على الله سبحانه - ومنه التحلُّم - فهو أشدُّ جُرماً، وأعظمُ قُبْحاً. وما ظنُّك بمن لا يبالي بالفرية على ملك الملوك، ومن يعلم السرَّ وأخفى؟.

وإنما كان التحلُّم من قبيل الكذب على الله تعالى؛ لأنَّ الرؤيا الصادقة - كما ثبت في الصحاح<sup>(٢)</sup> - جزءٌ من النبوة<sup>(٣)</sup>. والنبوة لا تكون إلا وحيًا، والكاذب في رؤياه يزعم أنه - تعالى - أراه ما لم يره، وأعطاه جزءاً من النبوة لم يعطه إيَّاه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

من أجل ذلك كان الكذب في الرؤيا أعظم إثمًا من الكذب في اليقظة، وإن كان الكذب في اليقظة - في بعض أحيانه - أشدَّ ضرراً وأعظمَ خطراً.

ولمَّا تكلف المتحلِّم الكذب على الله في الدنيا، كلفه الله في الآخرة ضرباً من ضروب المستحيل، إذ يُدفع إليه شعيرتان ليعقدَ بينهما وليس بعاقد أبداً، وإنما هو التعذيب بهذا النوع جزاءً وفاقاً.

ولعلَّ في إثارة الشَّعر على غيره - والعلمُ عند الله - إشعار المتحلِّم بأنه افتري الكذب في شعوره، فكانت عاقبته نكالاً وخزياً.

(١) انظر شرح حديث: «من تعمَّد عليَّ كذباً..» في مثل من الحِيطة والحذر في الرواية.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ٩: ٣٠ - ٣١ الطبعة الأميرية (طه).

(٣) الرؤيا جزءٌ من النبوة حقيقة إن كانت من نبيٍّ، وإلا فهي جزءٌ على المجاز، لأنها تشبه جزء النبوة في الصدق والإخبار بالمغيبات (طه).

(٤) اقتباس من الآية ٩٣ من سورة الأنعام.

٦٢٣

والموبقة الثانية: الاستماع إلى حديث قوم وهم لذلك كارهون.  
صفة من أقبح الصفات، وعادةً من أسوأ العادات، مبعثها دناءة في  
النفس، وتبلد الحس، وشغف بالتطلع على العورات والأسرار.  
ولو فهم هذا المتسمّع لأدرك أن القوم ما أسروا قولهم أو انتحوا به ناحية؛  
إلا لرغبتهم في كتمان الحديث وطيه عنه.  
ومن أجل ذلك لم يكن على من تسمع لقوم حرج، إذا جهروا بالحديث،  
أو دعت حالهم إلى المشاركة فيه.

فأما ذلك المتطفل الذي انتهك حرّمات الناس، وصرف نعمة السمع إلى  
غير ما خلقت له، فجزاؤه العدل أن تملأ أذنه بالرصاص الذي أعدّه الله له،  
كفاء ما استرق من السمع وانتهك من الحرمة: ﴿وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾<sup>(١)</sup>.

#### آداب كريمة وأخلاق قويمة

لقد كان النبي ﷺ حريصاً على شعور الفرد والجماعة، فحفظ لكل حقاً  
وفرض على كل أدباً، وجعل من أدب الفرد ألا يستمع إلى حديث الجماعة إلا  
بإذنه<sup>(٢)</sup>، كما فرض على الجماعة ألا تتناجى دون واحد إلا بإذنه<sup>(٣)</sup>؛ لأن  
ذلك يُحزنه ويحمله على سوء الظنّ بجماعته، ويوقد فيه من نيران الألم والحقد  
ما يهدم الكيان ويصدّع البنيان!

(١) سورة الكهف: ٤٩.

(٢) للحديث الذي يشرحه المؤلف: «..ومن استمع إلى حديث قوم، وهم له كارهون -  
أو يفرون منه -، صبّ في أذنه الأثك يوم القيامة».

(٣) روى البخاري (٦٢٨٨)، ومسلم (٢١٨٨٣) (٢١٨٨٤)، ولفظه عند مسلم من  
حديث ابن مسعود مرفوعاً قال ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن  
ذلك يُحزنه».

آدابٌ كريمةٌ وأخلاقٌ قويمَةٌ، يفرضها النبي ﷺ على أمته؛ لتدوم لها  
وحدتها قويةٌ نقيّةٌ سليمةٌ.

وثالثة الأثافي : تصوير الصور الحيوانية ذوات الروح.

وقد جاء في ذمّ المصوِّرين أحاديث كثيرةٌ لا تدع للشكّ مجالاً في أنّ  
التصوير من أمّهات الكبائر؛ لأنّه مضاهاةٌ للخالق عزّ وجلّ، ومحاولةٌ للتشبه به  
سبحانه، وذريعةٌ إلى عبادة غيره، وإن لم يقصد المصوِّر شيئاً من ذلك.

مفاسد التصوير

وقد تضافرت الأخبار بأنّ قوم نوح عليه السلام ما عبّدوا أصنامهم - ولا  
سيّما ودّاً وسواعاً ويعقوثاً ويعوقاً ونسراً - إلا من بعد أن صوّروا تبرُّكاً بهم،  
فلمّا طال عليهم الأمد عبّدوا من دون الله عزّ سلطانه!

هذا قليلٌ من كثير من مفاسد التصوير في العقيدة، وأما مفاسده في  
الأخلاق والآداب، فحسبكَ أنه العامل الأول في انحلال الرجولة، وإماتة  
الغيّرة، وإحياء الخلاعة، وإيقاظ الفتنة، إلى مخازٍ كثيرة استطار شرّها، وأعياء  
علاجها!

ومن العجَب العاجب أن تستمرئ شرذمة من الناس - أو أشباه الناس - هذه  
المخازي، فتدعو إليها، وتُشجّع عليها، وتجد من العابثين والماجنين مرتعاً  
خصيباً، ثم تقحم العلم والذوق في هذا السُّخف، الذي يتبرأ منه العلم والذوق  
والمروءة!

الترخيص في التصوير الذي تدعو إليه الضرورة والحاجة

نعم إنّ دين الله - وهو العام الخالد الذي ضمن للناس سعادتهم، ووسّع  
حاجتهم إلى أن تقوم الساعة - لا يقف عقبةً في سبيل العلم النافع والمصلحة  
الخالصة من شوائب الضلال والهوى.

أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت ألعب بالبنات عند



٦٢٥

رسول الله ﷺ، وكان لي صُوحبٌ يلعبن معي»<sup>(١)</sup> فإذا رخص رسول الله ﷺ في تصوير اللعب والتدريب بها، أفلا يُرخص في التصوير الذي تدعو إليه ضرورة المجتمع وحاجاته؟!.

ألا إنَّ يُسرَ الحنيفية السَّمحة، ورعايتها لمصالح المجتمع لا يُبيان التصوير، للمقاصد العلمية الصحيحة، كتعليم الطب والجراحة، وصون الأمن وما إليها، فمن أفرط أو فرط فقد تعدى حدود الله، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد كَفَتْنَا مجلة الأزهر مؤونة البسط في أحكام التصوير وتفصيله<sup>(٣)</sup>، ولا نحبُّ أن نعيد حديثاً.

\* \* \* \* \*

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٠)، ومسلم (٢٤٤٠).

(٢) اقتباس الآية الأولى من سورة الطلاق.

(٣) المجلد الأول، ص ٧٨١-٧٩٠، والمجلد الثاني عشر، ص ٣٢٨-٣٣٢ (طه).

## مثل القائم على حدود الله والواقع فيها \*

٧٨- عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا. فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا». رواه البخاري<sup>(١)</sup>.

### المفردات :

**الحدُّ:** المنع، ومنه سُمِّيَ البَوَابُ الحِداد، وكذلك السَّجَّان، والحاجز بين الشَّيْئَيْنِ؛ لثَلَا يَخْتَلِطُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، أَوْ لثَلَا يَتَعَدَّى أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ، وَمُنْتَهَى الشَّيْءِ وَغَايَتُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرُدُّهُ وَيَمْنَعُهُ عَنِ التَّمَادِي، هَذَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ.  
وَأَمَّا فِي لِسَانِ الشَّرْعِ: فَقَدْ أُطْلِقَتِ الْحُدُودُ عَلَى الْعُقُوبَاتِ الْمُقَدَّرَةِ الرَّادِعَةِ عَنِ الْمَحَارِمِ الْمُعْظَمَةِ، كَحُدُودِ الزَّئِنِ وَالسَّرْقَةِ وَشَرَبِ الْخَمْرِ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ لِحَبِّهِ أَسَامَةٌ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟!» يَعْنِي فِي قَطْعِ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ، وَقَصَّتْهَا فِي الصَّحِيحِينَ<sup>(٢)</sup>.  
وَأُطْلِقَتِ عَلَى مَحَارِمِ اللَّهِ وَمَعَاصِيهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ مَنَعَ مِنْهَا؛ أَوْ لِأَنَّهُ جَعَلَهَا

\* مجلة الأزهر، العدد الثامن، المجلد السابع عشر (١٣٦٥).

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٣) في كتاب الشركة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٥) في كتاب الأنبياء، ومسلم (١٦٨٨) في الحدود.

٦٢٧

نهايات لما أباح لعباده، فلا يجوز لهم أن يعتدوها، بل لا ينبغي لهم أن يقربوها؛ لأن من رعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه<sup>(١)</sup>.

من هذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إني آخذُ بِحُجْرَتِكُمْ،<sup>(٢)</sup> اتَّقُوا النارَ، اتَّقُوا الحُدُودَ» قالها ثلاثاً. أخرجه الطبراني والبرزاري<sup>(٣)</sup>.

وأطلقت الحدود كذلك على جملة ما أذن الله لعباده فيه، سواء أكلفهم إياه أم أباحه لهم، وليس وراء ما حدَّ لهم ممَّا أذن فيه إلا ما حظر ومنع.

وقد تُطلق على جملة ما شرَّع الله لعباده ممَّا أمر ونهى، وأحلَّ وحرَّم، ومنه

(١) كما في الحديث الذي رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، والترمذي (١٢٠٥) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) المراد: مانعكم وحافظكم من الهلكة، وهو من الكنايات البديعة، وأصل الحجزة: معقد الإزار والسراويل (طه).

(٣) أخرجه أحمد ١: ٢٥٧: (٢٣٢٧) بلفظ: «أنا فرطكم على الحوض، فمن وردَّ أفلح، ويؤتى بأقوام، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أي رب، فيقال: مازالوا بعدك يرتدون على أعقابهم» وإسناده ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم. وقد جاء بإسناد صحيح مطولاً في «المسند» برقم (٢٠٩٦)، وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١١: ٣٣ (١٠٩٥٣) و«الأوسط» (٢٨٧٤) ولفظه من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إني آخذُ بِحُجْرَتِكُمْ، أقول: اتَّقُوا النارَ، اتَّقُوا الحُدُودَ، فإذا متُّ تركتكم، وأنا فرطكم على الحوض، فمن وردَّ فقد أفلح، فيؤتى بأقوام، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: رب. فيقول: إنهم لم يزالوا بعدك يرتدون على أعقابهم»، ورواه البرزاري، كما في «كشف الأستار» ٤: ١٧٦ (٣٤٨٠)، لكن ليس فيه اللفظة المذكورة: «اتَّقُوا الحُدُودَ». وفي إسناده - كما قال الهيثمي في «المجمع» ١٠: ٣٦٤- ليث بن أبي سليم، وهو صدوق في نفسه، لكن ضعيف الحديث، لاختلاطه الشديد، وإن كان الهيثمي يتسامح فيوثقه، لكن يُعلِّ حديثه بالتدليس.

ورواه البرزاري في «مسنده» ١: ٣١٤: (٢٠٤) في مسند عمر بن الخطاب، لا ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه طول، وأوَّلُه: «إني مُمَسِّكٌ بِحُجْرَتِكُمْ، هلمَّ عن النار، وأنتم تهافتون فيها..» وإسناده حسن.

قوله تعالى في الثناء على المؤمنين الصادقين الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُكْرِمُونَ الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالصَّادِقُونَ الْأَعْرَابُونَ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ذَلِكَ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِيهَا فِي حَمْدِهِ إِنَّهَ لَشَدِيدُ الْحِسَابِ﴾ (١). ونرى أن هذا أنسب المعاني الأربعة هنا، وأولها بالمراد في هذا الحديث (٢).

والقيام على حدود الله: رعايتها وحفظها، وإحلال ما أحل، وتحريم ما حرم منها، ويتمثل ذلك جلياً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير.

والوقوع فيها: التهاون بها والتردي في مخالفتها.

والاستهام على السفينة: الاقتراع بضرب السهام ليأخذ كل نصيبه منها. وجمهور العلماء على جواز القرعة والاحتكام إليها، ولذا استدل البخاري بهذا الحديث على القرعة بين الشركاء عند القسمة.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أراد سفراً أفرغ بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه (٣)، وليس هذا مجال التبسط فيها (٤).

(١) سورة التوبة: ١١٢.

(٢) أطلنا بعض الشيء في تفسير بعض الحدود لأهميتها، وكثرة ورودها في الكتاب والسنة، ومن أراد المزيد فليرجع إلى «لسان العرب»، وإلى «جامع العلوم والحكم» لابن رجب [١: ٢٠٧-٢١٠] (طه).

(٣) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٤) وقد وفي الكلام على القرعة وحكمها وكيفيتها ابن القيم في كتبه «الطرق الحكيمة» (طه).

٦٢٩

الأخذ على اليد: المنع، يُقال: أخذتُ على يد فلان، إذا منعتهُ عما يريد، كأنك أمسكت يده.

\* \* \* \* \*

### ركاب أعلى السفينة وأسفلها

يمثلُ النبي ﷺ هُداةَ الأمة وقادتها، وأولي الرأي فيها، من العلماء، العاملين، والحكام المصلحين، والحكماء الراشدين، بمن يركبون أعلى السفينة ويُشرفون على مَنْ تحتهم من الأوثاب والأخلاق، ومن يُخشى منهم أن يعثوا في أسفل السفينة فساداً، أو يحدثوا بها حدثاً، فيهلك مَنْ فيها جميعاً. اللهم إلا أن يُراقبها أولئك عن كَثْبٍ ويفطنوا لِعَبْثِهِمْ وفسادهم، ويأخذوا على أيديهم كما يأخذ الأب الرحيم على يد ولده الطفل، وقد همَّ أن يلعب بالنار، فيحرق نفسه وأهله في غرارة وسذاجة، وكما يحول الوصيُّ الصالح بين السفية وشهواته الجامحة ورغباته الطائشة، وقد أخذ المال يُدِّده يميناً وشمالاً، وهو لا يقدرُ سوء العاقبة، ولا يحسب لنفسه ولا لذويه حساباً.

### مسؤولية الخاصة وأولي الأمر

وإذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه لا يُعفي العامة والمفسدين في الأرض من تَبَعَةِ الإثم وعاقبته، فإنه بلا رَيْبٍ يُحْمَلُ الخاصة وأولي الأمر أكبر نصيب منها، فعليهم أن يضربوا على أيدي المعتدين، وأن يدعوهم إلى التي هي أقوم، وألا يُمكنوهم من العَيْثِ والفساد، والتهاون بحدود الله وشرائعه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. فإن هم فعلوا أيدهم الله وسددهم، وفاز الفريقان بالأمن والطُمأنينة والسَّعادة في الدارين، وإن هم قعدوا عن هذا الواجب، وألقوا حبل هؤلاء الضالِّين على غاربه، وتركوهم وما أرادوا، هلك الفريقان

جميعاً، وباؤوا بغضب الله وسخطه في الدنيا والآخرة. هؤلاء بما كسبت أيديهم، وأولئك بسكوتهم على المنكر ورضاهم عنه. وقد قال تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِّمُوا أَنْتَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(١)</sup>. حذر عباده جل شأنه أن يقعوا في بلاء المعصية وعقوبتها العامة التي تجرف مرتكبها والساكت عليها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله عز وجل المؤمنين ألا يقرؤا المنكر بين أظهرهم، فيعمهم الله بالعذاب، فيصيب الظالم وغير الظالم.

وروى أبو داود عن عدي بن [بن عدي] بن عميرة الكندي، [عن العرس]<sup>(٢)</sup> أن النبي ﷺ قال: «إذا عملت الخطيئة في الأرض، كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها، فرضيها كان كمن شهدها»<sup>(٣)</sup>.

### عاقبة السكوت عن المنكر والرضا به

ومن البلايا العامة - ونعوذ بالله منها - أن تشيع في الناس شائعة السكوت عن المنكر، بل الرضا عنه والطمأنينة إليه، حتى لقد أوشك أن يكون المعروف منكراً، والمنكرُ معروفاً. يقول الضعيف: ليس لي من الأمر شيء، ويقول القوي: نحن في زمن الحرية، وكل أمرئ وما يختار لنفسه! وهكذا ضاعت الأمة بين اثنين كان عمر رضي الله تعالى عنه يبرأ إلى الله منهما: جلد فاجر، وضعيف ثقة.

(١) سورة الأنفال: ٢٥.

(٢) سقط من الأصل، وهو في سنن أبي داود. والعرس بن عميرة الكندي، صحابي، روى عنه ابن أخيه عدي بن عدي. كما في «الكاشف» (٣٧٦٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٤٥) في كتاب الملاحم.

٦٣١

وكان حقاً على الفريقين أن ينظروا في مغبة السكوت على المنكر، وسوء عاقبته، وأنها لا تقف عند هلاك الظالمين خاصة.

وإذا كان من القسوة أن يُترك المرء غيره للهلاك، وهو قادرٌ على دفعه عنه، فمن الحمق والسُخف أن يُهلك نفسه معه طائعاً مختاراً!!.

وإن لنا في الذين كفروا من بني إسرائيل لَعِبْرَةً؛ لعنهم الله على لسان أنبيائهم ومقتدبهم، بتعديهم حدود الله، وسكوتهم عن المنكر حتى باض وعشش وأفرخ، وانتشر في الأرض فملاًها ظلماً وظلاماً وزوراً وبهتاناً!.

قصَّ الله ذلك على رسوله، وبيَّنه الرسول ﷺ لأُمَّته، حتى لا يفعلوا فعلهم فيكونوا مثلهم، ثمَّ ليعلموا أنَّ النهيَ عن المنكر، حفاظُ الدين، ورباطُ الآداب والفضائل.

روى أبو داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِّ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ»<sup>(١)</sup>؛ فلما فعلوا ذلك، ضرب الله قلوبَ بعضهم ببعض، ثمَّ قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ثم قال ﷺ: «كلا والله، لتأمرنَّ بالمعروف، وتنهونَّ عن المنكر، ثم لتأخذنَّ

(١) الأكيل والشريب والقعيد: المؤاكل والمشارب والمجالس، وهذا البناء فاعل بمعنى

مُفَاعِلٍ.

(٢) سورة المائدة: ٧٨ - ٧٩.

على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً<sup>(١)</sup>، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض، ثم يلعنكم كما لعنهم<sup>(٢)</sup>.

ولقد رأينا من آثار غضب الله - وعباداً به - كالذي رأى بنو إسرائيل أو قريباً منه، فاللهم توبةً وهدايةً، إنك على كل شيء قدير.

### استدلال خطأ

وطائفة أخرى تباطأ عن المنكر أن تدفعه، وتنهى عنه، مُستندةً إلى قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾<sup>(٣)</sup>. وحسبنا أن نذكرهم في هذه الآية بما قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه، إذ صعد على منبر رسول الله ﷺ، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس: إنكم لتتلون آيةً من كتاب الله سبحانه، وتعدونها رخصة، والله ما أنزل الله تعالى في كتابه أشدَّ منها: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> الآية، والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليعمّنكم الله تعالى بعقاب»<sup>(٥)</sup>.

(١) لتأطرنه، الأطر: العطف، أي: لتعطفونه وتردونه إلى الحق الذي خالفه.

ولتقصرنه، القصر: الحبس، يقال: قصرت نفسي على الشيء، أي: حبستها عليه. كما في «جامع الأصول» ١: ٣٢٩.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٣٦)، والترمذي (٣٠٤٧)، وابن ماجه (٤٠٠٦)، وفي سنده عند الجميع انقطاع، لأن أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود لم يسمع من أبيه كما نص عليه غير واحد. وفي الباب عن أبي موسى عند الطبراني، قال الهيثمي في «المجمع» ٧: ٢٦٩: ورجاله رجال الصحيح.

(٣) سورة المائدة: ١٠٥.

(٤) سورة المائدة: ١٠٥.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» ١١: ١٠٥ (١٢٨٧٧) بتحقيق أحمد شاكر.



٦٣٣

فالترخيص في عدم النهي عن المنكر بهذه الآية، وضع لها في غير موضعها، كما جاء في رواية أخرى عن الصديق رضي الله عنه<sup>(١)</sup>. وإنما يلزم المرء نفسه بعد أن يؤدي ما فرض الله تعالى عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير.

أما بعد؛ فإنه لن تقوم لأمة قائمة إلا إذا تعاضدت وتآزرّت، وتعاونت على البرّ والتقوى، ولم تتعاون على الإثم والعدوان، وكانت كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً.

هذا ما شهد به التاريخ، وأيدته المشاهدات، وهذا ما أقرّه العلم والاجتماع، وهذا ما قرّره من لا ينطق عن الهوى منذ أربعة عشر قرناً.

\* \* \* \* \*

(١) أخرجه أحمد ١: ٢ (١) و٥ (١٦) و٧ (٢٩)، وأبو داود (٤٣٣٨) في الملاحم، والترمذي (٢١٦٨) في الفتن، و(٣٠٥٧) في التفسير، وابن ماجه (٤٠٠٥) في الفتن، وابن حبان (٣٠٤). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد رواه غير واحد عن إسماعيل بن أبي خالد نحو هذا الحديث مرفوعاً، وروى بعضهم عن إسماعيل، عن قيس، عن أبي بكر قوله، ولم يرفعه.

## عقوبة السَّارِق \*

٧٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ». رواه الشيخان<sup>(١)</sup>.

المفردات :

اللعن من الله: الطرد والإبعاد من الرحمة.

السرقه: أخذُ المال من حرزِه - خفيةً - بغير حق.

والبيضة والحبل: معروفان. والمراد تحقيرُ أمر السرقة، وأنَّ سرقة الشيء الحقيق ولو لم توجب في الشرع قطعاً، تجرُّ إلى سرقة ما يُوجب القطع والنكال. وشذَّ من قال: إنَّ المراد بالبيضة بيضة الحديد، وهي ما يضعها المقاتل على رأسه وقايةً وجنَّةً، وبالحبل حبل السفينة وما أشبهه.

\*\*\*\*\*

جريمة وضيعة

السَّرقة - ونعوذ بالله تعالى - من الجرائم الوضيعة، التي اتَّفقت الشرائع والقوانين، بل الفِطْرُ والعقول، على ذمِّها، وتهجين أمرها، وتحقير مرتكبها؛

\* مجلة الأزهر، العدد السابع، المجلد السابع عشر (١٣٦٥ = ١٩٤٦).

(١) رواه البخاري (٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧) كلاهما في الحدود.

٦٣٥

ذلك بأنه لا يتردّى فيها إلا مَنْ كان دنيءَ النفس، وضيعَ القدر، ساقطَ المروءة، قد هوى من أوج الإنسانية إلى دَرَكِ الحيوانية، فكان وبالاً على نفسه، وشرّاً على بني جنسه.

### حكمة الشريعة في عقوبة السارق

من أجل ذلك كانت عقوبة السارق والتنكيلُ به من الأمور التي فَرَضَتْهَا القوانينُ الإلهيةُ والوضعيةُ؛ حمايةً للمجتمع من عبثِ العابثين، واغتيالِ الخونة الأثمين.

غير أن شريعةً من الشرائع لم تبلغ من الحكمة والعدل في التأديب والزجر، وحماية الفرد والجماعة من عدوان هذه الجريمة، ما بلغت الشريعة الإسلامية؛ لعن الله السارق والسارقة على لسان رسوله، وأمر بقطع أيديهما في كتابه<sup>(١)</sup>، ووسمهما بِمِيسَمِ الهَوَانِ في الدنيا والآخرة. فَمَنْ ذا الذي يرى هذا النكال الأليم، والخزي المقيم، وتُحدِّثه نفسه باجتراح تلك الموبقة فضلاً عن التردّي فيها؟! اللهم! إلا مَنْ كان بتره والاعتبارُ به خيراً له وللجماعة من بقائه سليماً!

ولا نريد أن نطيلَ القول في حكمة قطع يد السارق وآثاره، ولا فيما جرّه التهاون بحدود الله من اضطرابِ وفوضى، ودُعر ومخافة، فإننا جميعاً نرى ذلك رأيَ العين، ونلمسه لمسَ اليد.

### عقوبة السارق قديماً وحديثاً

بَحْسِنَا أَنْ نُجْمَلَ الْقَوْلُ إِجْمَالاً فِي أَحْكَامِ السَّرْقَةِ قَدِيماً وَحَدِيثاً؛ لِتَسْتَبِينَ حِكْمَةَ الْإِسْلَامِ وَرَحْمَتَهُ وَعِنَايَتَهُ بِالْإِصْلَاحِ فِيمَا فَرَضَ مِنْ عِقُوبَةٍ، وَإِنْ تَخَيَّلْتَهَا الْأَهْوَاءُ وَالشَّهَوَاتُ وَحَشِيَّةَ قَاسِيَةٍ! ثُمَّ لِيَعْلَمَ الْمُتَمَعِّنُونَ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ دِينُ اللَّهِ

(١) قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ

وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

العالمُ الخالد، الكفيلُ بحاجاتِ الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

كانت عقوبةُ السارق في شريعة إبراهيم ومُن بعده من الأنبياء عليهم الصلوة والسلام أن يُستعبد ويُسرق، وبهذا أجاب أبناء يعقوب عليهم السلام لما سُئلوا عن جزاء من سرق صواع<sup>(١)</sup> الملك ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مِنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكانت عقوبته في أهل مصر أن يُضربَ ويغرَمَ ضعفي ما سرق، ولكن الله تعالى علّم يوسف عليه السلام من حُسْنِ الحيلة ولطفِ السياسة أن يأخذ أخاه عنده بِشِرْعَةِ بني إسرائيل، لا بِشِرْعَةِ الملك، وذلك قوله جل ثناؤه: ﴿كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكانت عقوبته عند قدماء الرومان أن يُقتلَ إذا عُثرَ عليه، وهو متلبس بالجريمة<sup>(٤)</sup>.

وكان جزاءُ السَّارق في حكومة العرب - ولاسيما قريشاً - أن تُقطعَ يده في قليل الأموال وكثيرها، ويُقال: إنَّ أوَّلَ مَنْ قَطَعَ هو الوليد بن المغيرة، ثمَّ جاء الإسلام فقررَّ هذه العقوبة وثبَّتْها وعدَّلَهَا، إذ جعلها في ربع دينار<sup>(٥)</sup> فصاعداً، أو ما يساوي ذلك من الفضة والعَرَض، ثمَّ حَاطَهَا بحِيطَةٍ بالغَةِ حكيمة، فلم يقطع في سرقةٍ، للسارق فيها شائبةُ ملكٍ أو شبهة، ولا في زمنٍ جَدَبٍ أو مَجَاعَةٍ على تفصيل في ذلك، كلُّه معروفٌ في موضعه.

(١) لغة في الصاع الذي يُكال به، وقيل: هو الإناء الذي يُشرب فيه (طه).

(٢) سورة يوسف: ٧٥. لا ريب أن شريعة الله تعالى لكلِّ أمة هي غاية الحكمة والمصلحة لها حتى جاءت خاتمة الشرائع سالحة لكلِّ زمان ومكان إلى يوم القيامة (طه).

(٣) سورة يوسف: ٧٦.

(٤) بذلك أنبأنا علّمٌ من أعلام القانون في مصر: علي بك بدوي (طه).

(٥) لأن القطع في أقل من ذلك حَيْفٌ تَنْزَهُ الشريعة عنه، الدينار يساوي ثلاثة أخماس الجنية المصري الذهبي تقريباً (طه).

٦٣٧

وإذا صحَّ ما نقلناه عن العرب في القطع، فلا عَجَبَ أن يُقرَّره الإسلام ويُعدِّله؛ لأنه لم يجيء هادماً لكلِّ ما قبله، وإنما جاء مُصلحاً لما فسَدَ، ومكِّملاً لما نقص، ومثبِّتاً لمكارم الأخلاق، وهادياً للتي هي أقوم.

### شبهات أصحاب القوانين الوضعية

ولم تنزل الحكومة الإسلامية قائمةً على حدود الله، متمتعةً بآثارها من الأمن والطمأنينة والرِّخاء والسكينة، حتى جاءت القوانين الوضعية فَطَعَتْ عليها، واستبدكت بالقطع في السرقة تغريماً أو حبساً على حسب الجريمة كمّاً وكَيْفًا، مُحْتَجَّةً بأنَّ القطع قسوةٌ لا تليق بعصر المدنية، ولا بالكرامة الإنسانية، وبأنَّ فيها تعطيلاً للأيدي العاملة، وتكثيراً لطائفة الرِّمَى والمشوَّهين.

هذه خلاصة ما يستند إليه أصحابُ الشرائع الوضعية، ومَنْ لَفَّ لِفَهْمٍ، جاهلين أو مُتجاهلين حكمةَ الله فيما شرَّعَ لعباده، وفيما فرضَ عليهم من حدود، سعدَ من تمسَّكَ بها وحافظَ عليها سعادةً لا تكفلُ بعضها قوانينُ أهلِ الأرض جميعاً، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

ولعلَّ أولَ مَنْ فُتِحَ لهم بابُ الشُّبهة والاعتراض على قطع يد السارق أبو العلاء المعري<sup>(١)</sup> إذ قال، وذلك مما يُؤيِّدُ الذاهبين إلى مروقه وإلحاده:

يدٌ بخمس مئین عَسَجِد وديتُ ما بالها قُطعت في ربع دينار؟!

وعَمِّيَ هذا المسكين عن فرقٍ ما بين ديتِها في الجناية عليها، وجزائها في تعديها وخيانتها، وأنها «لما كانت أمينةً كانت ثمينةً، فلما خانت رخصت

(١) أبو العلاء أحمد بن سليمان، والبيت في «اللزوميات» ١: ٣٦٩ وفيه: «فَدَيْتُ» بدل «وَدَيْتُ»، وتتمتته:

تناقضُ مالنا إلا السكوت له فنستعيد ببارينا من النار

وهانت<sup>(١)</sup>، وبهذا المعنى يُجيبه عَلم الدين السَّخاوي<sup>(٢)</sup>، والله درُّه:

عزُّ الأمانة أغلاها وأرخصَها      ذلُّ الخيانة فافهم حكمة الباري

الردُّ على شبهات أصحاب القوانين الوضعية

إنَّ الشُّبهة التي يثيرها أصحاب القوانين الأرضية أهونُ من أنْ نكلَّف أنفسنا الردَّ عليها، فإنَّ بلاد الحجاز قد أضحت مَضْرِبَ المثل في الأمن والطمأنينة، بِفَضْلِ إقامة حدود الله فيها، وقد كانت أسوأ الأمثال في الاضطراب والفوضى والفساد في الأرض.

إنَّ يداً واحدة تُقطع غير مأسوف عليها، كفيلاً بهذا الأمن دهرًا طويلًا.

(١) نسب ابن كثير في «تفسيره» ٣: ١١٧١ هذا الجواب إلى القاضي عبد الوهاب المالكي رحمه الله، ونسبه الشَّريبي المتوفى سنة ٩٧٧ إلى ابن الجوزي كما في «مغني المحتاج» ٤: ١٥٨.

(٢) نسب هذا البيت لعَلم الدين السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣ الصَّفدي في «الوافي بالوفيات» ٧: ١١٠، و«نكت الهميان» ص١٠٧، و«الغيث المسجم» ١: ٨٢-٨٣، والألوسي في «روح المعاني» ٦: ١٣٤، والمشهور أنَّ الذي أجابه هو القاضي عبد الوهاب المالكي المتوفى سنة ٤٢٢ كما في «الذخيرة» للقرافي ١٢: ١٨٥، و«القواعد» للثقيِّ الحصني ١: ٣٣٦-٣٣٨، والحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٢: ٩٨، والشريبي في «مغني المحتاج» ٤: ١٥٨ كما في كتاب «القاضي عبد الوهاب في آثار القدماء والمحدِّثين» ص١٧٩، ٢٧٦، ٢٧٨، ٣١٣، ٣٤٩، للأخ الدكتور عبد الحكيم الأنيس وفقه الله ورعاه.

وجواب القاضي عبد الوهاب، هو:

صيانةُ العضو أغلاها وأرخصها      صيانةُ المال فافهم حكمة الباري

وشرَّح ذلك - كما قال الحافظ ابن حجر - في «الفتح» ١٢: ٩٨: «إن الدية لو كانت ربع دينار، لكثرت الحنایات على الأيدي، ولو كان نصاب القطع خمسمائة دينار لكثرت الجنایات على الأموال، فظهرت الحكمة بين الجانبين، وكان في ذلك صيانة من الطرفين».

٦٣٩

والعَجَبُ أن يُوجِبَ هؤلاء بترَ العضو الفاسد من الجسم إبقاءً عليه ووقايةً له، ولا يُسيغونَ قطعَ يدِ أثيمةٍ وقايةً له ولأمته من شرِّها، وما بالهم يغارون على كرامة المجرم ويألمون له، وهو لم يغرُ على نفسه، ولم يألم لها؟!.

أما الحبسُ أو التعزيمُ، فليست بالعقوبة التي تكفُّ المجرم وتردعه، بل ربَّما أغرته على أن يعيشَ في الأرض مُفسداً!.

وكم من مجرمٍ أَلِفَ السُّجونَ حتى إذا غابَ عنها حَنَّ إليها!.

وإن شئتَ أن تزدادَ عَجَباً، فانظر إليهم يُشجِّعون على إزهاق النفوس في تجارب التدمير والتخريب، ويثنون على مَنْ أهلك نفسه في هذا السبيل، ثم يعدُّون بتر العضو الخائن وحشيةً وجموداً!.

أما بعد، فقد شرع الله هذه الحدود - وهو العليم بمصالح عباده -؛ علاجاً لأُمراض القلوب، وإصلاحاً لفساد النفوس، وتوطيداً لقواعد الأمن والسلام، وقد عرفَ ذلك وقدره المنصفون والباحثون، ولعلَّهم يُنادون بإقامتها، والمحافظة عليها، إن أرادوا للعالم طمأنينةً شاملة، وسعادةً دائمةً.

\*\*\*\*\*





## الفصل السابع

### السيرة النبوية

- ١ - صفته ﷺ في التوراة (١ - ٢).
- ٢ - صفحة من الجهاد النبوي.
- ٣ - قبسٌ من أدب النبوة.
- ٤ - من أعلام النبوة.
- ٥ - لا هجرة بعد الفتح.
- ٦ - الجوار الأعظم.
- ٧ - بدلٌ من الهجرة.
- ٨ - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.
- ٩ - دعوى الجاهلية.
- ١٠ - راية الإسلام.
- ١١ - عيد الجلاء الأول (١ - ٣).
- ١٢ - مثلٌ من حلم النبي ﷺ.
- ١٣ - التطهير في الإسلام (١ - ٣).
- ١٤ - عيد الدستور.
- ١٥ - آخر الوصايا النبوية (١ - ٢).
- ١٦ - آخر الكلام النبوي.



## صفته ﷺ في التوراة\*

- ١ -

٨٠ - عن عطاء بن يسار قال : لقيتُ عبدَ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال : «أجل، والله إنه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفته في القرآن : يا أيُّها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأمينين، أنت عبدي ورسولي، سميتُك المتوكَّل، ليس بفظٌ ولا غليظ، ولا سخَّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر؛ ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صمًّا، وقلوباً غُلْفًا». رواه البخاري (١).

المفردات:

أجل: حرف جواب ك«نعم»، إلا أنه أحسن منه في التصديق، و«نعم» أحسن منه في الاستفهام.

والحرز: الموضع الحصين، وفي أحاديث الدعاء: «اللهم اجعلنا في حرز حارز» أي: كهفٍ منيع.

والأميون: هم العرب؛ لأنَّ أكثرهم لا يقرأ ولا يكتب، كأنهم على الحال التي ولدتهم عليها أمهاتهم.

\* مجلة الأزهر، العدد الثالث، المجلد الخامس عشر، ربيع الأول (١٣٦٣=١٩٤٤).

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع في الأسواق (٢١٢٥)، وفي التفسير (٤٨٣٨)،

وأخرجه أيضاً في كتاب «الأدب المفرد» (٢٤٦) (٢٤٧).

والفظ: الجافي الكريه الخلق. مُستعار من الفظ وهو ماء الكرش، وَحَسْبُكَ  
أنه لا يُشرب إلا في أشد ضرورة.

والغليظ: القاسي القلب الخشن المعاملة.

السَّخَّاب: بالسین، وربما رُوي بالصاد: الصَّيَّاح، الكثير اللغظ والجلبة.

القلب الأغلف: هو الذي لا يعي، كأنه حُجِبَ عن الفهم كما يُحجب  
السكين ونحوه بالغللاف.

\*\*\*\*\*

عناية عطاء بن يسار بالبحث عن شمائل النبي ﷺ

من أجل ذكرى المولد النبوي الكريم تخيرنا هذا الحديث الجامع لخلاصة  
أوصافه ﷺ في التوراة، والتنويه باسمه قبل أن يُطالع العالم مُحْيَاه.

لقد كان عطاء بن يسار مولى أم المؤمنين ميمونة رضي الله تعالى عنها -  
وهو من أئمة التابعين وثقاتهم - معنياً بالبحث عن شمائل النبي ﷺ ونعوته في  
الكتب السماوية؛ ولقد سأل فيمن سأل عنها عبد الله بن سلام، وعبد الله بن  
عمرو رضي الله عنهم.

عبد الله بن سلام

أما عبد الله بن سلام؛ فلأنه عالم أهل الكتاب وحبرهم، وأعرف بالنبي ﷺ  
منه بابنه - كما قال لعمر رضي الله عنه -؛ إذ رأى أوصافه في التوراة رأي العين،  
فلم تُشبه فيه شائبة رُب، أما ابنه فإنه لا يدري ماذا تصنع النساء؟! وقد آتاه الله  
أجره مرتين، وشهد له النبي ﷺ بالجنة.

## عبد الله بن عمرو

أما عبد الله بن عمرو؛ فلأنه من أعلام الصحابة وأجلّتهم، وأكثرهم حفظاً للحديث<sup>(١)</sup> وإطلاً على غيره، قال فيه أبو هريرة - وهو من هو -: ما كان أحفظ لحديث رسول الله ﷺ مني إلا عبد الله بن عمرو؛ فإنه كان يعي بقلبه وكنت أعي بقلبي، وكان يكتب وأنا لا أكتب؛ استأذن رسول الله ﷺ في ذلك، فأذن له<sup>(٢)</sup>.

وحسبك ما رواه أحمد والبغوي عنه قال: رأيت فيما يرى النائم كأن في إحدى يدي عسلاً، وفي الأخرى سمناً وأنا ألعقهما، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «تقرأ الكتابين: التوراة والقرآن»<sup>(٣)</sup>. فكان يقرؤهما عالماً بما فيهما؛ ولذا عدّ بحق أشهر من قامت عليهم النهضة الفكرية، في الأقطار الإسلامية.

## خلاصة أوصافه ﷺ في التوراة

وقد تضمّن حديثه هذا بضعة عشر نعتاً من نعوته المَبْتُوثَة في القرآن

(١) يبلغ ما أسند سبع مئة حديث، اتّفقا له على سبعة أحاديث، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بعشرين كما في «سير أعلام النبلاء» ٣: ٨٠.

(٢) أخرجه البخاري (١١٣) ولفظه من حديث وهب بن منبه عن أخيه قال: سمعت أبا هريرة يقول: «ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب».

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» ٢: ٢٢٢ (٧٠٦٧). قال الذهبي في «السير» ٣: ٨٦: ابن لهيعة ضعيف الحديث، وهذا خير منكر، ولا يُشرع لأحد بعد نزول القرآن أن يقرأ التوراة ولا أن يحفظها، لكونها مبدلة محرّفة منسوخة العمل، قد اختلط فيها الحقُّ بالباطل، فلنَجْتَنَّب. فأما النظر فيها للاعتبار والردّ على اليهود، فلا بأس بذلك للرجل العالم، قليلاً والإعراض أولى.

٦٤٦

الكريم، صلوات الله وسلامه عليه.

أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ شَاهِدًا: لِمَنْ آمَنَ مِنْ أُمَّتِهِ بِالتَّصْدِيقِ، وَعَلَى مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بِالتَّكْذِيبِ، أَوْ شَاهِدًا لِلرَّسْلِ قَبْلَهُ بِالبَلَاغِ.  
وَمُبَشِّرًا: لِلْمُطِيعِينَ بِجَنَّاتِ النِّعِيمِ.

ونذيراً: للعاصين بنار الجحيم. وهذا موافق لقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

وَحَرِزًا لِلْأُمِّيِّينَ: يَتَحَصَّنُونَ بِكَ مِنْ غَوَائِلِ الدَّهْرِ، أَوْ مِنْ سَطْوَةِ الْعِجْمِ، أَوْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مَا دَمَتْ فِيهِمْ: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، فهِم بِكَ فِي حِصْنِ حَصِينٍ وَأَمْنٍ مُقِيمٍ؛ وَإِنَّمَا خَصَّ الْعَرَبَ بِالذِّكْرِ لِشَرَفِهِمْ، أَوْ لِإِرْسَالِهِمْ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، وَإِلَّا فَلَا جِدَالَ أَنَّ دَعْوَتَهُ عَامَةٌ، وَرِسَالَتُهُ إِلَى النَّاسِ كَافَةٌ.

أنت عبدي: المُكَمَّلُ، شَرَّفْتِكَ بِالعِبَادَةِ، وَلَقَبْتِكَ بِهَا فِي أَجَلِ المَوَاطِنِ وَأَسْمَائِهَا، وَأَشْرَفَ المَنَازِلِ وَأَعْلَاهَا، وَخَيْرْتِكَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ نَبِيًّا مُلْكًا أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا، فَاخْتَرْتَ - وَمَا أَجَلَ مَا اخْتَرْتَ - أَنْ تَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا؛ فَأَنْتَ عَبْدِي الكَامِلُ.  
ورسولي: الخاتم، الذي أرسلتك رحمةً للعالمين، وجعلت رسالتك خالدةً إلى يوم الدين.

سَمَّيْتُكَ المَتَوَكَّلَ: لعظيم ثقتك بي، وكريم اعتمادك عليّ، وجميل صبرك فيّ، تَقَنُّعُ بِاليسير وتَجُودُ بِالكثير، وَتَفَوُّضُ أَمْرِكَ كَلَهُ إِلَيَّ.

ليس بفظً جاف، ولا غليظً قاس: بل اللين شيمته، والرفق سحبيته، ما لم

(١) سورة الأحزاب: ٤٥.

(٢) سورة الأنفال: ٣٣.

يُؤْمَرُ بِالشَّدَةِ وَالغَلَطِ، فإذا أمر بهما فما أجدره بمعالجة نفسه ومخالفة طبعه،  
امثالاً لأمر الله عزَّ وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطُ عَلَيْهِمْ  
وَمَا أُولَئِهِمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup>.

ولا نستطيع هنا أن نحصي مواقف لينه ورفقه حيث ينسى رحمته الرحيم،  
ويتميز من الغيظ الحليم. وحسبنا أن عاتبه الله في غير آية، رحمةً به أن تضره  
الرحمة، ونهاه أن تذهب نفسه على الكافرين حسرات.

وهذا الجزء من التوراة يوافق قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ  
مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولا سَخَابَ فِي الْأَسْوَاقِ: وما حاجته إلى الصَّخَبِ واللغظ، وهو مَجْبُولٌ  
على الرفق والتواضع؛ مطبوعٌ على السكينة والوقار؟! وإذا كان هذا شأنه في  
الأسواق - وهي مدعاة الصِّيَاحِ والجَلْبَةِ - فهو في غيرها أعظم وقاراً وأجل حِلماً.  
ولا يدفع بالسيئة السيئة: امثالاً لأمره تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٣)</sup>،  
وكان ﷺ خلقه القرآن.

ولكن يعفو ويغفر: فلا يرضى خلقه العظيم ألا يجزي السيئة بمثلها، وإنما  
يسترها فلا يجابه بها. وقصَّاراه عند التأديب والإرشاد أن يقول في خطبته: «ما  
بال أقوام يصنعون كذا وكذا». هذا كله ما لم تُنتهك حُرْمَاتُ الله، فإذا انتهكت  
حرماتُ الله، فإنه ينتقم لله بها.

ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به: ملَّةَ إبراهيم حنيفاً، ويعيدها سيرتها

(١) سورة التوبة: ٧٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) سورة فصلت: ٣٤.

الأولى، من بعد أن عوجها العرب، وبدّلوها تبديلاً.

وقد صدق الله وعده، ونَصَرَ عبده، ومنَّ به على المؤمنين، فاجتمعوا على كلمة الله، واعتصموا بحبل الله، وكانت لهم أعينٌ لا يبصرون بها الهدى، وأذان لا يسمعون بها الحق، وقلوبٌ عليها أفعالها.

ولا نَدَعُ هذا الوصف الحقَّ الجميل قبل أن نتمّه ببقية من رواية ابن إسحاق، لا تنقص عنه حقاً وجمالاً:

قال الله: «أَسَدُّهُ بِكُلِّ جَمِيلٍ، وَأَهَبُ لَهُ كُلَّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، ثُمَّ أَجْعَلُ السَّكِينَةَ لِبَاسِهِ، وَالْبِرَّ شِعَارَهُ، وَالتَّقْوَى ضَمِيرَهُ، وَالحِكْمَةَ مَعْقُولَهُ، وَالصِّدْقَ وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ، وَالمَعْرُوفَ خُلُقَهُ، وَالعَدْلَ سِيرَتَهُ، وَالحَقَّ شَرِيعَتَهُ، وَالهُدَى إِمَامَهُ، وَالإِسْلَامَ مِلَّتَهُ، وَأَحْمَدَ اسْمَهُ؛ أَهْدِي بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ، وَأُعَلِّمُ بِهِ بَعْدَ الجَهَالَةِ، وَأُرْفَعُ بِهِ بَعْدَ الخَمَالَةِ، وَأُسَمِّي بِهِ بَعْدَ النُّكْرَةِ، وَأَكْثُرُ بِهِ بَعْدَ القَلَّةِ، وَأُغْنِي بِهِ بَعْدَ العَيْلَةِ، وَأُجْمَعُ بِهِ بَعْدَ الفِرْقَةِ، وَأُؤَلَّفُ بِهِ بَيْنَ قُلُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَهْوَاءٍ مُتَشَتِّتَةٍ وَأُمَمٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وَأَجْعَلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتِ لِلنَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*\*

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣: ١٣٤ عند تفسير آية الأعراف: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ...﴾ وعزاه إلى ابن أبي حاتم في «تفسيره»، ولم أجده عند هذه الآية... ولأبي نعيم في «الدلائل» برقم (٣٣)، لكنه من كلام وهب بن منبه، من رواية عبد المنعم بن إدريس بن سنان، عن أبيه، عن وهب. وعبد المنعم أنهم بالكذب. نعم، أوله معطوف على ما قبله، والذي قبله من كلام كعب.



## صفته ﷺ في التوراة \*

- ٢ -

### نعتُهُ ﷺ في الأمم السابقة

فمن ذلك: ذكره ﷺ في الأمم السابقة، والتنويه به قبل مبعثه، بل قبل موته بأجيال. وقد تواتر أن أهل الكتاب كانوا يتناقلون خبر بعثته صلوات الله وسلامه عليه، ويتذكرون البشارات به من كتبهم. وربما أشار إلى عراقه ذكره، وقدم تاريخه قبل اليهود والنصارى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ (١).

### أخذ الميثاق على النبيين

قال عليُّ وابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث الله محمداً وهو حيٌّ ليؤمننَّ به ولينصرنَّه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته: لئن بعث محمدٌ وهم أحياء ليؤمننَّ به ولينصرنَّه.

ولعلَّ حكمة هذا الميثاق مع علمه تعالى بأنه لن يبعث محمداً ﷺ في حياة أحدٍ منهم، هي الحفاوة به، والعناية برفعة ذكره، وتعظيم قدره، صلوات الله وسلامه عليه.

وقال طاووس والحسن وقتادة: أخذ الله ميثاق النبيين أن يُصدِّق بعضهم

\* مجلة الأزهر، العدد الرابع، المجلد الخامس عشر، ربيع الثاني (١٣٦٣ = ١٩٤٤).

(١) سورة آل عمران: ٨١.

بعضاً. وهذا - كما قال ابن كثير - : لا يضاد الأول ولا ينافيه، بل يستلزمه ويقتضيه<sup>(١)</sup>.

وإنما اقتصر القرآن الكريم في بيان صفته ﷺ على التوراة والإنجيل؛ لأنهما أقرب الكتب إليه، وهو مُصَدِّقٌ لما بين يديه، ولأنهما قد نَسَخَا ما سبقهما، كما أن القرآن نسخهما؛ وإلّا فقد جاء وصفه ﷺ في الزبور وسائر الكتب السماوية، كما قال المُفسِّرون والمؤرِّخون. ويؤثر عن بعض السلف أنهم كانوا يطلقون التوراة على ما عدا القرآن، فتشمل - على هذا - الكتب السماوية السابقة جميعاً.

### دفع شبهة

وقد يخطر بالبال أن هذا النعت إنما كان في التوراة قبل البعثة المحمديّة، أما بعد البعثة، فلا أثر له. ولكنك لا تزال ترى دلائل نبوته ﷺ في الكتابين باهرة، وأعلام رسالته بين سطورهما ظاهرة، على الرُّغم من اختلاف الترجمات، وتعاقب الدهور والأوقات. ومهما يؤول أوصافه أهل الكتابين، فلن تزال ألسنتهم تنطق بمعجزاته، وكتبهم تشهد بآياته ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي «إظهار الحق»<sup>(٣)</sup> و«قصص الأنبياء»<sup>(٤)</sup> من الأخبار التي تنطبق عليه ﷺ وعلى البلد الذي يخرج منه، ما يُغني عن مصادر كثيرة، ومؤلفات جمّة. ولولا محاولة تأدُّبنا بأدبه صلوات الله وسلامه عليه في جمع الكَلِم لأوردنا الكثير من الشواهد.

(١) تفسير ابن كثير ٢: ٧٢٨.

(٢) اقتباس من الآية ١٤٦ من سورة البقرة.

(٣) ٢: ٣٦٢-٤٣٢ للعلامة المجاهد محمدرحمة الله الهندي المتوفى سنة ١٣٠٨.

(٤) ص ٤٤٩-٤٥١ للعلامة المؤرخ عبد الوهاب النجار المتوفى سنة ١٣٦٠.

## النظر في الكتب القديمة

ودلَّ الحديث على إباحة النظر في الكتب القديمة، وإن بدَّلها أهلها وحرَّفوها، بل على طلب ذلك ممَّن يُحِقُّ الحق ويدعو إليه، ويُبطل الباطل ويحدِّر منه.

وقد وقع هذا في العهد النبوي والذي بعده، دون إنكار ولا نهي. وإنما نهى النبي ﷺ عن النظر في تلك الكتب والأخذ عن أهلها قبل استتباب الأحكام، واستقرار الإسلام؛ خشية الفتن. فلما انقشعت أذن لهم في الاطلاع والبحث؛ لما فيه من جليل الفائدة، وجزيل العائدة.

نعم مَنْ خُشِيَ عليه التباسُ الحقِّ بالباطل، أو إضاعةُ وقته فيها من غير طائل، فقد حقَّ عليه أن يعدل عن ما يضرُّه إلى ما ينفعه.

## دخول الأسواق والحسبة فيها

وأشار الحديث إلى أن دخول الأسواق والمشى فيها لا يُعارض جلال النبوة، ولا يُؤثِّر في وقار المروءة، وإن كانت - كما جاء في الصحيح - «أبغض البلاد إلى الله»<sup>(١)</sup>.

ولا ريب أن دخوله ﷺ في السوق إنما هو لتفقد أهلها، ونهيمهم عن منكرات التجارة، وإرشادهم إلى كرم المعاملة، وقد ثبت أنه ﷺ أوَّل من احتسب<sup>(٢)</sup> في الأسواق، لا عمر رضي الله عنه، كما قال أكثر من كتب في «الحسبة».

(١) رواه مسلم (٦٧١) ولفظه من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أحبُّ

البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها».

(٢) احتسب فلان على فلان: أنكر عليه قبيح عمله (طه).

## رعاية الأمة وتفقد شؤونها

وإذا كان مَشِيَّه صلوات الله عليه في الأسواق عنوان العظمة في التواضع، فهو إلى ذلك مثلٌ رائعٌ للولاء والحكام في رعاية الأمة، وتفقد شؤونها في أحوالها ومعاملاتها، كتفقد شؤونها في عبادتها وتربيتها. وقديماً سَخَرَ الكفَّار: ﴿وَقَالُوا مَالٌ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾<sup>(١)</sup> فقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾<sup>(٢)</sup>.

## من أدب الخطاب

وفي العدول عن الخطاب إلى الغيبة في قوله: «ليس بفظ...» مما يسمَّى في علوم البلاغة بالالتفات؛ تأديبٌ كريم، وتعليمٌ قويم؛ إذ لم يُجابه نبيّه ﷺ بما يكره، وإن كان منفيّاً. ولعلّ في هذا الإجلال عبرةٌ لقوم لا يتأدّبون مع رسول الله ﷺ، والأدبُ معه صلوات الله وسلامه عليه بعض ما فرض الله له من الشريف والتكريم.

## وعدٌ كريم

وفي ختام هذا الحديث وعدٌ كريم بأنه تعالى لن يقبض خاتم النبيين إليه قبل أن يعيد به ملة أبيه إبراهيم عليهما السلام، بعد أن اندرست، ويقيمها به بعد أن تعوّجت.

وذلك أن بعض العرب كانوا على الرُّغم ممّا زعموا أنّهم على ملة أبيهم إبراهيم يتخبّطون في ضلالة الشرك، ويتخذون من دون الله آلهة، ولم يبق على

(١) سورة الفرقان: ٧.

(٢) سورة الفرقان: ٢٠.

دين الخليل إلا نفرٌ قليل.

ولا حاجة هنا إلى الإفاضة في هجرة إسماعيل وأبويه، ونسبة العرب المستعربة إليه؛ فقد صحَّت فيهما الآثار، وتواترت بهما الأخبار، وأشار إليهما الكتاب العزيز.

أهمية التعرف على سيرته ﷺ

وبعد، فإنَّ ذنباً لا يغفر، ووصمة لا تُمحي، أن يعرف الأجانب من سيرة نبينا ﷺ وكريم شمائله، أكثر مما نعرف.

وكان حقاً على أتباعه - وبخاصة أولي العلم منهم - أن يحيطوا بسيرته علماً، وألاً يألوها دراسةً وفهماً، فهي وسيلة الاهتداء بهديه والاقتداء به ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*\*

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

## صفحة من الجهاد النبوي \*

٨١ - عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، حدثته أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومٍ أحد؟! فقال: لقد لقيتُ من قومك! وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يوم العقبة، إذ عرَّضت نفسي على ابن ياليل ابن عبد كلال، فلم يُجِبنِي إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتني، فنظرتُ، فإذا فيها جبريل: فناداني، فقال: إنَّ الله عزَّ وجل قد سمعَ قولَ قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعثَ إليك ملكَ الجبال لتأمره بما شئتَ فيهم. قال: فناداني ملكُ الجبال، وسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إنَّ الله قد سمعَ قولَ قومك، وأنا ملكُ الجبال، وقد بعثني ربُّك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئتَ؟ إن شئتَ أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبدُ الله وحده لا يُشرك به شيئاً.

رواه الشيخان، واللفظ لمسلم<sup>(١)</sup>.

المفردات:

العقبة: الطريق الوعر في الجبل، والمراد بها هنا: عقبة الطائف، حيث التقى النبي ﷺ بابن ياليل في نفرٍ من أكابر ثقيف يدعوهم إلى الإسلام.

وابن عبد ياليل: - بوزن هابيل - واحدٌ من رجال مكة والطائف وسادتهما

\* مجلة الأزهر، العدد الأول، المجلد السابع والعشرون (١٣٧٥ = ١٩٥٥).

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١) في بدء الخلق، ومسلم (١٧٩٥) في الجهاد والسير.

الذي عناهم المشركون، إذ قالوا فيما حكى الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (١).

والقرن: الجبيل المنقطع عن الجبل، وأضيف إلى الثعالب؛ لأنها كانت تأوي إليه، ويُسمى قرن المنازل أيضاً؛ لنزول المسافرين عنده، وهو ميقات أهل نجد، على يومٍ وليلة من مكة.

والأخشب: الجبل الخشن العظيم، والأخشبان: جبلا مكة المطيفان بها: أبو قيس وقعيقان الذي يُقابله.

\*\*\*\*\*

### أعظم الغزوات بلاءً وشدّة

غزا النبي ﷺ بضعا وعشرين غزوة، كانت غزوة أحد أعظمها وقعاً وأشدّها بلاءاً!! وممّا زاد في شدّتها وبلائها أنّ الدولة كانت للمسلمين في أول الأمر لما استمكسوا بأمر رسول الله ﷺ، وثبتوا في مواقفهم. ثمّ دارت الدائرة عليهم لما تركوا مواقفهم، ونسوا أمر قائدهم، وشغلوا بالغنائم يجمعونها، ظانين أنّ الكفار قد ولّوا الأدبار إلى غير رجعة، ولكنّ أعداء الله اهتبلوا منهم هذه الفرصة، فكروا عليهم حين غفلة، وأنخنوهم قتلاً وجرحاً، وكادوا لهم كيداً دفيناً!!.

### أحداثٌ جسام

في هذه المغمّة خلّص المشركون إلى رسول الله ﷺ، فقذفوه بالحجارة

(١) سورة الزخرف: ٣١.

حتى وقع لشقته، وكسرت رباعيته، وشجَّ وجهه، ووقع في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الراهب قد حفرها، وغطَّها؛ ليقع فيها المسلمون، واضطروه بهذا الإيذاء المحيط إلى أن يقول: «كيف يُفلح قومٌ خضبوا وجهه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فأنزل الله عليه في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾»<sup>(١)</sup>.

هذه بعض الأحداث الجسام التي ابتلي بها النبي ﷺ في غزوة أحد، والتي ظنَّت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها أعظم المصائب التي أصابته في ذات الله عز وجل!!.

بيد أنها أرادت أن تستوثق لما ظنَّت، فأعلمها صلوات الله وسلامه عليه أنه لقي من قومها ما لقي ممَّا لا يحيط به وصفٌ، وأنَّ ما أصابه في رحلته إلى الطائف أدهى وأمر!.

#### من آثار الجهر بالدعوة

قد علم أنه صلوات الله عليه لما جاهر بالدعوة إلى ربه، أخذ قومه يؤذونه ويكيدون له حتى إذا فقد زوجه أم المؤمنين خديجة، وعمه وأقرب الناس إليه أبا طالب - وكانا أكبر نصيب له في تبليغ رسالته، وأعظم ظهير له من بين عشيرته - أمعنوا في الإيذاء والكيد، ونالوا منه ومن أصحابه ما لم ينالوه من قبل، وبلغ من وقاحتهم أن نثروا التراب على رأسه الشريف وتجادبوه، وهم يقولون له: أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً؟!.

#### فنون من الكيد والإيذاء

وأشدُّ من هذا ما حدَّثنا به ابن مسعود رضي الله عنه فيما رواه الشيخان قال: بينما رسول الله ﷺ عند الكعبة، وأبو جهل وأصحاب له جلوسٌ، وقد

(١) آل عمران: ١٢٨. والحديث في صحيح مسلم برقم (١٧٩١).



نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ، فقال أبو جهل: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فَلَانَ<sup>(١)</sup>، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتْفِي مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ إِذَا سَجَدَ؟! فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ (عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ)، فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتْفَيْهِ. قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ إِلَى بَعْضٍ، وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ مَنَعَةٌ لَطَرَحْتَهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ. فَاَنْطَلَقَ إِنْسَانٌ، فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ هِيَ وَجُورِيَّةٌ، فَطَرَحْتَهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتَمُهُمْ<sup>(٢)</sup>.

وأشدُّ من ذلك وأفظع ما حدَّثنا به عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما - فيما رواه البخاري - وقد سأله عروة بن الزبير: عن أشدِّ ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ؟ قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة، إذ أقبل عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكَبِهِ، وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّكَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكذلك أخذوا يتابعون الكيدَ والإيذاء، حتى هموا بإخراجه والفتك به!!.

### رحلة الطائف

وكذلك أجمع أمره على الرحلة إلى الطائف، ليس معه بعد الله إلا خادمه زيد بن حارثة رضي الله عنه.

كان له ﷺ في ثقيف بالطائف رَحِمٌ وَقَرَابَةٌ، فَرَأَى أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، عَسَى أَنْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا، فَلَا أَقْلَ مَنْ أَنْ يَحْمُوهُ مِنْ قَرِيْشٍ، وَيَسْتَجِيبُوا لِلرَّحِمِ وَالْقُرْبَى، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا، فَلَا أَدْنَى مَنْ أَنْ يَكْتُمُوا

(١) الجزور: الناقة، والسلا: لفاقة الجنين، وتسمى في الأدميات مشيمة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٠) (٥٢٠) (٣٨٥٤) (٣٩٦٠)، ومسلم (١٧٩٤).

(٣) سورة غافر: ٢٨. والحديث في صحيح البخاري (٤٨١٥).

خبره؛ لثلاثا يُشمتوا به قريشاً، ويزيدوها طغياناً وكفراً...

### الأم من اللؤم وأقبح من القبح

لكنّ ثقيفاً كانت أمّ من اللؤم، وأقبح من القبح، وأشدّ من كفار قريش فجوراً ونكراً، وكان مثلهم مع النبي ﷺ كمثل المُستجير بعمر و عند كربته (١)!!

لم يستجيبوا له، ولم يرقبوا فيه رَحِمًا ولا قُربى، ولم يكتموا خبره حين استكتمهم، بل ردّوا عليه أقبح ردّ في استهزاء وسخرية! وشيّعوه بالحجارة تُدمي عَقِبَهُ حتى اختضبت نعلاه بالدم! وكلّما قعد إلى الأرض يستنشق نسيماً من الرّوح، أخذوا بِعَصُدِيهِ، فأقاموه ليمشي، فيرضخوه بالحجارة تارةً أخرى، وهكذا دواليك بين صَفِين من هؤلاء الكَفَرَةِ الفَجَرَةِ، يتبعه عبيدهم وسفهاؤهم الذين أَعْرَوْهُم؛ ليسبّوه ويصيحوا به، ولقد شُجَّ رأسُ زيدٍ شجّاً، ونال من الأذى في وقاية رسول الله ﷺ ما لا يكافئه إلا رضوان الله عليه.

### ظلال الشجرة

مشى رسول الله ﷺ ورجلاه تَسِيلان دماً، ونفسه الكريمة تفيض همماً وغمّاً، والسفهاء خلفه يتبعونه، حتى مرّ في طريقه ببستانٍ لعُتْبَةَ وشيئة ابني ربيعة، وكانا فيه، فاستظلّ في ظلّ شجرة من أشجار عنبه، وهناك رجعوا عنه.

### ضراعة وابتهاال

فزع رسول الله ﷺ إلى ربّه يدعوهُ ويشكو إليه ضَعْف قوته، وقلة حيلته وهوانه على الناس، ويضرع إليه ألا يكله إلى أحدٍ من خلقه، في دعاءٍ مشهور ختمه بقوله: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي غضبك، أو يحلّ بي سخطك، لك العُتْبَى حتى

(١) مثل يُضرب لمن هَرَب من أمرٍ مكروه فوقع في أشدّ منه. قال الشاعر:

المستجير بعمر و عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

ترضى،<sup>(١)</sup> ولا حول ولا قوة إلا بك!!<sup>(٢)</sup>.

### قطف عنب

هناك تحركت له رَحِمُ عتبة وشيبة؛ لأنهما من عبد مناف، فَبَعَثَا له بِقِطْفٍ من عِنَبٍ مع غلامهما النصراني عدّاس، فسَمَّى الله تعالى قبل أن يأكل، فأثارت هذه التسمية عَجَبَ عدّاس في قصّةٍ نعرض لها في الحديث الآتي إن شاء الله.

### أرْوَعُ الأمثال في مقابلة السوأى بالحسنى

انطلق صلوات الله عليه وسلامه حيرانَ هائماً، لا يدري أين يتوجّه من شدّة ما أصابه، حتى إذا أفاق ممّا هو فيه، بشّرَه الله - على لسان ملائكته - بأن أمر الانتقام من هؤلاء الأقبام في يده، فما عليه إلا أن يأمر، وما كان على الموكّلين بأمر الله إلا أن يكونوا رهن إشارة.

لكنّ الرؤوفَ الرحيمَ - الذي ما انتقم لنفسه قط - صلوات الله وسلامه عليه أجاب بهذا الجواب الحكيم النبوي الخالد: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبدُ الله وحده لا يشرك به شيئاً»<sup>(٣)</sup>.

### دخوله ﷺ في جوار المطعم بن عدي

لم يَخْفَ على قريش أمر هذه الرحلة وما لقيَ صَلَوَاتُ الله وسلامه عليه من هَوْلٍ وكربٍ. فلا مناصَ من أن يَحُولُوا بينه وبين مكة، إن لم يكونوا قد بيّتوا له ما هو أشد، لكنّ الله الذي يُؤيِّد دينه بالرجل الفاجر، سخّر له شريفاً من

(١) العتبي: رجوع المعتوب عليه إلى ما يُرضي العاتب، والمعنى: أني لا أزال أطلب رضاك إلى أن ترضى (طه).

(٢) قال الهيثمي في «المجمع» ٦: ٣٥: «رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات»، وأخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» ٢: ٢٧٥ (١٨٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

٦٦٠

أشرفهم؛ ليدخل البلد الحرام في جواره، وليطوف بالبيت الحرام آمناً مطمئناً ذلك هو المُطعم بن عدي<sup>(١)</sup>.

أما بعد، فلا يزال في الفؤاد كلامٌ لا يخفى على ذي لبٍّ، وحسبنا أنا عرضنا صفحة من جهاد نبينا الكريم، ذي الخلق العظيم ﷺ، عبرة وذكرى ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

\* \* \* \* \*

(١) انظر شرحه لحديث «الجوار الأعظم» ص ٦٨٠.

(٢) اقتباس من الآية ٥٥ من سورة الذاريات.

## قَبَسٌ مِنْ أَدَبِ النَّبُوَّةِ \*

٨٢ - عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ «ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خيرٌ من يونس بن متى» ونسبه إلى أبيه. رواه الشيخان، واللفظ للبخاري<sup>(١)</sup>.

٨٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من قال: أنا خيرٌ من يونس بن متى فقد كذب». رواه البخاري<sup>(٢)</sup>.

### قَبَسٌ مِنَ الْأَدَبِ الْأَسْمَى

عرضنا في الجزء الماضي لرحلة النبي ﷺ إلى الطائف، وما لقيَ فيها من فنون الإعنات والكَيْدِ والأذى!!

ومنَ يعرض لهذه الرحلة الأليمة الجاهدة، فلا بدَّ من أن يعرض لعدَّاس رضي الله عنه، وهو يُؤنس رسول الله صلوات الله عليه بعض الإيناس، ويُسرِّي عنه بعض التَّسْرِية.

وإذا ذَكَرَ عدَّاساً، فلا بدَّ له - بحكم تداعي المعاني - أن يذكر قصَّةَ نبيِّ الله يونس، وأدب خاتم النبيين معه. وإنه لَقَبَسٌ من الأدب الإلهي الذي أدَّب الله به نبيَّه فأحسن تأديبه، وكملَّه به فأكملَ تهذيبه، ثمَّ قال له قول الحق: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى

\* مجلة الأزهر، العدد الثاني، المجلد السابع والعشرون، (١٣٧٥=١٩٥٥).

(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٥) في كتاب الأنبياء، ومسلم (٢٣٧٧) في الفضائل.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٠٤).

خُلِقَ عَظِيمٌ<sup>(١)</sup>.

## مكان عدّاس من الصحابة

قلنا في الحديث الماضي: إنه ﷺ لما اشتدَّ عليه الأذى عمَدَ إلى بستان لعُتْبَةَ وشَيْبَةَ ابْنَيْ رِبِيعَةَ، فاستَظَلَ بِظِلِّ شَجَرَةٍ من أشجار عِنْبِهِ، وهناك تحرَّكت له رَحِمُهُمَا، فَبَعَثَا له مع عدّاس غلامهما بِقِطْفٍ من عِنْبٍ، فلمَّا سَمَى اللهُ تعالى قبل أن يأكل، قال عدّاس: والله إنَّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد! فقال له رسول الله ﷺ: «ومن أيِّ البلاد أنت يا عدّاس؟ وما دينك؟» قال: نصراني من أهل نينوى<sup>(٢)</sup>، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «من قرية الرجل الصَّالح يونس ابن متى!» فقال عدّاس: وما يدريك ما يونس بن متى؟! فقال ﷺ: ذاك أخي كان نبياً وأنا نبيٌّ. فأكَبَّ عدّاسُ على النبيِّ ﷺ يُقَبِّله

فلما رجع إلى ابْنَيْ رِبِيعَةَ، قالَا له: وَيَلَك يا عدّاس! مالك تُقَبِّلُ هذا الرجل؟! قال: يا سيِّدي ما في الأرض شيءٌ خَيْرٌ من هذا، لقد أعلمني بأمرٍ لا يعلمه إلا نبيٌّ، قالَا له: وَيَحْك يا عدّاس! لا يَصْرَفَنَّكَ عن دينك<sup>(٢)</sup>.

لكنَّ الله تعالى قد كتَبَ له السَّعادة، فَجَعَلَهُ من المؤمنين السَّابقين والصَّحابة الأوَّلِينَ. رضوان الله عليهم جميعاً.

## صاحب الحوت عليه السلام

تلك قصة عدّاس مع النبيِّ ﷺ، وأما قصة يونس عليه السلام مع قومه فقد

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) بأرض الموصل شمالي العراق. قال ابن الأثيري: سُميت بذلك لأنها وصلت بين الفرات ودجلة (طه).

(٢) أخرج القصة ابن هشام ١: ٤٢١، والطبراني— كما في «مجمع الزوائد» ٦: ٣٥— بسند صحيح عن ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي مرسلًا، والبيهقي في «الدلائل» ٢: ٤١٥ - ٤١٧ من مرسل الزهري، فيتقوى به.

٦٦٣

جاءت في سورة (الأنبياء، والصفّات، ونون).

وقد روى الثقات في تفسيرها: أنه لما دعا قومه إلى الله تعالى أبواً عليه، وتمادوا على كفرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم، ظاناً أن الله لن يضيّق عليه في بطن الحوت، أو أنه تعالى لن يقدر عليه ما قدر، والغيب لا يعلمه نبيٌّ مرسل، ولا ملكٌ مقرب.

### قوم يونس

وكان قد أوعد قومه بالعذاب بعد ثلاث، فلمّا تحقّقوا ذلك منه، وهم يعلمون أن النبيّ لا يكذب خَرَجُوا إلى الصَّحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم، ثم تَضَرَّعُوا إلى الله تعالى وجأروا إليه. ورَغَتِ الإبل وفُصِّلانها، وخارت البقر وأولادها، وثَغَتِ الغنم وسخَّالها، فكشف الله عنهم العذاب، ومتَّعهم إلى أن فارقوا الدنيا، راضين مرضيين.

### في بطن الحوت

وأما يونس عليه السلام، فإنّه ذَهَبَ بعد أن غاضبَ قومه، فركب مع قوم في سفينة، فلجَّت بهم وخافوا الغرق؛ فاقترعوا مراراً على مَنْ يلقونه من بينهم، يتخفّفون منه، فلم تقع القرعة إلا عليه، فتجرّد عليه السلام من ثيابه، وألقى نفسه في البحر، فالتقمه حوتٌ عظيم أوحى الله إليه ألا تأكل له لحماً، ولا تهشم له عظماً، فإنه ليس لك رزقاً، وإنما بطنك له سجنٌ. فمكث في بطنه ما شاء الله أن يمكث، ثم أوحى الله إليه أن يلقه بالعرء وهو سقيم: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١١٣﴾ لَلِئْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١)(٢).

وقد عاتبه الله تعالى على تعجّله، ونهى خاتم أنبيائه ألا يتعجّل، كما تعجّل

(١) سورة الصفّات: ١٤٣، ١٤٤.

(٢) اعتمدنا فيما سقناه من هذه القصة على تفسير الحافظ المؤرخ الإمام ابن كثير (طه).

صاحب الحوت، فيستحق اللوم الذي أصابه<sup>(١)</sup>.

وليس يعيننا من قصّة صاحب الحوت عليه السلام أن نستوفيها في هذا المقام، وإنما يعيننا منها ذانكم الأمران: العتاب والنهي؛ فإنهما مثار الحديث.

### أفضل المرسلين

لقد أخبرنا الله تعالى أنه فضّل بعض النبيّين على بعض، ورفع بعضهم درجات، وأخبرنا خاتم النبيّين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنه سيّد ولد آدم ولا فخر، وأنّ الله أعطاه ما لم يُعط أحداً من الأنبياء قبله، وأنّ الله اصطفاه على العالمين، وأبقى رسالته إلى يوم الدين.

حدّثنا بهذا كلّ تحدّثاً بنعمة ربه عليه. لكنه صلوات الله وسلامه عليه خاف علينا أن نفخر بهذه الفضائل، ونُباهي بها، حتى نتخذها سبيلاً إلى المفاضلة بين إخوانه المرسلين، والمُجادلة فيهم، وليس بعد المُفاضلة والمُجادلة إلا الإهانة والتقصيص، وهنالك الطامة والخسران المبين!!.

### النهي عن المفاضلة

من أجل مخافته تلك - وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم - نهانا أن نشغل بهذا التفصيل، أو نجادل فيه جدالاً يُفضي بنا إلى الانتقاص من مقام الرسالة أو الحطّ من قدر النبوة، فسدّ بذلك منقداً من منافذ الشيطان إلى فتنةٍ داهمةٍ وشرٍّ مُستطير!

### مجادلة في العصر النبوي

ولقد وقع شيءٌ من هذا الجدل في العصر النبوي، ولولا حكمة النبوة لكان الأمر خطيراً جدّاً خطير.

(١) في قوله تعالى في سورة القلم: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿لَوْلَا

أَن تَدَارِكُم بِعَمَّةٍ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿فَاجْتَنِبْهُ رَبُّهُمُ فَجَعَلَهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.



عَرَضَ يهوديٌ سلعةً له، فأعطي بها ثمناً كرهه، فقال: لا أبيعها به، والذي اصْطَفَى موسى عليه السلام على البشر، فَلَطَمَهُ رَجُلٌ من الأنصار، وقال له: تقول هذا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا؟! فشكا اليهوديُّ إلى رسول الله ﷺ وقال: يا أبا القاسم، إن لي ذمَّةً وعهداً! فَعَضِبَ رسول الله ﷺ حتى عُرِفَ الغضبُ في وجهه، ثم قال: «لا تفضِّلوا بين الأنبياء»<sup>(١)</sup>. ثم أثنى على كليم الله بما هو أهله، بعد أن نهاهم عن التفضيل بين أنبياء الله تعالى سداً لذرائع الفتنة، وحرصاً على مقامهم الكريم أن يُمسَ.

لم خصَّ الله يونس بالذكر من بين سائر الأنبياء عليهم السلام؟

ويشتدُّ النهيُ وتعظُّمُ المخافة، وتفتح منافذ الشيطان إلى الفتنة، إذا اعتمد الجدل في التفضيل على الأمرين السابقين آنفاً، في شأن يونس عليه السلام: عتابُ الله له، ونهيُ نبينا ﷺ أن يكون مثله. ومن أجل هذا خصَّه النبيُّ ﷺ بالذكر بين سائر الأنبياء، ونَسَبَ مَنْ يُفَضَّلُ أخاه عليه إلى الكذب والافتراء؛ لأنه راعِ حَوْلَ الحمى، ومن رعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

#### سدُّ الذرائع المُفضية إلى الفتنة

والنبيُّ ﷺ يقرُّ بهذا النهي قاعدةً من قواعد الشرع، وركناً من أركان الدين الحنيف، وهي قاعدة سدِّ الذرائع المُفضية إلى مُحَرَّمٍ، وإن لم تكن هي في ذاتها محرَّمة؛ إذ أن تفضيل بعض الأنبياء على بعضٍ من الأمور الجائزة في نفسها؛ بل من الأمور الواجب اعتقادها موافقةً للكتاب السنة، ولكنها تُمنع حينما تجرُّ إلى الفتنة والحمية. وإذا كان سدُّ الذرائع في الفروع واجباً حقاً، فإنه في الأصول أُخْلِقَ، وفي مقام النبوة أوجِبَ وأحقُّ<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣).

(١) لهذا الحديث صلة وثيقة بتمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على المسرح، وقد نَشَرَتْ فيه إدارة التفتيش بالأزهر مقالاً ضافياً في جزء رجب من العام الماضي (طه).

## عتاب الله لأنبيائه

وهو ﷺ يبيِّن في هذا التعليم النبويِّ الكريم أنَّ معاتبه الله لأنبيائه على بعض ما يصدر منهم، لا تغضُّ من أقدارهم، ولا تنقص من رتبهم، وإنَّما يؤاخذهم الله بها؛ لأنها خلاف الأولى بالنسبة إلى مقامهم، ورفيع مكانهم، وإن لم يؤاخذ بها مَنْ سواهم من الذين أنعم الله عليهم، وربَّما كان موضع العتب عليهم مَحْمَدَةً لغيرهم، ومن هنا قيل: «حَسَنَات الأبرار سَيِّئَات المُقَرَّبِينَ»<sup>(١)</sup>.

## الأدب مع أنبياء الله ورسله

أما بعد: فإنَّ الأدب مع أنبياء الله ورسله، هو من صميم الأدب مع الله عزَّ وجل، الذي اصطفاهم لتبليغ رسالته، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذنه.

وأولى الناس بالنبِيِّين خاتمهم، وأولى الناس بهم والتعريف بحقوقهم هو خاتمهم صلواتُ الله وسلامُهُ عليهم. وقد علَّمنا وسدَّد، وبلَّغنا وأشهد، فأدبنا اللهمَّ بأدبه، واجزه عنا خيرَ ما تجزي نبياً عن أمته.

\*\*\*\*\*

(١) تكرر هذا القول في كتب العلم والتفسير، ولا سيما في إثبات عصمة الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وما يكون منهم في رفيع مقامهم بالنسبة إلى من سواهم. وانظر هذه المقولة - على سبيل المثال - في «تفسير الخازن» في المواطن الآتية: ٢: ١٢٨، ١٥٦، ٣٣١ و ٣: ٢١، ٣٨، ٢٥١ و ٤: ٣٦، ١٣٨، ١٤٥، ٣٨٩.

## من أعلام النبوة\*

٨٤ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لَمَّا كَذَّبَنِي قَرِيشُ قَمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدَسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ». رواه الشيخان<sup>(١)</sup>.

المفردات:

الحِجْر: هو الفِضَاءُ الواقع بين الحِطِيمِ وحائط البيت، تحت ميزاب الرحمة تجاه الشام، وهو ما يُسَمَّى بِحِجْرِ إِسْمَاعِيلَ. ويقال: إنه وأمه هَاجِرٌ عليهما السلام مدفونان به.

والحِطِيم: قَوْسٌ مَبْنِيٌّ، طرفاه إلى زاويتي البيت الشمالية والغربية. وقد يُطلق كلٌّ من الحِطِيمِ والحِجْرِ على الآخر.

وَجَلَا وَجَلَى: كشف وأظهر. وَطَفِقْتُ: شرعت وأخذت، وهو من أفعال المقاربة.

\*\*\*

## رحلتان عظيمتان قدسيَّتان

تعوّد المسلمون أن يحتفلوا في ليلة السابع والعشرين من هذا الشهر الحرام

\* مجلة الأزهر، الجزء السابع، المجلد السادس عشر (١٣٦٤ = ١٩٤٥).

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٦) في مناقب الأنصار، ومسلم (١٧٠) في الإيمان بلفظ: «كذبتني».

بذكرى آيتين من أعظم آيات النبوة، وهما الإسراء والمعراج. وكلتاها رحلة عظيمة قدسية لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه، قبيل هجرته إلى المدينة.

أما أولاهما: فأرضية، مبدؤها المسجد الحرام بمكة، ومُنتهاها المسجد الأقصى بالشام. وكلا المسجدين مهبطٌ من مهابط الوحي، ومعهدٌ من معاهد النبوات التي كانت - ولا تزال - مثابة للقاصدين، ومنار هداية للمسترشدين.

وأما أخراهما: فسماويةٌ علوية، تبدأ بالمسجد الأقصى، إلى السموات السبع، إلى سِدْرَةِ الْمُتَهَي، إلى المستوى الأعلى، حيث يُسمع صريف الأقلام تجري في ألواح الملائكة، إلى المقام الذي لا ينبغي لأحد سواه.

وليس قصدنا أن نفصل أبناء هاتين الرحلتين، وما كان فيهما من أسرار وعجائب، ولا أن نبين زمنهما سنةً وشهراً وليلة، ولا أن نعرضَ لما انتابهما قديماً وحديثاً من خلاف وآراء، وهل كانتا يقظةً بروح النبي ﷺ وجسمه، كما هو قول المحققين من العلماء سلفاً وخلفاً، أو كانتا مناماً، أو بالروح دون الجسم؛ كما يرى شذوذٌ من الناس، ليس هذا من قصدنا؛ فإن ذلك كله مُدَوَّنٌ مسطورٌ، خصه كثير من المؤلفين والباحثين بكتب ورسائل، لم تدع قولاً لقائل.

وإنما نقصد بعون الله تعالى إلى بيان شيءٍ من الحِكم والأسرار في هاتين الرحلتين، وإلى موقف الناس منهما، ثم إلى بيان المنهج القويم إزاء معجزات الرسل كافة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع.

التسرية عنه ﷺ والربط على قلبه

دعا النبي ﷺ قومه بمكة سراً وجهراً، واحتمل في سبيل الدعوة من ألوان الأذى، وضروب الألم في النفس والجسد، ما تشيب له الأطفال، وتنفطر لهوله الجبال. واشتدَّ إيذاءُ قريش له ولأصحابه، عقبَ وفاة زوجته خديجة، وعمه أبي طالب، قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان لهما في تسليته والتخفيف عنه أثرٌ بالغ وفضلٌ مذكور.

فكان من رحمته تعالى به، وفضله عليه، أن يُسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأن يعرُج به من المسجد الأقصى إلى السموات العلا، ليريه من آيات ربه ما يُنسيه كل همٍّ وغمٍّ، وما يُعينه على احتمال الأذى بالغاً ما بلغ في سبيل الله والهجرة إليه، فقد علم الحكيم العليم أنه مُفارقُ داره وموطنه، مؤثّرٌ رضا مولاه على النَّفس والنَّفيس والأهل والولد، وقد نبأه بذلك ورقة بن نوفل في بدء الوحي، لما ذهبت به خديجة وأخبره عليه السلام خبر ما رأى، إذ قال: «هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، ليتني أكون جدّاً<sup>(١)</sup> إذ يُخرجك قومك». فعجِبَ صلوات الله وسلامه عليه وقال: «أو مُخرجي هم؟!» قال: «نعم، لم يأت أحدٌ قطُّ بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يُدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً»<sup>(٢)</sup>.

ماضٍ عسيرٌ، كلُّه همٌّ وعناءٌ، ومستقبلٌ خطيرٌ، كلُّه شدّةٌ وبلاءٌ. أفليس من آيات الله أن يُمتّع حبيبه بهاتين الرحلتين ليربطَ على قلبه، ويُسري من همه وكرهه؟!.

### تشريفه ﷺ وتكريمه في الملائكة الأعلی

وحكمةٌ أخرى، وهي تشريفه صلوات الله عليه وتكريمه في الملائكة الأعلی؛ إذ رأى ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، واستمتع بما لم يخطر على قلب بشر.

وحسبكم أن احتفلت بمقدمه ملائكة السماء، ومثل الله له صفة الأنبياء، وأوحى إلى عبده ما أوحى، ففرض عليه الصلوات المكتوبة، خمسين في الأجر وخمسة في الأداء.

(١) جدّاً، أي: شاباً قوياً حتى أبلغ في نصرك. ونُصِبَ على الحال (طه).

(٢) أخرجه البخاري (٣) في كتاب بدء الوحي، ومسلم (١٦٠) في كتاب الإيمان.

## محنة الناس واختبارهم

وحكمة إلهية بالغة، تلك التي نطقَ بها القرآن الكريم، وهي محنة الناس واختبارهم؛ ليميز الله الخبيثَ من الطيب، والكاذب من الصادق؛ وليزيد المؤمنين إيماناً، والكافرون رجساً وكفراناً. وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا أَلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ (١).

ولقد تجلّت هذه الفتنة حينما غدا ﷺ في صبيحة مسراه، إلى المسجد الحرام، فأخبر قريشاً بما رأى، فكذبوه وسخروا منه. فَمِنْ مُصَفِّقٍ وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً. وارتدّ ناس من ضعفة الإيمان، وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقال: إن كان قال ذلك فقد صدق، فقالوا: تُصدِّقه على ذلك؟! قال: إني أُصدِّقه على أبعدَ من ذلك، أُصدِّقه بخبر السماء غدوةً أو روحةً، فسُمِّي الصّدِّيق من يومئذ (٢).

وكان في القوم من يعرف بيت المقدس، فاستنعتوه إياه، فكرب كربة لم يكرب مثلها قط - كما في رواية مسلم (٣) - لكن الله تداركه برحمته فجلى له البيت، ورفع عنه الحُجُب، فطفق ينظرُ إليه، وينعته لهم باباً باباً وموضعاً موضعاً، حتى قالوا: أمّا النعتُ فقد أصاب فيه (٤). ثم أخذوا يسألونه عن أشياء كثيرة، وهو يجيبهم جواب من شاهدها عياناً، فما كان جوابهم - وقد أخذ منهم العجب - إلا أن قالوا: هذا ساحرٌ مبین.

(١) سورة الإسراء: ٦٠.

(٢) أخرجه الحاكم ٣: ٦٢-٦٣ وصحّحه، وأقره الذهبي.

(٣) صحيح مسلم (١٧٢) من حديث أبي هريرة في كتاب الإيمان.

(٤) قول المشركين أخرجه أحمد ١: ٣٠٩ (٢٨١٩). بلفظ: «فقال القوم: أما النعتُ،

فوالله لقد أصاب».

## موقف المشركين وأشياعهم من المعجزات

هذا موقف المشركين قديماً إزاء الإسراء والمعراج، بل إزاء معجزات الرُّسل جميعاً، وهو موقف أشياعهم المعاندين في كلِّ عصر وجيل، ولا يؤمنون بأية ولا يصدِّقون بحجَّة. وأمثلهم من يَسْتَبعد أو يُؤوِّل تأويلاً سخيلاً تبرا منه اللغة، وتتجافى عنه الحقائق، وينفر منه الذوق السليم. ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾<sup>(١)</sup>.

ربّما يكون للماضين بعضُ الشُّبه؛ لوقوفهم عند المادة، وجمودهم عند المشاهد الملموسة. ولكن ما هو عُدْرُ الجاحدين في عصرنا الحاضر، عصرِ المدنيَّة والتُّور كما يصفون.

وهاهو ذا العلمُ قد أقرَّ حقائقَ ثابتةً، ونظرياتٍ مستفيضةً، كانت تُعدُّ فيما مضى بعضُ أفانين الخيال، وأساطير الأقوال. وهاهي ذي القوى الكميَّة في هذا الكون لا تزال تتكشفُ لعلما كلِّ يوم عن جديد.

## خطر التزيُّد في دين الله والغلوِّ في رسله

وإذا كان هؤلاء قد تنكَّبوا الرِّشاد، وأمَّعنوا في العناد، فهناك فريقٌ من الناس يُصدِّقون بكلِّ ما يسمعون، ويؤمنون بكلِّ ما يقرؤون، دون استهداء بعقلٍ رجيح، أو استمساكٍ بخبرٍ صحيح، أو استرشادٍ بعليمٍ أمين، أو رجوعٍ إلى ثبَّتِ ثقة<sup>(٢)</sup>.

وَمِنْ هؤلاء من يغلو فيصنِّع لرسول الله معجزات وآيات ما أنزل الله بها من سلطان. وقد يزعمون أنَّ في هذه الفريِّ تقرُّباً إلى الله ورسله. وما دروا أنَّ في

(١) سورة يونس: ٩٦ - ٩٧.

(٢) الثبَّت، بفتح الباء وقد تُسكَّن: الحجَّة، والضابط الثقة، وبسكونها: المثبت في أموره (طه).

الحقُّ غنيّةٌ عن الباطل، وأنّهم أساؤوا وهم يحسبون أنهم محسنون.  
وَرَحِمَ اللهُ رجالَ الحديثِ إذ قاموا مُشَمِّرِينَ عن ساعدِ الجِدِّ، ينفون عنه  
تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وأكاذيبَ الجاهلين.

إنَّ خطرَ المُتزيِّدين في دينِ اللهِ والغالين في رسلِ اللهِ، لا يقلُّ عن خطرِ  
المكذِّبين بآياتِ اللهِ، والجاحدين لجلالِ اللهِ، وإنَّ تظاهرَ كثيرٍ منهم بالبحثِ عن  
الحقائق، أو تعلقَ بشفيِعٍ من حُسْنِ النِّيَّةِ.

لقد غلا في حُبِّ المسيحِ عليه السلام قومٌ فكفروا، وأسرف في بغضه قومٌ  
فمرقوا، وقصدَ آخرون، فوقفوا عند حدودِ اللهِ وآمنوا بآياتِ اللهِ، فكانوا مثلاً  
في الصَّادقين، وقدوةً في الصَّالحين.

ولقد أدرك النبيُّ ﷺ أمته أن تزلَّ فتمدحه بالباطل، كما زلَّت النصرارى من  
قبل، فقال: «لا تُطروني كما أطرتِ النَّصارى ابنَ مريم، فإنَّما أنا عبده، فقولوا:  
عبدُ اللهِ ورسوله»<sup>(١)</sup>. فجزاه اللهُ عن أمته خيرَ ما جزى نبياً عن أمته.

وحَسِبُ الفريقيَيْن من الذمِّ، واللعنة، والظلم، أن سوَّى اللهُ بينهما في آيات  
من كتابه؛ ثم جمع بينهما في قرآن<sup>(٢)</sup>، فقال جلَّ سلطانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى  
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

### المنهج الحق

ولا يَحَسَبَنَّ جاهلٌ أو غافلٌ أننا ننكر التأويل إذا كان حقاً تُؤيِّده الدلائل  
والآيات، أو تُسارع إلى الطعن في الأخبار إذا لم يروها الأثبات. إنما ندعو إلى

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) من معاني القرآن بالتحريك: الجعبة، والحبل يُجمع به البعيران، والبعير المقرونُ  
بآخر، كالقرين. انظر «القاموس».

(٣) سورة الأنعام: ٢١.



٦٧٣

النَّصْفَةَ وَالْحَيْطَةَ وَالْعَدْلَ فِيمَا نَأْخُذُ أَوْ نَدَعُ، مُحْتَرِزِينَ مَا اسْتَطَعْنَا عَنِ الْإِسْفَافِ فِي اسْتِبْعَادِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَتَأْوِيلِهَا، فَضْلاً عَنْ رَدِّهَا وَتَكْذِيبِهَا، مُسْتَعِيدِينَ بِاللَّهِ مِنَ الْجُرْأَةِ وَالِدَعْوَى.

### أدب المؤمنين

وهذا هو الأدب الذي أدبنا به النبي ﷺ بإزاء ما يبلغنا عن أهل الكتاب في كلِّ أمرٍ جائزٍ الوقوع، لم يرد فيه تكذيبٌ ولا تصديقٌ ممَّن لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تُصدِّقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾<sup>(١)</sup>. الآية.

فإذا كان هذا هو المنهاج النبوي القديم فيما يتردد بين الصدق والكذب عن أهل الكتاب، فكيف بروايات الثقات عن الصادق المصدوق؟!.

### الأمور ثلاثة

وقصارى القول: أن الأمور ثلاثة: أمرٌ استبان أنه الحقُّ فلتتبعه، وأمرٌ استبان أنه الباطل فلتجنبه، وآخرٌ لم يؤيده البرهان، وإن دخل في حظيرة الإمكان، فلنقوضه إلى الله عزَّ وجل، ضارعين إليه ضراعة أولي الألباب: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*\*

(١) سورة البقرة: ١٣٦، والحديث رواه البخاري (٤٤٨٥).

(٢) سورة آل عمران: ٨.

## لا هجرة بعد الفتح\*

٨٥ - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم الفتح: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا». رواه الشيخان<sup>(١)</sup>.

المفردات:

الهجرة في أصل اللغة: الترك، ثم غلبت على الخروج من أرض إلى أرض، وقد شاعت في انتقال المسلمين الأوّلين من مكة إلى المدينة، فلا يكاد يفهم عند إطلاقها غير هذا المعنى؛ فإذا أُطلق ذكر الهجرتين، فالمراد بهما: هجرة الحبشة والمدينة. والهجرة في الشرع: ترك ما نهى الله عنه.

والجهاد في اللغة: المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل. وفي الشرع: بذل الجهد في قتال الكفار. ويُطلق على مجاهدة النفس، والشيطان والفساق. وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

والاستنصار: الاستنجاد والاستنصار، واستنفر الإمام الرعية فنفرت؛ أي: دعاها إلى الحرب والنصرة، فأجابت وخرجت.

\*\*\*\*\*

\* مجلة الأزهر، العدد الأول، المجلد الخامس عشر، محرم (١٣٦٣ = ١٩٤٤).

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٣) في الجهاد، ومسلم (١٣٥٣) في الحج.

(٢) سورة الحج: ٧٨.

## سبب الهجرة

صدع النبي ﷺ بما أمر، فلقِيَ هو وأصحابه من سُخرية المشركين، وضروب إيذائهم ما يزلزل أيسره عظماء الرجال، ويا لَيْتَ الخُطْبَ وقف عند السُّخرية والإيذاء!

إذاً لاحتملوه في ذات الله، بالغاً ما بلغ وكائناً ما كان، ولكن ما الحيلة وقد امتدت يد البلاء إلى دين الله، وحالت بين المؤمنين وبين أوامر الله؟.

لا بدَّ لهم إذاً من هجرة الوطن، والفرار بدينهم من الفتن، وبهذا أمر أصحابه صلوات الله وسلامه عليه.

هاجر المسلمون إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، ثم هاجر ﷺ هو وصاحبه بعد ثلاث عشرة سنة، حمل فيها من الأهوال، ما تأبى أن تحمله الجبال!

## مكانة الهجرة

لا غرو أن كانت الهجرة منقبةً يسمو بها الأوَّلون، وأمنيةً يتمنَّاها الآخرون؛ ولكن ما الحاجة إليها بعد أن جاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً؛ وأمِنوا على دينهم وأنفسهم وأموالهم؟! فليشرح النبي ﷺ بحديثه هذا صدوراً كانت حَرَجَةً، ولينزع وساوسَ كانت مُخْتَلِجَةً، وليبيِّن لمن حزنه أن لم يكن من السابقين بالمهاجرة، ولا من التابعين بالمناصرة، أنَّ الهجرة قد ارتفع حكمها، ولكن بقي بدلُّها، وهو الجهاد والنية؛ فخذوا من العدو حذرکم، وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة، حتى إذا جدَّ الجد، واستنفرکم الإمام لإعلاء كلمة الله، وحماية دين الله، فلا تهنوا ولا تجبنوا، بل انفروا خِفَافاً وثِقَالاً، وجاهدوا بأموالکم وأنفسکم في سبيل الله، فإن فاتکم هذا الجهاد فلا تفتکم نيَّته، فَرُبَّ نيَّةٍ خيرٌ من عمل، ولكلِّ امرئٍ ما نوى.

قالت عائشة رضي الله عنها، وقد سألتها عبيد بن عمير الليثي عن الهجرة: «إنما كانت الهجرة، قبل فتح مكة والنبي ﷺ بالمدينة، أمَّا اليوم فلا هجرة. كان

المؤمنون يفرُّ أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، واليوم يعبد ربه حيث يشاء، ولكن جهاد ونية»<sup>(١)</sup>.

### حكم الهجرة

نعم، كانت الهجرة فرضاً في الإسلام، على مَنْ أسلم وكان قادراً عليها؛ لِيَسْلَمَ من أذى الكفار، ويأمن على دينه؛ وليعاون إخوانه المسلمين ويكثرهم، ثم ليجاهد مع النبي ﷺ ويتعلم منه شرائع الإسلام وأحكامه.

وقد أعظم الله تعالى شأن هذه الهجرة، حتى قطع الموالاة والتَّصْرَةَ بين مَنْ هاجر ومَنْ لم يهاجر، فقال عزَّ شأنه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَليَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾<sup>(٢)</sup>.

أما العاجزون عن الهجرة، من أسير ومريضٍ ومَنْ إليهما، فقد قَبِلَ الله عذرهم، وعفا عنهم، واستثناهم من الذين ظلموا أنفسهم وباؤوا بسخطه؛ لأنهم المستضعفون حقاً: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>. على أن أحداً من هؤلاء الضعفاء إذا كَلَّفَ نفسه ما لم يكلف، فخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، فقد وقع أجره على الله.

وما زال الأمر كذلك حتى فتحت مكة، فُنسخ فرضُ الهجرة، وبقي فرضُ الجهاد والنية.

### حكم الإقامة في دار الكفر

وعلى هذا فلا حرج - منذ الفتح إلى أن تقوم الساعة - على مَنْ أقام في دار

(١) رواه البخاري (٤٣١٢) في المغازي.

(٢) سورة الأنفال: ٧٢.

(٣) سورة النساء: ٩٨.

الكفر مسلماً قادراً على عبادة ربّه، سالماً من الأذى في دينه. بل قال الماوردي: إن إقامة هذا أفضل من رحلته؛ إذ يُرجى من وراء إقامته دخول غيره في دين الله. وهو قولٌ حقٌّ تؤيِّده دلائل الشريعة، لكن لمن نوى بإقامته إظهارَ الحقِّ والدعوة إليه، وكان أهلاً لذلك، وإلاّ فهجرته مستحبّة، لتكثير المسلمين ومعونتهم، وجهاد الكفار، والأمن من غدرهم، والراحة من رؤية المنكر بينهم.

وقصارى القول: أنه لا تجب عليه الهجرة ما لم يُقتن.

ويذهب ذاهبون إلى وجوب الهجرة من بلاد الشرك، على المسلم القادر مطلقاً، مُستندين إلى مثل قوله صلوات الله وسلامه عليه: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين»<sup>(١)</sup>.

«لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»<sup>(٢)</sup>.

ولكنّ الحقّ ما قاله صاحب «الفتح»: إن هذا فيمن خشي الفتنة على دينه<sup>(٣)</sup>. وهذا الذي أشارت إليه عائشة رضي الله عنها، من قبل<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤)، والنسائي (٤٧٨٠).

(٢) رواه أحمد في المسند ٤: ٩٨ (١٦٩٠٦)، وأبو داود (٢٤٧١)، والنسائي في الكبرى (٨٦٥٨)، كلهم من حديث أبي هند البجلي يرويه عن معاوية، وهو حديث ضعيف لجهالة أبي هند البجلي، فقد انفرد بالرواية عنه عبد الرحمن بن أبي عوف الجُرشي، وقال الذهبي في «الميزان»: لا يعرف، لكن احتجّ به النسائي على قاعدته. وقال ابن القطان: مجهول. وللحديث شاهد حسن عند أحمد برقم (١٦٧١) يرويه بسنده عن عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمرو بن العاص. انظر: المسند، طبعة مؤسسة الرسالة.

(٣) فتح الباري ٧: ٢٧٠ - ٢٧١.

(٤) انظر: ص ٦٧٥ - ٦٧٦.

## الهجرة إلى الله ورسوله

وكما تنبغي الهجرة من دار الكفر للقادر المتمكّن من إقامة دينه، تنبغي كذلك للجهاد، والحج، وطلب العلم، وابتغاء الحلال من الرزق، والنظر في ملكوت السموات والأرض، والعمل على ما يرفع من شأن المسلمين، ويعلي مكانهم. وكلّ هذا من قبيل الهجرة إلى الله ورسوله.

فإذا تعيّن شيء منه فلا جدالَ أنه فرضٌ محتوم لا يثاقل عنه مؤمن بالله ورسوله. ومن المؤسف المؤلم أن يسبقنا الأجانب إلى الهجرة ودرِك أسرارها، حيث يشدون الرفعة لبلادهم، والعزة لأممهم، ونحن لا نزيد على أن نتفكّه بالنظر إليهم، كأنهم ما غادروا الديار وكابدوا الأسفار، إلّا ليستمتعوا مثلنا ويلهوا!.

## المهاجر الحق

وبعد؛ فلئن مضت هذه الهجرة الحسنة لأهلها، وذهبت بجلالها وفضلها، فإنّ الهجرة المعنوية لهي أعلى منها شأنًا، وأجلّ قدرًا وأجرًا؛ تلك هي هجرة الروح حيث يزكي المرء نفسه، ويطهر قلبه، باجتناب المآثم، واجتناء المكارم؛ تلك هي الهجرة كلّ الهجرة التي بيّنها الرسول الكريم في جوامع كلمه؛ إذ يقول صلوات الله وسلامه عليه: «المسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»<sup>(١)</sup> رواه البخاري.

## مكانة الجهاد وأقسامه

أما الجهاد، وما أدراك ما الجهاد؟! فهو حصن الإسلام ومُنته، وعصمة الدين وجنّته<sup>(٢)</sup>؛ اختار الله له خاصّة أوليائه، وبشرهم بجليل نعمه وعطائه

(١) أخرجه البخاري (١٠) في الإيمان.

(٢) المنة: القوة، والجنّة: السّتر، وكلّ ما وقى من سلاح وغيره.

﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

وآخران لهما منزلة وفضل؛ هما جهاد النفس والهوى، وجهاد المنافقين والظلمة. والناس درجات مختلفة باختلاف تفاوتهم في جهادهم؛ ولذا كان ﷺ أكمل الخلق مرتبةً، وأرفعهم درجة؛ لأنه استوى على صنوف الجهاد كلها، فجاهد في الله حقَّ جهاده، بالقلب والجنان، والدعوة والبيان، والسيف والسنان، ولم يألُ جهداً في نصر الله وإعلاء كلمته. وانظر في شمائله تفصيل هذا كله.

### مكانة النية من العمل

وأما النية فهي من الأعمال بمنزلة الروح من الجسد، وحسبها فضلاً أنها تُغني عن العمل، دون أن يغني عنها عمل: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*\*

(١) سورة النساء: ٩٥.

(٢) تقدّم تخريجه وشرحه تحت عنوان: «إنما الأعمال بالنيات» ص ٤٢٣.

## الجوار الأعظم\*

٨٦ - عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : نظرتُ إلى أقدام المشركين ، ونحن في الغار ، وهم على رؤوسنا ؛ فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا ؛ فقال : ما ظنك يا أبا بكرٍ باثنين اللهُ ثالثهما؟! .

رواه الشيخان<sup>(١)</sup> .

### أجلُ جوارٍ وأعظمه

إذا كان عَظْمُ الجوارِ ، على مقدار عَظْمِ الجارِ<sup>(٢)</sup> ، فلا ريبَ أن جوار الله عزَّ سلطانه ، أجلُّ جوارٍ وأعظمه ، وأنَّ حماه تعالى شأنه أعزُّ حمىً وأكرمُه ؛ وأين جوار الخلق أجمعين من جوار الخلاق العظيم؟! بل أين حمى العبيد ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، من حمى الملك المجيد ﴿الَّذِي لَمْ يُلِكْ أَلْسَمَاتٍ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَنْخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>

\* مجلة الأزهر ، العدد الأول ، المجلد السادس والعشرون ، (١٣٧٤) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة (٣٦٥٣) ، وفي كتاب مناقب الأنصار (٣٩٢٢) ، وفي كتاب التفسير (٤٦٦٣) ، ومسلم (٢٣٨١) في فضائل الصحابة .

(٢) كان (الجوار في الإسلام) الذي اختتمنا بأحاديثه الثلاثة عامنا الغابر خاصاً بجوار الأنام ، وأما هذا الجوار الذي افتتحنا به عامنا الحاضر ، فإنه خاصٌ بجوار ذي الجلال والإكرام ، والعزة التي لا تُرام (طه) .

(٣) اقتباس من الآية ٢ من سورة الفرقان .



## الجوار الإلهي درجات

إنَّ ذلك الجوار الأعظم الذي نعينه، هو الذي عناه الرسول الأكرم ﷺ في حديثه هذا لصاحبه الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه.. وهو الجوار الخاص الذي يختصُّ الله به عباده المقرَّبين، من النبيِّين والصَّديقين، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وهو على درجات لا يُحصيها إلاَّ مَنْ أحاط بما لديهم و أحصى كلَّ شيء عدداً..

## المعيَّة الإلهية الخاصة

وهو جوار المعية الخاصة، والصُّحبة الربانية المقدَّسة، التي حرَّمها الله على أعدائه؛ لأنهم نسوا الله فنسيهم، وأعرضوا عنه فأعرض عنهم، وأقروا - إن شئتم - قوله عزَّ جاره: ﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤١﴾

## المعيَّة الإلهية العامة

وتمَّ جوارٌ إلهيٌّ آخر، وهو جوار المعية العامة الشاملة، معية إحاطته تعالى بخلقه، علماً، وقدرةً، وجزاءً، لا تخفى عليه منهم خافية، تلك المعية التي يشير إليها جلَّت قدرته: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْتِسُونَ بِهِ نَفْسَهُ وَحَنُّ أَوْبٍ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلٍ أَلْوَدِيِّ﴾<sup>(٢)</sup> وينبئُ عنها قوله تعالت عظمته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنْتَهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ

(١) سورة الأنبياء: ٤٢ - ٤٣.

(٢) سورة ق: ١٦.

أَلْقَمَةً إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ .

وشتان ما بين الجوارين: فذاك جوارُ التكريم والتأييد والتسديد، وهذا جوار المحاسبة والإنذار والتهديد..

### الأسباب لا تُلغى

ولا يضير هذا الجوار الكريم وأهله أن يأخذوا في أسبابه، وأن يعدوا العدة له، ما داموا برّبهم معتمدين، وعلى ربّهم متوكّلين، فإن الاعتصام بالله تعالى والتوكّل عليه أساسُ هذا الجوارِ وعمادُه، وقد أمر الحكيم العليم الذي ربّط الأسباب بالمسببات، والوسائل بالغايات، أمر عباده ألاّ يُلغوا هذه الأسباب، فيُلغوا معها حكمته؛ وألاّ يغلوا فيها، فيجحدوا بهذا الغلوّ مشيئته وقدرته..

وهذا سيّد المتوكّلين، يأخذ مع أوّل الصّدّيقين، بكلّ أسباب النجاة، في هجرتهما إلى الله.. حتى إذا أحسّ الصّدّيق وقع أقدام الكفار فوق الغار، ألمّ وحزن، وخشي أن يُصاب الرسول ﷺ بأذى لا يستطيع أن يدفعه أو يحمله - وهو أول من يفتيه بنفسه وماله - طمأنه صلوات الله عليه وسلامه بأنّ الله معهما، وأنّهما اثنان الله ثالثهما، وقد اعتصما به وحده دون خلقه، فلو أنّ السّموات السبع ومن فيهنّ، والأرضين السبع ومن فيهنّ، كادوا لهما لجعل لهما من هذا الكيد فرجاً ومخرجاً..

### الأخذ بالأسباب في أعلى مقامات الجوار

وقد ظاهر صلوات الله عليه في الحرب بين درعين، وكان يُصلّي في الحرب صلاة الخوف بطائفة بعد طائفة، وهم آخذون حذرهم وأسلحتهم، مع أنّهم جميعاً في أعظم الجوار، وأمنع الحمى.

(١) سورة المجادلة: ٧.

٦٨٣

بل لا يضير هذا الجوار الكريم وأهله أن يكونوا - بجوارحهم لا قلوبهم - في جوار أحد الناس وضمانه، ما دام هذا الجوار سبباً كريماً مشروعاً، ووسيلةً سائغةً للخير والهداية. لا جرمَ أنَّ المُجبر مع المجار، كليهما في جوار الله حينئذ..

ولمَّا عاد ﷺ من الطائف لم يستطع دخول مكة - لمَّا علمت قريش من توجُّهه إلى الطائف يستنصر بأهلها عليهم - إلا بجوار المُطعم بن عديٍّ، وكان جواره هذا يداً حفظها له النبيُّ ﷺ، وذكرها بعد موته<sup>(١)</sup>.

### مقامات خاصة

على أنه قد تعرض للمتوكِّلين الصَّادقين نَفَحَاتُ إلهيَّة تأخذ بقلوبهم وأنفسهم، فلا يستطيعون لها مدفعاً، وهم معذرون إذ ينسون في هذه الأحوال جميع الأسباب، ولا يذكرون إلا العزيز الوهاب.. وقد يأخذون في الأسباب، ثم يرفضونها بكلِّ شَمَمٍ وإباء، اعتزازاً ببارئهم وبارئ الأرض والسماء.

ومن هذا ما وقع للصَّديق نفسه رضوان الله عليه مع ابن الدُّعنة لمَّا لقيه - وقد أجمع أمره على الهجرة إلى الحبشة - فقال له: إلى أين يا أبا بكر؟ فقال: أخرجني قومي، وأريد أن أسبح في الأرض وأعبد ربي! فقال ابن الدُّعنة: مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، ووَصَفَهُ بما وَصَفَتْ به خديجةُ رسولَ الله ﷺ أوَّل ما رأى الملك، وقال لها: لقد خشيت على نفسي.. وانتهى الحديث بجواره إيَّاه على أن يعبد ربَّه في داره، ولا يَسْتَعْلَنَ بصلاته.. غير أنَّ أبا بكر كان

(١) أخرج أحمد في «مسنده» ٤: ٨٠ (١٦٧٣٣)، والبخاري (٣١٣٩) و(٤٠٢٤) عن جُبَيْر بن مطعم عن النبيِّ ﷺ: «لو كان المُطعم بن عديٍّ حيًّا فكلمني في هؤلاء التَّنتي أطلقْتهم» يعني أسارى بدر. أي: أطلقهم بلا فداء.

رجلاً بكاءً لا يملك عينيه، فأفزع ذلك أشراف قريش، وسعوا إلى ابن الدُّعْنَةَ أن يستردَّ جواره أو يُسرَّ أبو بكر صلَّاته وقراءته.. فردَّ أبو بكر جوار ابن الدُّعْنَةَ قريراً العين بجوار الله عزَّ وجلَّ..<sup>(١)</sup>

غير أن هذه مقاماتٌ خاصَّةٌ محدودة، لا ينبغي أن يُقاسَ عليها، ولا أن يُدعى أحدٌ إليها.. ولبسط القول فيها مجال آخر..

### جوار الشيطان سراب

وإذا كان جوار الرحمن أعظم الجوار وأكمله، كان جوار الشيطان بلا ريب أحقر الجوار وأسفله، فكم زين في الدنيا ووعد بأنه جار، فلمَّا جدَّ الجدد تبرأً ونكص وولَّى الأدبار.. وهو في الآخرة أشدُّ تبرؤاً ونكوصاً: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*\*\*

(١) الحديث أخرجه البخاري (٣٩٠٥) في مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه.

(٢) سورة عبس: ٣٤-٣٥.

(٣) سورة الانفطار: ١٩.

## بدل من الهجرة\*

٨٧ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْهَجْرَةِ، فَقَالَ: «وَيْحَاكَ! إِنَّ الْهَجْرَةَ شَأْنُهَا شَدِيدٌ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبْلِ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَتُعْطِي صَدَقَتَهَا؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَهَلْ تَمْنَحُ مِنْهَا شَيْئًا؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَتَحْلُبُّهَا يَوْمَ وَرْدِهَا؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَتْرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا». رواه الشيخان، واللفظ للبخاري<sup>(١)</sup>.

### منهاج الحنيفية السمحة

قد يبدو جديداً في هذا العهد الجديد، أن نتقل من أحاديث الهجرة وشؤونها، وحكمها وأحكامها، وما يتصل بها من روائع أخبارها وأسرارها، وبدائع إثارها وآثارها، إلى ما يعادلها من صالح الأعمال، وحميد الخصال؛ فقد أسهمت هذه المجلة في مجلداتها الأربعة والعشرين، بنصيب غير قليل من تلك الشؤون، ومنها ما كتبناه مستهل العامين: الخامس عشر والتاسع عشر في حديثي الصحيحين: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية...»<sup>(٢)</sup>، و«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...»<sup>(٣)</sup>.

ويسير على من تأمل في سياسة الحنيفية السمحة، أن يلمس في منهاجها

\* مجلة الأزهر، العدد الأول، المجلد الخامس والعشرون، محرم (١٣٧٣).

(١) أخرجه البخاري (٢٦٣٣) في كتاب الشهادات، ومسلم (١٨٦٥) في الإمارة.

(٢) انظر: شرح حديث: «لا هجرة بعد الفتح» ص ٦٧٤.

(٣) انظر: شرح حديث: «إنما الأعمال بالنيات» ص ٤٢٣.

الحكيم القيم، من كلِّ عُسْرٍ يُسْرًا، ومن كلِّ ضيقٍ فَرَجًا، ومن كلِّ شاقٍّ بدلًا. وحَسْبُنَا حديث ذلك الأعرابي شاهدًا إلى أن يَمُنَّ اللهُ ببسط الشواهد في أحاديث أخرى.

### رُبَّ مقيم خيرٍ من مهاجر

ظنَّ هذا الأعرابي أن الهجرة إلى المدينة ومصاحبة النبي ﷺ فيها، أمرٌ محتوم على كلِّ مسلم، وعزَّب عنه أنها متعذرة على مثله أو متعسرة، أو أنها إنما تجب على القادر عليها مخافة الفتنة في دينه، فأما من كان مثله فلا بأس بأن يقيم مكانه ويعبد ربه؛ فلما سأل الرسول ﷺ أن يبايعه على الهجرة رقبًا له صلوات الله وسلامه عليه ورحمه، وهو بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ، وأخبره أن الهجرة شيءٌ عظيم، لا يقدر عليه إلا من يوطن نفسه على الصبر والجلد وبذل النفس والنفس في سبيل الله.

ورُبَّ قارٍ في وطنه يعمل ويتصدق خيرٌ من مهاجر، ورُبَّ مهاجر ليس له من هجرته إلا نَصَب الجسم وشقاء النفس!

ثم عرّفه صلوات الله وسلامه عليه أن للهجرة بدلًا يقوم مقامها في عظيم الأجر والمثوبة، لمن أصلح نيته وأحسن عمله؛ بدلًا يختلف باختلاف كلِّ وما خلق له.

والأعرابُ: أهل المال الراعي: الإبل، والبقر، والشاء؛ والأولى أكرمُ أموالهم، ولا سيما الحمراء؛ فبدل هجرتهم أن يؤدّوا حقوقها كاملة غير منقوصة، من صدقاتها الواجبة، ونوافلها المستحبة، وليعملوا بعد ذلك أينما كانوا، ولو من وراء البحار<sup>(١)</sup>؛ فإن الله تعالى لن ينقص أجرَ عاملٍ مثقال ذرة:

(١) الشُّرَّاح على أن البحر هنا: القرية أو البلد، ومنه: «وكتب لهم بحرهم»، ولكننا نختار أن يكون على حقيقته، وأن العبارة جارية مجرى المثل للأمكنة التي تحول بينها البحار

﴿وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

### حقوق النعم

بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَدِيثِهِ هَذَا أَمَّ حَقُوقِ النَّعْمِ: أَنْ تُؤَدَّى زَكَاتُهَا، وَأَنْ يَمْنَحَ مِنْهَا، وَأَنْ تُحَلَبَ عَلَى الْمَاءِ يَوْمَ وَرْدِهَا. وَمِنْ حَقِّهَا - كَمَا بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَحَادِيثٍ أُخْرَى -: إِعَارَةُ دَلْوِهَا، وَإِعَارَةُ مَحَلِّهَا<sup>(٢)</sup>، وَحَمْلُ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

فَأَمَّا زَكَاتُهَا وَزَكَاتُ سَائِرِ الْأَمْوَالِ، فَهِيَ فَرِيضَةٌ مَحْتَمَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، بَلْ هِيَ ثَالِثُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْخَمْسِ.

وَكَفَى مَانِعُ الزَّكَاةِ إِثْمًا وَخِزْيًا أَنْ اللَّهُ يَعَذِّبَهُ بِمَالِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَهُوَ فِي دُنْيَاهُ حَارِسٌ مَهِينٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ، وَفِي آخِرَاهُ أَشَدُّ مَهَانَةً وَذِلًّا، يَوْمَ يُحْمَى عَلَى الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَتُكْوَى بِهَا جِبْهَتُهُ وَجَنْبُهُ وَظَهْرُهُ، وَتَجِيءُ الْإِبِلُ أَوْ الْبَقَرُ أَوْ الْغَنَمُ أَعْظَمَ مَا تَكُونُ وَأَسْمَنَهُ، تَطْوُهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، كُلَّمَا جَازَتْ آخِرَهَا، وَرَدَّتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا، حَتَّى يَقْضِيَ بَيْنَ النَّاسِ<sup>(٣)</sup>.

### عطية الرقبة للمنافع

وَأَمَّا الْمُنْحَةُ وَالْمُنِيحَةُ: فَهِيَ الْعَطِيَّةُ، وَتَقَعُ عَلَى وَجْهَيْنِ: عَطِيَّةُ الرَّقْبَةِ بِمَنْفَعِهَا مِنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّعْمِ وَالذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَالْأَثَاثِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ، وَهَذِهِ هِيَ الْهَبَةُ؛ وَعَطِيَّةُ الرَّقْبَةِ لِلْمَنْفَعِ زَمَانًا مِنَ اللَّبَنِ وَالشَّعْرِ وَالْوَبْرِ وَالشَّمَارِ وَنَحْوِهَا، عَلَى أَنْ تُرَدَّ الرَّقْبَةُ إِلَى صَاحِبِهَا، وَهَذِهِ الثَّانِيَةُ هِيَ الْمَرَادُ هُنَا.

شقة وبعداً، وأكبر علمنا أنه ﷺ صاحب هذا الابتكار البديع (طه).

(١) سورة النساء: ٤٠.

(٢) أي: الموضع الذي تحلُّ فيه.

(٣) اقتباس من حديث رواه البخاري (١٤٠٢)، ومسلم (٩٨٧) في التهريب من منع

الزكاة.

## صنائع المعروف

والمنائح من الصنائع الجليلة الشأن، العظيمة الخطر، التي لا يُلقاها إلا ذو حظٍّ عظيم.

ومَّا جاء في فَضْلِهَا والحثُّ عَلَيْهَا ما رواه الأئمة: أحمد والترمذي وابن حَبَّان عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مَنَحَ منيحةَ لبني أو وِرق، أو هَدَى زُقاقاً<sup>(١)</sup>، كان له مثل عِتقِ رقبة»<sup>(٢)</sup>.

وإنما كان له هذا الأجر لأنه أحيا نفساً، أو نفسَ كَرَباً، والجزاء من جنس العمل.

وما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ألا رجل يمنح أهل بيتٍ ناقةً، تغدو بعُسٍّ، وتروح بعُسٍّ، إنَّ أجرها لعظيم»<sup>(٣)</sup>. والعُسُّ: الإناء الضخم.

وقد كانت معيشة النبي ﷺ وأصحابه أوَّل ما قدموا المدينة، تعتمدُ على هذه المنائح، أراد الأنصارُ أن يقاسموهم أموالهم وديارهم، حتى عرضَ بعضهم أن ينزل عن إحدى زوجتيه فيطلقها ليتزوجها أخوه المهاجري عِقبَ عدتها، فأبوا إلا منيحة المنفعة..

وفي هذا تقول أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عليها لابن أختها عروة: إن كُنَّا

(١) قوله ﷺ: «منح منيحة وِرق»، يعني به قرض الدرهم، وقوله: «أو هدى زقاقاً» إنما يعني به هداية الطريق، وهو إرشاد السبيل. كما في «الترغيب» (١٣١٨).

(٢) أخرجه أحمد ٤: ٢٨٥ (١٨٥١٦) (١٨٥١٨)، ورواه مُحتجُّ بهم في الصحيح، والترمذي (١٩٥٨) وقال: حديث حسن صحيح، وابن حبان (٥٠٩٦)، وقد شُرح هذا الحديث في الجزء الثاني من المجلد الثاني من مجلة الأزهر (ص: ١٠٤ - ١١٣) بقلم الأستاذ حسن منصور رحمه الله تعالى. وسيصدر مع مجموعة الأحاديث الأخرى قريباً بعون الله.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٢٠).



لننظر إلى الهلال، ثمَّ الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نارٌ، فيقول: يا خالة! ما كان يُعیشُكم؟ فتقول: الأسودان؛ التمرُّ والماء، إلاَّ أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيرانٌ من الأنصار، كانت لهم منائحٌ، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانها، فيسقيننا<sup>(١)</sup>.

### فضل الأنصار

ويروي الترمذي وأبو داود عن أنس رضي الله عنه قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة أتاه المهاجرين، فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا قوماً أبذل من كثير، ولا أحسن مواساة من قليل، من قوم نزلنا بين أظهرهم، لقد كفونا المؤونة، وأشركونا في المهنأ، حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كلَّه، فقال النبي ﷺ: «لا، ما دعوتم الله لهم، وأثنتم عليهم»<sup>(٢)</sup>.

وحسب الأنصار - بدلاً من الهجرة - هذه الصنائع التي كتبها الله لهم، وأثنى بها عليهم. ثم بشرهم نبيُّ صلوات الله عليه وسلامه بأنه لا يحبُّهم إلاَّ مؤمن، ولا يبغضهم إلاَّ منافق، وأنَّ من أحبَّهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله<sup>(٣)</sup>.

ثم إعلانه بأنه لولا الهجرة لكان امرأ من الأنصار<sup>(٤)</sup>... أي بدل هذا؟! وأيُّ

(١) أخرجه البخاري (٢٥٦٧) في كتاب الهبة وفضلها، ومسلم (٢٩٧٢) في كتاب الزهد والرفائق.

(٢) أخرجه أحمد ٣: ٢٠٠ (١٣٠٧٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٧)، والترمذي (٢٤٨٧)، وأبو داود (٤٨١٢)، وهو صحيح على شرط الشيخين.

(٣) روى البخاري (٣٧٨٣) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومسلم (٧٥) في الإيمان، والترمذي (٣٨٩٦) في المناقب عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في الأنصار: «لا يحبُّهم إلاَّ مؤمن، ولا يبغضهم إلاَّ منافق، فمن أحبَّهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله».

(٤) روى البخاري (٣٧٧٩) عن أبي هريرة قال: قال أبو القاسم ﷺ: «لو أن الأنصار

٦٩٠

فضل هذا؟! تالله لولا أن الثُّصرة تابعة للهجرة، لقلنا: إن الأولى خيرٌ من الآخرة.

### تخصيص حَلْبِ النَّعْمِ يومِ وِردِها

وأما تخصيص حَلْبِها بيوم وِردِها؛ فَلِلرَّفَقِ بالماشية، والتيسير عليها، ولتمكين المساكين والمحاويج من لبنها، وانتفاعهم به، ولتعميم البرِّ، وإشاعة الخير، وبثُّ التعاون جَهْرَةً في أشدِّ المواطن حاجةً إليه، فكم من فقير محتاج منقطع لا يسأل الناس إلحافاً، يموت جوعاً ولا يِرْزأُ أحداً شيئاً، فإذا أوى إلى وِردِ الماشية تَفَطَّنَ له أصحابها، فمَنُّوا عليه ممَّا منَّ الله عليهم من فَضله.

### صَدَقَةُ السِّرِّ وَصَدَقَةُ الْجَهْرِ

وإذا كانت صَدَقَةُ السِّرِّ أفضل من صدقة الجهر؛ لأنها أقرب إلى إخلاص المعطي والسِّرِّ على المُعْطَى، فإنَّ صدقة الجهر أفضل؛ لأنَّها أدعى إلى الاقتداء وأعون على إذاعة البرِّ والتقوى؛ وما أصاب موضعه - مع صدق النية - فهو خيرٌ وأبقى، «ولكلِّ امرئ ما نوى».

### هل في المال حقٌّ سوى الزكاة؟

ذلك، وللعلماء بحثٌ هنا فيما عدا الزكاة من هذه الصنائع وأمثالها: هل هي حقوقٌ مفروضة فرض الزكاة، أو هي من مكارم الأخلاق ونوافل البرِّ؟ والذي نختاره أنها من المكارم المُسْتَحَبَّة، ما لم تدعُ إليها ضرورة واجبة، فتكون حينئذ حقاً محتوماً على المُصَلِّين: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (١٦٢)

سلكوا وادياً أو شعباً لسلكتُ وادي الأنصار، ولو لا الهجرة لكنت امرأة من الأنصار». وروى الترمذي (٣٨٩٥) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لا الهجرة لكنت امرأة من الأنصار».

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١﴾.

### بدل الهجرة في الأمم الإسلامية

وإذا كان هذا هو بدل الهجرة من أعرابيٍّ واحد في إبله، فكيف يكون البدل من الأمم الإسلامية، منفردةً ومجتمعةً، وفي كلٍّ منها من العلماء والأغنياء والساسة والقادة والكتّاب والخطباء والشعراء، مَنْ لو أدّوا ما افترض عليهم من هذا البدل، لَمَا طمع فيهم من كان بالأمس في كنفهم وتحت رعايتهم؟!.

### زكاة العلم والمعرفة

الحقُّ أن بدل الهجرة ليس جديداً، فلقد قرّر الرسول ﷺ هذا البدل - حقاً محتوماً واضحاً لا لبسَ فيه - يوم قال في كلمته الجامعة الساطعة: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهادٌ ونيةٌ، وإذا استنفرتم فانفروا»<sup>(٢)</sup>.

ولقد حذّر الله ﷻ ﴿الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>!! فهل آن لأمة محمد ﷺ - وقد جربوا عاقبة خلافه مراراً - أن يستجيبوا له مرّة، فيجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، ويؤدّوا زكاة ما أنعم الله عليهم من علم ومعرفة، ليعودوا كما كانوا سادة الدنيا وملوك الآخرة؟!.

ألا قد بلغت.. اللهم فاشهد.

\*\*\*\*\*

(١) اقتباس من الآيات ٢٣ - ٢٥ من سورة المعارج.

(٢) انظر شرحه لهذا الحديث تحت عنوان: «لا هجرة بعد الفتح» ص ٦٧٤.

(٣) اقتباس من الآية ٦٣ من سورة النور.

## رجالٌ صدَّقوا ما عاهدوا الله عليه \*

٨٨ - عن أنس رضي الله عنه قال : « غاب عمِّي أنسُ بنُ النَّضْرِ عن قتال بدر، فقال : يا رسول الله، غبتُ عن أوَّلِ قتالٍ قاتلتَ المشركين، لئن الله أشهدني قتالَ المشركين، ليرينَّ الله ما أصنعُ. فلَمَّا كان يومُ أُحُدٍ، وانكشف المسلمون، قال : اللهمَّ إني أعتذر إليك ممَّا صنع هؤلاء - يعني أصحابه -، وأبرأُ إليك ممَّا صنع هؤلاء - يعني المشركين -، ثم تقدَّم، فاستقبله سعدُ بن معاذ، فقال : يا سعدُ بنَ معاذ، الجَنَّةُ، ورَبُّ النَّضْرِ! إني أجدُ ريحَهَا من دون أُحُدٍ! قال سعدٌ : فما استطعت يا رسول الله ما صنعَ.

قال أنسٌ : فوجدنا به بضْعاً وثمانينَ ضربةً بالسيف، أو طعنةً برمح، أو رميةً بسهم، ووجدناه قد قُتل، وقد مثَّل به المشركون، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتَهُ بَيْنَانَهُ.

قال أنسٌ : كُنَّا نرى - أو نَظُنُّ - أنَّ هذه الآيةَ نزلت فيه، وفي أشباهه من المؤمنين : ﴿رِجَالٌ صدَّقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup>، إلى آخر الآية.

وقال : «إنَّ أخته - وهي تُسمَّى الربيع - كَسَرَت ثنيةَ امرأةٍ، فأمرَ رسولُ الله ﷺ بالقصاص؛ فقال أنسٌ : يا رسولَ الله، والذي بعثك بالحقِّ لا تُكسرُ ثنيَّتُها، فَرَضُوا بِالْإِرش وتَرَكَوا الْقِصاصَ. فقال رسولُ الله ﷺ : «إنَّ من عبادِ الله مَنْ لَوْ

\* مجلة الأزهر، العدد الخامس، المجلد التاسع عشر (١٣٦٧).

(١) سورة الأحزاب: ٢٣.

أقسم على الله لأبره<sup>(١)</sup>. رواه الشيخان<sup>(١)</sup>.

### المفردات :

البَنان: الأصابع، وقيل: أطرافها، وهي الأنامل، واحدها بنانة.

والثنيّة: واحدة ثنايا الفم. وهنّ أربع في مقدمه: ثنتان من فوق، وثنان من أسفل. وأرّش الجراحات: ديتها، وجمعه أرّوش.

وإبرارُ القَسَم: تصديقه وعدم تحنيثه.

\*\*\*\*\*

### كتائب الفداء

إذا صحَّ للأمم الحديثة أن تفخرَ بما تسميه في نظام جنديتها بالكتائب الفدائية، أو فرق الموت، فإن الإسلام أولى منهنّ بذلك، وأحقُّ.

وُبادر بأننا لا نذكرُ هذه التُّظُم الحديثة بجانب النظم الإسلامية، إلاّ كما نذكر الشقاء بجانب السعادة، والضلالة بجانب الهداية، والموت بجانب الحياة؛ والصدُّ - كما يقول علماء النفس - أقرب خطوراً بالبال إلى ضدّه. وإلّا فأين من يُلقي بيده إلى التهلكة في سبيل الاستعمار والغلب والجشع، واستلاب الأموال والأعراض، والبطش بالضعفاء والمساكين، ممّن يُرحّب بالموت في سبيل الله، وإعلاء كلمته، وإحقاق الحقّ ونُصرتَه؟!.

وأين من يقذف بجسمه طعمةً للحرب على غرة، انتصاراً لعقيدة آئمة، أو

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٥) في الجهاد، ومسلم (١٩٠٣) في الإمارة.

إجابة لثورة جامحة، ممن يبذل نفسه مطمئنة راضية، ابتغاء مرضاة ربه، وشوقاً إلى نعيمه وقربه؟! ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَ مَعْدُنِي لَأَفْتَدَوْا بِهِمْ﴾ (١).

كان الإسلام غنياً بهؤلاء الفدائيين، بل كان كل أتباعه مثلاً في تفديته بالنفس والنفيس - على درجات بينهم - إذا مُسَّت دعوة الحق، أو أهينت كلمة الصدق، أو انتهكت حرمة العهد والدمام، أو فُصِمَت عروة الحلف والوئام.

وهذا أنس بن النَّضْر رضي الله عنه - أحد السابقين الأولين والأبطال الفدائيين - يكبرُ عليه أن يغيب قهراً عن غزوة بدر، أوّل غزوة أُسِّس عليها مجد الإسلام، وشهدها النبيُّ عليه الصلاة والسلام، فيتمنّى على الله أن يعوّضه خيراً مما ضاع منه، وأن يُشْهده موقعةً يبلي فيها بلاءً حسناً، ويرى ربه فيها - وهو أعلم به - أنه وفيُّ العهد، صادقُ الوعد، قد باع نفسه وماله لله، لا يبتغي شيئاً غير فضله ورضاه؛ ثم يجلس إلى رسول الله ﷺ فيذكر له أمنيته، ويوثق لديه عهده، حتى إذا جاءت غزوة أحد، وما أدراك ما غزوة أحد؟! أُصيب بها الغزاة ببعض ما كسبوا، وأثابهم الله غمّاً بغم بما انحرفوا، وكادت الدائرة تدور عليهم بما تعجّلوا، ولولا فضلُ الله عليهم ورحمته لذهبت ريحهم، وامّحت آثارهم.

جاءت هذه الغزوة فصَدَقَ المسلمون حَمَلَتَهُمْ في مَعْمَعان الحرب، وأثخنوا أهل الشرك تَقْتِيلاً وتَنْكِيلاً، حتى ولّوا مدبرين خاسرين؛ هناك برقت لهم غنائمُ المشركين عن كُتُب، فامتدّت إليها عيونهم، وتطلّعت لها نفوسهم، فنسوا أمر الرسول ﷺ بالألّا يبرحوا مكانهم، ولو كانت العاقبة لهم، وهنالك أحاط المشركون بهم، وقد رأوهم اشتغلوا بدنياهم عن آخرتهم، فأعملوا فيهم سيوفهم، حتى كادوا يظفرون بهم!.

(١) اقتباس من الآية ١٨ من سورة الرعد.

## الفدائيُّ الوفيُّ

وبَيْنَا الجِيشَ منكَشَفٌ مُضْطَرِبٌ، قَدْ تَمَزَّقَتْ صَفُوفُهُ، وانْفَرَطَ عِقْدُهُ - جاءَ الفدائيُّ الوفيُّ أنسُ بنُ النضرِ رضي اللهُ عنه، يَفي بِنذرِهِ، وَيَبْرُ بِقِسمِهِ، وَيَسْتَقْبِلُ المَوتَ استِقْبَالاً رَهِيباً لَمْ يَعرِفِ التَّاريخَ مِثْلَهُ، حَتَّى إِذَا لَقِيَ سَعْدَ بنَ مَعَاذٍ مَنهَزمًا - وَهُوَ مَنْ هُوَ شِجَاعَةٌ وَثَبَاتٌ جَاشٌ - صَاحَ بِهِ: وَاهَاً لَريحِ الجَنَّةِ، إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَهَا وَرَبَّ النُّضْرِ عِندَ هَذا الجَبَلِ<sup>(١)</sup>!. وَمَا هِيَ إِلَّا أَنفَاسٌ مَعْدُودَةٌ حَتَّى دَخَلَ الجَنَّةَ فَرِحًا مُسْتَبْشِرًا ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال سعدٌ - وهو يصف للرسول ﷺ إقدام أنس وحسن بلائه - : والله ما استطعتُ يا رسول الله - على عظيم بلائي - أن أصنع صنيعه، أو أن أبلِي بلاءه.

وقال ابن أخيه أنسُ بن مالك: ولقد وجدنا به أكثر من ثمانين ثلثة، ما بين ضربة بسيف، وطعنة بسن، ورمية بنبل، ولقد شوّهه المشركون تمثيلاً وتقطيعاً، فلم يعرفه أحدٌ إلا أخته الربيع بنت النضر، عرفته ببئانه، وكان حسن البنان جميلها. قال أنس: فكنا أصحاب رسول ﷺ نرى أن هذه الآية الكريمة قد نزلت فيه وفي أمثاله من المجاهدين الصادقين: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) واهاً: كلمة تدل على الإعجاب أو التلهف، كأنه يعجب بريح الجنة، وقد تمثلها أو أكرمه الله بشذاها. والنضر: يجوز أن يكون ابنه الصغير الذي تركه في رعاية الله مؤثراً عليه الجهاد في سبيله، وأن يكون أباه الذي كان يبره ويكرمه (طه).

(٢) سورة آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠.

(٣) سورة الأحزاب: ٢٣.

ولَيْتَ شعري فيمن تنزل هذه الآية، إن لم تنزل في مثل هذه الصَّفوة التي اصْطفاها الله لإعزاز دينه وإعلاء كلمته؟!.

ولم تُنسِ أنساً رضي الله عنه دهشة الموقف ورهيبته، أن يعتذر لربه وهو ماضٍ في سبيله، عن المسلمين الذين تفرَّقوا، وتبرَّأ من المشركين وقد تجمَّعوا<sup>(١)</sup>، وأن يكون مثلاً عالياً في صدق اللقاء، والصبر على البلاء، واستعجال اللحاق بالشهداء.

#### فضل أنس بن النضر ومنزلته عند الله

ومنقبةً أخرى يرويها أنس بن مالك عن عمه رضي الله عنه، تدلُّ على ما له عند الله من فضل ومنزلة: تلك أن أخته الرُبَّيعَ خاصمت جاريةً من نساء الأنصار - أغضبتهَا في شيء -، فلطمتهَا فكسرت ثنيتها، فدُعي أهلها إلى الصلح فأبوا إلا القصاص، وتحاكموا إلى النبي ﷺ، فقال: «كتاب الله القصاص»، وهو صلوات الله عليه لا تأخذه في الحق لومة لائم، ولو كان أقرب الناس إليه؛ فقال أنسٌ وهو يرجو العفو: أتُكسر ثنية الرُبَّيعِ يا رسول الله؟! والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها. فبينما هو يراجع رسول الله راجياً من فضل الله، ورسول الله ﷺ يراجعُه؛ عفا أهل الجارية عن القصاص، ورضوا بالدية، وصدَّق الله من صدَّقه، ووفَّى لمن وفَّى له، ومن أوفى بعهدِه من الله؟! وأرسلها رسول الله ﷺ مثلاً رائعاً وحكمة بالغة: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره».

لقد كانت الأمة الإسلامية مرفوعة الرأس، مسموعة الكلمة، عزيزة الجانب، أيام أن كان فيها أمثال أنس بن النضر رضي الله عنهم، ممن يستجيبوا لله وللرسول إذا دعاهم لما يُحييهم، لا يتخاذلون ولا يتواكلون، ولا يهينون ولا

(١) وما أجمل تعبيره في جانب الأولياء «بالاعتذار»، وفي جانب الأعداء «بالتبرؤ»، وأنه كان غير راضي عن صنيع الفريقين جميعاً (طه).



٦٩٧

يضعفون، فإذا مازلوا زلَّةً، فسرعان ما يرجعون وينيبون، ويتَّخذون من الشدائد عبيراً رائعات، وعظمت بالغات، ومناراً من الشُّبهات والظلمات. ثم ضعفت الترية الإسلامية رُوَيْدًا رُوَيْدًا لما استنم المسلمون إلى الدَّعة، واطمأنوا إلى الراحة، واستراحوا إلى الترف، والترف آفةُ الأمم، وقاتل الهمم!

### مصيبة المصائب

وكانت مصيبة المصائب أن تركوا الجهاد لما خدعهم الأعداء بالمدينة، ورموهم بالعصبيَّة، وأعدُّوا لهم ما استطاعوا من قوة، وهم في غمرة ساهون، حتى إذا تمكَّنوا منهم، انقضُّوا عليهم من حيث لا يشعرون!

ألا فليتنبَّه المسلمون وليستيقظوا، وليعودوا إلى تاريخهم الأوَّل ومجدهم المؤثَّل، ولا سبيل إلى ذلك - إن شاؤوا - إلا إذا جاهدوا في سبيل الله، وأعلوا كلمة الله، وأتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم.

\*\*\*\*\*

## دعوى الجاهلية \*

٨٩ - عن جابر رضي الله عنه يقول: غزونا مع النبي ﷺ، وقد ثاب معه ناسٌ من المهاجرين حتى كثُروا، وكان من المهاجرين رجلٌ لَعَابٌ، فكسَع أنصاريًا، فَعَضَبَ الأنصاريُّ غضباً شديداً حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يا لأنصار! وقال المهاجريُّ: يا للمهاجرين، فخرج النبي ﷺ فقال: «ما بالُ دعوى أهل الجاهلية؟!»، ثم قال: «ما شأنهم؟» فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري، قال: فقال النبي ﷺ: «دَعُوها فإنها خبيثة». وقال عبدُ الله بن أبي ابن سلول<sup>(١)</sup>: «أقد تداعوا علينا؟! لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلُّ!». فقال عمر: ألا نقتل<sup>(٢)</sup> يا رسول الله هذا الخبيث؟! فقال النبي ﷺ: «لا يتحدَّث النَّاسُ أنه كان يقتل أصحابه». رواه الشيخان<sup>(٣)</sup>.

### المفردات:

ثاب: رجع، وقيل: اجتمع. لَعَابٌ: مزاح، بصيغة المبالغة من اللعب، وقيل: كان يلعب بالحراب كما تصنع الحبش.  
كسَعه: كمنعه، ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه.

\* مجلة الأزهر العدد الرابع، المجلد التاسع عشر، (١٣٦٧).

(١) أم عبد الله بن أبي، ولذا ثبت ألف ابن الثانية وينون أبي، لأنها صفة أخرى لعبد الله لا لأبي (طه).

(٢) روي بالنون، وبالتالي.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥١٨) في المناقب، ومسلم (٢٥٨٤) في كتاب البرِّ والصلة.

٦٩٩

تداعوا: استغاثوا ودَعَا بعضهم بعضاً بدعوة الجاهلية، وهي أن يقولوا عند الحرب: يا آل فلان، أو يا لفلان، فيجتمعوا لنصرة المستغيث ولو كان ظالماً.

\*\*\*

### حرص الإسلام على سلامة الأمة ووحدتها

لم يحرص الإسلام على شيء حرصه على سلامة الأمة ووحدتها، وشدَّ بنيانها واجتماع كلمتها؛ وهو لذلك يُحذِّرها كلَّ الحذر، ويُشفق عليها كلَّ الإشفاق، ممَّا يُوهن أمرها، أو يُضعف شأنها، أو يُثلم هيبتها، أو يجرح كرامتها وعزَّتها، ومن تأمَّل قليلاً في قواعد الإسلام ودعائمه، وأصوله وفروعه، وأوامره ونواهيه، وحكمه وأحكامه، وجدَّ أسمى غاياته، وأجلَّ مقاصده، أن تكون أمته أجمع الأمم كلمةً، وأعظمها قوةً وأرفعها مكاناً.

وحسبك أن تنظرَ إليه، وقد دَعَا بمختلف الأساليب وأقواها، إلى الائتلاف والتعاون والتحابِّ حتى نفى الإيمان عمَّن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه<sup>(١)</sup>، ووعد المتحابِّين بأنَّ لهم منابر من نور يوم القيامة<sup>(٢)</sup>، وأنَّ الله يظلمهم في ظلِّه يوم القيامة يوم لا ظلَّ إلا ظله<sup>(٣)</sup>.

(١) روى البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه».

ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٣٥) ولفظه: «لا يبلغ العبدُ حقيقة الإيمان حتى يحبَّ للناس ما يحبُّ لنفسه».

(٢) روى الترمذي (٢٣٩٠) عن معاذ رضي الله عنه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: المتحابُّون في جلالي، لهم منابرٌ من نور يغبطهمُ النبيون والشهداء» وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) روى البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) وغيرهما عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سبعةٌ يظلمهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه..» وذكر فيه: «ورجلان

=

وأمر بالتواضع حتى لا يبغى أحدٌ على أحد<sup>(١)</sup>؛ وأذهب عن المؤمن - بعد أن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم - عِيبَةَ الجاهلية وفخرها بالآباء والأحساب، فكلُّهم بنو آدم، وآدم من تراب<sup>(٢)</sup>، لا فَضْلٌ لعربيٍّ على عجميٍّ ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى<sup>(٣)</sup>.

ورغَّب في إصلاح ذات البين، وقال: «إنَّ فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشَّعر، ولكن تحلق الدين»<sup>(٤)</sup>.

وشدَّد النكير على الفتن ما ظهر منها وما بَطَّن، حتى لقد بلغ من نكيره على من أيقظ فتنة أو دعا إليها أن تبرأ منه حياً وميتاً، فقال: «ليس منا مَنْ دعا إلى عصبية، وليس منا مَنْ قاتل على عصبية، وليس منا مَنْ مات على

تحاباً في الله، اجتمعوا على ذلك وتفرَّقا عليه».

(١) روى مسلم (٢٨٦٥)، وأبو داود (٤٨٩٥)، وابن ماجه (٤١٧٩) عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله أوحى إليَّ: أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغى أحدٌ على أحد».

(٢) بضم العين المهملة وكسرهما، وتشديد الباء والياء: الكبر والفخر. وهذا وما بعده اقتباسٌ من صحاح كتب السنة (طه).

(٣) روى أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «... إنَّ الله أذهب عنكم عيبَةَ الجاهلية وفخرها بالآباء. إنما هو مؤمن تقى، وفاجر شقي، الناسُ بنو آدم، وآدمُ خلق من تراب».

(٤) أخرج أحمد في «المسند» ٥: ١٥٨ (٢١٤٠٧) عن أبي ذر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال له: «انظر، فإنك ليس بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى» تفرَّد به أحمد وهو صحيح لغيره.

وروى أحمد أيضاً ٤: ١٤٥ (١٧٣١٣) عن عقبة بن عامر، أن رسول الله ﷺ قال: «ليس على أحدٍ فضْلٌ إلا بالدين أو عمل صالح» وإسناده حسن.  
(٥) أخرجه أبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥١١).

عصبية»<sup>(١)</sup>، وقال: «من حمل علينا السلاح فليس منا»<sup>(٢)</sup>.

منهجه ﷺ في سياسة الأمة وحرصه على وحدتها

وهذه قصةٌ تُبين منهجه ﷺ في سياسة أمته، وحرصه البالغ على اتحادها وائتلافها، والحيلولة بينها وبين نزغات الشيطان، ونزوات الشهوة، ومضلات الهوى.

روى أصحاب السير والمغازي أن بني المصطلق اجتمعوا لحرب النبي ﷺ فخرج إليهم حتى لقيهم على ماء من أمواهم، يقال له: المرسيع، فهزم الله تعالى بني المصطلق وأمكن منهم.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من أمرهم، وردت واردةٌ من الناس تستقي الماء، وتذود الخيل والإبل، فاشتد الزحام حتى اقتتل أجير لعمر بن الخطاب يدعى جهجاه بن مسعود الغفاري، وحليفٌ لبني عوف يسمّى سنان بن مسعود الجهني، فصرخ الجهني: يا لأنصار، وصرخ الغفاري: يا للمهاجرين!، فثارت حمية ابن أبي - رأس المنافقين -، وعنده رهط من قومه، وقال: أوقد فعلوها؟ نأفرونا في ديارنا، وكأثرونا في بلادنا؛ والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال الأول: سمّن كلبك يأكلك! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرض منها الأذل، ثم أقبل على رهطه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحلّتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم؛ أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم، لتحوّلوا إلى غير بلادكم!.

(١) هي المدافعة عن العشيرة ظلماً وعدواناً، والحديث رواه أبو داود (٥١٢١) عن جبير بن مطعم.

(٢) رواه البخاري (٦٨٧٤)، (٧٠٧١)، ومسلم (٩٨)، (١٠٠) عن أبي موسى وابن عمر رضي الله عنهم.

تنبّهت الفتنة، وهاج هائج الشر، وبلغ النبي ﷺ الخبر<sup>(١)</sup> وكانت له معذرة - دونها كل معذرة - في قتل رأس النفاق والشقاق وسوء الأخلاق، ولا سيما بعد أن استأذنه الفاروق في قتله، ثم ابنه عبد الله رضي الله عنه لما قيل له خطأ: إن النبي ﷺ يريد قتل أبيك!<sup>(٢)</sup>.

لكنه صلوات الله عليه وسلامه - وقد آتاه الله الحكمة، وبعثه ليتمم مكارم الأخلاق - سلك ما هو حقيق به وبخير أمة أخرجت للناس. فنهى عن العصبية، وأخبر أنها خبيثة مُتَنَنَةٌ لا تجلب إلا الوبال والنكال، وخُبثُ الفعال، وأخبر عمر أن قتل هذا الخبيث ليس من الخير للمسلمين، ولا للدعوة الإسلامية، فإن دعاة السوء سيشيعون أن محمداً - وحاشاه - يقتل أصحابه؛ لأن عبد الله بن أبي كان يظهر الإسلام والصُّحبة، ويبطن النفاق والكفر!

ثم ما أجمل أن يأمر ﷺ ابنه عبد الله - وهو من خيرة صحابته - أن يرفق بأبيه، ويحسن إليه - وقد همَّ بأن يحمل رأسه إلى النبي ﷺ - حسماً للفتنة، وسبقاً إلى الطاعة، وإثارة لمرضاة الله ورسوله على أقرب الناس إليه وأمسهم به!<sup>(٣)</sup>.

ثم أمر ﷺ بالرحيل في وقت لم يكن يرتحل فيه، ليشغل كل نفسه، ويلهو

(١) بلغه زيد بن الأرقم. وانظر قصته، وتصديق الله له في صحيح البخاري (٤٩٠٠)

(٤٩٠١) (٤٩٠٢) في تفسير سورة (المنافقين)، ومسلم (٢٧٧٢) في أول صفات المنافقين

(٢) موقف عبد الله بن أبي من أبيه رواه الطبراني من طريق عروة بن الزبير، وقال

الهيثمي في «المجمع» ٩: ٣١٨: رجاله رجال الصحيح.

(٣) روى البزار من حديث أبي هريرة قال: مر رسول الله ﷺ بعبد الله بن أبي، وهو في

ظل أطم - أي: بناء مرتفع - فقال: عبّر علينا ابن أبي كبشة - يعني بذلك رسول الله - فقال له

ابنه عبد الله بن عبد الله: يا رسول الله، والذي أكرمك لئن شئت لأتيتك برأسه. فقال: «لا،

ولكن برأباك وأحسن صحبتك». قال الهيثمي في «المجمع» ٩: ٣١٨: رواه البزار ورجاله

ثقات.

٧٠٣

عمّا يضرهم نار الحقد والغصام<sup>(١)</sup>.

قصة اليهودي قيس بن شاس

وقصةٌ أخرى لا تقلُّ عن هذه شأنًا إن لم تزد عليها، يرويها المفسِّرون وأصحاب السير أيضًا. قالوا: مرَّ قيس بن شاس اليهودي بنفِرٍ من الأوس والخزرج، وهم في مجلس يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من إفتهم وصلح ذات البين بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية؛ وكان شيخاً عظيم الكُفر، شديد الضغينة على المسلمين، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة<sup>(٢)</sup> بهذه البلاد، والله ما لنا معهم إذاً من قرار!

و أمر شاباً يهودياً كان معه أن يذكرهم يوم بُعث<sup>(٣)</sup>، وينشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من أشعار - وكان يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على بني عمِّهم - ففعل عدوُّ الله فعلته، فتكلَّم القوم عند ذلك وتنازعا، حتى توثبوا، وقالوا: السِّلَاحَ السِّلَاحَ!

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين، وقال: «يا معشر المسلمين! أبدوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم، بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام، وقطع عنكم أمر الجاهلية، وألَّف بينكم؟!» فألقوا السلاح، وبكوا، وعانق بعضهم بعضاً، وانصرفوا مع النبي ﷺ سامعين مطيعين؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَدَّ ءِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿٢٩٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن

(١) معالجة رسول الله ﷺ للفتنة التي أثارها المنافقون في هذه الغزوة رواها ابن هشام في السيرة ٢: ٢٩٠-٢٩٢ والحديث رجاله ثقات، ولكنه مرسل.  
(٢) أم الأوس والخزرج، وهما في الأصل أبناء عم (طه).  
(٣) بالعين وبالغين كغراب، وثلث، موضع بقرب المدينة. «القاموس».

٧٠٤

يَعْنَصِمُ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ<sup>(١)</sup>. قال جابر: ما رأيت يوماً أفبح أولاً،  
وأحسن آخراً من ذلك اليوم<sup>(٢)</sup>.

هذا قليلٌ من كثير من دعوته صلوات الله وسلامه عليه إلى الألفة والوحدة،  
وجهاده في نَبَذِ الشُّقَاقِ والفرقة، وحُسْنِ بلائه في لَمِّ الشَّعْثِ وجمع الكلمة.

فهل آن لأمته، ولاسيما حَمَلَةَ شريعته، أن يَسْتَنُوا بسنته، ويهتدوا بهديه؟!  
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ  
كَثِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

\* \* \* \* \*

(١) سورة آل عمران: ١٠٠ - ١٠١.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» ٥: ٦٣٢، وعبد الرزاق في «التفسير»  
١: ١٧٣، وزاد السيوطي في «الدر» ٢: ١٠٣ عزوه لابن أبي حاتم بإسناد صحيح، إلا أنه  
مرسل.

(٣) سورة الأحزاب: ٢١.



## رأية الإسلام\*

٩٠ - عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يُحِبُّ الله ورسوله، ويُحِبُّه الله ورسوله». قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم: أيهم يُعطاها.

فلما أصبح الناس غدواً على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يُعطاها: فقال: «أين عليُّ بن أبي طالب؟» فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه! قال: «فأرسلوا إليه»، فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجعٌ، فأعطاها الراية. فقال عليُّ: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال ﷺ: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمُرُ النعم». رواه الشيخان، واللفظ للبخاري<sup>(١)</sup>.

يدوكون: يخوضون ويموجون، ومنه وقع الناس في دوكة، بفتح الدال، وتضم.

انفذ على رسلك: امضِ على هيتك متشداً غير عجل، ففي الأناة سلامٌ وحكمة.

حُمُرُ النعم: هي الإبل الحمراء، أعزُّ أموال العرب، وأكرمها عليهم، ومن

\* مجلة الأزهر، العددان ١٥ و١٦، المجلد السادس والعشرون، سنة (١٣٧٤).

(١) أخرجه البخاري (٤٢١٠) في المغازي، ومسلم (٢٤٠٦) في فضائل الصحابة.

هنا ضربوا المثل بها في نفاسة الشيء وعزته.

\*\*\*\*\*

### خروجه ﷺ إلى خيبر

قدم رسول الله ﷺ المدينة على أثر صلح الحديبية، ومكث بها عشرين ليلةً أو قريباً منها، ثم خرج إلى خيبر، وكان الله عزَّ وجل وعده إياها في سورة الفتح، وقد نزلت مرجعه من الحديبية.

### خيبر ويهودها

وخيبرُ واحةٌ كبيرةٌ خصبةٌ، ذاتُ حُصونٍ منيعةٍ، ومزارعٍ وفيرةٍ، ونخلٌ كثيرٌ؛ ولا يجتمع سكانها في صعيدٍ واحدٍ، بل يتفرقون في وديانٍ متقاربةٍ، ويقيمون في بيوتٍ مُحصَّنةٍ، تحيطُ بها النخيلُ وحقولُ القمح. وتقعُ خيبر على نحو مائة ميلٍ من المدينة إلى جهة الشام..

وكانت خيبر - كسائر بلاد اليهود قديماً وحديثاً - وكرّاً للدسائس والفتن التي يطيرونها في الناس كافةً، والعرب منهم خاصةً!

وكان يهود خيبر أعرق اليهود في الخداع والمكر، حتى ضربَ بهم المثل في ذلك. وكانوا إلى هذا الخُبث رجلاً أشدَّاء محاربين ذوي بأس.

كان هؤلاء الخونة الفجرة أشدَّ من هيج الأحزاب وألبهم على رسول الله ﷺ وأصحابه في غزوة الخندق، فلم يكن لرسول الله ﷺ بدٌّ من القضاء على هذه الأفاعي السامة، والشياطين الماردة، وهكذا أعدَّ صلوات الله عليه العدة لقتالهم، وأبلى هو وأصحابه بلاءً مبيناً.

وهكذا صدقهم الله وعده إذ قال: ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا

٧٠٧

فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١﴾ .

### دعوة نبوية

واستجاب الله دعاءَ رسوله ﷺ لما دعاه، وقد أشرف على خيبر بعد مسيرة ثلاثة أيام:

«اللهم ربَّ السَّمَوَاتِ وما أظْلَلْنَ، وربَّ الأَرْضِينَ وما أفلَلْنَ، وربَّ الشَّيَاطِينِ وما أضْلَلْنَ، وربَّ الرِّياحِ وما ذَرَيْنَ، فإنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هذه القَرْيَةِ، وخَيْرَ ما فيها، ونعوذُ بك من شرِّها، وشرِّ أهلها، وشرِّ ما فيها» (٢).

### بشارة نبوية

فلما كان يومُ خيبر، وعَزَمَ الأمر، أخذت النبيُّ ﷺ الشقيقة - وهي ضربٌ من الصُّدَاعِ شديدٌ - فلم يخرج يومئذٍ؛ فأخذ الراية الصُّدِّيْقَ، وقاتل قتالاً أشدَّ، ثم رجع ولم يُفتح له! فلما كان الغدَّة أخذها الفاروق، وقاتل قتالاً أشدَّ، ثم رجع ولم يُفتح له، واستشهد محمود بن مسلمة، فقال ﷺ: «لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَهُ، ويحبُّهُ اللهُ ورسولُهُ، لا يرجع حتى يفتح اللهُ له»، وقال لمحمد بن مسلمة: «يفتح اللهُ على يديه فيمكنهُ من قاتل أخيك» (٣)!

بات أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ ليلتهم يموجون ويختلفون ويتمنون، فما من رجلٍ منهم عامة، والمقربين من رسولِ اللهِ ﷺ خاصَّة، إلا تمنى أن يكون ذلك الرجل، حتى قال عمر رضي اللهُ عنه: ما أحببتُ الإمارةَ إلا يومئذٍ. ولم لا، وهذه شهادة المعصوم صلوات اللهُ عليه؟! إنَّها لَشَرَفٌ ليس وراءَهُ شَرَفٌ، ومنزلةٌ

(١) سورة الفتح: ٢٠.

(٢) رواه النسائي في اليوم والليلة (٥٥٤)، وابن السني (٥٢٤).

(٣) رواه البخاري (٢٩٤٢)، (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

٧٠٨

لا تُضَارِعُهَا مَنْزِلَةٌ.

من أعلام النبوة

ولما كان الغد بعث ﷺ إلى ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان أرمداً شديداً الرمد لا يبصر، فجيء به، وقد عصب عينيه، فتقل فيهما أو في راحته صلوات الله عليه، ودعما له فبرأ كأن لم يكن به شيء<sup>(١)</sup>، وكان دعائه له: «اللهم اكفه الحرَّ والبرد»<sup>(٢)</sup>، فلم يرمد رضي الله عنه قط حتى مضى لسبيله، وكان يلبس في الحرِّ الشَّدِيدِ، الثوبَ المَحْشُوَّ الشَّخِينِ، فلا يبالي، ويلبس في البرد الشديد، الثوبَ الخفيفَ، ولا يبالي!

وبعد أن عقدَ لعليّ لواءه صلوات الله عليه، وأوصاه بما يُوصي به أمراء الجيش من الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والأناة في القتال؛ إلا إذا لم يكن من الجدِّ في القتال بدًّا.

خَرِبَتْ خَيْبِرَ

بعد هذا مضى سيف الله على بركة الله وهدى رسول الله ﷺ، ولم يزل الجيش بقيادة أميره، ينتقل بإذن الله من نصرٍ إلى نصر، ومن فتحٍ إلى فتح، حتى خربت خيبر، وساء صباحُ المنذرين.

وانجلت هذه الموقعة الكبرى عن قتل بضعةٍ وتسعين من عدوِّ الله وعدوِّ الناس أجمعين، واستشهاد بضعة عشر من سادة المجاهدين. أما الغنائم فسل عنها التاريخ، ﴿وَلَا يَنْبَغُكَ مِثْلُ خَيْبِرٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) من عجائب الأقدار ان أكتب هذا الحديث وأنا أرمداً، وأسلمه للمجلة وقد منَّ عليَّ الله بالشفاء (طه).

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى (٨٣٤٥) من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) اقتباس من الآية ١٤ من سورة فاطر.

### الحكمة في فتح خيبر على يدي عليّ دون صاحبيه

وإذا حُبب إلينا أن نلتمس حكمة الله في الفتح على يدي عليّ دون صاحبيه، وهما مقدّمان في الإسلام عليه، أصبنا من هذه الحكمة عَجَباً!

إنّ علياً من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى، كما أخبره بذلك لما استخلفه على المدينة في غزوة تبوك<sup>(١)</sup>، وإنه علّم من أعلام أهل البيت.. وقد خرج من المدينة وهو أرمَد، وكان له العذر الحقُّ أن يتخلّف، ولم يكن ليُدور بخَلده أن يطمع في الإمارة أو يتناول إليها، ولم تكن إمارته لتخطر على بال أحد؛ وأشدُّ ما يغيظ اليهود أن يجعل الله مذلّتهم على أيدي المسلمين كافةً، وعلى يد النبيّ ﷺ وأهل بيته خاصّة؛ فأراد الله العليّ القدير أن يجمع إلى معجزة كتابه، آيات مُبيّنة على صدق نبيّه وإكرام أهل بيته، ولن ينقص ذلك كلّ من قدر الشيخين ومكانهما شيئاً.

### ساعة قبل قيام الساعة

أما بعد، فإنّ العالم كلّ شرقه وغربه يموج في هذه الأيام ويضطرب، ولليهود - قاتلهم الله - في هذا المَوْج والاضطراب، مواقدُ فتن، ومراحلُ إحْن، ومكايد عداوة، ولن يهدأ العالم يوماً حتى يُقضى عليهم فيموتوا، وإنّ ساعتهم - قبل أن تقوم الساعة - لآتية لارِيبَ فيها، وسيُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين أولاً، وسيقول المؤمنون: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾<sup>(٢)</sup>. وإنّ لنا إن شاء الله كَرَّةً عليهم، ثمّ كَرَّةً.

### فتنة أكابر مجرميها

وإذا قَصَتْ حكمة الحكيم العليم، أن يجعل بعض الناس لبعض فتنة،

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٢) اقتباس من الآية ٢٢ من سورة الأحزاب.

فقد قَصَّتْ حَكْمَتُهُ جَلًّا وَعَلَا أَنْ يَجْعَلَ شَرًّا هَذِهِ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مَجْرِمِيهَا مَنْ هَؤُلَاءِ الْكُفْرَةَ الْفَجْرَةَ، الَّذِينَ قَالُوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، فَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ، ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْحَنَازِيرَ﴾<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ تَأَذَّنَ ﴿لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولا نقصد الآن إلى تفصيل أخبارهم، فإنها طويلة الذيل، وكلها شرٌّ لا خيرَ فيه، وغدرٌ لا وفاءَ معه، ومكرٌ سيءٌ يحقُّ بهم كلَّ حين، دون أن يتعظوا أو يرعَوْوا، وأتى لهم ذلك؛ وقد قَسَتْ قلوبهم، ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾<sup>(٤)</sup>!

أَلَا رَجُلٌ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . . يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ

وإنما الذي نقصد الآن إليه، ونستعين الله عليه؛ أن يَمُنَّ عَلَى هَذَا الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُسْتَضْعَفِ، وَيُرِيدَ بِهِ خَيْرًا. فَيَمْنَعَهُ الْجَدَلَ، وَيَمْنَحَهُ الْعَمَلَ، وَيَجْعَلَ لَهُ مِنْ عَدُوِّهِ الْأَلَدَّ وَاعْظًا وَمُعْتَبَرًا، ثُمَّ يُعْطِي الرَايَةَ الْمَحْمُودِيَّةَ رَجُلًا أَوْ رَجُلًا مِنْهُمْ، يُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُمْ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ، وَيَنْصُرُهُمْ نَصْرًا عَزِيزًا مُؤَزَّرًا.

والذي بيده الخير، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، إنه لفاعلٌ ذلك، وخيراً من ذلك، إِذَا غَيَّرْنَا مَا بَأْنَفْسِنَا، وَنَصَحْنَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَاعْتَصَمْنَا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا.

\*\*\*\*\*

(١) اقتباس من الآية ٩٣ من سورة البقرة.

(٢) اقتباس من الآية ٦٠ من سورة المائدة.

(٣) اقتباس من الآية ١٦٧ من سورة الأعراف.

(٤) اقتباس من الآية ٧٤ من سورة البقرة.

## عيد الجلاء الأول \*

- ١ -

٩١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجدِ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فقال : «انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ . فَخَرَجْنَا ، حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمَدْرَاسِ ، فَقَالَ : أَسَلِمُوا تَسَلِمُوا ، وَعَلِّمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ ، فَمَنْ يَجِدْ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ ، وَإِلَّا فاعَلِّمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ» . رواه الشيخان ، واللفظ للبخاري<sup>(١)</sup>.

المفردات :

المَدْرَاسُ : صيغةُ مبالغة من الدرس ، أو اسمُ مكانٍ منه ، والمعنى : أنهم جاؤوا بيت الحبر العالم الذي يدرس لهم كتابهم ، وهو التوراة ؛ أو جاؤوا البيت الذي يقصده اليهود للدراسة والتعليم ، من إضافة العام إلى الخاص ، مثل : مسجد الجامع ، كما يقول النحاة . وفي بعض روايات الحديث : «حتى جئنا المَدْرَاسَ» ، وهي تُرْجِّحُ المعنى الثاني .

وباء «بماله» للبدل والمقابلة ، أي : إنكم مكرهون على الجلاء بحق ، ولا مناصَ منه ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بَدَلَ مَالِهِ شَيْئًا - وَلَا سِيَّما إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ نَقْلَهُ - فَلْيَبِعْهُ .

\* مجلة الأزهر ، العدد الأول ، السنة الثامنة والعشرون (١٣٧٦ = ١٩٥٦) .

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٧) في باب إخراج اليهود من جزيرة العرب من كتاب الجزية والموادعة ، ومسلم (١٧٦٥) في الجهاد والسير .

شرُّ الناس مكاناً:

شرُّ الناس مكاناً، وأبعدهم فتنةً وطغياناً، وأشدُّهم عداوةً للناس كافةً، وللذين آمنوا خاصةً، هم اليهود.

وإذا كان في مُكْنَة<sup>(١)</sup> عدوٍّ واحدٍ أن ينقضَ حبلَ أمةٍ بأسرها؛ ليفسد عليها أمرها، ويوقد نار العداوة والبغضاء بينها؛ فكيف لأحزابٍ تحزبت، وطوائفٍ تجمعت، وكلُّهم - مجتمعين ومفترقين - أعدى الأعداء، وأشقى الأَشْقِيَاءِ، وأحسد الناس للناس على ما آتاهم الله من فضله؟!!

هذه حقائق جلاًها كتابٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبينها رسولٌ يعرفه اليهود أنفسهم كما يعرفون أبناءهم أو أشد؛ ولذلك كانوا يستنصرون به، ويستفتحون على الذين كفروا، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ثم آمنَ الناس جميعاً بهذه الحقائق، شعوباً ودولاً، فأخذوا يُقتلونهم تقتيلاً، ويُسردونهم في الأرض تشريداً، ويسومونهم سوء العذاب، لما رأوا رأي العين من صدق الله ورسوله فيهم.. وإذا كانت الشواهد على إفسادهم في الأرض في كلِّ زمانٍ أكثر من أن تُعد، فحسبنا أن نشير إشارةً عاجلة لما صنعه واحدٌ منهم بغياً وحسدًا!!

من فتنة اليهود

كان شاس بن قيس اليهودي شيخاً من شيوخ الكفر والطعن على المسلمين، فمرَّ بنفر من الأوس والخزرج، وهم في مجلسهم يتحدثون، فغاظه ما رأى من ألفتهم، وصلاح ذات بينهم في الإسلام، بعد أن كان من أمر

(١) المكنة: القدرة والاستطاعة، والقوة والشدة.

(٢) اقتباس من الآية ٨٩ من سورة البقرة.



عداوتهم ما كان. فقال: والله ما لنا معهم، إذا اجتمعوا من قرار.  
فأمر شاباً من اليهود كان معهم، أن يعمد إليهم فيجلس معهم، ويُذكّرهم يوم بُعث، وكان يوماً اقتتلت فيه الأوسُ والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس، ففعل الشابُ ما أمر به، فثار القوم وتفاخروا حتى توثب رجلان من الحيّ، وتقاولا.. وغضبَ الفريقان جميعاً، وتنادوا: السِّلَاحُ السِّلَاحُ!! حتى بلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج فيمن معه من أصحابه المهاجرين، فقال: «يا معشر المسلمين: الله الله. أدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله تعالى إلى الإسلام وأكرمكم به». فعرفوا أنّها نَزْعَةٌ من الشيطان، وكَيْدٌ من إخوانه، فألقوا السلاح.  
وأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيمَا أَنْزَلَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ (١) (٢).

### شأن اليهود مع المحسن إليهم

لو لم يسئ اليهود إلى قوم يساكنونهم، أو ينزلون بأرضهم - وهذا فرضٌ مُحال - لكان للقوم العذر في إجلائهم وتطهير البلاد منهم؛ لأنهم طُبعوا على اللؤم والغدر والكَيْد والأذى، ما وجدوا إلى كلِّ أولئك سبيلاً... فكيف بمن يُحسن إليهم ويكفرون إحسانه، ويُمضي عهودهم وينكثون عهده، ويدفعُ الضرَّ عنهم ويتربصون به الدوائر؟!..

هكذا كان شأنهم مع رسول الله ﷺ منذ أن هاجر من مكة إلى المدينة، حتى

(١) سورة آل عمران: ١٠٠.

(٢) أخرجه ابن جرير في «التفسير» ٥: ٦٢٧، وعبد الرزاق في «التفسير» ١: ١٧٣، وزاد السيوطي عزوه في «الدر المنثور» ٢: ١٠٣ لابن أبي حاتم، بإسناد صحيح إلا أنه مرسل. وقد جاء من مرسل عكرمة، أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ص ١١٦، وزاد الشوكاني عزوه في «فتح القدير» ١: ٦٠٢-٦٠٣ لابن إسحاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وفي إسناده رجل مُبهم.

أجلاهم ما شاء الله أن يجليهم... ثم أوصى في مرض موته بإخراج المشركين من جزيرة العرب، وألا يبقين دينان فيها. وسيأتي إن شاء الله بعض تفصيله.

### مَعْدِنُ اللُّؤْمِ

وإذا كان الله جلَّتْ حكمته قد كتب على اليهود الجلاء منجماً، فإن أول ما كان منه في العهد النبوي، جلاء يهود المدينة، وهم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وكان النبي ﷺ صالحهم، وكتبَ بينهم كتاب أمن، وأقرهم على دينهم وأموالهم، على ألا يحاربوه ولا يُظاهروا عليه عدواً، ولكنَّ معدن اللؤم لا يستقر حتى ينقض!.

أخذوا ينقضون العهد تباعاً، فلم يكن بُدُّ من غزوهم، ثمَّ إجلائهم تباعاً كذلك... وكانت غزوة كل طائفة منهم وجلاؤه عقبَ غزوة من الغزوات الكبار: بدرٍ وأحد والخندق.

### بنو قينقاع

فأما بنو قينقاع، فقد غصُّوا بانتصار النبي ﷺ في بدر، وأظهروا ما كانوا يكتنون من الغيظ والحسد له، وهَدَّدُوهُ وأصحابه بأنهم هم الناس في الحرب، وكانوا أشجعَ يهود.. فتوجَّهت إليهم جنود الله يقودهم عبد الله ورسوله ﷺ على رأس عشرين شهراً من مهاجره، وحاصروهم في حصونهم أشدَّ الحصارِ وأعظمه، وقذَفَ الله في قلوبهم الرُّعب حتى ذلوا، وسألوا رسول الله ﷺ أن يجلوا من المدينة، ولهم النساء والذرية، وللمسلمين أموالهم.

فَجَلُّوا إلى أذرعات من بلاد الشام، ولم يحلَّ عليهم الحول حتى هلكوا.

### بنو النضير

وفي شهر ربيع الأول من السنة الرابعة<sup>(١)</sup>، لَحِقَ بنو النضير بإخوانهم في

(١) قال الزهري عن عروة: «كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل أحد» علَّقه

نقض العهد والجلاء، وكانوا اتَّمَرُوا بالنبِيِّ ﷺ ليقتلوه، فأندَرهم وأجَلهم عشراً، ليخرجوا من المدينة ولا يساكنوه بها.. فتحصَّنوا، ﴿وَوَطَّنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ أَلَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يُحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾<sup>(١)</sup>. وامتَنَّ اللهُ على المؤمنين؛ بأنه هو الذي أخرجهم من ديارهم لأوَّل الحشر<sup>(٢)</sup>. وقد سألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم، ويكفَّ عن دمائهم، فأجَلهم بنفوسهم وذرائعهم، على أن لهم ما حملت الإبلُ إلا السلاح، وقد جَلَّأَ معظمهم إلى خيبر، وجَلَّأَ بعضهم إلى الشام.

### بنو قُريظة

ثمَّ لحق بنو قريظة بإخوانهم في نقض العهد من قبل، وكانوا أشدَّ اليهود عداوةً لرسول الله ﷺ وأغلظهم كفراً، وأفدعهم سباً وفحشاً.

فَمَا إِنْ رَجَعَ ﷺ مِنْ غَزَاةِ الخندق في أواخر سنة خمسٍ، وهمَّ أن يخلع لباس الحرب حتى جاءه جبريل، فقال: وضعت السلاح، فإن الملائكة لم تضع أسلحتها بعد، فانهض بمن معك إلى بني قُريظة؛ فإنني سائرٌ أمامك أزلزل بهم

البخاري قبل الحديث (٤٠٢٨) في المغازي، باب حديث بني النضير. وجعله ابن إسحاق بعد بئر معونة وأحد. وقد وافق ابن إسحاق جلُّ أهل المغازي كما قال الحافظ في «الفتح» ٧: ٣٣٠-٣٣١. وقد ذهب إلى تأييد الرأي الثاني ابن القيم في «زاد المعاد» ٣: ٢٤٩، فقال: «وزعم محمد بن شهاب الزهري أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر، وهذا وهم منه أو غلط عليه، بل الذي لا شك فيه أنها كانت بعد أحد، والتي كانت بعد بدر بستة أشهر هي غزوة بني قينقاع، وقريظة بعد الخندق، وخبير بعد الحديبية، وكان له مع اليهود أربع غزوات؛ أولها: غزوة بني قينقاع بعد بدر، والثانية: بني النضير بعد أحد، والثالثة: قريظة بعد الخندق، والرابعة: خبير بعد الحديبية» انتهى.

(١) اقتباس من الآية الثانية من سورة الحشر.

(٢) قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ..﴾

[الحشر: ٢] وذلك أول إخراج لهم من جزيرة العرب إلى الشام.

حصونهم، وأقذف في قلوبهم الرعب<sup>(١)</sup>.

ولم يكن من بني قريظة إلا أن تحصنوا بحصونهم التي لم تُغن عنهم من الله شيئاً. فهزمهم الله شرَّ هزيمة بعد أن نازل حصونهم جندُ الله خمساً وعشرين ليلةً، حاصروهم فيها حصاراً لم يعرفه تاريخهم من قبل. حتى إذا رأوا أنه لا مناصَ من هلاكهم جوعاً، طلبوا إلى الرسول ﷺ أن ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير من الجلاء بالأموال والذراري، فأبى.

ولمَّا شفع فيهم رجال من الأوس، قال لهم صلوات الله عليه وسلامه: «ألا يرضيكم أن يحكم فيهم رجل منكم؟» فقالوا: نعم... ثم حكم سعد رضي الله عنه - وكان جريحاً بسهم أصابه في غزوة الخندق - بأن تُقتل الرجال وتُسبى النساء والذرية، فقال صلوات الله عليه: «لقد حكمت فيهم بحكم الله يا سعد»<sup>(٢)</sup>. وهكذا طهر الله أرض نبيه من قوم لن يفيد فيهم ميثاق ولا عهد.

### جلاؤهم في العهد النبوي

أجلى الله الطوائف الغادرة الفاجرة، من أرض نبيه الطاهرة المطهرة، فَمَنْ هم هؤلاء اليهود الذين خرج إليهم النبي ﷺ في جماعة من أصحابه، ومنهم راوي الحديث أبو هريرة رضي الله عنه؟.

ضاق المجال عن إجابة هذا السؤال، فموعدنا الجزء التالي بمشيئة الله عزَّ

وجل.

\*\*\*\*\*

(١) الحديث أخرجه البخاري (٤١١٧) في المغازي، ومسلم (١٧٦٩) في الجهاد من

حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٢١) في المغازي، ومسلم (١٧٦٨) في الجهاد والسير.

## عيد الجلاء الأول \*

- ٢ -

٩٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بيننا نحنُ في المسجد خَرَجَ رسول الله ﷺ فقال : «انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودٍ، فخرَجنا معه حتى جئنا بيت المِدراس، فقام النبيُّ ﷺ فناداهمُ فقال : يا معشر يهود، أَسَلِمُوا تَسَلَمُوا، فقالوا : بَلَّغْتَ يا أبا القاسم، قال : فقال لهم رسول الله ﷺ : ذلك أريد، أَسَلِمُوا تَسَلَمُوا، فقالوا : قد بَلَّغْتَ يا أبا القاسم؛ فقال لهم رسول الله ﷺ : ذلك أريد، ثم قالها الثالثة، فقال : اعلَمُوا أَنَّمَا الأَرْضُ لَهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجَلِّبَكُم مِّنْ هَذِهِ الأَرْضِ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئاً فَلْيَبِيعْهُ، وَإِلَّا فاعَلَمُوا أَنَّمَا الأَرْضُ لَهِ وَرَسُولِهِ»  
رواه الشيخان واللفظ للبخاري<sup>(١)</sup>.

مَنْ هُوَلاءِ اليَهُودِ؟

مَنْ هُوَلاءِ اليَهُودِ الَّذِينَ خَرَجَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَماعَةٍ مِنْ أَصْحابِهِ، وَمِنْهُمْ - رضوان الله عليهم - أبو هريرة راوي الحديث؟  
ختمنا الجزء السابق بهذا السؤال، على أن نجيب عنه في هذا الجزء، مستعينين بالله عزَّ وجل.

\* مجلة الأزهر، العدد الثاني، السنة الثامنة والعشرون (١٣٧٦=١٩٥٦).

(١) أخرجه البخاري (٧٣٤٨) في كتاب الاعتصام، ومسلم (١٧٦٥) في الجهاد

والسير.

تفردُ أبي هريرة برواية الحديث وموضعه في صحيح البخاري :

رواه عنه البخاري في ثلاث مواضع

في باب «إخراج اليهود من جزيرة العرب»، من كتاب «الجهاد»<sup>(١)</sup>، وقد أثرنا لفظه في الجزء السابق. والمناسبة بينه وبين الباب والكتاب ظاهرة.

وفي باب «بيع المكره ونحوه في الحق وغيره»، من كتاب «الإكراه»<sup>(٢)</sup>، مُشيراً إلى أن إجلاء اليهود إنما هو على كُرْهٍ منهم واضطرارٍ لا اختيار لهم فيه. يبيع ما يبيعون من أموالهم إذا ماض لا بأس به، ولا شبهة فيه.

وفي باب قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ من كتاب الاعتصام<sup>(٣)</sup>، واخترنا روايته في هذا الجزء.

دقة الإمام البخاري في تراجمه

وقد أشار البخاريُّ بهذه الترجمة إلى إمعان اليهود في الجدَل، والهروب من الحجَّة التي دَمَعَتْهم، كما أشار إلى مُجادلته ﷺ لهم بالتي هي أحسن، في إفحام وإلزام..

ولا نريد أن نطيل في صنيع الإمام البخاري ودقته في تراجمه، واستنباط المعاني الدقيقة الجمَّة من الحديث الواحد، إذ يكرره في غير موضع، وإنما هي لَمَحَةٌ دَعَتُ إليها مناسباتٌ يقتضيها شرحُ الحديث وبيانه.

ورواه مسلمٌ عن أبي هريرة في باب «إجلاء اليهود من الحجاز»، من كتاب

(١) البخاري (٣١٦٧).

(٢) البخاري (٦٩٤٤).

(٣) البخاري (٧٣٤٨).

«الجهاد والسير»<sup>(١)</sup>.

وقد روي الحديث في غير الصحيحين<sup>(٢)</sup>، و أكبر علمنا أنه لم يروه أحدٌ من الصحابة سوى أبي هريرة رضي الله عنه.

قدوم أبي هريرة المدينة

وإذا كنا نقرأ في ترجمته و سيرته رضي الله عنه أنه قدِمَ المدينة، وباع النبي ﷺ على الإسلام عام خيبر، أيقننا - ولا مرية - بأن أمر هؤلاء اليهود كان بعد الفراغ من أمر بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، ويهود خيبر جميعاً.

وإذا روينا عنه أنه شهد خيبر، فذلك بعد الفراغ من قتال يهودها، كما روي عنه أيضاً، ولا تعارض بين الروایتين، بل إن الثانية تعضد الأولى وتكملها.

فهل أولاء بقايا كانوا قد تخلفوا بالمدينة أذلاءً بعد الفراغ من شأن الطوائف الثلاثة، فأجلاهم النبي ﷺ من أرض المدينة تطهيراً لها؟.. والمراد من الأرض إذاً أرض المدينة<sup>(٣)</sup>، أو هم فريقٌ من يهود خيبر كانت لهم في المكر و الغدر اليد السفلى.

معاملة أهل خيبر

كان ﷺ بعد فتح خيبر همَّ بإجلاء اليهود جميعاً. فقالوا: يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض، نُصلحها ونقوم عليها، فنحن أعلم بها منكم. ولم يكن

(١) مسلم (١٧٦٥).

(٢) أخرجه أبو داود في الخراج (٣٠٠٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» في كتاب السير (٨٦٣٤)، وهو في «مسند أحمد» ٢: ٤٥١ (٩٨٢٦) و«شرح مُشكل الآثار» للطحاوي (٤٢٧٨).

(٣) فيما يظهر، ولا مانع من أن يكون المراد: أرض الحجاز (طه).

٧٢٠

لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمانٌ يقومون عليها، وكانوا هم لا يفرغون للقيام عليها، فأعطاهم خبيراً، على أن لهم الشطر من كلِّ زرع، وكلِّ ثمرٍ، مابداً لرسول الله ﷺ أن يُقرَّهم.

روى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما ظهر على خبير، سأله اليهود أن يُقرَّهم بها على أن يكفوه عملها، ولهم نصف الثمرة، فقال لهم: «نقرِّكم بها على ذلك ماشئنا»<sup>(١)</sup>.

### السياسة الحكيمة العليا

ليس في هذا العقد تأييد ولا التزام من قبله صلوات الله وسلامه عليه، بل هو صريحٌ في إقرارهم وإجلالهم متى شاء. وهذه من السياسة الحكيمة العليا: صدقٌ وصراحةٌ، وحزمٌ وكياسةٌ، ونظرٌ إلى مصلحة الأمة دون أدنى مساسٍ بالخلق العظيم، والمنهج القويم. وستان ما بين هذا الهدي النبوي الحكيم، وتخبُّط إخوان الشياطين، فيما يسمونه بالمعاهدات أو القوانين الدولية!!

### الإنذار الأخير

كانت خبير واحدةً كبيرةً، تقع على نحو مائة ميل من المدينة إلى جهة الشام، ولم يكن سكانها مجتمعين في صعيدٍ واحد، بل كانوا متفرقين في وديانٍ متجاورة، ومتحصنين بحصونٍ منيعة، وسط النخيل وحقول القمح.

وكانت مركزاً لدسائس اليهود الذين هاجروا إليها. ومن هنا كان النبي ﷺ يحذرهم، ومن هنا أقرَّهم ﷺ ماشاء الله أن يُقرَّهم، كما هو العهد الصريح معهم، ثم أنذرهم بالجلاء.

وإذا كانت له ﷺ الخيرة التامة في إقرارهم، فلا بدَّ - مع هذا - أن يكون قد رأى منهم دسّاً وخبثاً قبيل هذا الإنذار..

(١) أخرجه البخاري (٢٢٨٥) (٢٣٢٨) (٢٣٣٨)، ومسلم (١٥٥١).



والمراد من الأرض إذا أرضُ الجزيرة العربية كلها.

وسواء أجالهم النبي ﷺ بالفعل، أم اكتفى بإنذارهم هذا؛ فقد عَرَفُوا أَنَّ كَيْدَهُمْ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنَّهُمْ مُهَدَّدُونَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ بِطَرْدِهِمْ مِنَ الْجَزِيرَةِ شَرَّ طَرْدَةٍ.

لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْمَلُونَ الْحِيلَةَ، وَيَجِدُّونَ الْوَسِيلَةَ؛ لِتَخْلُصَهُمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، جَاهِلِينَ أَوْ مُتَجَاهِلِينَ مَا أَصَابَ إِخْوَانَهُمْ مِنْ قَبْلِ جَزَاءٍ وَفَاقَا، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

### العدوُّ الألدُّ

وَلَا جَرَمَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَتَابِعُ أَخْبَارَهُمْ، وَيَعْلَمُ حَقَّ الْعِلْمِ أَنَّهُمُ الْعَدُوُّ الْأَلْدُّ لَهُ، وَالْعَقَبَةُ الْكُؤُودُ فِي سَبِيلِ دَعْوَتِهِ، فَلَنْ يَسْتَطِيعَ تَبْلِيغَهَا - كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى - إِلَّا إِذَا أَطْمَأَنَّ عَلَيْهَا، وَعَلَى الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَسَكَانِهَا. وَلَا سَبِيلَ إِلَى هَذِهِ الطَّمَأْنِينَةِ بِعَهْدٍ طَالَمَا نَقَضُوهَا، وَمَوَاتِيقَ طَالَمَا حَلُّوهَا.. وَإِنَّمَا السَّبِيلَ الَّذِي لَا سَبِيلَ غَيْرَهُ أَنْ يُسْتَأْصَلُوا مِنَ الْجَزِيرَةِ.

ولهذا الاستئصال كان يتحين ﷺ أنسب الأوقات وأحراها.

وسرى في المقال الثالث والأخير إن شاء الله تعالى تفصيل ذلك، وكيف أراح الله الجزيرة العربية من بلائهم بإتمام جلائهم منها؛ إنفاذاً لوصية النبي ﷺ وهو يودع هذه الدنيا!!

\*\*\*\*\*

(١) اقتباس من الآية ٤٣ من سورة فاطر.

## عيد الجلاء الأول \*

- ٣ -

٩٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : بينا نحن في المسجد ؛ إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال : " انطلقوا إلى يهود ، فخرجنا معه حتى جئناهم ، فقام رسول الله ﷺ فناداهم ، فقال : «يامعشر يهود ، أسلموا تسلموا» ، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم ؛ فقال لهم رسول الله ﷺ : «ذلك أريد ، أسلموا تسلموا» ، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم ؛ فقال لهم رسول الله ﷺ : «ذلك أريد» ؛ فقال لهم الثالثة ، فقال : «اعلموا أنما الأرض لله ورسوله ، وأني أريد أن أجلبكم من هذه الأرض ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئاً فَلْيُبِعْهُ ، وَإِلَّا فاعلموا أَنَّ الأرض لله ورسوله» . رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم<sup>(١)</sup> .

### المثل الأعلى في العدل

لن تقوم لدعوة إصلاحية قائمة ، مالم تحمها قوة عادلة من كيد الكائدين وعدوان المعتدين ..

وما شهد التاريخ - ولن يشهد - أصدق من الإسلام في دعوته ، ولا أرحم منه في معاملته ، ولا أعدل منه في قوته ، مع أشد الناس عدواً له وصدأً عن سيئه ..

\* مجلة الأزهر ، العدد الثالث ، السنة الثامنة والعشرون ١٣٧٦=١٩٥٦

(١) أخرجه البخاري(٣١٦٧) في كتاب الجهاد ، و مسلم (١٧٦٥) في كتاب الجهاد

والسير .

٧٢٣

وهل ظفرَ التاريخ قبل الإسلام، بمثل هذا العدل الخالد العام؛ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾؟<sup>(١)</sup>.  
ومن أراد على ذلك دليلاً عملياً، فهذا شاهدٌ واحد من آلاف الشواهد العملية على ما نقول.

### بهذا قامت السموات والأرض

لَمَّا هَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِإِجْلَاءِ يَهُودِ خَيْبَرَ، سَأَلُوهُ أَنْ يُفَرِّمَهُمْ بِهَا عَلَىٰ أَنْ يَكْفُوهُ عَمَلُهَا، وَلَهُمْ شَطْرُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنَ الثَّمْرِ وَالزَّرْعِ، فَأَقْرَمَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ مَا شَاءَ، دُونَ أَنْ يَتَّقِدَ بِأَجَلٍ مَعْلُومٍ، فَكَانَ يُرْسَلُ إِلَيْهِمْ رَسُولُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِتَقْدِيرِ الثَّمْرِ وَتَحْدِيدِ الشَّطْرِ، وَكَانَ مُنْصَفًا عَادِلًا، وَكَانَ يَقْسِمُ وَيُخَيِّرُهُمْ فِي الْقِسْمِ، لَكِنَّهُمْ ضَاقُوا بِإِنْصَافِ عَبْدِ اللَّهِ ذَرْعًا، فَأَرَادُوا أَنْ يُرْشُوهُ، فَجَمَعُوا لَهُ حُلِيًّا مِنْ حُلِيِّ نِسَائِهِمْ، فَقَالُوا: هَذَا لَكَ، وَخَفَّفْنَا عَنْكَ وَتَجَاوَزْنَا لَكَ فِي الْقِسْمِ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ، تُطْعَمُونَنِي السُّحْتِ! وَاللَّهُ لَقَدْ جِئْتَكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَأَنْتُمْ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنَ الْقَرْدَةِ وَالخَنَازِيرِ، وَلَا يَحْمِلُنِي بِغَضِي إِيَّاكُمْ وَحُبِّي إِيَّاهُ عَلَىٰ أَلَّا أَعْدِلَ. فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ!!!<sup>(٢)</sup>

### الذين ظلموا أنفسهم

فَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ أَنْصَفُوا أَنْفُسَهُمْ، وَأَوْفُوا بِعَقُودِهِمْ مَعَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَوْفَىٰ لَهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَعَاشُوا فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ آمِنِينَ مَطْمَئِنِينَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَدِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، لَنْ يَنَالَهُمْ أَدْبًا فِيهَا أَدَىٰ.

فَأَمَّا لَوْ اتَّبَعُوا الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ

(١) سورة المائدة: ٨

(٢) الحديث أخرجه ابن حبان (٥١٩٩)، والبيهقي في «السنن» ٦: ١١٤، و«دلائل

النبوة» ٤: ٢٢٩-٢٣١ من حديث عبد الله بن عمر، وإسناده صحيح.

والإنجيل، لآتاهم الله أجرهم مرتين، ولأحيائهم حياة طيبة، ولأتم عليهم نعمته في الدنيا والآخرة..

ولكن ماذا يؤمل الإسلام ورسول السلام، فيمن أكلوا السُّحت، وعبَدوا العِجْل، وقتلوا الأنبياء، وقالوا: إنَّ الله فقير ونحن أغنياء؟!!!

### الإنذار الجامع والبلاغ الأخير

مع هذا كلُّه عاملهم صلوات الله وسلامه عليه أحسن معاملة، وجاملهم أعظم مجاملة، حتى إذا لم يزدهم العفو والإحسان إلا طغياناً وكفراً، ولم يزدهم الحلم والإجمال إلا لؤماً وغدراً؛ أنذرهم بهذا البلاغ الأخير: أسلموا تسلموا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. وإلا فلا عيش لكم في هذه الأرض، التي آوتكم وأظلتكم، فجحدتم فضلها، وختمتم أهلها، وحاربتهم الله ورسوله فيها.

أنذرهم هذا الإنذار الجامع الحاسم ثلاثاً، وفي كلِّ مرّة يُجيبون في لؤم وخُبث: قد بلغت يا أبا القاسم، خيباً<sup>(١)</sup> وهرباً من الأمر الذي لامناص منه، وهو الطرد من هذه الأرض، إن لم يُسلموا لله ربَّ السَّموات وربَّ الأرض، ربَّ العالمين...

### إبعاد المفسدين

لقد أرادوا أن يخدعوا الرسول صلوات الله وسلامه عليه بهذه الإجابة، فما على الرسول إلا البلاغ، وقد بلغ غير مرّة، فليدعهم بعد أن أدّى أمانته، وبلغ رسالته، ولكنهم جهلوا - أو تجأهوا - أنه قد أجمع أمره في هذه المرّة على واحدٍ من اثنين لا ثالث لهما: فإمّا إسلامهم ليسلموا هم، وإمّا إجلاؤهم لتسلم البلاد منهم.

(١) أي: خداعاً وغشاً.

٧٢٥

وإذا كان من شرعة الإسلام أن لا إكراه في الدين، فإن من شرعته إبعاد المفسدين.

علم أعداء الله وعباده، بل أعداء أنفسهم، أن الأمر جدُّ، وأنهم عاملون في خبير وما حولها، على شطر ما يخرج منها إلى أجل مُسمًى عند الله تعالى، فإذا جاء أجلهم أخرجهم من ديارهم كما أخرج إخوانهم لأوّل الحشر.

ومن أجل ذلك أقرّهم صلوات الله وسلامه عليه في خبير ما شاء الله أن يقرّهم؛ لئلا يتقيّد بموعِدٍ محدّد كما قلنا من قبل.

ومن أجل ذلك أوصى أصحابه - فيما أوصى - وهو يودّع هذه الدنيا: ألاّ يبقى دينان في جزيرة العرب<sup>(١)</sup>؛ اهتماماً بإقرار السلام وحماية الإسلام، في مهده الأوّل ومقرّه الأصيل.

#### آخر الوصايا النبوية

والمراد من جزيرة العرب في الوصية النبوية: الحجازُ خاصّةً؛ مكةُ والمدينةُ واليمامةُ وما إليها، لاتّفاق الخلفاء الراشدين منهم على إقرار اليهود والنصارى باليمن مع أنه من جزيرة العرب.

وإنّما أجلى عمر رضي الله عنه نصارى نجران من بلاد اليمن، لتقضهم العهد بأكلهم الربا، وكان مُشترطاً عليهم في كتاب صلحهم مع النبي ﷺ ألا يأكلوه. وعقد الذمّة يتقضى بأكل الربا إذا كان مشروطاً على الذميين ألاّ يقربوه.

حرص الخلفاء الراشدين على إنفاذ وصيته ﷺ

لاجرم أن الخلفاء الراشدين - ولاسيما الصديق والفاروق - رضوان الله

(١) أخرجه أحمد ٦: ٢٧٥ (٢٦٣٥٢)، وهو حديث صحيح لغيره، قال الهيثمي في «المجمع» ٢: ٣٢٥: «رواه أحمد، والطبراني في «الأوسط» (١٠٦٦)، ورجال أحمد رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسمع» وانظر: حديث آخر الوصايا النبوية ص ٧٧٣.

عليهم، كانوا جدَّ حريصينَ على إنفاذ وصيَّته ﷺ بعد أن لحق بالرفيق الأعلى.  
بيد أن الصَّدِّيقَ شُغِلَ عن إجلائهم بقتال المرتدين ومانعي الزكاة على  
الرُّغم من قِصرِ خلافته! فأنفذها الفاروق في نزوةٍ من نزوات عدوانهم، وحلقةٍ  
من سلسلةِ غدرهم.

#### محاولتهم قتل عبد الله بن عمر

ولقد كانت لهم في هذه الوصاة أناةٌ، وفي هذا الطُّرد سعةٌ، ولكن ليس  
غريباً على الذين يُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، أن يستعجلوا العذاب  
بظلمٍ عظيمٍ!

ذلك بأن اغتيال مَنْ ظَفَرُوا به من المسلمين جيلةٌ فيهم، ولهم في ذلك  
صحائفٌ سوداء! فبينما عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يُشرف على ماله بخبير  
ذات ليلة، ألقوه من فوق بيتٍ وهو نائم، ففدعوا<sup>(١)</sup> يديه ورجليه! ولا ريبَ أنهم  
أرادوا قتله، كما قتلوا في العهد النبويَّ عبدَ الله بن سهل، ثم أنكروا وحلفوا  
اليمين الفاجرة. فلم يشأ النبيُّ ﷺ أن يبطل دمه، بل أدى ديته من عنده.

#### من دلائل النبوة

ولما بلغ اعتداؤهم أمير المؤمنين رضي الله عنه، قام في أصحاب رسول  
الله ﷺ خطيباً، فقال: إن رسولَ الله ﷺ كان عامل يهود خبير على أموالهم،  
وقال: نُقرُّكم ما أقرَّكم الله، وإنَّ عبدَ الله بن عمر خرج إلى ماله هناك، فعدى  
عليه من الليل، ففدعت يداه ورجلاه، وليس هناك عدوٌّ غيرهم، هم عدوُّنا  
وثُمَّمَّنَّا، وقد رأيت إجلاءهم.

فلما أجمع عمر على ذلك أتاه رأس اليهود: أحدُ بني أبي الحقيق فقال: يا  
أمير المؤمنين، أئُخرجنا وقد أفرَّنا محمدٌ على الأموال، وشرَّط ذلك لنا؟! فقال

(١) الفدع: اعوجاج الرسغ من اليد والرجل، حتى تنقلب الكف والقدم (طه).

٧٢٧

عمر: أظننت أنني نسيتُ قولَ رسولِ الله ﷺ: «كيف بك إذا أخرجت من خير  
تعدو بك قلوصلك»<sup>(١)</sup> ليلةً بعد ليلة؟! فقال عليه - لعنة الله - : كانت هذه هزيلة  
من أبي القاسم! فقال عمر: كذبت يا عدوَّ الله.

فأجلاهم رضي الله عنه إلى نواحي الشام، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من  
التمر مالا وإبلا وعروضا<sup>(٢)</sup>.. ولم يقتص منهم لابنه، وقد أحدثوا به عاهة؛ لأنه  
لم يعرف من الذي دفعه!.

ألا إنه لو لم يُوص النبي ﷺ بطرد اليهود من الحجاز، لكان طردهم منه  
حقاً محتوماً على خلفاء المسلمين وأمرائهم، فكيف وقد أخبر بذلك؟! فكان  
إخباره هذا آيةً صدقٍ من آياتِ نبوته، وبشارةٍ حقٍ بين يدي وصيته.

### المثل الأسفل في الكفر

أما ما كان من طردهم بعد هذا الجلاء وتشريدِهِم، واضطهادهم في مَشَارِقِ  
الأرض ومغاربها - فقد ألفت فيه أسفارٌ شتى، يرى فيها الرائي - لأول نظرة - أن  
إحسانَ الإسلام إليهم فاق كلَّ إحسان، فكان جزاؤه منهم كفراناً فوق كلِّ  
كفران!!.

ذلك دَيْدُنُ مَنْ لعنهم الله، وغَضِبَ عليهم، وجعلَ منهم القردةَ والخنازيرَ،  
وعبدَ الطاغوتَ، أولئك شرُّ مكاناً وأضلُّ عن سواء السبيل<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*\*\*

(١) القلوصل: الناقة الصبور الفتية (طه).

(٢) روى هذه القصة بكاملها الإمام البخاري في صحيحه برقم (٢٧٣٠).

(٣) اقتباس من الآية ٦٠ من سورة المائدة: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ  
لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرُّ مَكَّانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

## مَثَلٌ مِنْ حِلْمِ النَّبِيِّ ﷺ \*

٩٤ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لَمَّا كَانَ يَوْمُ حَنِينٍ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَسًا فِي الْقِسْمَةِ ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِئَةً مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَعْطَى عِيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ ، فَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا ، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ ! فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لِأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ ! رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى ؛ قَدْ أُوذِيَ ؛ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ» . رواه الشيخان<sup>(١)</sup> .

المفردات :

حنين: اسم وادٍ قريب من الطائف، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً من جهة عرفات. نُسبت إليه هذه الغزاة المشهورة، التي قصد إليها النبي ﷺ عَقَبَ فَتَحَ مكة في بضعة عشر ألفاً، والتي تعدُّ بحقٍّ مجمعَ عبر وأمثال وحكم وأحكام، وعظات إلهية بالغة، ودروس نبوية حكيمة، إلى ما ابتلي به النبي ﷺ من جفَاء الأعراب وغلظتهم، وإيذاء المنافقين وعتنتهم، ممَّا يُعِدُّ الصَّبْرَ على مثله علماً من أعلام النبوة.

والأقرع بن حابس: أحدُ الأشراف في الجاهلية والإسلام، واسمه فراس، وإنما لُقِّبَ الأقرع لقرع كان برأسه، وهو من المؤلفة قلوبهم، وقد حَسُنَ إسلامه<sup>(٢)</sup>.

\* مجلة الأزهر، العدد الثالث، المجلد الثامن عشر (١٣٦٦).

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٠) في كتاب فرض الخمس، ومسلم (١٠٦٢) في كتاب الزكاة.

(٢) وتقدم مزيد بيان في ترجمته عند شرح حديث: «من لا يرحم لا يُرحم» ص ٥٤٣.



٧٢٩

وعُيِّنة بن حِصْن: كان سيِّدَ قومه على حُمُقٍ فيه، ولذا لقبه النبي ﷺ بالأحمق المطاع. أسلم قبل الفتح، ثم ارتدَّ في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم عاد إلى الإسلام<sup>(١)</sup>، وكان من المؤلِّفة قلوبهم كذلك.

قال رجلٌ: هو معتب بن قشير من بني عمرو بن عوف، وفي إحدى روايات البخاري أنه من الأنصار<sup>(٢)</sup>، وهذا في ظاهر الأمر، وإلا فهو من المنافقين بلا ريب؛ إذ لا يؤذي رسول الله ﷺ إلا كافرٌ أو منافق.

\*\*\*\*\*

### حِلْمُهُ ﷺ وَعَفْوُهُ

من أجل ذكرى الميلاد النبويِّ الكريم، ضربنا هذه القصة مثلاً لحلم النبي ﷺ واحتماله، وصبره على الأذى، وكظمه للغیظ، وتسليته بإخوانه النبيين، مصدقاً لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةُ﴾<sup>(٣)</sup>.

### غزوة حنين

لقد كانت غزوة حنين من أعظم الغزوات شأنًا في الإسلام، وأكثرها خيرًا وبركةً على المسلمين، على الرغم مما أودوا فيها إيذاءً بليغاً؛ ولقد بلغت غنائمهم من العِظْم ما لم يحلم به غازٍ من قبل، ومن أجل ذلك

(١) في «الأم» للشافعي أن عمر رضي الله عنه قتل عيِّنة على الردة، فإن ثبت ذلك فلا يعدُّ من الصَّحاب، لُقِّبَ عيِّنة لأنَّ شجَّةً أصابته، فجحظت عيناه. ويقال: كان اسمه حذيفة. هذا، وفي «القاموس» جحظت عينه كمنع: خرجت مقلتها أو عظمت (طه).

(٢) البخاري (٤٣٣٥).

(٣) سورة الأنعام: ٩٠.

٧٣٠

اشْرَبَّتْ الأَعْنَاقُ إِلَيْهَا، وَارْتَفَعَتِ الأَبْصَارُ نَحْوَهَا، وَتَعَلَّقَتْ الأَعْرَابُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوا إِلَى سَمْرَةَ خَطَفَتْ رِداً، فَوَقَفَ وَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ لِي عِدَدُ هَذِهِ العَضَاءِ نَعَمًا لَقَسَمْتَهُ بَيْنَكُمْ»<sup>(١)</sup> ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بِخِيالًا وَلَا كَذَابًا وَلَا جَبَانًا»<sup>(٢)</sup>.

### غنائم حُنين

قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الغَنَائِمَ حَيْثُ أَرَاهُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا، فَأَعْطَى قَوْمًا، وَمَنَعَ آخَرِينَ، وَمَازَ أَشْرَافَ العَرَبِ وَرُؤَسَاءَهُمْ فِي العَطِيَّةِ، فَأَعْطَاهُمْ مِئَةَ مِئَةٍ مِنَ الإِبِلِ؛ تَأْلِيفًا لِقُلُوبِهِمْ، وَتَثْبِيثًا لِإِيمَانِهِمْ، وَرَغْبَةً فِي إِسْلَامِ أَشْيَاعِهِمْ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ: الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسِ التَّمِيمِيِّ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ الفَزَارِيِّ؛ وَمِنْهُمْ حَكِيمُ بْنُ حِزَامِ الَّذِي أَسْلَفْنَا قِصَّتَهُ مِثْلًا عَالِيًّا فِي تَرْبِيَّتِهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ<sup>(٣)</sup>.

### قسمة حكيمة

وَكَانَ مِنْ حِكْمَتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَقَدْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ المَيْلِ وَالهَوَى، أَنْ يُبَيِّنَ وَجْهَ العَدْلِ فِي هَذِهِ القِسْمَةِ؛ خَشْيَةً أَنْ تَزُلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا، أَوْ تَزِيغَ قَلْبٌ بَعْدَ اطمئننانها، فيقول: «إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدْعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدْعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنِّي إِنَّمَا أُعْطِي أَقْوَامًا لَمَّا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ العِزِّعِ وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى والخَيْرِ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَعْلَبٍ»<sup>(٤)</sup>. قَالَ عَمْرُو: فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرُ النَّعَمِ!

(١) السَّمْرَةُ وَاحِدَةُ السَّمْرِ، وَالعَضَةُ: كَشْفُهُ، وَاحِدَةُ العَضَاءِ، وَكِلَاهُمَا مِنْ أَشْجَارِ البَوَادِي الشَّائِكَةِ، وَالنَّعْمُ: الإِبِلُ، وَأَعَزُّهَا عِنْدَهُمُ الحِمْرَاءُ.

(٢) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٢٨٢١).

(٣) انْظُرْ: اليَدِ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى.

(٤) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٩٢٣).

## خطبته ﷺ في الأنصار

ويبلغه أن الأنصار عتَبوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، وهم حَمَلَة الدعوة إلى الإسلام، وأولو الفضل في المناصرة والجهاد، فيجمعهم في قُبَّةٍ وحدهم، ثم يخطبهم فيقول: «يا معشر الأنصار، ما حديثٌ بلغني عنكم؟» قال فقهاؤهم: أمّا رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأمّا أناسٌ منّا حديثه أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ! يُعطي قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم! فيقول صلوات الله عليه وسلامه: «إنَّ قريشاً حديثو عهدٍ بجاهليةٍ ومصيبةٍ، وإنِّي أردتُ أن أجبرهم وأتألفهم، أمّا ترَضُونَ أن يرجع الناس بالدينا، وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم؟!» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «لو سلك الناس وادياً، وسلك الأنصار شعباً، لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم»<sup>(١)</sup>. ثم قال: «اللهمَّ ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار!»<sup>(٢)</sup>، فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً.

## كلمة فاجرة

لم تُعجب هذه القسمةُ الحكيمة من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، ممَّن اندسَّ في الأنصار، ولبس لباسهم؛ ولم يتمالك أحدهم - غيظاً وحنقاً - أن قال تلك الكلمة الفاجرة، التي ازداد بها كفراً على كفره، قالها على مَسْمَعٍ من خادمِ رسول الله ﷺ ورفيقه في حِلِّهِ وتَرْحَالِهِ: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

رأى أمينُ رسول الله ﷺ حقاً عليه مفروضاً أن يبلغه ما سمع؛ ليأخذ حذرَه

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٠) و(٤٣٣٧)، ومسلم (١٠٥٩) والشَّعْب: بالكسر، الطريق

إلى الجبل.

(٢) هذه الزيادة عند الترمذي من حديث أنس (٣٩٠٢)، (٣٩٠٩).

٧٣٢

مَمَّنْ يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ وَيُبْطِنُ الْكُفْرَ، وَلَا يَأْلُو الْمُسْلِمِينَ حَبَالًا!  
 وَحَقٌّ مَا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّ طَعْنًا فِي رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ كَطَعْنِ  
 فِي غَيْرِهِ، وَمَنْ مَسَّهُ بِسُوءٍ فَقَدْ حَلَّ دَمُهُ، فَإِنَّ عَفْوًا عَنْهُ فَلِحِكْمٍ بِالْغَةِ لَا يَتَسَعُ  
 الْمَقَامَ لِبَسْطِهَا.

### إبلاغ الحديث على وجه الإصلاح

وقد استنبط العلماء من نقل عبد الله، وإقرار النبي ﷺ إياه، أن إبلاغ  
 الحديث على وجه الإصلاح جائز، لكن على شريطة صدق النية، وتمييز  
 المصلحة من المفسدة، أما من التبس عليه الأمر، أو علقته به شائبة الهوى،  
 فطريق السلامة أن يُمسك خشية أن يزل. ومن لنا بمبلغ كعبد الله علماً وفهماً،  
 أو مبلغ كرسول الله أناة وحلماً؟!.

### كياسة ابن مسعود

ولقد كان يسيراً على ابن مسعود أن ينكر على هذا المنافق، أو يجهر بأمره  
 تنكيلاً به، ولكن أبت له كياسته وأمانته، ثم مخافته للفتنة إلا أن يسر حديثه إلى  
 النبي ﷺ، ويدع الأمر له يتولاه بحكمته، فما كان جوابه ﷺ - وقد شق عليه  
 الأمر وتغير وجهه كأنه الصرّف<sup>(١)</sup> - إلا أن ترحم على أخيه موسى عليه السلام،  
 وتأسى بما آذاه قومه به، ممّا لا يصبر على مثله إلا أولو العزم من الرسل.

### الحليم يملك نفسه عند الغضب

يالها من إساءة بالغة، تُهيج غيظ الحليم، وتذهب بلبّ الكريم، ولكنها لا  
 تخرج رسول الله ﷺ - وحاشاه - عن وقاره ومهابته، ورشده وحكمته.  
 لا جرم أنه غضب وتغير، فليس من شرط الحليم ألا يغضب ولا يتغير،

(١) الصرّف: بكسر الصاد، صبغ أحمر يصبغ به الجلد، وقد يسمّى الدم صرفاً.

والعبارة مقتبسة من رواية مسلم (١٠٦٢).

٧٣٣

بل ربُّمَّا كان الحليم أشدَّ الناس غضباً إذا استُعْضِب، ولكن من شرطه أن يملك نفسه عند الغضب.

ولقد كان ﷺ أملك الناس لنفسه، بل ما كان غضبه قطّ إلا لله والحقّ، وما انتقم لنفسه قطّ إلا أن تُنتهك حرّماتُ الله، فينتقمَ الله بها.

وبعد؛ فهذا مثلاً يَصوِّرُ لنا جانباً يسيراً من سيرة خاتم النبیین، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فإذا احتفل المسلمون بعيد مولده، فليذكروا سيرته الطاهرة، وليدرّسوا خلقه العظيم، ثم ليدعوا جانباً هذه المظاهر السّاحرة، والصُّور الهازلة، فقد كان ﷺ يحبُّ معالي الأمور وجدها، ويكره دنيهاً وسفّافها؟.

\*\*\*\*\*

## التطهير في الإسلام<sup>(١)</sup>

- ١ -

٩٥ - عن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه - وكان شهيداً بدرأ، وهو أحد النّبء ليلة العقبة - أن رسول الله ﷺ قال - وحوّله عصابة من أصحابه - : «بايعوني على أن لا تُشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا بيهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف. فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً، فعوقب في الدنيا فهو كفارة له؛ ومن أصاب من ذلك شيئاً، ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه»، فبايعناه على ذلك. رواه الشيخان، واللفظ للبخاري<sup>(٢)</sup>.

### عناية الإسلام بالتطهير

لقد عني الإسلام بالتطهير بطناً وظهرأ، وسراً وجهراً، وحساً ومعنى؛ في النيآت والسلوك والعقائد والأعمال والأحوال، وسائر شعبه وشرائعه كلّها، جليلها ودقيقها، فرضها ونفلها، في الأفراد والجماعات، والرجال والنساء والأطفال، والأمم والشعوب، وفي السفر والحضر، والسلم والحرب. لم يدع صغيرة ولا كبيرة في هذه الشؤون - عامة وخاصة - إلا جعل التطهير

(١) مجلة الأزهر، العدد السادس، المجلد الرابع والعشرون (١٣٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٨) في كتاب الإيمان، ومسلم (١٧٠٩) في الحدود.

أساساً لها أو مرتبطاً بها.

وهل للإسلام إلا أوامر تُمَثَّل، وتَوَاه تُجْتَنَّب؟! وما الأوامر في الإسلام إلا الفضائل أو الخير؛ مُمَثَّلًا في شعبه ومناهجه ودرجاته، وما المناهي فيه إلا الرذائل أو الشر؛ مُمَثَّلًا في ضروره وأبوابه ودركاته.

### بين الشريعة الربانية والشرائع الوضعية

ألا فليعلم من لم يكن يعلم أن ضرور التطهير قديماً وحديثاً في الشرائع الوضعية كافة، لم يبلغ معشار ما بلغه في الإسلام، بل لم يبلغ فيها ما يبلغه القشر من لبه، ولا الزبد من زبده، وأين تدبير العباد الضعفاء وتطهيرهم، وهم لا يملكون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً، ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، من تدبير الحكيم الخبير وتطهيره، وهو الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وخلق كل شيء فقدره تقديراً؟!.

إنَّ التَّطْهِيرَ فِي الْإِسْلَامِ - إِلَّا مَا تَدْعُو الْضُرُورَةَ إِلَيْهِ - أَمْرٌ اخْتِيَارِي يُوَكَّلُ إِلَى الْعَبْدِ حَتَّى يُزَكِّي نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ جَبْرٍ وَلَا إِكْرَاهٍ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْإِرْشَادُ وَالْبَيَانُ، وَالِدَعْوَةُ وَالْبِرْهَانُ: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾<sup>(١)</sup> ﴿فَذَكَرْنَا إِنَّمَّا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾<sup>(٢)</sup> لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ<sup>(٣)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهَا﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا<sup>(٤)</sup>.

وأما التطهير في الشرائع الوضعية فإنه إجباري، يوكل أمره إلى ذوي النفوذ والسُّلطان، يتولونه بالعنف والقوة، يأخذون فيه بالشدّة والظنّة. ولا يستوي

(١) سورة الكهف: ٢٩.

(٢) سورة الغاشية: ٢١-٢٢.

(٣) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٤) سورة الشمس: ٩-١٠.

تطهيرٌ أُسِّسَ على الطَّوْع والاختيار، وآخر أُسِّسَ على الكُرْه والاضطرار.

### جماع الموبقات وأصول المهلكات

وفي هذا الحديث الجامع يروي عبادة بن الصَّامت، رضي الله عنه: كيف بايع النبي ﷺ على التطهير من ستة خبائث هُنَّ جماعُ الموبقات، وأصول المهلكات، في خير أُمَّة أُخرجت للناس، والعصابة - ومثلها العصابة - هي الجماعة بين العشرة والأربعين.

### من مناقب عبادة

ذكر البخاريُّ لعبادة رضي الله عنه مَنْقَبَتَيْنِ من أجلِّ مَنْاقِبِهِ، لِيُرِينَا أَيَّ إِنْسَانٍ كان راوي هذا الحديث؟! ذكر أنه شهد بدرًا. وحَسْبُكَ في فَضْلِ أَهْلِ بَدْرٍ ما جاء في الصَّحاح أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «... لعلَّ الله أَطَّلَعَ على أَهْلِ بَدْرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»<sup>(١)</sup>، وذكر أنه أحدُ النقباء ليلة العقبة.

وجملة القول في أخبار العقبة - وهي في طريق الذهاب من مكة إلى منى - أَنَّ النبي ﷺ لما يَتَسَّ من قومه، أخذ يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج، يدعوهم إلى الله تعالى، وقبل الهجرة بعامين لقي ستةً من الخزرج، فعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فأسلموا وحملوا الإسلام إلى المدينة. ويذكر بعض أهل السِّير والمَعَازِي أَنَّ منهم عبادة.

### البيعة الثانية والثالثة

فلَمَّا كان العام المُقْبِل لِقِيَهُ من الأنصار اثنا عشر رجلاً: خمسة من السابقين، وسبعة غيرهم أسلموا جميعاً. وهذه هي البيعة الثانية، وكان فيها عبادة نقيياً.

(١) أخرجه البخاري (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤).



٧٣٧

فلما كان العام الذي يليه قدم من المدينة جمٌ غفير من الأوس والخزرج، وبايعه منهم سبعون رجلاً وامرأتان، واختار منهم - اقتداء بالقرآن - اثني عشر نقيباً، أحدهم عبادة، وجعلهم كفلاءً على قومهم، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم. وهذه هي البيعة الثالثة.

### بيعة الفتح

وكانت بيعتهم في العقبة على الإيواء والنصرة، وأن يمنعوه ﷺ مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم<sup>(١)</sup>، لا على التطهير من هذه الموبقات الست التي ينتظمها هذا الحديث كما ظن كثير من المحدثين وأهل السير، وإنما كانت المبايعة التي في الحديث هنا بعد فتح مكة، وبعد أن نزلت آية: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ بِبِيعَتِكَ﴾<sup>(٢)</sup> فبايع النبي ﷺ النساء، ثم بايع الرجال.

ومرجع الالتباس على مَنْ ذهب إلى أن هذه البيعة كانت في العقبة قبل الهجرة، أن عبادة بايع البيعتين جميعاً، إلى غيرهما من المبايعات، وكانت بيعة العقبة من أجل ما يُمتدح به؛ ولذا أشار إليها البخاري في هذا الحديث، وكان يذكرها عبادة تنويهاً بما من الله عليه، فلماً أشير إليها في مقدمة البيعة التي هنا، وهي على مثل بيعة النساء، توهم مَنْ لم يقف على جليّة الأمر أن بيعة العقبة وبيعة الفتح سواء.

### خرّيج مدرسة الطهر والتّطهير

وإذا كان عبادة - راوي هذا الحديث - واحداً من المتخرّجين في مدرسة

(١) انظر حديث جابر بن عبد الله في بيعة العقبة في مسند أحمد ٣: ٣٢٢ (١٤٤٥٦)، وابن حبان (١٦٨٦)، والحاكم ٢: ٦٢٤-٦٢٥ وصحّحه ووافقه الذهبي. قال الحافظ في «الفتح» ٧: ٢٢٠ رواه أحمد بإسناد حسن، وصحّحه الحاكم.

(٢) سورة الممتحنة: ١٢.

الطَّهْرُ والتَّطَهِيرُ، والتَّحَرُّرُ والتَّحْرِيرُ، فحقُّ علينا أن نأتيَ على بعض صفاته وأخباره؛ لتبيِّنَ كيف تُربِّي المدرسةُ الطاهرةُ أبناءَها؟! وكيف تُؤثِّرُ الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ أَكْلُهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟!

### عبادة بن الصامت

أتى الله عُبَادَةَ رضي الله عنه بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ، وَالْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالصَّلَاةِ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ يُجَلِّهُ الْفَارُوقُ رضي الله عنه وَيُكْرِمُهُ، حَتَّى بَلَغَ مِنْ إِجْلَالِهِ إِيَّاهُ أَنْ قَالَ لَهُ عَلَى إِثْرِ مَقْدَمِهِ مِنَ الشَّامِ لِنَزَاعِ بَيْنِهِ وَبَيْنَ مَعَاوِيَةَ: ارْجِعْ إِلَى مَكَانِكَ، فَقَبَّحَ اللَّهُ أَرْضاً لَسْتُ فِيهَا وَلَا أَمْثَالِكَ، وَكَتَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ: لَا إِمْرَةَ لَكَ عَلَى عِبَادَةَ.

وَمِنْ إِجْلَالِهِ إِيَّاهُ أَنَّهُ أَمَدَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ فِي فَتْحِ مِصْرَ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ الْفَتْحُ أَمَدَّهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ أُخْرَى، وَأَمَرَ عَلَى كُلِّ أَلْفٍ وَاحِدًا مِنْ أَرْبَعَةِ: عِبَادَةَ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَامِ، وَالْمَقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ، وَمَسْلَمَةَ بْنَ مَخْلَدٍ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ: قَدْ أَنْفَذْتُ إِلَيْكَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ عَلَى كُلِّ أَلْفٍ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِمَّنْ مَقَامُ أَلْفٍ، فَصَارَ مَعَكَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا<sup>(١)</sup>، وَ«لَا تُغْلِبُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلَّةٍ»<sup>(٢)</sup>.

(١) لَيْسَ عَجَبًا أَنْ يَعَدَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ أَلْفًا بِالْقَوْلِ، فَبَابِ الْمَجَازِ وَاسِعٍ، وَإِنَّمَا عَدَّهُ أَلْفًا بِالحِسَابِ وَالفِعْلِ وَبِنَاءِ الحِكمِ المنطقي (طه).

(٢) اقْتَبَسَ مِنْ حَدِيثِ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمَسْنَدِ ١: ٢٩٤ (٢٦٨٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٥٥٥)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٦١١)، وَابْنُ حِبَّانَ (٤٧١٧)، وَلَفْظُهُ عِنْدَ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُ مِئَةٍ، وَخَيْرُ الْجِيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، وَلَا يَغْلِبُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلَّةٍ».

وَالْحَدِيثُ رِجَالِ إِسْنَادِهِ ثِقَاتٌ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي وَصْلِهِ وَإِرْسَالِهِ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَرْسَلٌ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا يَسْنَدُهُ كَبِيرٌ أَحَدٌ غَيْرُ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، وَإِنَّمَا رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَرْسَلًا. وَانظُرِ التَّعْلِيقَ عَلَى مَسْنَدِ أَحْمَدَ،

٧٣٩

شهدَ رضي الله عنه بعد بدرُ أحدًا، وبيعة الرضوان، والمشاهد كلها.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريراً المجمع

### التطهير من رجس الشرك

عاهدَ النبي ﷺ صحابته وأمه - أول ما عاهد - على التطهير من رجس الشرك في كل صورة من صورته؛ لأنه منبع كلِّ بلاء، وموطن كلِّ داء، لا يُرفع معه إلى الله عمل، ولا يزكو في أرضه تبتُّ ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقد اتفقت رسالات الله كلها على أنَّ الشرك أكبر الكبائر، وأشدُّ الموبقات، وأعظم الظلم؛ لأنه جُحودٌ للرب، وإهدارٌ للعقل، وإمعانٌ في كفر النعم والمنعم، واستحبابٌ للعمى والضلال المبين.

### التطهير من السرقة

وعاهدهم على التطهير من السرقة قليلها وكثيرها، ولعن السارق؛ لأنه يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده<sup>(٢)</sup>.  
والسرقة كسبٌ خبيث غير مشروع، مضيعةٌ للشرف والمروءة، ومجلبةٌ للخزي والعار، مزرعة للبطالة والدناءة والكسل، موجبةٌ للعنة والتكال في الدنيا والآخرة.

طبعة مؤسسة الرسالة ٤: ٤١٩.

(١) اقتباس من الآية ٥٨ من سورة الأعراف.

(٢) وهو معنى حديث متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧) ولفظه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لعن الله السارق، يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده» لأنَّ سرقة ما لا قطع فيه تُجرى على ما فيه القطع، ومنهم من أخذ بظاهر الحديث، فجعل القليل والكثير سواء في إقامة الحد (طه). انظر ص ٦٣٤.

### البعد عن الزنى

وعاهدهم على ألا يقربوا الزنى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَنِحْشَةً وَسَاءَ سَيْبًا﴾<sup>(١)</sup>، وكان فاشياً في الجاهلية على أنحاء شتى. وهو أعظم هتكاً للأعراض، ونشراً للأمراض، وهدماً للبيوت والأسر، وقتلاً للأحساب والأنساب، وخيانةً للأمانات، ومقتاً عند الله والناس!

### قتل الأولاد ووآد البنات

وكانوا يقتلون أولادهم خشية الفقر أو العار، وشاع فيهم وآد البنات إسرافاً في الكراهية لهنّ دون ذنب جنينهنّ!. والوآد هو قذف البنت في حفرة أعدت لدفنها بالحياة. وفي هذه الجريمة الشنعاء يقول تبارك وتعالى؛ تبيكتنا لصاحبها: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾<sup>(٢)</sup>.

جريمة تقشعراً لها الأبدان، وتشيب من هولها الولدان، وتصف أفضح صورة لقسوة الإنسان!! وهي بعد ذلك قطعة للرّحم، وعدوان على المخلوق الضعيف الذي لا يملك أن يدفع عن نفسه شيئاً، وأتّهام للخلاق الرازق ذي القوة المتين - من بيده مفاتيح الرزق وخزائن السموات والأرض - بأنه عاجز عمّا تكفل به!!

واجتماع هذه الجرائم البشعة في قتل الولد هو سرّ التّخصيص في النهي، وإن كان القتل كله منكراً، ولكن كُفر، دون كفر، وظلم دون ظلم، ونظير هذا الزنى بحليلة الجار، ونكاح امرأة الأب، وكلاهما إلى الفاحشة قطيعة وسوء أدب، وهذا هو سرّ إضافة «المقت» في قوله تباركت أسماؤه: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَنِحْشَةً وَمَقْتًا

(١) اقتباس من الآية ٣٢ سورة الإسراء.

(٢) سورة التكوير: ٨-٩.

وَسَاءَ سَكِيلاً<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا نبيَّ الله! أيُّ الذنبِ أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعلَ لله نداً وهو خالقك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتلَ ولدك خشيةً أن يطعم معك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلةَ جارك»<sup>(٢)</sup>.

### النهي عن البهتان

وإتيان البُهتان هو اختلاق الزور والكذب الذي يَبْهت من يُرمى به، ويدهشه لشِدَّةِ هَوْلِهِ وفِظَاعَتِهِ!

وخصَّ الأيدي والأرجل بالذكر؛ لأنَّهما الأداة في معظم الأفعال، إذ هما العوامل أو الحوامل للمباشرة والسَّعي، وقد يُعاقبُ الشخصُ بجريمة قولية فيقال: هذا بما كَسَبَتْ يداك، وإن كان الكاسب هو اللسان.

وقيل: كُنِيَ عن الذاتِ بالأيدي والأرجل لأنها بينهما، فالمعنى: لا تأتوا ببهتان تُنشئونه من قِبَلِ أنفسكم، أو من قِبَلِ ضمائركم وقلوبكم.

وأظهر ما يكون البهتان في نساء الجاهلية، وكانت إحداهن تلتقط المولود وتقول للرجل: هذا ولدي منك زوراً وإفكاً! ومن هنا استدلَّ بعضُ المحقِّقين على سَبْقِ بيعة النساء، وسَوْقِ بيعة الرجال على منهاجها.

### الطاعة في المعروف

ثم يختم النبي ﷺ مبايعته بالوصية البليغة الجامعة، التي تنهى عن كلِّ قبيحٍ ذُكر أو لم يُذكر، كما تتضمن الأمر بكلِّ حسنٍ جميلٍ من مكارم الأخلاق التي

(١) سورة النساء: ٢٢.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٧) في التفسير، ومسلم (٨٦) في الإيمان.

٧٤٢

بُعث لإتمامها صلوات الله وسلامه عليه.

والتقييد بالمعروف مع أنه صلوات الله وسلامه عليه لا يأمر به، لتبنيه أمته على أنه لا طاعة لمخلوق - وإن عَظُم - في معصية الخالق جلّ وعلا، وفي هذا أبلغ ردّ على مَنْ زعم أنّ طاعة أولي الأمر واجبةٌ من غير قيد ولا شرط.

### الناس فرق ثلاث

وبعد أن وفى رسول الله ﷺ هذه الأمور الست التي عاهدهم عليها، بيّن لهم أنّ الناس فيها فرقٌ ثلاث: فرقة توفى بعهد الله إذا عاهدت، فجزاؤها إلى الله عزّ وجلّ، ونِعْمًا هو، وفرقةٌ تقصّر ثم تطهّر، وفرقة إلى الله أمرها، وفي علمه عاقبتها.

وإذا ضاق المقام عن بيان هذه الفرق، فموعدنا الجزء الآتي بعون الله ومشيئته.

\*\*\*\*\*

## التطهير في الإسلام\*

- ٢ -

### درجات الناس في الوفاء بالعقود

بعد أن عاهدَ النبي ﷺ أصحابه وأُمَّته على التطهير من هذه الموبقات الست - أصول الرذائل، وجماع المآثم - بين أنهم في الوفاء ببيعته على ثلاث درجات، بين كل درجة ودرجة من التفاوت والفضل ما لا يقدره إلا الله عز وجل، بل إن أهل الدرجة الواحدة في الفضل والمنزلة ليسوا سواء.

أما أهل الدرجة الأولى: فقد وفوا بعهد الله كاملاً غير منقوص، فوفى الله لهم بعهده، وضمن لهم على لسان رسوله أجراً عظيماً، وهو النعيم المقيم، والمقام الكريم ورضوان من الله أكبر ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(١)</sup>.

وأما أهل الدرجة الثانية: فهم الذين اقترفوا من هذه الموبقات ما عدا الشرك الأكبر؛ فإن الله لا يغفر أن يُشرك به. غير أن الله طهرهم بإقامة الحاكم الحدّ عليهم؛ إذ يقطع يد السارق، ويجلد أو يرحم الزاني، ويقتل القاتل، ويجلد القاذف. وهكذا كانت العقوبة ماحيةً لذنب صاحبها، مُطهِّرةً له، حتى يلحق بالسابقين، ولا حرج على فضل الله سبحانه.

وأما أهل الدرجة الأخيرة؛ فهم الذين اقترفوا من هذه الموبقات شيئاً - ما

\* مجلة الأزهر، العدد السابع، المجلد الرابع والعشرون (١٣٧٢ = ١٩٥٣).

(١) سورة الحديد: ٣١.

عدا الشُّرك الأكبر - إلا أن الله تعالى سترهم، فإن تابوا وأحسنوا، فإن الله يتقبل توبتهم فضلاً منه وكرماً، وإلا فأمرهم مَفْوَضٌ إلى ربهم، إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذبهم.

ستر الله وعفوه وواسع مغفرته ورحمته

وليس عَجَباً أن يغفر الله لمن تاب إليه وأتاب، ولو بلغت ذنوبه عنان السماء، أو أدركته منيته قبل أن يعمل بعد توبته عملاً صالحاً، وحسبنا من الشواهد الكثيرة على هذا ما رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه في الحديث القدسي عن النبي ﷺ عن ربه عز وجل قال: «يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي.

يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك.

يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»<sup>(١)</sup>.

قصة القائل تسعة وتسعين نفساً

وما رواه الشيخان<sup>(٢)</sup> وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، ثم سأل عن أهل الأرض، فدل على راهب، فسأله: هل له من توبة؟ ففقطه من رحمة ربه، فكمّل به المئة. ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على عالم، فسأله كما سأل صاحبه، فقربه من رحمة

(١) رواه الترمذي (٣٥٣٤) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ونقل الإمام النووي عنه في آخر «الأربعين النووية» أنه قال: حسن صحيح.

والعنان: السحاب وزناً ومعنى، وقراب الأرض - بالضم ويجوز الكسر -: هو ما يقارب مألها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).



٧٤٥

ربِّه، ليعلم أنها أوسع من ذنبه، وأمره أن يهجرَ هذه الأرض التي عصى الله فيها إلى أرض سمّاها له، ليعبد الله بها مع قوم عابدين، ولكنه قضى نجبه في نصف الطريق! فاختصمت في شأنه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فكان قضاء الله الرحيم، الذي يغفر الذنب العظيم، للأوليين على الآخرين<sup>(١)</sup>.

### قصة الكفل

ومن هذا القبيل قصة الكفل: أخرجها الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال: رسول الله ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجل يُسمى الكفل، وكان لا ينزع عن شيء، فأتى امرأة علم بها حاجة، فأعطها ستين ديناراً، فلمّا أرادها على نفسها، ارتعدت وبكت، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: لأنّ هذا عمل ما عملته قط، وما حملني عليه إلاّ الحاجة! فقال: أنت تفعلين هذا من مخافة الله تعالى؟ فأنا أحرى بذلك، فاذهبي ولك ما أعطيتك، ووالله لا أعصيه بعدها أبداً؛ فمات من ليلته! فأصبح مكتوباً على بابه: إن الله قد غفر للكفل»<sup>(٢)</sup>. فعجّب الناس من ذلك حتى أوحى الله إلى نبيّ زمانهم بشأنه.

(١) اكتفينا بمعنى الحديث إجمالاً لشهرته في مواطن كثيرة، أقربها «رياض الصالحين»

(طه).

(٢) أخرجها الترمذي (٢٤٩٦)، وسياق المؤلف له بمعناه. ولفظه من حديث ابن عمر قال: سمعت النبي ﷺ يحدث حديثاً لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عدّ سبع مرات، ولكنني سمعته أكثر من ذلك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورّع من ذنب عمله، فأنته امرأة، فأعطها ستين ديناراً على أن يطأها، فلمّا قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت، فقال: ما يبكيك؟ أكرهتك؟ قالت: لا، ولكنه عمل ما عملته قط، وما حملني عليه إلاّ الحاجة، فقال: تفعلين أنت هذا وما فعلته؟ اذهبي فهي لك، وقال: لا والله لا أعصي الله بعدها أبداً، فمات من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه: إن الله قد غفر للكفل». قال الترمذي: هذا حديث حسن.

## الأدب مع الله تعالى

بل ليس عَجَباً أن يغفرَ الله تعالى لِمَنْ شاء من عباده الذين ماتوا قبل أن يتوبوا ممَّا اجترَحُوا من كبائر الإثم - إلاَّ الشُّرك - وليس لنا أن نحكمَ على أحدٍ مُعَيَّن من أهل التوحيد بالنار بالغةٍ ما بلغت ذنوبه وسيئاته؛ فإنَّ هذا سوء أدب مع الله عز وجل، وافتياتٌ على شؤونه، وانتهاكٌ لحرماته.

وفي الصحيح: أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله تعالى: «مَنْ ذا الذي يتألَّى عليَّ ألاَّ أغفر لفلان؟! فإنِّي قد غفرتُ له، وأحببتُ عمَلَك!»<sup>(١)</sup>.

### مُوجبات المغفرة والرحمة

وجاء في الصحيحين وغيرهما: أن بغيًّا رأت كلباً في يومٍ حارٍّ يطيف ببئر، قد أدلع لسانه من شدَّة العطش والحرِّ، فنزعت له موقها (خفها) فملاؤه ماء وسقته، فشكر الله لها وغفر لها به<sup>(٢)</sup>.

ورويًا مثل هذه القصة عن رجلٍ كان يمشي بطريق، فاشتدَّ عليه العطش فوجد بئراً فشرب منها، فإذا كلبٌ يلهث، يأكل الثرى من العطش! فقال: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فملاً خفّه من البئر، وسقى الكلب، فشكر الله له وغفر له بما صنَّع<sup>(٣)</sup>.

وأعجب من هذين ما رواه الشيخان وغيرهما عن الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه قال: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢١). وقوله: «يتألَّى» أي: يحلفُ ويُقسم. وأحبط عمله: أفسده وأبطله، فلا يُقبل.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٠٩)، ومسلم (٢٢٤٤).

الطريق، فأخّره، فشكر الله تعالى له، فغفر له»<sup>(١)</sup>.

وأكبر الظنّ أنّ هؤلاء جميعاً تداركهم الله بفضل منه ورحمة قبل أن يتوبوا، وجائزٌ أن يكون الله قد منّ عليهم فوقّهم للتوبة حين وفقهم لهذا الصنيع الذي شكره لهم، وجعلته مع التوبة سببَ مغفرته ورضوانه.

وأياً ما كان الأمر، فلا تزال للملوك أسرارٌ، ليس من أدب العبيد أن يتجسسوا عليها، بلّه أن يقتحموا حماها.

وإذا لم يحل لأحد أن يحكم على آخر من أهل القبلة بعذاب الله وسخطه، فلا يحلُّ له كذلك أن يحكم لأحدٍ - بالغة ما بلغت حسناته وخيراته - بنعيم الله ورضوانه، ما عدا المبشرين بالجنة على لسان المعصوم صلوات الله عليه وسلامه؛ فإنّ الأعمال بالخواتيم، ولا يعلمها إلا علام الغيوب سبحانه.

غير أنّ ستر الله لعبده وكفّفه عليه في الدنيا أمانةٌ على كنفه عليه ورضاه عنه في الأخرى.

ومن دلائل هذا: ما رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُدنِّي المؤمنُ يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كنفه - أي: ستره ورحمته - فيقرُّه بذنوبه، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: ربّ أعرف، قال: فإنّي قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨). قال النووي في «شرح مسلم» ١٧: ٨٦: «والمراد بالدنو هنا: دنو كرامة وإحسان، لا دنو مسافة، والله تعالى منزّه عن المسافة وقربها» انتهى.

## الخوف من الله والرجاء فيه

ولا يَغْرَنَّ أحداً ما تُوسوسُ به نفسه، أو ما يخادعه به شيطانه، من سعة فضل الله تعالى وعظيم رحمته؛ فإنَّ ذلك من الحقِّ الذي يُراد به الباطل، ومن الخير الذي يتوسَّل به إلى الشرِّ والأذى.

فَمَنْ تلا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> وقد قيل: إنها أرجى آية في القرآن الكريم، فليتلُّ بعدها: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٢)</sup>

وَمَنْ روى أحاديث الرجاء في الله، فليرو معها أحاديث الخوف من الله. وَمَنْ أَحْسَنَ الظَّنَّ به سبحانه، فليحسن الأدب معه؛ فإنَّ قوماً غرَّتهم الأمانى، وقالوا: نحن نحسنُ الظنَّ بالله تعالى، وكذبوا؛ لو أحسنوا الظنَّ لأحسنوا العمل<sup>(٣)</sup>.

وَمُجْمَلُ القول في هذا المقام: أن يتأدَّب العبدُ مع ربه بأدب الخوف منه والرجاء فيه، فلا يطغى خوفه حتى يقنطَ من رحمته، ولا يطغى رجاؤه حتى يتهاونَ في طاعته، فإذا أحسَّ بقرب قدومه على مولاه، فليغلب الرجاء فيه، وليحسن الظنَّ به، وليؤقن أنه قادمٌ على أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين.

## درجات الناس في التطهير من الموبقات

وبعد، فالناس في التطهُّر أو التطهير من الموبقات على طبقات، لا يحصيها إلا مَنْ فضَّل بعضهم على بعض، ورفع بعضهم درجات:

(١) سورة الرعد: ٦.

(٢) سورة الرعد: ٦.

(٣) اقتباس من آثار الحسن البصري، وليس حديثاً كما ظنَّ بعض أهل العلم (طه). والعجيب أن المؤلف رحمه الله أورده مرفوعاً، وعزاه إلى «التاريخ الكبير» للبخاري، وقد نهت على وهمه في التعليق على حديث: ظن العبد بربه ص ٣٧٧.

٧٤٩

فمنهم من قَوِيَ إِيمَانُهُ، وَعَظُمَ يَقِينُهُ، حَتَّى جَادَ بِنَفْسِهِ - فِي سَبِيلِ تَطْهِيرِهَا -  
لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا.

### ماعز بن مالك الأسلمي

وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَاعِزُ بْنُ مَالِكِ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا  
رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَزَنَيْتُ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي، فَردّه.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ، فَردّه الثانية،  
فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: «هَلْ تَعْلَمُونَ بِعَقْلِهِ بِأَسَاءٍ؟ تُنْكَرُونَ مِنْهُ  
شَيْئاً؟» فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا وَفِي الْعَقْلِ، مِنْ صَالِحِينَ فِيمَا نَرَى. فَأَتَاهُ الثَّلَاثَةَ  
فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضاً فَسَأَلَ عَنْهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ وَلَا بِعَقْلِهِ، فَلَمَّا كَانَ  
الرَّابِعَةَ، حَفَرَ لَهُ حَفْرَةً، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ<sup>(١)</sup>.

### المرأة الجهنية

وَمِنْ هَؤُلَاءِ: امْرَأَةٌ مِنْ جُهَيْنَةَ، أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزَّئِي،  
فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْنِي عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ:  
«أَحْسِنِ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَائْتِنِي بِهَا» فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا فَشَدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا، ثُمَّ  
أَمَرَ بِهَا فَرَجَمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا، فَقَالَ عُمَرُ: أَتَصَلِّي عَلَيْهَا وَقَدْ زَنَتْ؟! فَقَالَ  
ﷺ: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسَعَتْهُمْ، وَهَلْ  
وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا؟!»<sup>(٢)</sup>.

### المرأة الغامدية

وَأَعْجَبَ مِنْ هَذِهِ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ - بَطْنٍ مِنْ جُهَيْنَةَ - قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!

(١) أخرجه مسلم (١٦٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٩٦).

إني قد زَيْتُ فطهرني، فردّها، فلمّا كان من الغد قالت: يا رسول الله لم تردني؟! لعلك إن تردني كما رددت ماعزاً، فوالله إني لحُبلى، فلمّا رآها لا تريد السّر على نفسها، أمر بالإحسان إليها حتى تلد وتُرضع ولدها وتفظمه، حتى جاءت به، وقد أكل الطعام، فدفعه لرجل من المسلمين، ثم أمر بها فرُجمت، وكان ممّن رجمها خالد بن الوليد، فنضح الدم على وجهه، فسبّها، فسمع النبي ﷺ سبه إياها، فقال: «مهلاً يا خالد، فوالذي نفسي بيده، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له»<sup>(١)</sup>.

وصاحب المكس - أو الماكس - هو الذي يجبي الضرائب من الناس بغير حقّ. والمكس من أقبح المعاصي والذنوب الموبقات؛ لكثرة مطالبات الناس له وظلاماتهم عنده.

وفي مسند الإمام أحمد وغيره عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة صاحب مكس»<sup>(٢)</sup>، قالوا: هو العشار، الذي يأخذ العشر على ما كان يأخذه أهل الجاهلية، كان يأخذ من التجار إذا مروا به مكساً باسم العشر.

وأما من يعشرهم<sup>(٣)</sup> على ما فرض الله سبحانه فحسن جميل، وقد عَشَرَ جماعة من الصحابة للنبي ﷺ، وللخلفاء بعده، فكانوا يأخذون عُشراً ما سقته السماء، وعُشراً أموال أهل الذمة في التجارة.

وأعجب من هؤلاء جميعاً رجل تلقى امرأة تريد الصلاة، فعشيتها وقضى

(١) أخرجه مسلم (١٦٩٥).

(٢) أخرجه أحمد ٤: ١٤٣ (١٧٢٩٤)، وأبو داود (٢٩٣٧)، والدارمي

(١٦٦٦)، وابن خزيمة (٢٣٣٣) وهو حديث حسن لغيره.

(٣) عَشَرهم يعشرهم بالضمّ عُشراً بضم العين: أخذ عُشراً أموالهم، ومنه العاشر

والعشار بالتشديد «مختار».

٧٥١

حاجته غصباً، فصاحت! فانطلق! فانطلق خلفه عصابة من المهاجرين، فأخذوا رجلاً دلت عليه غلطاً، فأتوها به، فقالت: نعم، هو هذا، فلما أمر النبي ﷺ به ليُرجم، قام صاحبها الذي وقع عليها، فقال: يا رسول الله أنا صاحبها، فقال لها: اذهبي فقد غفر الله لك، وقال للرجل قولاً حسناً، وأمر بالذي تجلَّلها أن يُرجم، فرجم، فقال: لقد تاب توبةً لو تابها أهل المدينة لُقِبَ منهم<sup>(١)</sup>!.

ومن الناس من لم يقدر على تطهير نفسه جهراً، أو قدر عليه، ولكنه آثر ستر الله تعالى، فطهر نفسه فيما بينه وبين ربه سرّاً، ومنهم من تولَّى الله تطهيره بما ابتلاه من ضروب المحن والبلايا!!.

وإذا ضاق المقام عن استيفاء البيان فموعدنا الجزء التالي وبه الخاتمة إن شاء الله تعالى.

\* \* \* \* \*

(١) أخرجه أحمد ٦: ٣٩٩ (٢٧٢٤١)، والترمذي (١٤٥٢)، وأبو داود (٤٣٧٩).

## التطهير في الإسلام\*

- ٣ -

٩٦ - عَنْ عَبْدِ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا أَخَذَ عَلَى النَّسَاءِ: «أَلَّا تُشْرَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تُسْرَقَ، وَلَا تُزْنَى، وَلَا تُقْتَلَ أَوْلَادُنَا، وَلَا يَعْضَهُ بَعْضُنَا بَعْضًا»<sup>(١)</sup> فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَتَى مِنْكُمْ حَدًّا فَأُقِيمَ عَلَيْهِ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، وَمَنْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ». رواه الشيخان، واللفظ لمسلم<sup>(٢)</sup>.

### المبايعة بعد فتح مكة

رَجَّحْنَا فِي صَدْرِ الْبَيَانِ لِهَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَبَايِعَةَ عَلَى التَّطْهِيرِ مِنْ هَذِهِ الْمَوْبِقَاتِ السَّتِّ كَانَتْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَبَعْدَ آيَةِ الْمُتَمَتِّحَةِ: ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَتُ يَبَايِعَنَّكَ﴾<sup>(٣)</sup>.

\* مجلة الأزهر، العدد الثامن، المجلد الرابع والعشرون (١٣٧٢ = ١٩٥٣).

(١) أي لا يرميه بالعضية وهي البهتان والكذب، فالجملة هنا معنى الجملة الأخرى: «ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم» (طه).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان (١٨)، وفي مناقب الأنصار (٣٨٩٢)، (٣٨٩٣)، وفي المغازي (٣٩٩٩)، وفي التفسير (٤٨٩٤)، وفي الحدود (٦٧٨٤)، (٦٨٠١)، وفي الدييات (٦٨٧٣)، وفي الفتن (٧٠٥٥)، وفي الأحكام (٧١٩٩)، (٧٢١٣)، ومسلم في كتاب الحدود (١٧٠٩).

(٣) سورة الممتحنة: ١٢.



٧٥٣

فبايع النبي ﷺ النساء، ثم بايع الرجال على وفق مبايعتهن، اقتداءً بالقرآن الكريم.

وكنا سقنا في كل من المقالين السابقين لفظ البخاري لهذا الحديث في كتاب «الإيمان»؛ لأنه أوفى الروايات وأدلتها على فضل هذه البيعة والمبايعين؛ ثم بدا لنا في هذا المقال الأخير أن نختار رواية مسلم في كتاب «الحدود»، تأييداً لما رجحناه، وتمهيداً لذكر مبايعات النساء ومكانتهن في الإسلام.

### مبايعات النساء على التطهير

لقد بايعن الرسول ﷺ وبايعهن غير مرة: في مكة بعد الفتح، وفي المدينة. أخرج الإمام مالك في «موطئه» عن أميمة بنت ربيعة<sup>(١)</sup> رضي الله عنها أنها قالت: أتيت رسول ﷺ في نسوة بايعنه على الإسلام، فقلن: يا رسول الله: نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزن، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي بهتاناً نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف، فقال رسول ﷺ: «فيما استطعن وأطقتن»، قالت: فقلن: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، هلم نبايعك يا رسول الله. فقال رسول ﷺ: «إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمئة امرأة لامرأة واحدة»<sup>(٢)</sup>. وممن بايعنه بمكة، صلوات الله وسلامه

(١) بقافين مصغرة كابنتها، وفي بعض النسخ: «رقية» وهو تحريف، صحابيَّة، وأمها ربيعة هاشمية، وأختها خديجة بنت خويلد (طه).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢: ٩٨٢) في البيعة، والترمذي (١٥٩٧) في كتاب السير، باب ماجاء في بيعة النساء. وقال: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر. وسألت محمداً - أي البخاري - عن هذا الحديث، فقال: لا أعرف لأمية بنت ربيعة غير هذا الحديث، وأميمة امرأة أخرى لها حديث عن رسول الله ﷺ.

عليه، هند بنت عتبة زوج أبي سفيان.

ففي حديث أسماء بنت زيد قالت: كنتُ مع النسوة المبايعات، وكانت هند بنت عتبة<sup>(١)</sup> في النساء، فقرأ ﷺ عليهنَّ الآية، فلَمَّا قال: ﴿عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾، قالت هند: وكيف نطمعُ أن يقبلَ مِنَّا ما لم يقبله من الرجال؟! فلَمَّا قال: ﴿وَلَا يَشْرَفُنَّ﴾ قالت: والله إنِّي لأُصيبُ الهنَّةَ من مال أبي سفيان لا يدري، أيجلُّ لي ذلك؟ فقال أبو سفيان: ما أصبتِ من شيءٍ فيما مضى وفيما غبرَ فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فقال لها: «وإنك لهند بنت عتبة»، قالت: نعم، فاعفُ عمًّا سلف يا نبيَّ الله، عفا الله عنك.

فقال: ﴿وَلَا يَزِينَنَّ﴾، فقالت: أو تزني الحرَّة؟! تعني أن الحرَّة لا تزني أو لا ينبغي لها أن تقترف هذه الفاحشة! فإنَّها لا يتردَّى في بُؤرتها إلاَّ الأمة وأشباهها من السَّاقطات، وإلاَّ فليس يخفى على مثلها أن ذواتِ الرايات في الجاهليَّة كنَّ حرائرًا!

فقال: ﴿وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ﴾، فقالت: ربَّينا هم صغاراً وقتلتهم كباراً! تعني ما كان من أمر ابنها حنظلة بن أبي سفيان، فإنه قتل في يوم بدر، فضحك عمرٌ حتى استلقى، وتبسَّم رسول ﷺ.

ويروى أنها قالت: قتلت الآباء وتوصينا بالأولاد! فضحك رسول الله ﷺ. فقال: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بَبْهَتِنِ﴾، فقالت: والله إنَّ البهتان لأمر قبيح، ولا يأمر الله تعالى إلا بالرشد ومكارم الأخلاق.

فقال: ﴿وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾، فقالت: والله ما جلسنا مَجْلِسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء!<sup>(٢)</sup> ولم يروَ عن امرأةٍ من المبايعات على كثرتهنَّ ما

(١) هند بنت عتبة بن ربيعة القرشيَّة العبشميَّة زوجة أبي سفيان، أسلمت يوم الفتح.

(٢) عزاه ابن كثير في «تفسيره» ٨: ٣٥٠٥ للطبري، وقال: هذا أثر غريب، وفي بعضه

روي عن هند في جراءة مراجعتها لرسول الله ﷺ، وشدة تعقيبها عليه، وإذا صحّت هذه الجراءة في المراجعة فلحدّاثه عهدا بالجاهلية، مع حدّة في اللسان وقوّة في الجنان، ثمّ لمكانة ابنة زوجها أم المؤمنين رَمْلَة<sup>(١)</sup> - رضي الله عنها - من النبي ﷺ.

### مكانة المرأة في الإسلام

واحتفال القرآن العظيم والنبيّ الكريم صلوات الله وسلامه عليه، بمبايعة النساء، وتعليمهنّ وإرشادهنّ، والاستماع إليهنّ، ثمّ مبايعة الرجال على منهاجهنّ، أعظم دليل على إنقاذ المرأة من وهّدها، وإعلاء الإسلام لمكانتها، والسّموّ بها إلى أوج العزّة والكرامة، بعد أن كانت من سقط المتاع!!.

ولو أنّ المرأة عرّفت في الإسلام مكانتها، لشكرت نعمة الله عليها، بالتزام حدوده وآدابه، واستمساكها بهديه وكتابه، ولكنها بدّلت نعمة الله كفراً، فسلبت نعمة المعرفة والهداية، وتخبّطت في متاهة الضلالة والغواية، فلم يكن عجباً - وقد ركبت رأسها، ومشت مكبّة على وجهها - أن تبيع ما ملّكها الإسلام من ملك عظيم، يبهج من المدنية الكاذبة، وزبرج<sup>(٢)</sup> من الحضارة الفاتنة الصاخبة، حتى خسرت نفسها ودينها ومكانها جميعاً!!.

بيد أنّ باب التوبة مفتوح على مصراعيه لمن شاءت أن تثوب إلى رُشدها، وتتطهّر من رجسها، وتنظر بنور الإسلام إلى تاريخها، مستعينة بالله تعالى أن يعيدها سيرتها الأولى.

نكارة، والله أعلم؛ فإنّ أبا سفيان وامرأته لما أسلما لم يكن رسول الله ﷺ يجفهما، بل أظهرهما الصفاء والود له، وكذلك كان الأمر من جانبه ﷺ.

(١) كنيته أم حبيبة، وأمّها صفية بنت أبي العاص بن أميمة عمة عثمان رضي الله عنه.

(٢) البهرج: الباطل، والزبرج: الزينة والذهب والسحاب. اهـ. نهاية.

## متى يحسن ستر العورات؟

وبعد، فقد بيّنا في المقال السابق درجات الناس في التطهير من الموبقات، وضربنا أروع الأمثال بأناس جادوا بأنفسهم لله عزّ وجل، وذكرنا فيمن ذكرنا أناساً لم يقدرُوا على تطهير أنفسهم جهراً، أو قدرُوا ولكنّهم آثروا ستر الله، فطهروا أنفسهم فيما بينهم وبينه سرّاً؛ رأوا أنه تعالى سَتِيرٌ يحبُّ الستر، وأنهم ما كان لهم أن يكشفوا ستر الله عنهم وقد سدله عليهم وجملهم، فباتوا لله ضارعين باكين، قانتين مستغفرين، مُستكثرين من الصّالحات والخيرات، مطمئنين إلى أنّ الحسنات يُذهبن السيئات.

ومن شكرِ نعمة الله تعالى على عبده في ستر فضائحه ومساويه - وما أعظمها من نعمة - أن يستر عورة أخيه، ويَعْفَ عن ذكرها ما استطاع إلى السّتر سبيلاً، فقد روى أبو داود والنسائي عن عقبه بن عامر رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «من رأى عورةً، فسترها، كان كمن أحيا موءودةً»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة»<sup>(٢)</sup>، ولكن لا يحسنُ السّترُ إلّا على ذي مروءة تعدُّ هفواته، ويُرجى منه الخير وقبول النصيحة؛ وأما من لا يرعوي عن غيّه، ولا يُبالي نُصح النَّاصحين، ولا هداية الهادين، فإنَّ السّتر عليه لا يزيده إلا غيًّا وضلالاً!

## التطهير بالمحن والبلايا

وآخرون أراد الله بهم خيراً، فعَجَّل عقوبتهم في الدنيا بما ابتلاهم من ضروب المحن والبلايا، حتى يلقوا ربّهم مطهّرين أبراراً.

فقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) تقدم تخريجه ص ٥١٣.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

«ما يزال البلاءُ بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولدهٍ وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة»<sup>(١)</sup>.

وروى الترمذي أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير عَجَّلَ له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشرَّ أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»<sup>(٣)</sup>.

وروى الشيخان عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نَصَبٍ، ولا وَصَبٍ<sup>(٤)</sup>، ولا همٍّ ولا حَزَنٍ، ولا أذى ولا غمٍّ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفرَّ الله بها من خطاياها»<sup>(٥)</sup>.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه لما نزلت: ﴿مَنْ يَحْمِلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾<sup>(٦)</sup> بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسدّدوا، ففي كلِّ ما يصاب به المسلم كفارةٌ، حتى النكبة ينكبها، والشوكة يشاكها»<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٠١)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم ٤: ٣١٤ وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) في كتاب الزهد، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. ورواه ابن ماجه (٤٠٣١)..

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) وهو الحديث السابق نفسه.

(٤) التَّصَبُّبُ: التعب، والوَصَبُ: المرض.

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣).

(٦) سورة النساء: ١٢٣.

(٧) أخرجه مسلم (٢٥٧٤).

### متى تكون النكبات والمصائب مطهّرات؟

وإنما تكون النكبات والمصائب - على اختلاف ضروبها - مُطَهَّرَةً ومُكَفِّرَةً، إذا صَبَرَ الْمُصَابُ عند الصَّدْمَةِ الأولى، راضياً بقضاء الله وقدره، مؤمناً بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ فَإِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ خَيْرٌ: إِنَّ أَصَابَتَهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ<sup>(١)</sup>.

ومن آثار عمر رضي الله عنه: «الصَّبْرُ والشُّكْرُ مطيَّتان لا أبالي أيَّهما ركبت»<sup>(٢)</sup>. يبيِّنُ رضوان الله عليه أن شأن المؤمن في كلِّ أحيانه أن ينتقل من خيرٍ إلى خيرٍ، ومن أجرٍ إلى أجرٍ.

### الأخذ بالأسباب

ولا يَقْدَحُ في الإيمان والصَّبْرِ والرِّضَا، أخذُ المصاب بالأسباب المشروعة من التداوي والسَّعيِّ وما إليهما، بل ربُّما كانت واجبةً يُثاب عليها، ولا يجوز التهاون فيها، وكلٌّ من عند الله، وكلُّ بقضاء الله حتى العَجْزُ والكَيْسُ. وللتفصيل مقام غير هذا.

فإذا جَزَعَ العبد، ولم يَرْضَ بقضاء الله تعالى كان كلُّ ما أصابه عقوبةً معجَّلةً في الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) اقتباس من حديث رواه مسلم في صحيحه (٢٩٩٩)، ولفظه من حديث صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجَباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير. وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سرَّاءٌ شكرَ فكان خيراً له، وإن أصابته ضَرَّاءٌ صبرَ فكان خيراً له».

(٢) «البيان والتبيين» للجاحظ ٣: ١٢٦. وفي «كنز العمال» ٣: ٧٥١ (٨٦٥٢) أن عمر رضي الله عنه سمع رجلاً يقول: إني أسْتَنْفِقُ نفسي ومالي في سبيلك. فقال عمر: أولا يسكت أحدكم، فإن ابتلي صَبْرًا، وإن عُوْفِي شكر.

(٣) اقتباس من الآية ١٢٧ من سورة طه.

## ردُّ حقوق العباد

ولن يتمَّ تطهير العبد إلاَّ بتخليه عن التبعات والمظالم، وردَّ الحقوق إلى أهلها ما استطاع إلى الردِّ سبيلاً، فإنَّ عَجَزَ فليكثر من الاستغفار لهم، والتصدُّق - ما استطاع - عنهم؛ فإنَّ ذلك أدنى أن يرضي الله ويرضي خصومه عنه، وإلاَّ فويلُّ له، ثمَّ ويلُّ له يوم يطالبه غرماؤه بديونٍ لا قبلَ له بها، ثمَّ يكبُّه الله على وجهه، وقد خسر الدنيا والآخرة!

إنَّ ذلك هو المفلس الذي عناه النبي ﷺ، حين سأل أصحابه، فقالوا: هو مَنْ لا درهم له ولا متاع، فقال: «إنَّ المفلس من أمتي مَنْ يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مالَ هذا، وسفك دمَ هذا، وضربَ هذا؛ فيُعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإنَّ فَنِيَتْ حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثمَّ طرح في النار». رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

## القول الفصل في مبايعات الصوفية

ذلك، والصوفية وأرباب الطرق يعتمدون على أحاديث المبايعات في مبايعاتهم المختلفة، وأخذ العهود والمواثيق على المريرين في التوجيه والسلوك.

والقول الفصل فيما يعملون هم أو غيرهم من عمل، أن يُعرض على كتاب الله، وهدى نبيه صلوات الله وسلامه عليه، فما وافقهما فهو الرشد والهدى، وما خالفهما فهو الغيُّ والهوى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١)، والترمذي (٢٤١٨).

(٢) سورة النساء: ٦٥.

لا جَرَمَ أن البيعة على الاستقامة والهداية، وما جاء به النبي ﷺ، من أمرٍ ونهيٍ، وورْدٍ وذكْرٍ، وفرضٍ ونفلٍ، من غير إرهابٍ ولا تنطعٍ، ولا تكاسلٍ ولا تواكلٍ ولا ذلَّةٍ ولا مهانةٍ؛ فهي تجديدٌ لما بايع النبي ﷺ صلوات الله وسلامه عليه أصحابه، وأخذهم به وربَّاهم عليه، وذلك من العهود المسؤولة، والأمانات المحمولة، والعقود التي لا يوفي بها إلا القويُّ الأمين.

من أمثال هؤلاء النفر الذين يروي مسلم حديثهم عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه فيقول: كنَّا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: «ألا تبايعون رسول الله ﷺ؟» وكنَّا حديثي عهد ببيعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فبَسَطْنَا أيدينا، وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فَعَلَّامَ نبايعك؟ قال: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وتُصَلُّوا الصَّلوات الخمس، وتسمعوا، وتطيعوا...» وأسرَّ كلمة خفية، قال: «ولا تسألوا الناس شيئاً»، فلقد رأيتُ بعض أولئك النفر يسقط سوطُ أحدهم، فما يسأل أحداً يناوله إيَّاه<sup>(١)</sup>.

### دعوة إلى إصلاح الطرق

إنَّ رجال الطرق في مصر وغيرها من بلدان الإسلام، كثرةٌ ذات شأن، وثروةٌ ذات بال، وهم مسؤولون بين يدي الله والتاريخ عن تربية أتباعهم، فعليهم أن يُطهِّروا أنفسهم، ويأخذوها بالتي هي أقوم، وأن يكونوا قادةً للناس يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويهدون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والهدي النبوي فيما يأتون ويذرون، لا عصبية ولا هوى، ولا ابتداع ولا انحراف، وإنما هو التعاون على البرِّ والتقوى، وإيثار الحق أينما كان.

وعلى ولاة الأمور من العلماء والحكَّام أن يعاونوهم، ويهيئوا لهم أسباب

(١) أخرجه مسلم (١٠٤٣).



٧٦١

الرَّشَادُ وَالسَّدَادُ.

وقد عَلمَ النَّاسُ أَنَّ نَفْرًا مِنْ أَوْلِي الْفَضْلِ قَدْ اسْتَجَابُوا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ لِدَعْوَةِ طَالَمَا وَجَّهَهَا كَثِيرٌ مِنْ ذَوِي الْغَيْرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِإِصْلَاحِ هَذِهِ الطَّرِيقِ، وَتَنْقِيَتِهَا مِمَّا يَشِينُهَا مِنَ الْبِدْعِ وَالْخِرَافَاتِ وَالْإِنْحِرَافِ عَنِ دِينِ اللَّهِ الْحَنِيفِ.

وَهَاهُمْ أَوْلَاءُ، يَنْتَظِرُونَ مَا وَرَاءَ هَذِهِ الْإِجَابَةِ مِنْ خَيْرٍ وَرِشْدٍ وَهَدَايَةٍ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ: صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ<sup>(١)</sup>، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ.

\*\*\*\*\*

(١) نرجو أن يكون لنا بحثٌ في إصلاح هذه الطرق في مناسبة قريبة إن شاء الله (طه).

## عيد الدستور \*

٩٧ - عن طارق بن شهاب قال : جاء رجلٌ من اليهود إلى عمر، فقال : يا أمير المؤمنين آيةٌ في كتابكم تفرؤونها، لو علينا نزلت - معشر اليهود - لآتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال : وأيُّ آيةٍ؟ قال : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup>.

فقال عمر : إنني لأعلمُ اليومَ الذي نزلتُ فيه، والمكانَ الذي نزلتُ فيه؛ نزلتُ على رسولِ الله ﷺ بعرفاتٍ في يومِ جمعة. رواه الشيخان<sup>(٢)</sup>.

### الاحتفال بإكمال الدين

تحتفل الأمم والحكومات الدستورية باليوم الذي ظفرت فيه بدستورها الوضعي، ويفخرون بأن لهم عيداً دستورياً مقدساً هو رمز جهادٍ طويل، وعنوان حياةٍ سعيدة!

فأحببنا أن ندلّهم على عيدٍ أعظم وأجل، وهو عيدُ الدستور السماوي الذي احتفل فيه الإسلام احتفالاً مدوياً جامعاً بإكمال الدين وإتمام النعمة، وإعلام الإنسانية بأنه دينُ الله الذي لا يُبتغى غيره، ولا يُقبل من أحدٍ سواه ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

\* مجلة الأزهر، العدد الثامن، المجلد الثاني والعشرون (١٩٥٠).

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) أخرجه البخاري (٤٥) في الإيمان، ومسلم (٣٠١٧) في التفسير.

(٣) سورة آل عمران: ٨٥.

٧٦٣

نزل القرآن الكريم على الرسول الأمين صلوات الله وسلامه عليه في مدة رسالته، وهي ثلاثٌ وعشرون سنة؛ قضى منها ثلاث عشرة بمكة، وعشراً بالمدينة. وفي السنة العاشرة التي لحق فيها بالرفيق الأعلى حجَّ حَجَّةَ الوداع، ولم يحج بعد الهجرة غيرها<sup>(١)</sup>. ووقف معه بعرفة مئة ألف أو يزيدون، وشهدوا جميعاً هذا الحفل الإسلامي الرائع الجامع الذي لا يشهد التاريخ مثله أبداً، ووافق الوقوف يوم العيد الأسبوعي «خير يوم طلعت عليه الشمس»<sup>(٢)</sup> بشهادة الصَّادِقِ المَصْدُوقِ رسول الله ﷺ.

### بشائر ثلاث

وبعد عصر هذا اليوم الذي جمع الله فيه للمسلمين عيدين عظيمين: عيد الجمعة وعيد عرفة - وإن شئت فقل عيد الأضحى - نزلت هذه الآية الكريمة تبشِّرُ المسلمين ببشائر ثلاث، هنَّ جماع المعجزة والعزِّ والخير كلُّه: بلوغ دينهم مبلغ الكمال في حدوده ومعالمه، وفرائضه وأحكامه، وحلاله وحرامه؛ وإتمام نعمة الله عليهم بالتَّصَرُّع والعزَّة والتمكين في الأرض، ودخولهم البلد الحرام آمنين مظفرين؛ واختيار الإسلام من سائر الأديان ديناً لهم، رضياً الله وأحبَّه وأظَهَرَه على الدين كلُّه، وجعل السعادة - كلَّ السعادة - في الاهتداء بهديه، والشقاوة كلَّ الشقاوة في المخالفة عن أمره.

### آخر ما نزل من القرآن

كان بين نزول هذه الآية وبين انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى واحداً وثمانون يوماً نزل فيها عليه آية الكلالة<sup>(٣)</sup> آخر سورة النساء؛ وسورة

(١) وأما قبل الهجرة فكان يحج كل عام، قبل الرسالة وبعدها (طه).

(٢) رواه أحمد ٢: ٤٠١ (٩٢٠٧)، ومسلم (٨٥٤).

(٣) الكلالة: من مات ولم يترك أصلاً ولا فرعاً.

النصر، وآيات الربا. وقد قيل في كل من هذه الآية وما نزل بعدها: إنه آخر ما نزل من القرآن، وهذا على حسب علم القائل وفهمه.

والحق أن آخر ما نزل بالإطلاق ولم ينزل بعده شيء من القرآن البتة، قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>. فقد توفى رسول الله ﷺ على إثر ليال بعدها!.

### ما قارب الشيء يُعطي حكمه

أياً ما كان الأمر، فلن يعارض نزول هذه الآي من بشارة إكمال الدين شيئاً؛ فإن ما قارب الشيء يُعطي حكمه، ولا سيما إذا كان التمام موثقاً به، لا يحوم حوله شك ولا ريب، وذلك كما يقول الملك - وهو على طرف التمام من الغلبة والنصر -: تم لي ما أردت، وكما يقول المعنى بالصلاة لأول وقتها ولما يدخل: دخل الوقت.

بهرت اليهود لهذه البشائر، وهم أشد الناس عداوة وحسداً للإسلام والمسلمين، فأرادوا أن يُعتوهم بما ظنوا أن لا جواب عنه، ويغيظوهم بما حسبوا أن لا شفاء منه! وغاب عنهم أن الله خاذلهم على يد الفاروق، من أعز به الإسلام، وجعل الحق على لسانه وقلبه؛ قدّموا أحدهم وهو كعب الأخبار<sup>(٢)</sup>

(١) سورة البقرة: ٢٨١.

(٢) لأنه أعلمهم بالشرائع وأدراهم بالتوراة، ولما رضوا به نسب إليهم القول فيما جاء من الروايات: قالت اليهود لعمر: ... الخ، وأسلم كعب في عهد عمر رضي الله عنه، وفي إسلامه مقال نفوض فيه الأمر إلى الله عز وجل (طه).

قال الذهبي في «السير» ٣: ٤٨٩-٤٩٣ عن كعب الأخبار: هو كعب بن ماتع الحميري اليمني، العلامة الحبر، الذي كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه، فجالس أصحاب محمد، فكان يُحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة، وكان حسن الإسلام، متين الديانة، من نبلاء

٧٦٥

ولم يكن أسلم بعد، فوجهَ لأمير المؤمنين مقالته في لهجة المتعنت أو الفرح أو الشامخ. فما كان من الفاروق إلا أن أفحمه بجواب لا يقال إنه مُسكت فحسب، بل - ولا مبالغة - أنه قاصمُ الظهر، يبهت منه الذي كفر!.

أجابه أمير المؤمنين بأن مُنزل القرآن - وقد أحاط بكل شيء علماً - أنزل هذه الآية الكريمة في عيدَيْن عظيمَيْن لا في عيد واحد، وفي أكرم مكان وأعظم حفلٍ شهده التاريخ. فنحن لا نتخذ يوم نزولها عيداً من تلقاء أنفسنا، ولا نبتدع في دين الله ما ليس منه كما تصنعون؛ ولكننا نتخذ يوم نزولها عيداً بشرح الحكيم العليم، الذي هدانا إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

### بين الدستور السّماوي والدستور الأرضي الوضعي

هذا هو عيد الدستور السّماوي الذي ورثه الله المصطفين من عباده، وكتب فيه سعادة الدارين لمن ينصفون أنفسهم، ويستعملون عقولهم، ولا يدنسون فطرة الله التي فطر الناس عليها.

ولكن ما الحيلة في أقوام ركبوا رؤوسهم، واتبعوا أهواءهم، وعموا أو تعاموا عن هذا النور المبين والهدى الحكيم، فراحوا يطلبون حقوقهم في دستور أرضي لا يُغني من الحق والسعادة شيئاً؟!.

إن الدستور الوضعي - كما يقول واضعوه - هو مجموع القواعد والقوانين التي تُبين سلطة الحاكم، وحقوق المحكوم، وعلاقة كل منهما بالآخر، وطرق توزيع السلطة واستعمالها؛ وكل هذا تكفل به الدستور السّماوي، وبينه أتم بيان وأحسنه، وقام بتطبيقه المسلمون الأوّلون - رعاة ورعية - على خير وجه وأكمله،

العلماء، وكان خبيراً بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة. سكن بالشام بأخرة، وكان يغزو مع الصحابة. توفي بحمص ذاهباً للغزو في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، فلقد كان من أوعية العلم.

أيام كانوا ملوك الدنيا وسادة العالم، وأيام كانت شعوب أوربا خاضعةً لملوك وأمرء يزعمون أنهم موكلون بمصالح البشر، اصطفاهم الله للحكم بين الناس، فعليهم للملوك السمع والطاعة، وليس على الملوك لهم حقٌ ولا واجب!

ولقد ناضلت هذه الشعوب نضالاً عنيفاً، جرت فيه الدماء، وأزهقت فيه الأرواح، حتى نالت حقوقها المسلوقة، وحُرِّيتُها المغصوبة، بعد ثورات عواصف حطّمت فيها الشعوب معازل الظلم والاستعباد، ودكّت صروح العسف والاضطهاد!..

وكان آخر مغنم لهذا الكفاح الطويل المتواصل تلك الدساتير الوضعية التي اصطلحوا عليها.. ثمّ قدّسوها تقديساً؛ لو ظفر منهم ببعضه الدستور السماوي، لعاشوا في رغدٍ من العيش، لن ينالوه في ظل تلك الدساتير أبداً!!!

#### مغانم الخير والعز والظفر

أما بعد، فإذا كانت الأمم الغربية قد ناضلت وقاتلت في سبيل دستورها الوضعي حتى كتبه بدماء الثورة. فقد منحنا الله دستوراً أجلاً وأعظم، نغنم به مغانم الخير والعز والظفر، دون أن نخسر شيئاً.

وإذا كانت الأمم الغربية تبتهج بدستورها وتفرح، فإنّ المسلم الحقّ، بدستوره الحقّ، أعظمُ ابتهاجاً وأشدُّ فرحاً.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١﴾

\*\*\*\*\*

## آخر الوصايا النبوية \*

- ١ -

٩٨ - عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس؟! ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء! فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس، فقال: « أتتوني بكتاب، أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً »، فتنازعوا - ولا ينبغي عند نبي تنازع - فقالوا: هجر رسول الله ﷺ؟ قال: « دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه ». وأوصى عند موته بثلاث: « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم »، ونسيت الثالثة.

رواه الشيخان، واللفظ للبخاري<sup>(١)</sup>

حرصُ النبي ﷺ على أمته

لم تبلغ أمة من الأمم، ما بلغته أمة النبي ﷺ، من حرصه عليهم، ورأفته ورحمته بهم، وقد بلغ هذا الحرص البليغ أشده، حينما اقتربت هجرته صلوات الله وسلامه عليه، من هذه الدنيا إلى الرفيق الأعلى مع إخوانه النبيين، وتابعيهم من الصديقين والشهداء الصالحين.

\* مجلة الأزهر، العدد السادس المجلد التاسع والعشرين، سنة ١٣٧٧ = ١٩٥٧.

(١) في جوائز الوفد من كتاب الجهاد (٣٠٥٣)، ورواه في إخراج اليهود من جزيرة العرب من كتاب الجهاد أيضاً (٣١٦٨)، وفي باب كتابة العلم من كتاب العلم (١١٤)، وفي مرض النبي ﷺ ووفاته من كتاب المغازي (٤٤٣١)، وفي قول المريض: قوموا عني، من كتاب المرضى (٥٦٦٩)، وفي كراهية الخلاف من كتاب الاعتصام (٧٣٦٦). وأما مسلم فرواه في كتاب الوصية (١٦٣٧).

انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى في يوم الاثنين ثاني يومٍ من ربيع الأول لتمام السنة العاشرة من هجرته، حوالي اليوم الثمانين من حجة وداعه، بعد أن مرض بضعة عشر يوماً، اشتدَّ مرضه في الأربعاء الأخيرة منها!

### أعظم الوصايا

وقد أحسَّ صلوات الله وسلامه عليه دنوَّ أجله في حجة الوداع، إذ أنزل الله عليه في يوم عرفتها وكان يوم الجمعة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup>.

لذا قال في خطبة هذه الحجة الجامعة: «أيها الناس: اسمعوا قولي فإنني لا أدري، لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً...»<sup>(٢)</sup> ثم وصَّاهم أعظم وصية وصَّى بها نبيُّ أمته، ونصَّحهم أصدق نصيحة نصَّح بها رائدُ أهله، وجعل للنساء وحقوقهن أوضح مكان في خطبته. وربما كانت خطبه ووصاياه بعد ذلك تبياناً أو تفصيلاً لهذه الخطبة الشاملة.

### مبدأ اشتداد وجعه ﷺ

وكان مبدأ اشتداد وجعه ﷺ يوم الخميس الأخير من صفر. ذلك اليوم الذي ذكَّر ترجمان القرآن، بوفاة النبيِّ عليه السلام، فذكر المصيبة التي هَوَّت كلَّ مصابٍ بعدها، ثم بكى حتى سالت دموعه على خَدَيْهِ، فبلَّلت ما بين يديه من الحصى، وذكر إلى تلك المصيبة مصيبةً أخرى في ظنِّه، هي الحيلولة بينه وبيْن كتابه الذي همَّ به...<sup>(٣)</sup>

(١) سورة المائدة: ٣ وقد شرحنا حديث نزول هذه الآية الكريمة بعنوان «عيد الدستور»، وبيّنا ما نزل بعدها، وأنه لا يعارض إكمال الدين، وإتمام النعمة (طه). انظر ص ٧٦٢.

(٢) أخرج خطبة حجة الوداع الإمام أحمد في «المسند» ٤: ٨٠ الميمينية (١٦٧٣٨) ط الرسالة، والدارمي (٢٣٨) من حديث جبير بن مطعم. وانظر أيضاً: سيرة ابن هشام ٤: ٦٠٣ فالنصُّ الذي ذكره المؤلف مذكورٌ فيها بلفظه.



### الاختلاف والتنازع في الحضرة النبوية

ذلك بأنه بدا له ﷺ أن يُمليَ على أصحابه كتاباً هادياً لا يضلُّون بعده أبداً،  
فاختلفوا وتنازعوا وكثُر اللُغَطُ، وانقسم الرأي:  
فريق يقول: قرَّبوا له يكتب لكم كتابكم<sup>(١)</sup>.

وفريق يقول ما قال عمر: إنَّ رسول الله ﷺ غلبه الوجع، وعندنا كتابُ الله  
حَسْبُنَا. وثالث يقول: أهجَّر رسول الله ﷺ؟! استفهموه ماذا يريد أن يكتب؟<sup>(٢)</sup>  
يردُّ بمقالته هذه على عمر ومَنْ معه، يقول: إنَّ رسول الله ﷺ جادٌ في طلب  
الكتاب الهادي الرشيد، لا يهزل ولا يهذي وحاشاه، ومَنْ حال بينه وبين كتابه،  
فكانه يظنُّ به الهُجْر، وهَجَرَ المريض هُجْراً (بضم الهاء) إذا هَدَى، فقال كلاماً  
غير مُتزن ولا منتظم.

كلامُ الأنبياء حقٌّ وصدقٌ، وهذا محال على الأنبياء صلوات الله عليهم؛  
لأنَّ كلامهم حقٌّ وصدقٌ، وعدلٌ وجِدٌّ، في الصَّحَّة والمرض، والرِّضَا  
والغضب، فما لكم تحولون بينه وبين ما يريد؟! فالاستفهام بالهمز - ظاهراً أو  
مضمراً - إنكاريٌّ ولا ريب.. وسائغٌ أن يكون مراد الفريق الثالث هجرته  
ﷺ واستعداده للقاء ربِّه، ويؤيِّده ما بعده.

### لا ينبغي التنازع عند رسول الله ﷺ

فلمَّا اختصموا دون أن يجتمعوا على رأي، قال لهم صلوات الله وسلامه  
عليه: «قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع...» أي: اتركوني وشأني، فما أنا  
من فيض الله وإنعامه، وتأهبي للقاءه وإكرامه، أفضل وأجلُّ مما بدا لي.

(١) كانوا أكثر ما يكتبون على عظام الكتف، ولذا جاء في إحدى روايات مسلم: إبتوني  
بالكتف والدواة (طه).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٣١) (٥٦٦٩)، ومسلم (١٦٣٧).

وما كان لهم أن يختلفوا بين يدي النَّبِيِّ ﷺ ، لولا رحابة صدره، و صدر الحنيفية السَّمْحَةِ التي بُعِثَ بها. ولولا شدَّة وجعه وحاجته إلى السكون والطمأنينة لاحتتمل اختلافهم، ولم يأمرهم أن يقوموا عنه....

### أمره ﷺ من قبيل الاجتهاد والإرشاد

على أنهم لم يختلفوا إلا من بعد ما علموا أن أمره الأول بأن يأتوا بكتاب لم يكن على سبيل الفرض المحتم، ولم يكن ممَّا أُوحِيَ إليه ﷺ ، وإلا لم يكن ثمة مناصٍ منه، وإنَّما كان من قبيل الاجتهاد والإرشاد والمصلحة العارضة التي استَبَّان بعد الاختلاف أنَّ الخَيْرَةَ في تركها.

### من الاختلاف يُسرُّ ورحمة

وربما كانت دعوته إلى الكتاب اختباراً لهم وامتحاناً؛ لينظر كيف يكون شأنهم بعده، وكيف يكون اختلافهم في شريعته التي تركها بيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك. فألفاهم يختلفون للحق ابتغاء الوصول إليه، ولا يختلفون في الحق بعد ما تبين. والاختلاف ابتغاء الحق مع الاجتهاد فيه: يُسرُّ ورحمة؛ والاختلاف في الحق بعد ما تبين: هلاكٌ ونقمة، وقد حمى الله أهل السنة والجماعة أن يضلوا أو يزيغوا..

ثم ألقى عمرَ وقد اجتهد فأصاب، وهداه الله للحكمة وفصل الخطاب، وكم له رضي الله عنه في العهد النبويّ وبعده من مواقف تُنبئُ عن قوة دينه، وسلامة يقينه، وعظم فقهه عن الله ورسوله.. فلينتقل إذا صلوات الله وسلامه عليه، إلى الرفيق الأعلى راضياً مُطمئناً؛ ما دام في أصحابه من جعل الله الحقُّ في قلبه وعلى لسانه، يهتدي به ويهدي إليه.

### أمنية ترجمان القرآن

يَدُّ أَنْ تَرْجُمَانَ الْقُرْآنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غَادِرَ هَذِهِ الدُّنْيَا، مَهْمُومًا حَزِينًا، مُوقِنًا أَنَّ الرِّزِيَّةَ كُلَّ الرِّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكِتَابِهِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ بِلَا رَيْبٍ

نُصحاً واضحاً لا مجال فيه لخلاف، لا سيما إذا تناول ما اختلف فيه الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاته ﷺ، فكانت أمنيته رضي الله عنه أن يكتب هذا الكتاب؛ ليكون حكماً فاصلاً.

وكأنه غفل رضي الله عنه - على سعة علمه وبصره - عن أن الخلاف أمرٌ لا مَحِيص عنه، وأن فيه خيراً وسعةً ورحمةً، ما كان له وجهٌ صحيح من السنة الهادية، والحجة الرشيدة، وأنه ﷺ قد وسع بهذا الخلاف على أمته، في حياته وبعد مماته، وأنه لم يعنف أحداً ممن قال لهم: «لا يُصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة»، فأدركهم العصر في الطريق، فصلّى بعضهم، وتأخر بعضهم حتى أتى بني قريظة فصلّى فيها<sup>(١)</sup>.

#### خوف الفاروق رضي الله عنه

لقد خاف الفاروق رضي الله عنه - إلى إشفاقه على النبي ﷺ - أن يكتب كتاباً لا مجال للاجتهاد فيه، فيختلفوا في الحق لا للحق، أو يعجزوا عن إنفاذه فيستحقوا العقوبة، ثم ذكر مع خوفه هذا كتاباً أنزله الله تبياناً لكل شيء، فقال مقالته الكافية الشافية: حسبنا كتاب الله<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦)، مسلم (١٧٧٠). ولفظه عند البخاري من حديث ابن عمر قال: قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: «لا يُصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى تأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم. وانظر شرح هذا الحديث في مثل اختلاف الصحابة رضي الله عنهم ص ٨٦٧ - ٨٧٥.

(٢) قال أستاذنا العلامة الأديب الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى في كتابه «أخبار عمر» ص: ٤٥ في تأويل مسلك عمر رضي الله عنه: «والذي أراه أن عمر قد تعود خلال صحبته الطويلة للرسول ﷺ أن يُيدي له رأيه لما يعلم من إذنه بذلك ولرضاه عنه، وقد مر في أخبار صحبته مواقف كثيرة كان يقترح فيها على رسول الله أموراً، ويطلب منه أموراً، ويسأله عن أمور، فكان الرسول ﷺ يقره على ما فيه الصواب، ويردّه ﷺ عن الخطأ، فلما قال

=

٧٧٢

ولعله خاف رضي الله عنه أن يفتح هذا لكتاب باباً لمن في قلوبهم مرض،  
يدخلون منه للطعن في الدين، فيزعمون فيه نقصاً أو زيادة؛ اتّباعاً لأهوائهم،  
فيكون اختلافٌ لا اتفاق معه، وشرٌّ لا خير فيه، وهذه هي القاصمة!!  
ألا إنّ قول الفاروق أسدّ، وإنّ رأيه أهدى وأرشد، ولذا وافقه المعصوم  
صلى الله عليه وآله وسلم، ورضي عنه.  
وإذ ضاق هذا الجزء عن إتمام الشرح، فلنُرجئه للجزء الآتي إن شاء الله.

\* \* \* \* \*

---

الرسول ﷺ: «اتنوني أكتب لكم كتاباً» اقترح عمر على عادته التي عوّدته الرسول، أن يكتفي  
بكتاب الله، فأقرّه الرسول ﷺ على ذلك، ولو كان يريد الكتابة، لأسكت عمر، ولأمضى ما  
يريد» انتهى.

## آخر الوصايا النبوية<sup>(١)</sup>

- ٢ -

٩٩ - عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما : يوم الخميس ! وما يوم الخميس ؟ ! ثم بكى حتى بلّ دمعته الحصى ! فقلت : يا ابن عباس ، وما يوم الخميس ؟ قال : اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه فقال : «أنتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلُّوا بعدي» ، فتنازعوا - وما ينبغي عند نبيّ تنازع - ، وقالوا : ما شأنه ؟ أهجر ؟ استفهموه ؟ قال : «دعوني فالذي أنا فيه خير ، أوصيكم بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» ، قال : وسكت عن الثالثة ، أو قالها فأنسيتها . رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم<sup>(٢)</sup> .

إعلام النبي ﷺ أمته بالبلاء قبل نزوله

لما قفل النبي ﷺ من حجة الوداع ، أخذ يُضاعف اهتمامه بشؤون أمته ، علاوة على شغله الشاغل بلقاء ربّه : وقد أراد أن يشعرهم بقرب هذا اللقاء تمهيداً له ، وتأديباً بأدب الله عز وجل لعباده ، في إعلامهم بالبلاء قبل نزوله ؛ رافةً بهم ورحمة ، فجلس على المنبر يوماً فقال : «إنّ الله خيرّ عبداً بين الدنيا

(١) مجلة الأزهر ، العدد السابع ، المجلد التاسع والعشرون ، سنة (١٣٧٧ = ١٩٥٨) .

(٢) رواه البخاري (١١٤) في كتاب العلم ، و (٣٠٥٣) في الجهاد ، و (٣١٦٨) في الجزية والموادعة ، و (٤٤٣١) في المغازي ، و (٥٦٦٩) في كتاب المرضى ، و (٧٣٦٦) في كتاب الاعتصام ، ومسلم (١٦٣٧) في كتاب الوصية .

وبين ما عنده، فاختر ما عند الله». فبكى أبو بكر رضي الله عنه، وكان أعلم أصحاب رسول الله ﷺ بما يريد. فقال: «يا أبا بكر لا تَبْكُ! إِنَّ أَمَنَ النَّاسَ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ وَمُودَتُهُ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ»<sup>(١)</sup>.

### إشارة إلى خلافة الصديق

لم تكن هذه الخطبة النبوية الحكيمة مهاداً للمصاب الأعظم فحسب، بل كانت إلى ذلك عماداً لاختيار أبي بكر، كي يضطلع بالأمر من بعده؛ فإنه بما جمع الله له من المزايا - التي لم يهبها لغيره - أقدر أصحابه على احتمال هذا العبء الجسيم وأولاهم به.

ولقد همَّ ذات يوم صلوات الله وسلامه عليه، أن يعهد للصديق عهداً صريحاً لا مجال للجدال فيه، ولكنه عدل عما همَّ به<sup>(٢)</sup>؛ اكتفاءً بالإشارة الواضحة في خطبته؛ ولثلا يكون العهد أو الاستخلاف سنة متبعة، تُغلق باب الاجتهاد والشورى والنصح للأمة، وتفتح عليها من أبواب الهوى والشر ما لا طاقة لها به.

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦) في كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، ومسلم (٢٣٨٢) في فضائل الصحابة.

(٢) روى مسلم (٢٣٨٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أبا بكر، وأخاك، حتى أكتبُ كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى مُتمنٍ، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر».

وروى البخاري (٥٦٦٦) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لقد هممتُ أو أردت، أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد؛ أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبى الله، ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله، ويأبى المؤمنون».

٧٧٥

فهل كان يريد صلوات الله وسلامه عليه، أن يُسَجَّلَ في الكتاب الذي دعا إليه، ما همَّ به قبل ثم عدل عنه، من خلافة أبي بكر ليس غير، أو يضم إليه من بعده من الخلفاء على الترتيب، إلى عهد بعيد أو قريب، أو يجمع إلى ذلك من مهمات الدين وأصول السياسة ما لا يقبل اختلافًا ولا تأويلًا؟!

خوفه ﷺ على أمته

فقد كان يخاف على أمته شرَّ الاختلاف وضلال التأويل، كما كان يخاف عليهم - أشدَّ الخوف - فساد ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة!!

ومن هنا كان لا يفتأ يأمرهم بتقوى الله والسمع والطاعة لمن يتولَّى أمرهم ويقودهم بكتاب الله تعالى، ولو كان عبداً حبشياً كأن رأسه زبيبة<sup>(١)</sup>، ما أقام الصلاة ولم يأمر بمعصية. فإن ترك الصلاة<sup>(٢)</sup> أو أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة<sup>(٣)</sup>. كما كان يوصي الولاة بالعدل والرفق، ويُبشِّر مَنْ رَفَقَ مِنْهُمْ بِأُمَّتِهِ أَنْ يَرْفِقَ اللَّهُ بِهِ، وينذر من شقَّ منهم على أمته أن يشق الله عليه<sup>(٤)</sup>، ومن غشَّ أمته ولم يتب أن يحرم الله عليه الجنة<sup>(٥)</sup>!!!.

(١) حديث رواه البخاري (٦٩٣)، ولفظه من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «اسمعوا وأطيعوا. وإن استعمل حبشي، كأن رأسه زبيبة».

(٢) حديث رواه مسلم (١٨٥٤)، ولفظه من حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ. عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع» قالوا: يا رسول الله: ألا نقاتلهم؟ قال: «لا. ماصلوا».

(٣) حديث رواه البخاري (٧١٤٤)، مسلم (١٨٣٩)، ولفظه عند البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبَّ وكره، ما لم يؤمر بمعصيته فلا سمع ولا طاعة».

(٤) أخرجه مسلم (١٨٢٨).

(٥) أخرجه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢).

## ثلاث وصايا

وأياً ما كان الذي يريدُ كتابته صلوات الله وسلامه عليه، فقد كفانا مؤونته بما ترك فينا، ممّا لو تمسّكنا به لن نُضِلَّ أبداً: كتابَ الله، وسنة رسوله ﷺ.

على أنه استبدل بالكتاب الذي عدل عنه، ثلاث وصايا تعتمد عليهنّ الأمة في سلامة بنائها، وحفظ كيانها، ودعم قوتها، واجتماع كلمتها.

## إخراج المشركين من جزيرة العرب

والمراد بالمشركين: كلُّ من لم يرتضِ الإسلام ديناً، والمراد من جزيرة العرب: الحجازُ خاصّةً، مكةُ والمدينةُ واليمامةُ وما إليها.

لا جرّم أنّ الفتنة مع المشركين أينما حلّوا، فبقاؤهم في مهّد الإسلام، وموطنه الأوّل، ممّا يثيرُ عواصفِ الفتن، ويهيج كوامنَ الإحن<sup>(١)</sup>، ويرجع بالوبال على المشركين أنفسهم. فأخرجهم من الحجاز إذاً حمايةً لهم ورحمةً بهم، ذلك إلى الوقاية من شرّ فتنهم، وسوء طويّتهم.

ولقد شغل الصّدّيق عن إنفاذ هذه الوصية بقتال المرتدين ومانعي الزكاة، حتى أنفذها الفاروق رضي الله عنه، كما أشرنا إلى ذلك في حديث جلاء اليهود<sup>(٢)</sup>.

## إجازة الوفد

والإجازة: العطيّة، وكانت جائزة الفرد على عهده ﷺ أوفيةً من فضة، وهي أربعون درهماً.

والمقصود: إكرام الوافدين على البلاد الإسلامية، وإعانتهم من بيت

(١) الإحن: جمع إحنة، وهي الحقد والضغْن.

(٢) انظر: عيد الجلاء الأوّل ص ٧٢٥ - ٧٢٧.



٧٧٧

المال، مسلمين كانوا أو غير مسلمين، كلٌّ على حسب مكانته ومنزلته، في غير إسراف ولا معصية.

وذلك بابٌ عظيم من أبواب الفضل والبر الذي يدعو إليه الإسلام، ويحضُّ عليه، وفيه من تأليف القلوب، وبشاشة النفوس، ورعاية المصالح العامة؛ فالإسلام أحقُّ به وأهله.

### الوصية الثالثة

قال راوي الحديث: وسكت عن الثالثة، أو قالها فأنسيتها.

وقد روى الحديث سفيان بن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ، فجائز أن يكون كلُّ من هؤلاء الرواة هو القائل، والذي روى عنه هو الساكت.

وفي «سنن أبي داود»: قال ابن عباس: «وسكت عن الثالثة»<sup>(١)</sup> الخ.. إلا أن صاحب «الفتح» لم يذكر هذا الوجه، ورجح أن القائل هو سليمان، فالساكت إذاً هو سعيد<sup>(٢)</sup>... ولا يعنينا من هذا الخلاف إلا صيغة الشك التي تُنبئ بتحري الرواة، وبلوغهم الغاية القصوى في أمانة النقل.

وبعد، فماذا عسى أن تكون هذه الوصية الثالثة؟.

أهي: إنفاذ جيش أسامة بن زيد لغزو الروم؟.

ويؤيده أن الصحابة رضي الله عنهم لما اختلفوا في إنفاذه على أبي بكر رضي الله عنه، أخبرهم بأنه ﷺ عهد إليه بإنفاذه عند موته!<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٢٩).

(٢) فتح الباري ٧: ٧٤١.

(٣) انظر: شرح حديث «حقوق الأكفاء» ص ٨٩٩.

أم هي: وصاته بكتاب الله عز وجل؟  
ولا ريب أنها أجمع الوصايا وأعظمها، ويدلُّ لذلك ما قدّمناه قريباً.  
أم هي قوله: «لا تتخذوا قبوري وثناً»؟<sup>(١)</sup>  
ويؤيِّده أن هذا النهي جاء في «موطأ» مالك، مقروناً بالنهي عن بقاء دينين  
بأرض العرب<sup>(٢)</sup>.

أم هي: الصلاة وما ملكت أيمانكم؟  
ويؤيِّدها أنها آخر ما تكلم به النبي ﷺ، كما في سنن أبي داود والنسائي  
ومسند الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>.

(١) لم يرد بهذا اللفظ في كتب السنة، وإنما جاء بلفظ: «لا تتخذوا قبوري عيداً»،  
وبلفظ: «اللهم لا تجعل قبوري وثناً».

أما الأول، فقد رواه أحمد في «المسند» ٢: ٣٦٤ (٨٨٠٤)، وأبو داود (٢٠٤٢) عن  
أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم  
قبوراً...».

وأما الثاني، فقد رواه أحمد في «المسند» ٢: ٢٤٦ (٧٣٥٨) عن أبي هريرة رضي الله  
عنه، عن النبي ﷺ: «اللهم لا تجعل قبوري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»  
وإسناده قوي.

(٢) الموطأ ٢: ٨٩٢.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» ١: ٧٨ (٥٨٥)، وأبو داود (٥١٥٦)، وابن ماجه  
(٢٦٨٩) كلهم من حديث عليٍّ وإسناد حسن.

وله شاهد من حديث أم سلمة عند ابن ماجه (١٦٢٥) وإسناده صحيح على شرط  
مسلم، وآخر من حديث أنس عند ابن ماجه أيضاً (٢٦٩٧). قال عنه البوصيري في  
«الزوائد»: إسناده حسن لقصور أحمد بن المقداد (شيخ ابن ماجه) عن درجة أهل الحفظ  
والضبط، وباقي رجال الإسناد على شرط الشيخين.

٧٧٩

## آخر وصاياه ﷺ

لقد ثبت أن هذه الوصايا كلها كانت أواخر كلامه صلوات الله وسلامه عليه، وهو يودّع هذه الدنيا إلى الرفيق الأعلى، لكنّ خاتمتها الحقيقية لا «النسبيّة» هي الصلّاة وما ملكت أيمانكم، لا جرّم أن في هذه الخاتمة من الحكم النبويّة، واللمحات الربانيّة، ما نرجو قريباً أن نقبس - بتوفيق الله ومشيئته - قَبَساً مُشْرِقاً منه.

\*\*\*\*\*

## آخرُ الكلامِ النبوي\*

١٠٠ - عن عليّ رضي الله عنه قال: كان آخرُ كلامِ النبي ﷺ: «الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ». رواه أبو داود<sup>(١)</sup>

الصَّلَاةُ: منصوبٌ على الإغراء، أي: الزموا الصَّلَاةَ أو احفظوها. وملك اليمين: هم الرقيق. وأغْرَبَ من قال: الزكاة كما سيأتي، وفي الإغراء إيجازٌ وتأکید، فالتكرير إذاً لمزيد التأكيد.

توفيق بين حديثين

لا خلاف بين حديث عليّ هذا وحديث عائشة في الصحيحين وغيرهما،

\* مجلة الأزهر، العدد العاشر، المجلد التاسع والعشرون (١٣٧٧).

(١) أخرجه أحمد ١: ٧٨ (٥٨٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٥٨)، وأبو داود (٥١٥٦)، في «الأدب» باب في حق المملوك، ورواه ابن ماجه (٢٦٩٨) في «الوصايا» باب «هل أوصى رسول الله ﷺ»، وله شاهد من حديث أم سلمة عند ابن ماجه (١٦٢٥) وإسناده صحيح على شرط مسلم، ولفظه: أن رسول الله ﷺ كان يقول في مرضه الذي توفي فيه: «الصَّلَاةُ وما ملكت أيمانكم» فما زال يقولها حتى ما يفيضُ بها لسانه (أي: ما يقدر على الإفصاح بها). ومن حديث أنس عند أحمد ٣: ١٩٦ (١٢١٦٩) قال: «كانت عامّة وصيّة رسول الله ﷺ حين حضره الموت: «الصَّلَاةُ وما ملكت أيمانكم، الصَّلَاةُ وما ملكت أيمانكم» حتى جعل رسول الله ﷺ يُغرغرُ بها صدره، وما يكاد يفيضُ بها لسانه. وهو حديث صحيح رجاله ثقات. وانظر: تخريج المسند ١٩: ٢٠٩.

قال البغوي في «شرح السنة» ٩: ٣٥٠: يفيض هو بالصاد غير المعجمة، يعني: ما يبين كلامه، يقال: فلان ما يفيضُ بكلمة: إذا لم يقدر على أن يتكلم ببيان، وفلان ذو إفاصة، أي: ذو بيان.

٧٨١

قالت: كان رسول الله ﷺ يقول - وهو صحيح - : إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة، ثم يُخبر. فلما نزل برسول الله ﷺ ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة، ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: «اللهم الرفيق الأعلى». قلت: إذاً لا يختارنا. وعرفت الحديث الذي كان يحدثنا به، وهو صحيح. قالت عائشة: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ قوله: «اللهم الرفيق الأعلى»<sup>(١)</sup>.

لا خلاف بين الحديثين في أن كلاً منهما كان آخر كلامه صلوات الله وسلامه عليه، وهو يودع هذه الدنيا، إلا أن الحديث الأول كان آخر كلامه، وهو يوصي أمته، والحديث الآخر كان آخر كلامه وهو يناجي ربه، وذلك بعد أن مسح وجهه بيده من ماء كان في علبه بين يديه، وهو يقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات»<sup>(٢)</sup>!!

#### وسيلة وغاية

وكأن الصلّة بين الحديثين هي الصلّة بين المقدّمة ونتيجتها، والوسيلة وغايتها، فلا ريب أن الوسيلة إلى الرفيق الأعلى، إنما هي تقوى الله تعالى، في تأدية حقوقه وحقوق عباده. وقد جاءت كلها في رسالات الله بينة واضحة، إن أجملت تارة فقد فصلت تارة أخرى.

#### خلاصة رسالته العامة الخالدة

لبث خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه نيفاً وعشرين عاماً، يؤدّي الأمانة، ويبلغ الرسالة، ويجاهد في الله حقّ جهاده، ولا يفتر ولا يهن، حتى حجّ حجة الوداع، وخطب فيها خطبته الجامعة، التي بين فيها لأمته، خلاصة

(١) أخرجه البخاري (٤٤٦٣)، مسلم (٢٤٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٤٩).

رسالته العامة الخالدة.

فلمَّا قَلَّ من حَجَّةِ الوداع أخذ يُضاعف اهتمامه لشؤون أمته، علاوةً على اهتمامه بلقاء ربِّه، وخافَ عليهم أن يتنافسوا في الخلافة والملك، وفي زهرة الحياة الدنيا، فتهلكهم كما أهلكت من كان قبلهم، وتُلْهِيمهم عن مقوِّمات العزَّة والسعادة في الدنيا والآخرة.. فلم يزل يتعهَّدهم بوصاياهم وهدايتهم، حتى ودَّعهم آخر وداع بوصيته الخاتمة الحاسمة، أجمع جوامع الكلم، وأبلغ مقوِّمات الأمم، وأهدى سبيل إلى الحياة الطيِّبة الكاملة، والسعادة الأبدية الشاملة: «الصَّلَاة الصَّلَاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم».

#### وصية مؤكدة

إِنَّهَا وَصِيَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، بأن يُحْسِنَ العبدُ صِلَتَهُ بخالقه ومالكه ومولاه العليُّ الأعلى.

وإنها وصيةٌ مؤكدة، أن يُحْسِنَ العبدُ صِلَتَهُ بمملوكه وخادمه ومولاه الأدنى.

وإنَّ مَنْ أَحْسَنَ هَاتَيْنِ الصَّلَتَيْنِ فَخَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، وراعى حقَّ خادمه، فقد تمَّ دينه، وكَمَلتْ مروءته، وعَظُمَت سيادته، وسَعَتْ إليه الدنيا صَاغِرَةً، وكان جديرًا بالعزَّة والكرامة، وبالاستخلاف في الأرض، والعمارة الصَّالحة فيها.

#### حقوق الله وحقوق عباده

إنَّ أمانة الله ورسالته - التي أداها أنبيأؤه، وبلغها رسله، وقام عليها بعدهم من اصْطَفَاهم الله لوراثته كتابه، وحملهم أمانة وحيه - إنما تعتمد في جملتها وتفصيلها على حقوق الله وحقوق عباده.

فركَّز النبيُّ الخاتم ﷺ حقوقَ الله في الصَّلَاة؛ إذ كانت قيامها وعمادها وملاك أمرها كله، مَنْ أقامها فهو لغيرها أشدُّ إقامة، ومَنْ أضاعها فهو لغيرها أكثر إضاعة. ولن ترجو من تارك الصلاة خيرًا أبدًا، وإن كان عند الناس عظيمًا،

٧٨٣

لا لنفسه ولا لغيره، لا في دين ولا دنيا، وكيف يُرجى الخير ممّن حادَّ اللهَ  
ورسولَهُ، ومَنْ هو للكفر أقرب منه للإيمان؟!..!

### رعاية الضعفاء

وركّز صلوات الله وسلامه عليه، حقوق عباد الله في رعاية الضعفاء منهم  
وتقوى الله فيهم، بالعدل في معاملتهم، والإحسان إليهم.. ومن اتقى الله في  
العبيد والضعفاء، فهو أجدر بأن يتقيه في الأحرار والأقوياء، مؤقناً بأنهم جميعاً  
إخوانه، لا فضل لأحدٍ منهم على أحدٍ إلا بالتقوى.

ومن غريب الشرح وطريفه، ما قيل في ملك اليمين هنا إنه الزكاة، ويؤيده  
أن الصلاة قلماً تفارقها في الذكر، ولكن المعروف والمألوف في لسان العرب  
والشرع، أجدر بالفهم، وأحقّ بالعلم.

### أحقّ الناس عملاً بهذه الوصية النبوية

ألا إن أحقّ الناس عملاً بهذه الوصية النبوية الخاتمة، ودعوة إليها، وأخذاً  
على أيدي المفرطين فيها، هما الصنفان اللذان إذا صلحوا صلح الناس، وإذا  
فسدوا فسد الناس: العلماء والأمراء..

### أعظم خطر يهدد الدول الإسلامية

وإن التهاون في شأن الصلاة، وفي رعاية الضعفاء من عباد الله، أعظم  
خطراً يهدد الدول الإسلامية بسلب عزتها وكرامتها، ويُنذرنا بأن يتخلى الله  
عنها ويكلها إلى غيره، ومن يتخلى الله عنه ويكله إلى غيره فقد أهانه، ﴿وَمَنْ  
يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

أما بعد، فمنذ عهد غير قريب وأنا أستخير الله تعالى، وأترضّي رسولَ الله

(١) اقتباس من الآية ٢٢ من سورة الحج.

٧٨٤

ﷺ<sup>(١)</sup> ، أن أودّع الكتابة في هذا المكان إلى أجلٍ مسمّى عند الله عزّ وجلّ، وها  
أنذا أستأذن أسرةَ المجلة وقراءها.. حتى يأذن الله لي بالعود، والعود إن شاء الله  
أحمد ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

\*\*\*\*\*

(١) قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾

[التوبة: ٦٢].



## الفصل الثامن

### الشَّمائل النبويَّة

- ١ - من صفات القائد ﷺ.
- ٢ - منهج النبي ﷺ في العبادة.
- ٣ - الحياء النبوي.
- ٤ - من أدب النبوة.
- ٥ - مسامرة نبويَّة (١ - ٢).
- ٦ - سيّد الأزواج ﷺ (١ - ٣).



## من صفات القائد \*

١٠١ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسنَ النَّاسِ ، وكان أجودَ النَّاسِ ، وكان أشجعَ النَّاسِ ؛ ولقد فرَّعَ أهلُ المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناسٌ قِبَلَ الصوت ، فتلقَّاهم رسول الله ﷺ راجعاً ، وقد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فرسٍ لأبي طلحة عُرِّي ، في عُنُقِهِ السَّيْف وهو يقول : «لم تُراعوا . . لم تُراعوا» . قال : وجدناه بحرأ ، أو إنه لبحر . قال : وكان فرساً يُبْطَأُ . رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم<sup>(١)</sup> .

### حاضر العالم الإسلامي ونهضاته

في حاضر العالم الإسلامي نهضات إصلاحيةٌ مُتعدِّدة النواحي ، فمنها التشريعي ، ومنها التهذيبي ، ومنها الاقتصادي ، ومنها التوجيهي ، إلى غير أولئك ممَّا يكملُّ بعضه بعضاً ، ويشدُّ بعضه أزرَ بعض ، ويتعاون في جملته وتفصيله على البعث والتحرير ، والإنشاء والتعمير ، أو حينما نحاول إحسان الظنِّ - على إعادة مَجْد الإسلام وإحياء فضائله الأولى - والأعمال بالنيَّات ولكلِّ امرئ ما نوى .

### قادة النهضات

لا جرَمَ أنَّ لكلِّ نهضةٍ من هذه النهضات قائداً مسؤولاً عنها ، وعن مدى إخلاصه وإصلاحه فيها ، ثمَّ عن مدى توجُّهه وتوجيهه إلى الخير حتى يُنجزه في

\* مجلة الأزهر ، العدد العاشر ، المجلد الرابع والعشرون (١٣٧٢ = ١٩٥٣) .

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٠) في الجهاد ، ومسلم (٢٣٠٧) في الفضائل .

أقرب زمن مستطاع، من أقرب طريق مشروع، فكم من مشروعات نافعة أماتها البطء فيها، أو الحقد الدفين على مبتكريها، أو كثرة الخلاف والتعقيد في طرائق إنقاذها!! وعلى قدر المهمة الملقاة على عاتق القائد مسؤوليته، وعلى حسبها يكون حسابه أمام الله والتاريخ!

### المسلمون إلى خير ولكن الضعف في القيادة

ولما كان من الحقائق التي شاع العلم بها في العالم الإسلامي بالعشرين السنة الأخيرة أن المسلمين إلى خير ولكن الضعف في القيادة - كما جاء في الجزء السابق لهذه المجلة، على لسان رئيس تحريرها الجليل<sup>(١)</sup> - أحببنا أن نذكر قادتنا بشيء من صفات قائدهم الأعلى، غير مدافع ولا مُنازع، صلوات الله وسلامه عليه، عسى أن يتخذوا منها نبزاً يضوي لهم طريق القيادة المثلى، ويهديهم في كل نهضة إصلاحية للتي هي أقوم.

### القائد الأعلى

وفي مقدمة هذه الصفات التي نذكر بها قادتنا: الجود، والشجاعة. وقد بلغ فيهما، وفي غيرهما صلوات الله وسلامه عليه المثل الأعلى، والغاية القصوى، مما لا مَطْمَع لأحد - كائناً من يكون - أن يدانيه فيها، بل أن يساويه.

فإذا كان صلوات الله وسلامه عليه - بنعمة ربه - أحسن الناس، في كلِّ صفة من صفات الخير، وكلِّ فضيلة من مكارم الأخلاق؛ فذلك لأنه تعالى شأنه أدبه فأحسن تأديبه، وهذبته فأكمل تهذيبه، وآتاه ما لم يُؤْتِ أحداً من خلقه، وأثنى عليه بما هو أهله ما لم يشن على أحدٍ من قبله..

### جوده ﷺ وشجاعته ومصدرهما

وإذا كان ﷺ أجودَ الناس؛ فذلك لأنه أوثق الناس بربه، ولا ريب أن كرم

(١) الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى.

٧٨٩

العبد وإنفاقه على قدر ظنّه بسَيِّده، وحَسْبُكَ: أنه ما سُئِلَ عن شيءٍ قط فقال: لا<sup>(١)</sup>، إن كان عنده أعطاه وإلا سكت، أو قال لسائله: «ما عندي شيء، ولكن ابتع عليّ، فإذا جاءنا شيءٌ قضينا»<sup>(٢)</sup>.

وقد قال له عمر ذات مرة: ما كَلَّفَكَ اللهُ ما لا تُقدِّرُ عليه، فرُئيت الكراهيةُ في وجهه ﷺ حتى إذا قال له رجلٌ من الأنصار: أنفق يا رسول الله، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً، تبسّم وعُرفَ البِشْرُ في وجهه، وقال: «بهذا أمرت»<sup>(٣)</sup>.

### شجاعته عليه الصلّاة والسلام

وإذا كان ﷺ أشجعَ الناسِ كافّةً؛ فلأنه أجود الناسِ كافّةً؛ وذلك لأن الجود والشجاعة صفتان متحالفتان لا تكادان تفترقان، وينبوعهما هو الثقة بالله تعالى والإيمان به.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١)، والترمذي في «الشمائل» (٣٥٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) سيأتي تخريجه من حديث عمر. وقوله: ابتع عليّ: اشترِ إلى أجل، وأنا أدفع الثمن عند حلول الأجل.

(٣) رواه الترمذي في «الشمائل» (٣٥٣)، والبغوي في «الأنوار في شمائل النبي المختار» (٣٦٧)، وأخرجه البزار (٣٦٦٢)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٣٩٠)، والخرائطي في «المنتقى من مكارم الأخلاق» (٢٧٨) وغيره، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠: ٢٤١-٢٤٢ وقال: رواه البزار وفيه: إسحاق بن إبراهيم الحنيني، وقد ضعفه الجمهور، ووثقه ابن حبان، وقال: يخطئ. ولفظه من حديث عمر بن الخطاب: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يسأله، فقال النبي ﷺ: «ما عندي شيء، ولكن ابتع عليّ، فإذا جاءني شيءٌ قضيتُهُ». فقال عمر: يا رسول الله! قد أعطيتُهُ، فما كَلَّفَكَ اللهُ ما لا تُقدِّرُ عليه، فكره النبي ﷺ قول عمر، فقال له رجلٌ من الأنصار: يا رسول الله أنفق، ولا تخف من ذي العرش إقلالاً، فتبسّم رسول الله ﷺ، وعُرفَ البِشْرُ في وجهه لقول الأنصاري، ثم قال: «بهذا أمرت». والحديث إسناده ضعيف، فيه هارون بن أبي موسى بن أبي علقمة المدني عن أبيه هارون. وهارون لا بأس به، ولكن أباه مجهول.

وما من شجاع إلا وقد أُحصيت عليه هفوةٌ، أو عُدت عليه كَبوةٌ، إلا سيّد الشجعان ﷺ، فقد فرّت الفرسان من حوله غير مرة وهو مُقبلٌ لا يبرح، وثابتٌ لا يُدبر ولا يتزحزح.

ومن آيات شجاعته: ما رواه أنس رضي الله عنه في هذا الحديث من أنّ أهل المدينة اضطربوا وفزعوا ذات ليلة، وظنّوا أن عدواً أغار عليهم، فأسرع أناسٌ من شُجعانهم نحو الصّباح الذي سمعوا، فما راعهم إلا أن يجدوا رسول الله ﷺ عائداً بعد أن استبرأ الخبر، واستكشَف الأمر واطمأنّ على المدينة وأهلها، ثم طمأنهم وأزال مخافتهم.

ومن عجيب فروسيّته وشجاعته: أن يركب فرساً لأبي طلحة معروفاً بالبطء والعجز، وسوء السّير، يمتطيه عارياً من السّرج، فيثبت عليه وهو متقلد سيفه في عنقه، ثم ينقلب الفرس سريعاً ببركته ﷺ كأنه بحر.

#### أبو طلحة الأنصاري

وأبو طلحة هو زيد بن سهل الأنصاري الخزرجي، زوج أم سليم والدة أنس بن مالك، خادم رسول الله ﷺ، وراوي هذا الحديث، كان من فضلاء الصحابة وشجعانهم، وذوي الجود والكرم منهم، وكان رامياً مشهوراً، يجشو بين يدي رسول الله ﷺ في ميدان الحرب، ويقول: نفسي لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوقاء.

ثم ينثر كنانته بين يديه، وكان يتناول بصدرة ليقفي به رسول الله ﷺ، ويقول: نحري دون نحرك<sup>(١)</sup>.

(١) روى البخاري (٣٨١١) في فضائل الأنصار، ومسلم (١٨١١) في الجهاد والسّير من حديث أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد، انهزم الناس عن رسول الله ﷺ، وأبو طلحة بين يديه مُجَوَّبٌ عليه بجحفة، وكان رامياً شديد التّرع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمرُّ معه الجعبة من التّبَل، فيقول رسول الله ﷺ: انثرها لأبي طلحة. ثم يشرف

٧٩١

ولا رَبِّبَ أَنْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَخَلَّقُوا بِخُلُقِهِ، وبلغوا من الشجاعة والكرم والفضل، بمقدار حُبِّهم له وإيمانهم به. وذلك ميزانٌ سليمٌ مستقيم، تُوزن به فضائلُ مَنْ بعدهم إلى يوم القيامة.

### أثر الجود والشجاعة في بناء المجد

وبعد، فلنسا بسبيل تفصيل جوده وشجاعته ﷺ، وعظيم أثرهما في صادقي الإيمان به من أمته، فقد تكفَّلت بذلك المؤلفات الكثيرة في سيره وشمائله، وإن لم تبلغ الغاية في شرح مكارمه وفضائله.. ولكننا بسبيل الدعوة إلى التخلُّق بأخلاقه العامة، وبهاتين الفضيلتين منها خاصة، إن كنا جادِّين في نهضاتنا، صادقين في عزماتنا، واثقين بعون الله لنا على احتمال التبعات الجسام الملقاة على عواتقنا.

وأجدرُ الناس بقبول هذه الدعوة والاستجابة لها هم قادتنا وأولي الأمر منا، إن كانوا يؤمنون بأنه صلوات الله وسلامه عليه هو قائدهم الأعلى، وأنهم لن يحققوا لأممهم ما يرجون لها من العزَّة والسَّيادة، إلا إذا كانوا تحت رايته، مُسْتَظِلِّين بظلِّ هدايته.

### الشجاعة والكرم في أوسع معانيهما وأبعد مراميها

وإذا ذكرنا الشجاعة فلا نعني بها مجرد الشجاعة الحربيَّة التي تُفسَّر بأنها ثباتُ القدم عند مواقع القتال، ومكافحة الأبطال، وإنما نعني بها الشجاعة في أوسع معانيها وأبعد مراميها، ولا سيما الشجاعة الأدبيَّة التي تقصد إلى مُناصرة الحق، وإظهاره في إخلاصٍ وصدق، دون مبالاة بذي جاهٍ أو سلطان.

ولن نُؤتِي هذه الشجاعة أكلها، إلا إذا تقبَّلناها من أهلها، وشجعناهم على

إلى القوم. فيقول أبو طلحة: يانبيَّ الله بأبي أنت، لا تُشرف، يُصيبك سهمٌ، نحري دون نحرك». ومعنى: مُجَوَّبٌ؛ أي: مُتَرَسُّ عليه يقيه بها. ويقال للترس أيضاً: جَوْبَةٌ. وانظر بقية أخبار أبي طلحة في حديث: مسامرة نويَّة، ص ٨٢٤ - ٨٢٥.

المُضِيَّ فيها، ما كانوا إلى الخير داعين، وإلى الحق قاصدين، ﴿يَجْتَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وإذا ذكرنا الكرم فلا نعني به ما يُنفق من أموالٍ طائلة في مظاهر الفخر والأبهة؛ فإنَّ ذلك إسراف وتبذير، عظيم الضرر، وخيم العاقبة. وإنما نعني به الأريحية للإنفاق في سبيل الله، وتحرير الوطن، وإحياء مَوَاتِ الأمة، وإزاحة ما ضُربَ عليها من الذلة والمسكنة.

إنَّ هذه المثل العليا التي ندعو إليها القادة والمشرفين على نهضاتنا الحاضرة، وفي مقدمتها الشجاعة والكرم والتضحية والبذل ليست من أمهات الفضائل وحسب، ولا من صفات القائد المثالي وكفى، ولكنها إلى ذلك كلِّه من الدعائم الأساسية الأولى، لتحرير الشعب، وإنقاذ الوطن، وبناء المجد.

\*\*\*\*\*

(١) اقتباس من الآية ٥٤ من سورة المائدة.



## منهج النبي ﷺ في العبادة\*

١٠٢- عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟! قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا، فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلمت كذا وكذا؟! أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني». رواه الشيخان<sup>(١)</sup>.

### المفردات:

الرهط: الجماعة من ثلاثة إلى عشرة. وفي رواية مسلم: «نفر»، وهم من الثلاثة إلى التسعة. تقالُّوها: عدوها قليلة.

والمراد بذنبه: ما فرط منه خلاف الأولى بالنسبة إلى مقامه الكريم، وهو من قبيل: (حسنات الأبرار سيئات المقربين). وإذا كان العتاب على قدر المحبة، فإن الذنب على قدر المنزلة.

وتُطلق السنة: ويرادُ بها ما سنَّه ﷺ لأُمَّته ممَّا يقابل الفرض. وتطلق ويراد

\* مجلة الأزهر، الجزء الثامن، المجلد الخامس عشر، شعبان (١٣٦٣).

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) كلاهما في كتاب النكاح.

بها: السيرة والطريقة، وهذا هو المراد هنا<sup>(١)</sup>.

والرغبة عنها: العدول والإعراض؛ فإن كان علي وجه من التأويل عذر صاحبه، ولكنه بسبيل الوقوع في شرك التعمق والتنطع، وإن كان عن بغض وكراهية، فالله بريء من الكافرين ورسوله، وعباداً بالله من ذلك!!

### مقامان كريمان

النبي ﷺ خليفة الله في أرضه<sup>(٢)</sup>، وأمينه على وحيه، وسفيره إلى أمته؛ يأخذ عن ربه، ويعلمهم، ويستضيء بنوره، ويرشدهم، ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

مقامان كريمان، يقضي أولهما أن يكون المثل الأعلى في القانتين، ويقضي

(١) أي: الطريقة المشروعة المتبعة في الدين، والمنهج النبوي الذي يشمل الاعتقادات والعبادات والمعاملات والأخلاق والآداب وغيرها. أما معنى (السنة) بما يقابل الفرض والواجب، فهو من الألفاظ الاصطلاحية الفقهية، والفرق بين المعنيين والاستعمالين ظاهر، وانظر في مدلول لفظ (السنة) في حديث النبي ﷺ، وكلام الصحابة والتابعين ما كتبه الأستاذ العلامة المحقق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى في كتاب: «السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي».

(٢) في هذه العبارة نظر، لأن الاستخلاف يتضمّن معنى تفويض المستخلف لخليفته فيما هو من خصائصه. والنبىُّ منبأً من علوم ربانية بالوحي، والرسولُ مكلفٌ أن يبلغ رسالة ربه، والخلافة فيها معنى التوكيل والإنابة، والله عز وجل هو الوكيل على كلِّ حي. وقد خاطب نبيّه ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢] ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧] فالرسول ﷺ ليس وكيلاً على الناس، بأيّ معنى من معاني الوكالة. أفيكون خليفة عن الله، والخلافة أوسع في صلاحيتها من الوكالة؟! وهذا كله بالنسبة إلى رسول الله ﷺ، أفضل خلق الله، وخاتم رسله، فكيف يكون حال سائر الناس؟!.

(٣) اقتباس من الآية ١٦ من سورة المائدة.

٧٩٥

ثانيهما أن يكون القدوة المثلى في الهداة المرشدين، وكذلك كان صلوات الله وسلامه عليه.

### المثَلُ الأعلى في القانتين

كان في مقام العبودية، وهو أحبُّ مقام إليه، يصل ليله بنهاره في خدمة مولاه، ويقوم من الليل حتى تتورم قدماه، وإذا قيل له: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟!»<sup>(١)</sup>.

### القدوة المثلى في الهداة المرشدين

وكان في مقام الهدى والإرشاد يترفق بصحابته، ويدعوهم إلى الأخذ بالأيسر من الأمور ما لم يكن إثماً، ويحذّرهم التكلف والتعمق، ويقول لهم: «خذوا من العمل ما تطيقون؛ فإن الله لا يملأ حتى تملأوا»<sup>(٢)</sup>.

ويقول لعبد الله بن عمرو، وقد شدّد على نفسه: «صمّ وأفطر، ونم وقم؛ فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً»<sup>(٣)</sup>.

ويشكو إليه حنظلة غفلته ومداعبته أهله، ويحسب ذلك نفاقاً، فيهون عليه، ويقول: «ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»<sup>(٤)</sup>، ثلاث مرات.

ثم كانوا إذا ذكروا الدنيا ذكرها معهم، وإذا ذكروا الطعام ذكره معهم<sup>(٥)</sup>،

(١) أخرجه البخاري (١١٣٠) في التهجد، ومسلم (٢٨١٩) و (٢٨٢٠) في صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (٧٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٧٥) و (١٩٧٦)، ومسلم (١١٥٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٥٠).

(٥) روى الترمذي في «الشمائل النبوية» (٣٤٣) عن خارجه بن زيد بن ثابت قال: دخل

وإذا ذكروا الآخرة ذكرها معهم، وما طلب من تاجر أن يترك تجارته، ولا إلى صانع أن يهمل صناعته، بل أفرَّهم على أسبابها، ودعاهم إلى إتقانها، وأمرهم بتقوى الله فيها. وكان يتخولَّهم بالموعظة؛ خشية السامة عليهم. وكان أحبَّ العمل إليه أدمه وإن قلَّ؛ «فإن المُنْبَتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»<sup>(١)</sup>.

نفرَّ على زيد بن ثابت، فقالوا: حدِّثنا أحاديث رسول الله ﷺ. قال: ماذا أحدثكم؟ كنت جاره، فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إليَّ فكتبته له، فكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، فكلُّ هذا أحدثكم عن رسول الله ﷺ.

(١) اقتباس من حديث عزاه السخاوي في «المقاصد الحسنة»: ٢٩١، و«الأجوبة المرضية» ١: ١٠ - ١٥ للبخاري (٧٤) والحاكم في «علومه» ص ٣١٤ (٢٢٠)، والبيهقي في «سننه» ٣: ١٨، ١٩. وغيرهم كلهم من طريق محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعاً بلفظ: «إن هذا الدين متينٌ، فأوغل فيه برفق، ولا تُبغض إلى نفسك عبادة الله، فإن المُنْبَتَّ لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى».

ثم قال السخاوي: «وهو ممَّا اختلف فيه على ابن سودة في إرساله ووصله، وفي رفعه ووقفه، ثم في الصحابي: أهو جابر أو عائشة أو عمر؟ وقال الدارقطني: ليس فيها حديث ثابت. ورجَّح البخاري في «تاريخه» ١: ١٠٢-١٠٣ من حديث ابن المنكدر الإرسال. وأخرجه البيهقي أيضاً ٣: ١٩، والعسكري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص فيه، لكن بلفظ: «فإن المُنْبَتَّ لا سفراً قطع، ولا ظهراً أبقى» وسنده ضعيف أيضاً. وهو عند ابن المبارك في «الزهد» (١٣٣٤) من حديث عبد الله بن عمرو ولكن وقفه. ولفظه: «إن دينكم دين متين، فأوغلوا فيه برفق، ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله، فإن المُنْبَتَّ...»، ولهما شاهد عند العسكري من حديث الفرات بن السائب عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة، عن عليِّ رفعه: «إن دينكم دين متينٌ فأوغل فيه برفق، فإن المُنْبَتَّ لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع»؛ وفرات ضعيف، وهو عند أحمد ٣: ١٩٩ (١٣٠٥٢) من حديث أنس رفعه، لكن ليس فيه جملة الترجمة، وهو على اختصاره أجود ممَّا قبله». انتهى.

ولفظه في «مسند أحمد» من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول اله ﷺ: «إن هذا الدين متينٌ، فأوغلوا فيه برفق» وهو حسنٌ بشواهد. وانظر شواهد في التعليق على «المسند» ٢٠: ٣٤٦-٣٤٧.

## خُطَّةٌ عمليَّةٌ مثلى

ولم يكفه ﷺ أن يأخذهم بهذا المنهج الحكيم حتى أكمله بخطة عمليَّة مثلى، لا تدع لمتنطع مجالاً، ولا لمتعمق عذراً؛ وذلك أنه كان يترك النافلة وهي أحبُّ إليه، ويقصد في الطاعة وفي ازدياده منها قرَّة عينيه؛ إمَّا راهباً أن تُقرض عليهم، وإمَّا راغباً أن يترفق بهم، وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم.

خفيَ هذا الذي جَلَوَّته لك على كثير من الناس، ومنهم نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ في بادئ الرأي، إذ قاسوا المنزلة عند الله والزُّلفى إليه بمقياس الجدِّ والنَّصب، لا بمقياس الحَرَجِ والعنت.

ذهبوا يسألون أمهات المؤمنين عن عبادته ﷺ في السرِّ - كما في رواية مسلم - فلمَّا أُخبروا أخذهم جانبٌ من العجب، كأنهم استقلُّوها بالنسبة إلى أنفسهم، وهنالك اعتذروا عن النبيِّ ﷺ بأنَّ الله قد غفر له، وآتاه ما لم يُؤتِ أحداً غيره، فلا عليه ألاَّ يزداد، وهذا مكانه من الله عز وجل.

ثمَّ أصرُّوا على أن يأخذوا أنفسهم بالأشَقَّ من العبادة؛ فواحدٌ يلزم نفسه قيامَ الليل كله لا يذوق فيه نوماً، وآخر يفرض على نفسه صيام الدهر كله، لا يفطر إلاَّ يوماً حرِّم الله صومه، وثالثٌ يترهَّب، فلا يتزوَّج أبداً؛ يبغى بذلك التفرُّغ لعبادة ربه.

ظنُّوا أنَّ هذا طريق السَّبْقِ إلى الدَّرَجَاتِ العُلا، وأنَّ بُعدَ الشُّقَّةِ بينهم وبين الرسول ﷺ تُسوِّغ لهم ما ذهبوا إليه.

## القصد في العبادة

فما أن علم صلوات الله عليه بما اعتزموا حتى اشتدَّ عليهم في العتاب الذي ترى، وأبان لهم أنَّ القصد في العبادة، أذكى للنفوس، وأضمن لها في تحصيل ما تَصْبُوا إليه من سبق وفضل.

### القيام بواجب الشكر

ثمَّ نَقَضَ حَكْمَهُمْ أَنَّ الْمَغْفُورَ لَهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى مَبَالِغَةٍ فِي الْعِبَادَةِ، بِأَنَّهُ بِهَا أَجْدَرُ وَأَحَقُّ؛ قِضَاءً لِحَقِّ النِّعْمَةِ، وَوَفَاءً بِوَجِبِ الشُّكْرِ، بَيِّنٌ أَنَّهُ يَقْتَضِدُ فِي الْأَعْمَالِ؛ لِيَكُونَ الْقِدْوَةَ الْمِثْلِيَّ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ.

### الإخلاص والصدق

وحكمة أخرى: أن يعلموا أن رفعة الدرجات عند الله إنما هي بالإخلاص وصدق الرغبة في العمل وإن قلَّ، لا بالكثرة منه والتعمُّق فيه؛ فكم من قائمٍ ليس له من قيامه إلا التعب والسهر، وكم من صائمٍ ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش<sup>(١)</sup>.

### ما هو الإحسان؟

وليس الإحسان، وهو أعلى المقامات، أن تُكثَرَ العمل، وإنما «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك»<sup>(٢)</sup>.

ثم ختم عتابهم بأشد ما يكون من الزجر، إذ تبرأ من المتنطعين الذين رغبوا عن سنَّته، ونكبوا عن مَحَجَّتِهِ، ولا يزيغ عنها إلا هالك.

### حكم وأحكام

وبعد؛ فلا يزال في الحديث حِكْمٌ وأحكام، من حقه علينا أن نشير إلى طائفة منها:

(١) اقتباس من حديث رواه أحمد في «المسند» ٢: ٣٧٣ (٨٨٥٦)، وأبو يعلى (٦٥٥١)، وابن خزيمة (١٩٩٧). وهو حديث إسناده جيد، ولفظه عند أحمد من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهْرُ».

(٢) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨) (٩) (١٠) من حديث طويل في سؤال جبريل النبي ﷺ.

### السرُّ في اختصاص أمهات المؤمنين بالسؤال

فمن ذلك: أنهم اختصوا أمهات المؤمنين بالسؤال؛ لأنهن أدرى بعبادته ﷺ في السرِّ، وهي التي يقصدون إليها. وأما عبادته في العلن فهي معروفة لهم.

وكان هذا السؤال بعد الحجاب؛ لأنَّ حادث الرهط سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَاتٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>(١)</sup> وإنما نزلت سورة المائدة في حجة الوداع في السنة العاشرة، وكان الحجاب في ذي القعدة من السنة الخامسة.

### من الأساليب المثلى في التربية

ومنها: أنه ﷺ واجههم بالعتاب بعد الثبُّت ممَّا قالوا؛ رفقاً بهم وسترًا عليهم، ثمَّ حذَّر أصحابه كافةً أن يزلُّوا في هذا التعمُّق، فحمد الله وأثنى عليه وقال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟» كما في رواية مسلم<sup>(٢)</sup>.

وهذا طريق التوفيق بين روايتي الشيخين؛ إذ اقتضرت الأولى على اختصاص الرهط بالعتاب، واقتضرت الثانية على التعميم في الخطاب.

وتلك هي الطريقة المثلى في التربية والتعليم، مادام في الدنيا تهذيبٌ وإرشاد.

الإقسام بالله سبحانه في الأمور المهمة وإظهار الفضل والمنزلة عند أمن الرياء

ومنها: الإقسام بالله عزَّ وجل في الأمور المهمة ذوات البال توكيداً وتثبيتاً.

وإنَّ من الخير والحكمة إظهار الفضل والمنزلة تلبيةً لدواعي التهذيب والتقويم، وبخاصةً عند أمن الرياء.

(١) سورة المائدة: ٨٧.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٠١).

## التمتع بالطيبات لا ينافي الورع

وفي الحديث - عدا فضل النكاح والترغيب فيه - دعوة إلى التمتع بالحلال الطيب، وأنه لا يُجافي الورع والتقى، بل إنَّ العدول عنه هو المجافاة للورع والتقى. وللعلماء في هذا بحثٌ طويل.

والحقُّ الذي تؤيده الدلائل، ويشهد به الحسُّ أنَّ المباح في ذاته لا ضررَ فيه، ولا ذمَّ يلحق متناوله، وإنما يعرض له ما يجعله ذمياً منهيّاً عنه، كما يعرض له ما يجعله حميداً مندوباً إليه.

وكيف يكون رفض ما أحلَّ الله لعباده ورعاً وتقى، وهو جلتُ آلاؤه يقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد كان السلف الصالح يتناولون الطيبات ولا يتحرّجون منها، بل كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يذمّون المباحات ولا يرفضونها.

وهذا أزهد البشر صلوات الله وسلامه عليه - وهديه أكمل الهدى، وطريقه أفومُّ الطرق - كان يحبُّ الحلواء والعسل<sup>(٢)</sup>، ويأكلُ اللحم ويختصُّ بالذراع، وكانت تعجبه<sup>(٣)</sup>، وكان يُستعذب له الماء، وينقع له الزبيب والتمر، وأخبر أنه حُبب إليه النساء والطيب<sup>(٤)</sup>، وكان ينهى عن الترهّب والغلوّ حتى عدّ فاعلها

(١) سورة الأعراف: ٣٢.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٦٨)، ومسلم (١٤٧٤)، والترمذي (١٨٣١) من حديث عائشة.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤)، والترمذي (١٨٣٧) من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرج أحمد ٣: ١٢٨ (١٢٣١٨) (١٣٠٨٨) والنسائي في سننه (٣٩٣٩) من حديث



خارجاً عن سنته. والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة مستفيضة.

نعم ما كان يتكلف من هذه المباحات شيئاً ولا يتشبهها، ولكنه إذا وجد له لم يكن يرفضه ولا ياباه.

وفصل الخطاب: أنَّ خَطَرَ المباح إنَّما هو من ناحية ما يعرض له من التوسُّع فيه والاشتغال به، وقلَّما نرى مُنغمساً في الترف عَرَفَ الله حقَّ معرفته، وشكره حقَّ شكره.

ويؤيِّد هذا ما روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال له: «إِيَّاكَ وَالتَّنْعُمُ، فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمَتَنَعِّمِينَ» رواه أحمد والبيهقي؛ ورواه أحمد ثقات. (١)

فَقَصَدَ السَّبِيلَ: أَلَّا يُسْرِفَ المَرءُ فِي الطَّيِّبَاتِ حَتَّى تَفْضِي بِهِ إِلَى التَّرْفِ وَالبَطْرِ وَالوَقُوعِ فِي الشُّبُهَاتِ، وَأَلَّا يُشَدِّدَ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَأْخُذَ مِنْهُ التَّنَطُّعُ، وَيَزْحَفَ إِلَيْهِ المَلَلُ، وَكَلَا الأَمْرَيْنِ مُجَافٍ لِلحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، وَالمَنْهَجِ الحَقِّ

أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ، وَالتَّيِّبُ، وَجُعِلَ قَرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» ومما ينبه إليه: أنه اشتهر الحديث على الألسنة بزيادة: «ثلاث» عقب قوله: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ دُنْيَاكُمْ». وهذه الزيادة شاذة غير محفوظة، ولم ترد في شيء من طرق الحديث، وهي زيادة مُفسدةٌ للمعنى؛ لأن الصلاة ليست من أمور الدنيا، وإنما هي من أهم شؤون الآخرة.

(١) أخرجه أحمد ٥: ٢٤٣ (٢٢١٠٥)، وقول المؤلف: رُواة أحمد ثقات. فيه نظر؛ لأنَّ فيه بقية بن الوليد، وهو مدلسٌ تدليس تسوية، وقد عنعن، فإسناده ضعيف. وانظر: التعليق على المسند ٣٦: ٤٢.

نعم، ورَدَ من حديث أبي عثمان عبد الرحمن بن ملِّ الهندي قال: «جاءنا كتاب عمر ونحن بأذربيجان: يا عُبَّةُ بن فرقد، إِيَّاكُمْ وَالتَّنْعُمُ، وَزِيَّ أَهْلِ الشُّرْكِ...» رواه أحمد ١: ١٦ (٩٢) بإسناد صحيح على شرط الشيخين، وأبو يعلى (٢١٣) و(٢١٤)، ومن طريقه البيهقي في «السنن الكبرى» ١٠: ١٢٨ (٢٠١٩٩).

الذي جاء به الرسول ﷺ. والكيِّس مَنْ ساس نفسه وأخذها بالتي هي أقوم.

### حرص الرسول وأصحابه على الخير

وفي الحديث: حرصه ﷺ على أمته، ورأفته بهم، وعنايته بتربيتهم، وحرص أصحابه رضي الله عنهم على تتبُّع مناهجه، وتقصي سيرته، وهكذا تكون سيرة الحكماء المربِّين مع الطلاب الراشدين.

### سؤال النِّساء وإباحة مخاطبتهنَّ

والحديث يرفع الحرج في سؤال النساء، ويبيح مخاطبتهنَّ والتلقِّي عنهنَّ في أدبٍ ووقار من وراء حجاب.

ولعلَّ في ذلك عبرة لقوم أسرفوا في السفور ففتحوا لهنَّ الباب، وعِظة لآخرين تنطَّعوا في الحجاب، فحرَّموا عليهنَّ ردَّ الجواب. وكلاهما ناكبٌ عن الصِّراط المستقيم، وعن سيرة أغير الناس أجمعين.

\*\*\*\*\*

## \* الحياء النبوي \*

١٠٣- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خَدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ». رواه الشيخان، واللفظ لمسلم<sup>(١)</sup>.

المُفْرَدَات :

العذراء: البكر، من العذرة، وهي جِلْدَةُ الْبِكَارَةِ.

الخدر: السُّتْرُ وَزناً وَمَعْنَى، وَأَخْدَرْتُ الْجَارِيَةَ: لَزِمْتُ الْخَدْرَ، وَأَخْدَرْتُهَا أَهْلَهَا وَخَدَّرْتُهَا: سَتَرْتُهَا وَصَانَوْتُهَا عَنِ الْاِمْتِهَانِ وَالْخُرُوجِ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهَا.

\*\*\*\*\*

## مكانة الحياء النبوي

حاولنا أن نُبَيِّنَ فِي الْجِزَاءِ الْمَاضِي مَكَانَ الْحَيَاءِ مِنَ الْإِيمَانِ<sup>(٢)</sup>، وَنَحَاوَلُ أَنْ نُبَيِّنَ فِي هَذَا الْجِزَاءِ مَكَانَ الْحَيَاءِ النَّبَوِيِّ مِنَ الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ الَّذِي صَنَعَهُ اللَّهُ عَلَى عَيْنِهِ، وَصَاغَهُ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

\* مجلة الأزهر، العدد الثالث، المجلد الخامس والعشرون (١٣٧٣).

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٢) في كتاب الأدب، ومسلم (٢٣٢٠) في الفضائل، والترمذي في شمائل النبي ﷺ (٣٥٨).

(٢) انظر: الحديث الأول: شُعبُ الْإِيمَانِ ص ١٠٥.

ومهما نبليج الجهد من هذه المحاولة، فلن نُصيب منها إلا بمقدار ما نلّم من أخلاق هذا الإنسان الكريم، الذي أدبه ربّه فأحسن تأديبه، ثم أثنى عليه بقوله الحق: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

### درجات الحياء

من الحياء ما هو غرزيٌّ جبليٌّ، ومنه ما هو تربويٌّ مكتسب. ويقع هذا الثاني على أنحاء ووجوهٍ شتى، أبلغها ابن القيم في «مدارج السالكين» عشرة: حياء جنائية، وحياء تقصير، وحياء إجلال، وحياء كرم، وحياء حشمة، وحياء استصغار للنفس واحتقار لها، وحياء محبة، وحياء عبودية، وحياء شرف وعزة، وحياء المستحي من نفسه.

أجمل ابن القيم هذه الوجوه، ثم أخذ يفصلها تفصيلاً<sup>(٢)</sup>.

### سمو الحياء النبوي

وسنرى بعد أن نعرض طرفاً يسيراً من سيرته صلوات الله وسلامه عليه، كيف آتاه الله تعالى، من الحياء الجبليّ عدله وأجمله، ومن الحياء الكسبيّ - على اختلاف وجوهه - أجزله وأكمّله؟!.

وكيف كان حياؤه يُهيمن عليه في سرّه وجهره، وسائر معاملته: مع ربّه، ونفسه، وأهله، وعشيرته، وصحابته، وأمّته، منذ نشأته الأولى، إلى أن ألحقه الله بالرفيق الأعلى؟!.

ثم كيف كان هذا الحياء النبويّ العجيب، لا ينال - من بعيد أو من قريب - شجاعته وإقدامه ودعوته إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وغضبه لله عزّ

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) انظر: مدارج السالكين ٢: ١٤٤.

٨٠٥

وجل، وتعظيمه لحرّمات الله، وشدّة غيّرته على دين الله، وجهاده للكفار والمنافقين وغلظته عليهم كما أمره الله سبحانه؟!.

عظمة هذا الحياء وأتساقه مع الفضائل النبوية

ولئن صحَّ ما قيل: إنَّ الشجاع لا يكون حياً - لأنَّ الحياء يمتُّ إلى الجبن بنسب - فإنَّ هذا لا ينبغي لمنَّ جمّله الله بالمكارم، وزيّنه بالفضائل، وجعلها فيه - كاملة مكّملة - على اتّساق وتضافر، لا يبغي بعضها على بعض، ولا تنقص واحدة من صاحبها فتيلاً.

ومما لا موضع للجدل فيه أنه كان صلوات الله وسلامه عليه أعظم الناس شجاعةً وإقداماً، مع أنه كان أشدّهم حياءً، وأكثرهم عن العورات إغضاءً!.

والصواب: أنَّ الحياءَ وسطٌ بين الخجل والوقاحة، وهو من الفضائل التي تنتظمها العفة - كما قال ابن مسكويه - وليس الجبنُ منه في شيء، والخجل: حيرة النفس لفرط الحياء، والوقاحة: لجاج النفس في تعاطي القبيح.

وأياً ما كان الحياءُ، فإنه محمودٌ ما لم يُفرض بصاحبه إلى منقصة، أو يحول بينه وبين مكرمة. وما كان حياءً النبي ﷺ - على شدّته - ليحول بينه وبين مكرمة ولا فضيلة، بل كان على العكس من حياء الناس، يظاھره على الفضائل، ويعاونه على المكارم، في رفقٍ وأناة، وعلمٍ وحكمة.

حياء العبودية مع الله عز وجل

هانحن أولاء نقرأ من معاملته ﷺ لربّه وعبادته له، أنه كان يقوم الليل حتى تورّمت قدماه، فيقال له: يا رسول الله أتكلّف هذا، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فيقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟!»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (١١٣٠)، (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨١٩)، (٢٨٢٠).

وسمّ هذا إن شئت حياءَ العبودية، وهو مزيجٌ من المحبة والخوف ومشاهدة التقصير في حقّ العليّ الكبير جلّ ثناؤه، وإن العبد إن جدّ في عبادته فهي دون ما ينبغي لجلال وجهه، سبحانه لا نحصي ثناءً عليه.

وإن شئت فسمّه حياءَ الإجلال، وهو حياءَ المعرفة، وعلى حسب معرفة العبد برّبّه يكون حياؤه منه، لا جرّم أنه ﷺ أعرف الناس برّبّه، وأعلمهم به، وأخشاهم له.

### حياؤه ﷺ مع الناس

ونقرأ فيما نقرأ من معاملته للناس، أنه لم يُجابه أحداً قط بما يكره<sup>(١)</sup>، حياءً وكرم نفس؛ فإذا أتى أحداً ما لا يحب تغيّر وجهه، وعُرف ذلك منه<sup>(٢)</sup>. وإذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل: ما بال فلان يقول كذا؟ ولكن يقول: «ما بال أقوام يصنعون كذا، أو يقولون كذا؟»<sup>(٣)</sup> ينهى عن الشيء ولا يُسمّي فاعله<sup>(٤)</sup>.

دخل عليه رجل به أثرٌ صُفرة كرهها، فلما خرج قال: «لو قلت له يغسل هذا»<sup>(٥)</sup>.

(١) كما دلّ على ذلك حديث أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ قلماً يواجه رجلاً في وجهه بشيء يكرهه» أخرجه أبو داود (٤١٨٢)، والترمذي في الشمائل (٣٤٦).

(٢) لأن وجهه ﷺ كالقمر ليلة البدر، وما يكرهه كالغيم يبدو عليه (طه).

(٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل شيء لم يقل: ما بال فلان، ولكن يقول: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟» أخرجه البخاري (٦١٠١) في الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، وأبو داود (٤٧٨٨).

(٤) كما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) رواه أحمد في «مسنده» ٣: ١٣٣ (١٢٣٦٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٣٧)،

وأبو داود (٤١٨٢)، (٤٧٨٩)، والترمذي في «الشمائل» (٣٤٦)، وهو حديث حسن.

٨٠٧

ولم يكن - لشدة حيائه - يُثبت بصره في وجه أحد، وكان يَكْنِي عما اضطره الكلام إليه ممَّا يكره، وما عُرِف عنه تصريحٌ بمباشرة النساء قط، اللهم إلا في حدود الله عزَّ وجل كما في حديث الذي اعترف بالزنى، وجاء إليه ليظهره بإقامة الحد، فقال له: «لعلك قبَّلت أو غَمَزت أو نظرت»، فلما رآه مُصراً قال: «أفعلت كذا؟» لا يَكْنِي<sup>(١)</sup>. وسبب هذا التصريح الذي لا مناص منه؛ أنه كان يَدْرأ الحدود بالشبهات.

وما رُوِي ماداً رجله بين أصحابه قط، وما كان في جدّه ومزحه، فاحشاً ولا مُتفحشاً، ولا سَخَاباً بالأسواق<sup>(٢)</sup>، وما جرى بالسيئة سيئة، ولكن كان يعفُو ويصفح<sup>(٣)</sup>، وما انتقم لنفسه قط إلا أن تُتتهك حرمت الله بها<sup>(٤)</sup>، وكان يبدأ أصحابه بالسلام والمصافحة، ولا يَنْزِع يده قبل أن ينزعها من صافحه<sup>(٥)</sup>، وربّما

ولفظه عند أحمد من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ رأى على رجلٍ صفرةً، فكرهها، قال: «لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصفرة». قال: وكان لا يكاد يواجه أحداً في وجهه بشيءٍ يكرهه.

(١) من حديث رواه البخاري (٦٨٢٤).

(٢) الفحش والتفحش: النطق بالألفاظ الفاحشة المتصلة بالعورات، وما يجب ستره من الأفعال، والسَخْب في الأسواق: رفع الصوت فيها.

(٣) روى الترمذي في «السنن» (٢٠١٦) وقال: حسن صحيح، وفي «الشمائل» (٣٤٧) وابن حبان (٦٤٤٣) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا سخاباً في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح.

(٤) روى البخاري (٣٥٦٠) و (٦١٢٦) و (٦٧٨٦) و (٦٨٥٣)، وفي «الأدب المفرد» له (٢٧٤)، ومسلم (٢٣٢٧)، وأبو داود (٤٧٨٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمة ظلمها قط. ما لم يُتتهك من محارم الله شيء، فإذا اتتهك من محارم الله شيء كان من أشدهم في ذلك غضباً.

(٥) روى الترمذي (٢٤٩٠)، وابن ماجه (٣٧١٦) عن أنس: ان رسول الله ﷺ كان إذا

=

استوقفته الأمة أو العجوز في الطريق وكلمته، فلا ينصرف قبل أن تفرغ من حديثها<sup>(١)</sup>.

وما مسّت يدهُ يدَ امرأةٍ قط، إلا أن تكون زَوْجاً أو محرماً<sup>(٢)</sup>، وما ضربَ بيده الشريفة خادماً ولا امرأة<sup>(٣)</sup>.

وخدمه أنس رضي الله عنه عشرَ سنين - مدة إقامته بالمدينة - فما قال له مرة: أف! ولا لشيءٍ صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيءٍ تركته: لم تركته؟<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا دليلٌ على كياسة أنسٍ ونباهته وفطنته، وحُسن اختيار أمه لرسول الله ﷺ، فقد قدّمت به صبيّاً يتيماً لا يعدو العاشرة، وقالت له: هذا خوؤدك

---

استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه، ولم يُر مُقدِّماً رُكبتَه بين يدي جليس له. وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

(١) روى مسلم (٢٣٢٦) في الفضائل، وأبو داود (٤٨١٨) عن أنس رضي الله عنه قال: إن امرأة عرّضت لرسول الله ﷺ في طريقٍ من طرق المدينة، فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة، فقال: «يا أمّ فلان اجلسي في أيّ سكك المدينة شئت ثم اجلس إليك». قال: ففعلت، فقعد إليها رسول الله ﷺ حتى قضت حاجتها.

(٢) روى البخاري (٤٨٩١) في كتاب التفسير، ومسلم (١٨٦٦) عن عائشة رضي الله عنها: ما مسّت يدهُ يدَ امرأةٍ قط في المبايعه، ما يبايعهم إلا بقوله: «قد بايعتك على ذلك».

(٣) روى مسلم (٢٣٢٨)، وأبو داود (٤٧٨٦)، والترمذي في «الشمائل» (٣٤٨) من حديث عائشة، قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط إلا أن يُجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادماً ولا امرأة.

(٤) رواه أحمد في «المسند» ٣: ١٩٥ (١٣٠٢١)، والبخاري (٦٠٤١)، وفي «الأدب المفرد» له (٢٧٧)، ومسلم (٢٣٣٠)، وأبو داود (٤٧٧٤)، والترمذي في «السنن» (٢٠١٥) وقال: حسنٌ صحيح، وفي «شمائل النبي ﷺ» (٣٤٥). وهو حديث صحيح على شرط مسلم.



٨٠٩

أنس، فتقبله رسول الله ﷺ منها، ولم يحدثنا التاريخ - ولن يحدثنا - بمثل ما حدثنا به من أدب هذا الخادم، ومكارم ذلك المخدوم، ولكن كثيراً ما حدثنا أنه إذا حسنت أخلاق أحدهما ساءت أخلاق صاحبه!

وفي قصة زواجه بابنة عمته زينب بنت جحش - كما أمره الله تعالى - مثلاً بلغان من شدة حيائه، وكرم نفسه صلوات الله وسلامه عليه: أوحى الله إليه أن زيد بن حارثة - وكان يتبناه قبل الرسالة - سيطلق زينب ويتزوجها هو ﷺ، ليبطل الله على يديه شريعة فاسدة من شرائع الجاهلية، وهي تحريم نكاح حليمة المتبني، وكان زيد كثيراً ما يشكو تعاليها وترفعها عليه إلى رسول الله ﷺ، فيقول له: «أمسك عليك زوجك»، ويستحي أن يخبره بما قضى الله في شأنهما؛ انتظاراً للأمر الفصل من الله عز وجل. وقد عاتبه ربه على شدة هذا الحياء التي تجاوزت الأولى به<sup>(١)</sup>.

ولو كان ﷺ كاتباً شيئاً من الوحي - وحاشاه - لكتم هذه الآية التي اشتدت في العتاب عليه شدة لم تبلغها شدة في القرآن الكريم كله<sup>(٢)</sup>.

### حياء الكرم

وابتلي هذا الحياء النبوي بثلاثة نفر تخلفوا عن القوم الذين طعموا في وليمة زينب، بعد أن زوجه الله إياها: ﴿لَكَى لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيَاءِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

جلس هؤلاء النفر يتحدثون ويسمرون، والنبى ﷺ يتهيأ للقيام، ثم يقوم

(١) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخُفَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

(٢) أخرج الترمذي (٣٢٠٥) من طريق داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن عائشة قالت: «لو كان رسول الله ﷺ كاتباً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية».

(٣) اقتباس من الآية ٣٧ من سورة الأحزاب.

فينصرف القوم أرسالاً، وهؤلاء في مجلسهم وسمهم لا يتحركون! حتى تنبها  
آخر الأمر إلى تردده ﷺ، والحياء يكسو وجهه دون أن يُخرجهم بكلمة، وعلى  
أثر خروجهم نزلت آية الحجاب: ﴿يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ  
إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِ بْنِ إِدْنَةَ﴾<sup>(١)</sup>. ويسمي ابن القيم هذا  
الضرب من الحياء «حياء الكرم».

### حياء الشرف والعزة

وكان صلوات الله وسلامه عليه، يستحي ممن سألته، حتى ليخيل لمن يراه  
أن المعطي هو الآخذ، وهذا حياء الشرف والعزة، وهو حياء النفس العظيمة  
الكبيرة، إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذل أو عطاء أو إحسان، حتى إن  
بعض الكرام لا تطاوعه نفسه بمواجهته لمن يعطيه حياءً منه.

وقد بلغ من حيائه هذا أنه: ما سُئل شيئاً قط، فقال: «لا»<sup>(٢)</sup>، إماماً أن  
يجيب سؤاله أو أكثر منه، وإماماً أن يردّ سائله بميسور من القول، إن لم يكن  
عنده شيء، كذلك الذي سأله فقال: «ما عندي شيء»، ولكن ابتغ عليّ فإذا  
جاءنا شيء قضيناه»<sup>(٣)</sup>، وكان يعطي عطاءً من لا يخشى الفاقة.

### حياؤه ﷺ في بيته وخلوته

وأما حياؤه في بيته وخلوته، فحسبك أنه ما عابَ طعاماً قط؛ إن اشتهاه

(١) انظر قصة هؤلاء في صحيح البخاري في تفسير سورة الأحزاب ٦: ١٤٩، ومسلم  
في النكاح (١٤٢٩).

(٢) سورة الأحزاب: ٥٣.

(٣) روى البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله  
عنهما: ما سُئل رسول الله ﷺ شيئاً قط، فقال: لا.

(٤) تقدم تخريجه عند حديث: من صفات القائد ص ٧٨٧.

أكله وإلا تركه، وما رأى أحدًا من نسائه عورته قط، وهذه عائشة أحبُّ نسائه إليه تقول: «ما رأيتُ منه ولا رأى منِّي»<sup>(١)</sup>، وقد طَوَّت العورة وسترتها في تعبيرها هذا، حياءً وأدباً مُقتَبَسِينَ من مكارم النبوة.

### حياؤه ﷺ في النشأة الأولى

ذلك طَرَفٌ يسيرٌ من أنباء حياته ﷺ، منذ أن شَرَّفَه الله تعالى بالنبوة إلى أن ألحقه بالرفيق الأعلى.

وأما حياؤه في النشأة الأولى، فَحَسِينًا ما حَدَّثَ به أصحابه قال: «ما هممت بشيءٍ ممَّا كان أهل الجاهلية يفعلونه غير مرتين، والله يحول بيني وبين ما أريد؛ قلت لغلام كان يرعى معي: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة، فأسمر بها كما يسمر الشباب، فخرجت حتى سمعت عزفاً بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم، فجلست أنظر، فضُربَ على أذني فنمت، فما أيقظني إلا مسُّ الشمس، فرجعت ولم أقض شيئاً؛ ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك، ثم لم أهمَّ

(١) ذكره الحكيم الترمذي في شرحه للأصل السابع بعد المئة من «نوادير الأصول» دون إسناد، وكذلك القرطبي في «تفسيره» ٢: ٢٢٤ لآية النور: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ كَمَا قُلْتُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وهو في كلام المناوي في «الفيض» ٢: ٢٢٤ (١٧١٨) أثناء شرحه لحديث «إن الله تعالى جعلها لك لباساً، وجعلك لها لباساً، وأهلي يرون عورتني، وأنا أرى ذلك منهم»، وذكره السيد أحمد بن الصديق الغماري في «المداوي» ٢: ٢٧٨ وقال: «الصحيح عن عائشة رضي الله عنها من قولها: ما رأيت ذلك منه، ولا رأى مني» ولكن لم يذكر من رواه. نعم أخرج أحمد في «مسنده» ٦: ٦٣ (٢٤٣٤٤)، والترمذي في «الشمائل» (٣٥٩)، وابن ماجه (٦٦٢) و (١٩٢٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما نظرت إلى فرج النبي ﷺ قط، أو: ما رأيت فرج النبي ﷺ قط، والحديث ضعيف لجهالة مولى عائشة. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة»: «هذا إسناد ضعيف، مولى عائشة لم يُسمَّ».

بعد ذلك بسوء، حتى أكرمني الله برسالته»<sup>(١)</sup>.

هذا قليلٌ من كثيرٍ ممَّا رواه الثقات الأثبات من أبناء هذا الخلق النبويِّ العظيم، ولكن فيه لمن أراد أن يأتي أسوةً حسنةً وبلاغ.

\*\*\*\*\*

(١) أخرجه البزار ٣: ١٢٩ (٢٤٠٣)، وقال الهيثمي ٨: ٢٢٦: رجاله ثقات، والحاكم في «المستدرک» ٤: ٢٤٥ وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» ١: ٢٣٦، والبيهقي في «الدلائل» ٢: ٣٣، وابن حبان في صحيحه ٨: ٥٦ (٦٢٣٩)، وذكره الحافظ ابن كثير في «البدایة والنهاية» ٢: ٢٨٨ وعزاه للبيهقي، وقال: هذا حديث غريب جداً، وقد يكون عن علي رضي الله عنه نفسه، ويكون قوله في آخره: «حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته» مقحماً، وقال الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» ١٧: ٢٠٨ (٤٢١٢): رواه محمد بن إسحاق في السيرة. وهذه الطريق حسنة جليية، ولم أره في شيء من المسانيد إلا في مسند إسحاق هذا، وهو حديث حسن متصل، ورجاله ثقات» وذكره الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» ٢: ١٩٩، وقال: رواه ابن إسحاق، وإسحاق بن راهويه، والبزار، وابن حبان، ونقل عن الحافظ ابن حجر أنه قال: إسناده حسن متصل.

## من أدب النبوة\*

١٠٤- عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما يقول : كنتُ غلاماً في حَجْرٍ رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصَّحفة، فقال لي رسول الله ﷺ : «يا غلام، سمَّ الله، وكُلُّ بيمينك، وكُلُّ ممَّا يليك». فما زالت تلك طِعْمتي بعد. رواه الشيخان<sup>(١)</sup>.

المفردات:

الغلام: الصَّبِيُّ من حين يُولَد إلى أن يشبَّ.

وحَجْرُ الإنسان - بالفتح وقد يكسر - : حِصْنُهُ. وهو في حَجْرِهِ أي: في كَنَفِهِ وحمايته.

والصَّحْفَةُ: إِنْاءٌ كَالْقَصْعَةِ الْمَبْسُوطَةِ، يُشْبِعُ الخَمْسَةَ ونحوهم، وقيل: يُشْبِعُ العَشْرَةَ كَالْقَصْعَةِ سِوَاءً. وطيش اليد فيها: امتدادُها في نواحيها. والطَّعْمَةُ - بكسر الطاء -: اسم لهيئةِ الأكلِ وصفته.

\*\*\*\*\*

\* مجلة الأزهر، العدد الثالث، المجلد السابع عشر، (١٣٦٥ = ١٩٤٦).

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧٦) في الأطعمة، ومسلم (٢٠٢٢) في كتاب الأشربة.

## تربية الناشئ اليتيم

من أجل ذكرى المولد النبويِّ الكريم، أحببنا أن نذكرَ طرفاً من تأديبه ﷺ لرَبِيهِ الناشئ اليتيم: عمر بن أبي سلمة، ذلك الذي حَظِيَ - ويا نِعْمَ ما حظي - بكفالة مَنْ آواه الله يتيماً، ونشأه كريماً، وآتاه خُلُقاً عظيماً، وجعلَه بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً.

لا جرمَ أنه أسعدُ الأيتامَ حظاً، وأطيبهم عيشاً، وأوفاهم نصيباً. وتلك دعوة أبيه، تفتحت لها أبوابُ السماء، وصبرُ أمِّه، كافأه الله بخير الأزواج وأكرم الآباء. ولا عجبَ، فإنَّ لصلاح البيوت آثاره الجليلة في الأموات والأحياء.

وما ظنُّك بيتِ حاز شرفَ السَّبِق في العروبة والإسلام، وكان من البيوتات القلائل إذا عدت بيوت الكرام.

## أبو سلمة وأسرته

مات عميدُ البيت أبو سلمة رضي الله عنه، لأربع سنين خَلَوْنَ من الهجرة؛ متأثراً بجراحةٍ أصابته في غزوة أحد، عن أربعة من الولد: سلمة، وعمر، ودُرَّة، وزينب.

وكان من السَّابِقين الأوَّلين من المهاجرين. وصَحِبَتْهُ زوجته وابنة عمِّه<sup>(١)</sup> أمُّ سلمة في هجرته إلى الحبشة. ثم تبعته إلى المدينة، فكانت أسبقَ النساء إلى الهجرتين. وكان آخر ما أوصاها به أن تبغِي الزَّوجَ الصَّالِح من بعده.

وكان من دعائه لها: اللهمَّ ارزق أمَّ سلمة من بعدي رجلاً خيراً مني، لا يُحزنها ولا يُؤذيها.

وممَّا حدَّثها به أنه سمع من رسول الله ﷺ حديثاً عجَباً. سمعه يقول: «ما

(١) حذيفة أحد المُحلِّقين في سماء الجود، كان إذا سافر لا يرافقه أحد ومعه طعامه؛

ومن ثمة لقبوه بزاد الراكب (طه).

٨١٥

من عبد يُصاب بمصيبة، فيفزع إلى ما أمر الله به، فيقول: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي<sup>(١)</sup> في مصيبي، وَعَوِّضْنِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَجْرَهُ اللَّهُ فِي مَصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا<sup>(٢)</sup>.

قالت رضي الله عنها: فلما مات أبو سلمة، ذكرتُ الذي حدثني عن رسول الله ﷺ، فاسترجعتُ، وقلت: اللهمَّ عندك أحتسبُ مصيبي هذه، ولم تطب نفسي أن أقول: اللهمَّ أخلف لي خيراً منها، وقلت: أيُّ المسلمين خيراً من أبي سلمة؟ ثم إنني قتلها. قالت: فقد عاضني الله خيراً من أبي سلمة، وأرجو أن يكون الله قد أجرنِي في مصيبي.

### زواج رسول الله ﷺ بأُم سلمة

ولما بلغ الكتابُ أجله، خطبها عمر فردته، ثمَّ خطبها رسول الله ﷺ وبينه وبينها حجاب، فقالت: أي رسول الله، إني امرأة قد أدبرت مني سني، وإني أمُّ أيتام، وإني شديدةُ الغيرة. فأجابها صلوات الله وسلامه عليه: أمَّا ما ذكرت من سنك، فأنا أكبر منك سنًا، وأما ما ذكرت من غيرتك فسأدعو الله أن يذهبها، وأما ما ذكرت من أيتامك فإنَّ الله يكفيهم، فقالت لابنها سلمة: زوّج رسولَ الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

(١) الأجر: الثواب، وأجره الله من بابي ضرب ونصر، وأجره إيجاراً: مثله «مختار».

(٢) أخرجه مسلم (٩١٨)، وأبو داود (٣١١٩)، والترمذي (٣٥١١). وقال القاضي عياض في «إكمال المعلم» ٣: ٣٥٨: «وقولها في الحديث: «اللهمَّ أجرنِي...» وقوله: «إلا أجره الله»: يقال بالمد وبغير المد، حكاه صاحب «الأفعال». وقال الأصمعيُّ: وهو مقصورٌ لا يُمد، وهو الذي حكاه أكثر أهل اللغة. ومعنى «أجره الله» أي: أثابه على عمله، ووفاه أجره عليه».

(٣) أخرجه النسائي (٣٢٥٤). وقد رواه بقريب من هذا اللفظ إلا أنه جاء في آخره:

قالت لابنها عمر: زوّج رسولَ الله ﷺ.

### من حكم تعدد أزواج النبي الكريم ﷺ

لو أن المجال يتسع لحجاج هؤلاء المارقين الذين يلغون في تعدد أزواج النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، جاهلين أو متجاهلين الحكم العالية والآداب السامية، لحاججناهم حتى يصرع الحق الباطل، ويكسح النور الظلام... ولكن حسبنا أن نقول لهم، إن لم يصموا آذانهم:

هذا أبو سلمة رضي الله عنه، ابن عمّة النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، وأخوه في الرضاع<sup>(٢)</sup>، ومن السابقين الأولين الذي أبلوا في الإسلام بلاءً حسناً.

وهذه زوجته أم سلمة، البرّة التقيّة الحصيصة العاقلة، من السابقات الفضليات إسلاماً وهجرةً، وجهاداً ونصرةً، بلغ من وفائها لزوجها أنها لا ترى أحداً من المسلمين خيراً منه، حتى ردت الصديق والفاروق، خيراً الناس على وجه الأرض بعد النبيين. وكادت ترد النبي صلوات الله وسلامه عليه، لولا أن تداركتها عناية الله، وكتبت عنده من أمهات المؤمنين.

وهؤلاء أيتام أربعة طابوا أصولاً وفروعاً، ونشؤوا في بيت عزّ جانبه حيناً من الدهر، ثمّ علته ذلّة بفقد عمّدتّه، وترميل ربّه<sup>(٣)</sup>.

أليس من المكارم المحمودة، أن يؤوي النبي ﷺ هذا البيت إليه، فيكون لأخيه خيراً خلف لخير سلف، ولأمّ ولده من بعده زوجاً كريماً، ولهؤلاء الصبية الذين ذاقوا مرارة اليتيم أباً؟!.

تالله إن لم يكن هذا ديناً لقد كان خلقاً عظيماً. ومن أولى بهذا ممن بعث ليتمّ مكارم الأخلاق؟! ألا إن هذا قليلٌ من كثير من الحكم التي يعرفها

(١) برّة بنت عبد المطلب كما في «الإصابة» و«الاستيعاب» (طه).

(٢) أرضعتها ثوية مولاة أبي لهب كما في الصحيحين (طه).

(٣) اقرأ نسب هذا البيت في «الإصابة» (ج: ٢ - ٤) (طه).



المنصفون - بل الجاحدون - فيما أحلَّ الله لِنَبِيِّهِ ﷺ من أزواج.

تربية النبي ﷺ اليتيم وتنشئته على الفضائل

وأراد النبي صلوات الله عليه وسلم أن يضربَ المثلَ عملاً في تربية اليتيم، وتنشئته على الفضائل، كي لا يكون على الأولياء حرجٌ إذا نصَّحوا الله ورسوله، وأدبوا اليتيم لمصلحته وخيره، لا يبتغون قهراً، ولا يُضمرون شراً.

إرشاده إلى أهم آداب الطعام

فأرشد عمر وهو يأكل معه، ولا يُراعي أدب الأكل، إلى خلالِ ثلاث، هنَّ آداب الطعام:

الأولى: أن يُسمِّيَ الله تعالى، طرداً للشيطان، وجلباً للبركة، وعنواناً على النعمة، وشكراً للذي الجلال والإكرام.

الثانية: أن يأكل بيمينه؛ فإنَّ الأكلَ بها أعونٌ في غالب الأمر وأمكن. واليمينُ مأخوذة من اليُمن وهو البركة، فهي وما نُسب إليها وما اشتُقَّ منها محمودَةٌ لغةً وشرعاً. ويكره الأكل بالشمال؛ لأنها تعالج النجاسة والقذارة، وقيل: يحرمُ الأكلُ بها، لما جاء في صحيح مسلم من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ رأى رجلاً يأكل بشماله، فقال: «كُلْ بيمينك»، قال: «لا أستطيع»، قال: «لا استطعت!» فما رفعها إلى فيه بعد<sup>(١)</sup>.

الثالثة: أن يأكل ممَّا يليه؛ لأنَّ في أكله مما يلي جليسه سوءَ عشرة، وتركُ مروءة، لتقدُّر النفس ممَّا تخوضُ فيه الأيدي، ولا سيَّما المائعات.

وفي أكل المرء ممَّا يليه بعثٌ على القناعة وحُسن الأدب، ومُساعدةً على إجادة المصنِّغ؛ ولهذا أكبرُ الأثر في الهضم والانتفاع بالطعام.

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢١).

وقد رخص كثيرٌ من العلماء في التمر والفواكه ونحوهما أن يتناول المرء من الموضوع الذي يشاء؛ لأنه لا قدر حينئذ ولا استقذار. هذا وللطعام والشراب خصالٌ أخرى كالحمد والاعتدال، مَبْثُوثَةٌ في كتب السنة والآداب، مَيَسُورَةٌ للراغبين في مكارم الأخلاق. وفي الحديث منقبةٌ كريمةٌ لعمر رضي الله عنه، إذ امْتَثَلَ أمر النبي ﷺ، وتأدَّب بأدبه، وسارَ على نهجه، وتلك نعمةٌ من الله تعالى بها عليه قابلها بالشكر والثناء.

\*\*\*\*\*

## مُسَامَرَةٌ نَبَوِيَّةٌ \*

- ١ -

١٠٥- عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا . وكان لي أخٌ يقال له : أبو عُمَيْرٍ - قال : أَحْسِبُهُ - فطيم ، وكان إذا جاء قال : «يا أبا عُمَيْرٍ ، مافعل التَّغْيِيرُ؟ نُغَرُّ كان يلعبُ به ، فربَّما حَضَرَ الصَّلَاةَ ، وهو في بيتنا ، فيأمرُ بالبِساطِ الذي تحتهُ ، فيكُنْسُ ويُنْضِحُ ، ثم يقومُ ونقومُ خلفه ، فيصلي بنا . رواه الشيخان واللفظ للبخاري<sup>(١)</sup> .

### المفردات :

فطيم: مفطوم عن الرِّضَاعَةِ ، رُوِيَ مرفوعاً؛ صفةٌ لأخٍ ، بعد وصفه بالجملة ، وجملة أحسبه معترضة بين الصفة والموصوف ، ورُوِيَ منصوباً؛ مفعولاً ثانياً لأحسب .

والتَّغْيِيرُ: - كَصَرْدٍ - طائر يشبه العصفور أحمر المنقار . وقد يُسمَّى صعوة - واحدة الصعو - أصغر من العصفور ، ويأتي ذكرها في الشرح .

والبساط: ما يبسط ويفرش ، «وكان بساطهم من جريد النخل» ، كما في صحيح مسلم<sup>(٢)</sup> . والتَّضْحُجُّ بالماء: الرَّشُّ به .

\* مجلة الأزهر ، العددان ١١ و١٢ ، المجلد السادس والعشرون ، سنة (١٣٧٤) .

(١) رواه البخاري (٦١٢٩) و(٦٢٠٣) ، ومسلم (٢١٥٠) ولم يذكر أمر الصلاة .

(٢) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١ : ٤٥٧ (٦٥٩) .

## قضية جامعة قاطعة

كان النبي ﷺ أحسنَ الناس خُلُقًا. قضية جامعة قاطعة، تجمعُ الخيرَ كلَّهُ، وتصدق الصدقَ كلَّهُ، وتنطقُ بأنه - ﷺ - بَلَغَ من المكارم غايةً لم يُدرِكها أحدٌ قبله، ولن يَطْمَع فيها أحدٌ بعده؛ لأنها غاية الغايات، والذروة العُليا من أرفع الدرجات. وليست هذه شهادة يشهدُها أنس بن مالك وحده، خادم النبي ﷺ، بل يشهدُها كذلك أزواجه أمّهات المؤمنين رضوان الله عليهنَّ.

## أعرف الناس بالزوج

والخَدم والأزواج أعرف الناس بالمخدوم والزوج، ولو كانت واحدة لقلنا: زوجٌ تُحبُّ زوجها وتُشي عليه، ولو كانت اثنتان أو ثلاث أو أربع لافترضنا المحال واقعا، وقلنا: انفقن كلُّهنَّ جُمعٌ على هذا الحبِّ والثناء!! فكيف وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى - صلواتُ الله وسلامه عليه - وفي عصمته الطاهرة تسعٌ، كان بينهنَّ من المنافسة والغيرة ما لا يحتمله بشرٌ، إلا أن يكون نبياً أيده بالمعجزات خالقُ القوى والقُدَر؟!!

## معجزة لم تُدَوَّن

اللهمَّ إنَّ في هذا الاحتمال وحده لَمُعْجزةٌ من معجزات نبيِّك، ولو لم تدوَّن في الأسفار، وإنَّ في هذا الجَمع الذي أبَحَّته لنبيِّك - دون أمته - لشاهدٌ صدقٌ على أنه صَفوةُ الأخيار. وما لنا نستشهد بغيرك، وأنت خيرُ الشاهدين؟! أدبته فأحسنت تأديبه، وهذَّبه فأكملت تهذيبه، ثم بعثته ليتمم مكارم الأخلاق، وقلت فيه، وقولك الحق: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

ولسنا الآن في مقام التفصيل لهذه القضية الجامعة، فذلك ما لا سبيلَ إليه في مقالٍ أو مقالات، وإنما نحن بصدَد فُكاهةٍ من هذه الفكاهات النبوية التي

(١) سورة القلم: ٤.

٨٢١

سُقناها؛ للاستجمام والاسترواح. وربما أحبَّ القراء أن نسوق شيئاً منها كَلِّمًا  
عَرَضَ للقلوبِ مِلالٌ أو كلالٌ؛ فإنها تملُّ الأبدان.

### دعابة نبوية

كان صلوات الله وسلامه عليه يمزح ولا يقول إلا حقاً، وكان مزاحه القدوة  
المثلى، والأسوة الحسنى في الصدق والرفق واللطف. لا يتأمل أحدٌ أدنى تأملٍ  
فيما حفظ عنه من السَّمَرِ والمفاكها، إلا وجدَ كلاً منها منطوياً على أدب  
وعلم وحكمة، فضلاً عن الترويح للنفس، والإمتاع للسمع، والبشاشة للفؤاد.

### زيارته ﷺ بيوت أصحابه

كان - صلوات الله عليه - يزور أصحابه في بيوتهم، يكرمهم، ويعلمهم،  
ويطمئن عليهم، ويبعث فيهم من جلال النبوة سناءً، ومن جمالها نوراً وضياءً.  
وكان يختصُّ بيت خادمه أنسٍ بمزيدٍ من الزيارة؛ رحمةً منه وحناناً؛ وقد  
أشار أنس إلى هذا الاختصاص في إحدى روايات الحديث إذ قال: إن كان النبيُّ  
ﷺ ليخالطنا، حتى يقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير، ما فعل التَّغَيْرُ؟! (١).

### بيت كريم

كان أبو عمير أخاً لأنس من أمه: أمِّ سليم. وأبوه هو: أبو طلحة؛ زيد بن  
سهل الأنصاري، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ لما نزلت: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى  
تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (٢): «إِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرِحَاءُ وَإِنِّهَا صَدَقَةٌ، أَرْجُو بَرَّهَا  
وَذَخْرَهَا، فَقَالَ ﷺ: «بِخْ بَخْ يَا أَبَا طَلْحَةَ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ...»، ثم أمره أن  
يجعلها بين الأقربين (٣).

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٣).

(٢) سورة آل عمران: ٩٢.

(٣) أخرجه البخاري (١٦٤١)، ومسلم (٩٩٨).

٨٢٢

وبيرحاء هذه حديقة كانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

ولأمّ سليم وزوجها أبي طلحة في الإسلام، ونصرة النبي عليه الصلاة والسلام شأنٌ عجيب، خليقٌ بأن يدرّس في مناهج التربية الإسلامية!!

زار هذا البيتَ الكريم ذاتَ يوم صلوات الله عليه وسلامه، فألقى أبا عميرٍ حزيناً، فقال لأمه: ما لي أرى ابنك خائرَ النفس؟! فقالت: ماتت صعوته التي كان يلعب بها، فسرى عنه النبي ﷺ بهذه المداعبة: يا أبا عمير، ما فعل النّعير؟!

صبرٌ عجيب

ويقضي الله الذي لا راداً لقضائه أن يشتكي أبو عميرٍ ثم يموت كما مات طائرته!!

وهنا تتجمل أمه بصبرٍ عجب! وكلُّ شأن من شؤونها في الإسلام عجبٌ!

يرجع أبو طلحة إلى بيته، فيسأل: ما فعل ابني، فتجيبه صادقةٌ حاذقةٌ: هو أسكن ممّا كان. ثم تُقدّم إلى زوجها عشاءه فيأكل ويشرب، ثم تصنع له أحسن ما كانت تصنع، حتى إذا نام وتغشّأها، قالت له: يا أبا طلحة، أرايت لو أنّ قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟! قال: لا؟ قالت: فاحتسب ابنك! فغضب، وقال: تركتني حتى تلتطّخت، ثم أخبرتني بابني! فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان. فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في ليلتكما» فحملت أمّ سليم، فولدت غلاماً، فقالت: يا أنس، لا يرضعه أحدٌ حتى تغدو به على رسول الله ﷺ، فجاء أنس فوضعه في حجره، فدعا صلوات الله عليه بتمرات من تمر المدينة، أو عجوة من عجوتها - ليُحنّك الصبي - فلاكها حتى ذابت، ثم قذفها في في الصبي، فجعل يتلمّظها، وجعل صلوات الله عليه يقول: «انظروا إلى حبّ الأنصار التمر»! فمسح وجهه،

٨٢٣

وسمَّاهُ عبد الله<sup>(١)</sup>.

## جزاء الصَّبْر والرُّضَا

وعاش عبد الله هذا إلى أن جاء من أولاده عَشْرَةٌ بَرَّةٌ كَمَلَةٌ، ما منهم إلا من دَرَسَ القرآن والعلم وحَمَلَهُ. إِنَّهُ لجزاءُ الصَّبْر والرُّضَا في هذه الدنيا، وَلجزاءُ الآخرة أَوْفَى وأعجَبَ.

أليس هذا البيت - بيت خادم النَّبِيِّ ﷺ، بله بيت المخدوم - عَجَباً من العَجَب، علماً وهُدًى وتربية؟!!

أوليس عجباً أن ندَّعه دون أن نعود إليه مرةً أخرى، فنقتبس من نور النبوة مشرقاً على هذه التربية الرشيدة الهادية؟! بلى، إنَّا عائدون إن شاء الله.

\*\*\*\*\*

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٧٠)، ومسلم (٢١٤٤).

## مسامرة نبوية \*

- ٢ -

سرُّ اختصاص بيت أنس بزيارته ﷺ

قلنا في الجزء الماضي: «كان صلوات الله عليه يزور أصحابه في بيوتهم، يكرمهم ويُعلمهم ويطمئن عليهم، ويبعث فيهم من جلال النبوة سناءً، ومن جمالها نوراً وضياءً، وكان يختصُّ بيتَ خادمه أنس بمزيدٍ من الزيارة؛ رحمةً منه وحناناً». فما سرُّ هذا الاختصاص؟

## أعمدة البيت الثلاثة

لقد اجتمع في بيت خادمه من الفضل والتُّبَلِّ والمزايا ما لم يجتمع في بيتٍ غيره.

قام هذا البيتُ الكريمُ على أعمدة ثلاثة، كل منهم - رضوان الله عليهم - أمةٌ وحده، وكلُّ منهم أنصاريٌّ خزرجيٌّ نجاريٌّ، ينتهي نسبهُ إلى بني النَّجَّارِ، أحوال النبي ﷺ أو أحوال جدِّه عبد المطلب. في عبارة أدق: أبو طلحة: زيد بن سهل، وزوجه أم سليم: أم أنس، وابنها أبو حمزة: أنس بن مالك بن النَّضْر.

## أبو طلحة الأنصاري

فأما أبو طلحة، فهو من نُبَّاء الأنصار وأعلامهم، شهد العَقَبَةَ وبدراً وأُحُدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، واستمرَّ بين يديه يوم أحد، يحوز عنه بحِفَّتِهِ. وكان شديد الرمي، فنثر له ﷺ كنانته بين يديه، وكلَّما همَّ ﷺ أن

\* مجلة الأزهر، العددان ١٣ و١٤، المجلد السادس والعشرون، سنة (١٣٧٤).



٨٢٥

ينظر إلى القوم ليرى مواضع التَّبَلُّ قال له: يا نبيَّ الله، بأبي أنت وأمي! لا تُشرف يُصَبِّك سهمٌ من سهام القوم، نحري دون نحرك، ويتناول - رضي الله عنه - بصدرة يقي رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. وقتلَ وحده يوم حُنين عشرين مُشركاً، وكان لا يكاد يصوم نفلًا على عهده ﷺ من أجل الغزو، ثم صام بعده أربعين سنة لا يفطر إلا يوم أضحى أو فطر. وقد قدّمنا في الجزء الماضي بعض شأنه في الخير والإنفاق مما يُحب.

أمُّ سُلَيْمٍ

وأما أمُّ سُلَيْمٍ فهي من فضليات السَّابِقَاتِ إلى الإسلام، والغازيات في سبيل الله. أسلمت، ورسول الله ﷺ بمكة، وبايعته حين مقدّمه إلى المدينة، فأغضب إسلامها زوجها مالك بن النَّضْر، وزاده غَضَبًا أنها كانت تلقن أنسًا كلمة التوحيد، وهو طفلٌ رضيع، فجعل ينطق بها أوّل ما ينطق، وزوجها يقول لها: لا تُفسدي عليّ ولدي! ثم خرج عنها يائسًا إلى الشام، فكان فيها مصرعه.

نِعْمَ المهر الإسلام

فخطبها أبو طلحة - وهو مشرك -، فقالت: أما إنّي فيك لراغبة، ولكنك كافرٌ وأنا مسلمة، فإن أسلمت، فإنّي لا أريد منك صداقًا غيره. فأسلم، وجاءها، فقالت: حتى يبلغ أنس، ويجلس في المجالس. فيقول: جزى الله عني أمي خيرًا، لقد أحسنتُ ولايتي، فلمّا كبر أنس، قال لها أبو طلحة: لقد جلس أنسٌ وتكلّم، فقالت: يا أنس، زوج أبا طلحة.

(١) أخرج أحمد في «مسنده» ٣: ١٠٥ (١٢٠٢٤) عن أنس قال: كان أبو طلحة يرمي بين يدي رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يرفع رأسه من خلفه لينظر إلى مواقع تَبَلُّه. قال: فتناول أبو طلحة بصدرة، يقي به رسول الله ﷺ. وقال: يا رسول الله نُحْرِي دون نحرك. وإسناده صحيح على شرط الشيخين. وانظر حديث: «من صفات القائد» ص ٧٩٠.

## مشاركتها في الجهاد

كانت أم أنس تَصْحَبُ رسولَ الله ﷺ في غزواته، فتداوي الجرحى، وتسقي العطاش، وربما جَاوَزَتْ ذلك، فانغمرت في الجيش غازية، ولها في الحرب حديثٌ عجب!

شهدت حَيِّناً مع رسول الله ﷺ، ومعها خنجرٌ، قد حزمته على وَسَطِهَا، وإنها يومئذٍ حاملٌ بعبد الله بن أبي طلحة - الذي أَلَمْنَا بطرفٍ من أمره في الجزء الماضي - فقال أبو طلحة: يا رسول الله، إنَّ أمَّ سليمٍ معها خنجر! فقالت: يا رسول الله، أَتَّخِذُهُ؛ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بطنه، فتبسَّم صلوات الله عليه، وقال: يا أمَّ سليم، إِنْ اللهُ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنُ<sup>(١)</sup>.

## خادمٌ يفخر بخدمته

وأما أنسٌ، فقد سبقت له السَّعادة بخدمة النَّبِيِّ ﷺ، وكان يفخر بهذه الخدمة، وحقُّ له. كَنَاهُ صلوات الله عليه أبا حمزة ببقلة كان يَجْتَنِيهَا<sup>(٢)</sup>، ومازحه بقوله له: «يا ذا الأذنين»<sup>(٣)</sup>، وهي مَزْحَةٌ جمعت بين الحقِّ والحكمة والطرافة، وفيها إشارةٌ لطيفةٌ إلى ما ينبغي أن يتحلَّى به الإنسان عامة، والخادم المَهْدَبُ خاصةً، وهو أن يكون ما يسمع - وقد خَلَقَ اللهُ له أذنين - ضِعْفَ ما يتكلَّم، وقد خلق له لساناً واحداً.

(١) أخرجه مسلم (١٨٠٩) في الجهاد والسير.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٩١٨)، والطبراني (٦٥٦) وفي سننه جابر الجعفي، وهو

ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» ٣: ١١٧ (١٢١٦٤) (١٢٢٨٥) (١٣٥٤٤) (١٣٧٣٨)،

وأبو داود (٥٠٠٢)، والترمذي في «السنن» (١٩٩٣)، وفي «الشماثل» (٢٣٥)، قال

الترمذي: حديث حسن صحيح غريب. والحديث وَرَدَّ بطرق عدة ارتقى بها إلى درجة الحسن

كما في التعليق على «المسند» ١٩: ٢٠٧.

## دعوة نبوية

تنبهت أمه إلى شرف هذه الخدمة، فما إن قدم رسول الله ﷺ المدينة، حتى قدمته له - وهو غلام لم يتجاوز العاشرة - وقالت: خويدمك أنس، فقبله وسر به. ودخل على أمه ذات يوم، فأنته بتمرٍ وسمنٍ، فقال: «أعيدوا سمنكم في سقائكم، وتمركم في وعائكم، فإني صائم»، ثم قام في ناحية البيت، فصلى بنا غير المكتوبة، فدعا لأم سليم وأهل بيتها، فقالت: يا رسول الله، إن لي خويجة، قال: «ما هي؟» قالت: خادمك أنس، فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا به، ثم قال: «اللهم ارزقه مالاً وولداً، وبارك له فيه».

قال أنس: فإني لمن أكثر الأنصار مالاً، وحدثني ابنتي أمينة: أنه دفن ليصلي - إلى مقدم الحجج البصرة - تسعة وعشرون ومائة<sup>(١)</sup>. وكانت أرضه تُثمر في السنة مرتين. واتفق العلماء على أنه تجاوز المائة.

## كياسة صبي وأمانته

ومن مفاخر كياسته وأمانته - وهو صبي لم يبلغ الحلم - ما رواه مسلم عن ثابت عنه، قال: أتى علي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا، فبعثني في حاجته، فأبطأت على أمي، فلما جئت، قالت: ما حبسك؟ فقلت: بعثني رسول الله لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تُخبرن بسر رسول الله ﷺ أحداً. قال أنس: والله لو حدثت به أحداً لحدثتك به يا ثابت<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (١٩٨٢) في الصوم: باب من زار قوماً فلم يفطر عندهم.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٨٢)، وقد شرحه المؤلف في فضيلة كتمان السر ص ٥٠٢.

وَحَسْبُكَ أَنَّهُ خَدَمَ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لَهُ: أَفَ قَطُّ، وَلَا لَشَيْءٍ صَنَعَهُ لِمَ صَنَعْتَهُ؟ وَلَا لَشَيْءٍ تَرَكَهُ لِمَ تَرَكَتَهُ؟<sup>(١)</sup>.

هذه ترجمة كاملة مُجملة لبيت خادم النبي ﷺ، فهل رأيتَ أو سمعتَ أعجب من هذا البيت؟! وهل أيقنتَ أنه خَلِيقٌ بأن يُكرمه النبي ﷺ بمزيدٍ من زيارته ومخالطته والاستراحة إليه، والسؤال عن خادمه وأهل خادمه، والصلاة في بيتهم والدعاء لهم، كما يُصلي في بيته ويدعو لأهله على سواء؟!!

سببان آخران لاختصاص هذا البيت بزيارته ﷺ

وتمت سببان آخران لاختصاص هذا البيت الكريم، بمزيد من الزيارة والتكريم:

أحدهما: ما قاله جمعٌ من الأئمة - وفي طليعتهم الإمام النووي - رحمهم الله، قالوا: إنَّ أمَّ سليم وأختها أم حرام - وكانتا في دارٍ واحدة - كانتا خالَتَيْنِ مِنَ الرَّضَاعِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، والخالة بمنزلة الأم، فكان يرى في كلِّ منهما أمًّا حنوناً ذات شرف وسنٍّ، يتحدثُ إليها وَيَسْتَرُوحُ بالجلوس عندها.

وثبت في الصحيحين: أنه كان يدخل على أم حرام فيطعم عندها، ويَقِيلُ في بيتها<sup>(٢)</sup>؛ وما ذلك إلا لأنها وأختها - كلتيهما - محرم منه.

نعم هو معصوم مُنزَهٌ صلوات الله وسلامه عليه، ولكنَّ الأمر ليس أمر عَصْمَةٍ فحسب، بل هو - إلى العصمة - أمرٌ تربية وتهذيب، وقد بعثه الله معلماً متمماً لمكارم الأخلاق، وبلغ من حَيْطَتِهِ مع عَصْمَةِ الله له «أَنَّ يَدَهُ لَمْ تَمَسَّ يَدَ»

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٨٢)، (٦٢٨٣).

امرأة قط»، إلا أن تكون زَوْجاً أو محرماً<sup>(١)</sup>.

الثاني: ما رواه البخاري عن أنس في كتاب الجهاد أنه ﷺ لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة - غير بيت أمّ سليم - إلا على أزواجه، فقيل له، فقال: إني أرحمها، قُتل أخوها معي<sup>(٢)</sup>. أي: مع عسكري، أو على إمرتي وطاعتي؛ لأنه لم يصاحبه في هذه السرية وإنما أمره بصحبته. ولعله خصّ أمّ سليم؛ لأنّ وجدّها على أخيها حرام بن ملحان كان أشدّ وأعمق، وإلا فكلتاها أخت له، وكذلك أختها الثالثة: أم عبد الله.

### حرام بن ملحان

وقد استشهد حرام في سرية القراء السبعين، الذين أرسلهم النبي ﷺ في إمارة المنذر بن عمرو إلى أهل نجد في السنة الرابعة، فساروا حتى إذا نزلوا بئر معونة - بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم - بعثوا حراماً إلى عامر بن الطفيل - سيد بني عامر - بكتاب رسول الله ﷺ، فلم ينظر فيه، بل وثب على حرام فقتله، ثم استصرخ عليهم قبائل من بني سليم: - رعلاً وذكوان وعصية -، فغدروا بهم جميعاً إلا واحداً وقع بين القتلى، وآخر كان في سرح القوم.

### شهداء بئر معونة

لما بلغه ﷺ نبؤهم خطب في أصحابه، فقال: «إن إخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم، وإنهم قالوا: ربنا بلغ قومنا، أننا لقينا ربنا، فرضينا عنه ورضي عنا»<sup>(٣)</sup>! وحزن عليهم صلوات الله عليه حزناً شديداً، وأقام يدعو على

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨٨)، ومسلم (١٨٦٦)، وأبو داود (٢٩٤١)، والترمذي (٣٣٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٤٤)، ومسلم (٢٤٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٩٣)، ومسلم (٦٧٧).

٨٣٠

الغادرين بهم شهراً في الصلاة.

فكان صلوات الله عليه يَجْبُرُ كَسْرَ هذا البيت، الذي فَقَدَ ركنًا من أعزِّ أركانه، بزيارته والصَّلَاةِ فيه، تخفيفاً وترويحاً وتَسْرِيَةً، وتعليماً لأُمَّته، وتربيةً وتزكيةً، فقد أرسله ربُّه رحمةً للعالمين، وهدايةً للمُعَلِّمين، وأُسُوَّةً حَسَنَةً لِمَنْ كان يرجو الله واليوم الآخر، وذكر الله كثيراً.

\* \* \* \* \*

## سَيِّدُ الْأَزْوَاجِ \*

- ١ -

١٠٦- عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرَّتْ عليَّ أحدٌ من نساء النبي ﷺ، ما غرَّتْ عليَّ خديجة، وما رأيتها؛ ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاءً، ثم يبعث بها في صدائق خديجة. فربما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأةٌ إلا خديجة! فيقول : إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد. رواه الشيخان، واللفظ للبخاري<sup>(١)</sup>.

أعرف الناس بالمخدوم والزوج

قلنا في هذا المكان لمناسبة من الخلق النبوي العظيم<sup>(٢)</sup>:

«والخدم والأزواج أعرف الناس بالمخدوم والزوج، ولو كانت واحدة لقلنا: زوجٌ تُحبُّ زوجها وتُثني عليه، ولو كانت اثنتان أو ثلاث أو أربع لافترضنا المحال واقعاً، وقلنا: اتفقن كلهنَّ جمعٌ على هذا الحبِّ والثناء!! فكيف وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى - صلوات الله وسلامه عليه - وفي عصمته الطاهرة تسعٌ كان بينهنَّ من المنافسة والغيرة ما لا يحتمله بشرٌ، إلا أن يكون نبياً أيده بالمعجزات خالق القوى والقُدَر؟!».

\* مجلة الأزهر، العدد الثامن، المجلد السابع والعشرون، سنة (١٣٧٥).

(١) رواه البخاري (٣٨١٦) في مناقب الأنصار واللفظ له، ومسلم (٢٤٣٥) في فضائل الصحابة.

(٢) انظر: مسامرة نبوية ص ٨٢٠.

### أعزُّ البيوت وأكرمها وأسعدها

وإذا لم يتسع المقام هناك للبسط والتفصيل، فإننا نحاول هنا - بعون الله وتوفيقه - أن نُجَلِّيَ - في شيء من البَسْطِ والتفصيل - خُلُقَ النَّبِيِّ ﷺ في بيته، ومع أزواجه أمّهات المؤمنين واحدةً واحدةً؛ ليعلم من لم يكن يعلم أن بيوت النَّبِيِّ ﷺ - على تواضعها وكفّاف عيشها - أعزُّ البيوت وأكرمها، وأسعدها في الآخرة والأولى.

### أساس السعادة الزوجية

وأنَّ السعادة الزوجية ليست في زينة الحياة الدنيا ومتاعها، وإنما هي في كرم المعاملة، وحُسن المعاشرة، ومكارم الأخلاق وطهارتها. ثم ليعلم من لم يكن يعلم أنَّ سيّد الأزواج جميعاً، والمثل الأعلى في الوفاء للناس عامة، ولأزواجه خاصة، هو مَنْ بَعَثَهُ اللهُ لِيَتِمَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ.

### سيّد الأزواج وأوفاهم

هو سيّدُ الأزواج وأوفاهم بلا ريب، سواءً منهم من اقتصر على واحدة، ومن زاد عليها في حياتها أو بعد مماتها. وهو مصداق قوله صلوات الله عليه وسلامه: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم»<sup>(١)</sup>.

وقوله ﷺ: «خياركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي»<sup>(٢)</sup>. رواهما الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنهما وصحّحهما.

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٩٢). والحديث أورده عن عائشة فقط. ولفظه: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، وإذا مات صاحبكم فدعوه». ومعنى قوله «فدعوه»: أي: اتركوا ذكر مساوئه.



### أساس معاملته ﷺ

ومردُّ هذا المثل الأعلى في الوفاء والفضل إلى أنَّ معاملته ﷺ - للناس عامَّةً، ولأزواجه خاصَّةً - لم يَبْنِها قط، وما ينبغي له أن يَبْنِها، على أساس المنفعة العاجلة، أو المتعة الزائلة؛ فإنَّ هذه معاملة التجرار، لا معاملة الأبرار، فضلاً عن معاملة المُصْطَفَيْنِ الأخيار. وإنما أساسها الفضيلة في أوج رفعتها، والمكارم في ذرْوَة سنامها.

### سَيِّدَة الزوجات

وإذا كان صلوات الله وسلامه عليه هو السَيِّدَ الأول للأزواج جميعاً؛ فإنَّ كلَّ زوج معه - منفردة به، أو ذات صرَّة أو ضرائر - سيدة للزوجات كلهنَّ جمع، على ما يعترها من غيرة تزلُّ الحليم الرشيد أحياناً، حاشاه صلوات الله عليه وسلامه.

على أن كلَّ واحدة منهنَّ، قد استمدت هذه السيادة الزوجية، أو جانباً منها، من معدن المكارم، ويُنْبوع الفضل والفضيلة، صلوات الله عليه، وعلى سائر النبيين إخوانه.

### أحد عشر كوكباً

لقد بنى الله بمحمد ﷺ وأهله للعالمين أحد عشر بيتاً، هي في حقيقة الأمر - لا مجازه - أحد عشر كوكباً، تختلف عن كواكب السماء الدنيا: بأنها لا تأفل أبداً، وبأنَّ ليلها كنهارها، تهدي السائرين على ضيائها في الدُّجَّةِ<sup>(١)</sup> الحالكة، كما تهديهم في الشَّمْسِ المُشْرِقة على سواء.

وإذا كان من حقِّ الإنسانية على النَّاسِ كافَّةً أن يستضيئوا بكواكبها، فأحقُّ هذا الحقُّ وأوجبهُ، على أقرب الأقربين إليها، وهم خير أمة أُخرجت للناس،

(١) أي: الظلمة.

ولاسيما المعنيين منهم بالشؤون الاجتماعية، والحياة الزوجية في هذه الأيام. إنهم إن استضاءوا بها، فسوف يُحَقِّقُونَ من غُلُواتهم في تعدُّد الأزواج وتقييد الطلاق، وسيعلمون حقَّ العلم أنَّ الشَّانَ إنما هو شأنُ التربية المنزلية، والحياة الزوجية، في حدود ما أنزل الله، من إمساكٍ بمعروف، أو تسريح بإحسان، ومن الزواج بواحدة أو أكثر من واحدة، ما قامت الحياة على أساس العدل ومكارم الأخلاق.

### بيت النبوة الأول

والآن فلنبداً بالبيت الأول: بيت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها؛ لأنه أعرق البيوت فضلاً ونُبلاً، وأسبقها تاريخاً وزمناً؛ ولأنه الذي قدَّمه الله لنبيه وأدَّخره له، ليُواجه به أحرَجَ الأوقات، وأشدَّ الأزمات!!.

### خديجة رضي الله عنها

كانت تُدعى في الجاهلية الطاهرة، كما كان النبي ﷺ يُدعى الأمين، اختصَّ كلُّ منهما بلقبه لبلوغه الغاية فيه. وكانت إلى مكارمها النادرة، ونفسها الطاهرة، ذات مَجْدٍ تليد، وثراءٍ عريض، وعقلٍ راجح، وفهمٍ راسخ، وبصيرٍ بالأمر عَجَب.

وحَسْبُكَ أَنَّ السَّادَةَ من العرب، كانوا يزدادون شرفاً بالزواج منها أو الانتماء لها. حتى حَظِيَ بهذا الشرف اثنان: أبو هالة النَّبَّاش من سادة بني تميم، وعتيق بن عائذ القرشي من سادة بني مخزوم، وقد ماتا عنها كلاهما، أحدهما بعد سابقه، من بعد أن أعقب الأول منها هنداً وهالة، وهما رجلان صحابيَّان. وأعقب الثاني منها هنداً، وهي صحابية.

### أكرم زوج وأعظم أم

ثم زهداها الله في الرجال على شدة رغبتهم فيها، حتى إذا بلغت أشدها واستوت، وبلغت أربعين سنة، فأضحَت أكرم زوج في الوجود، وأعظم أم في

٨٣٥

الخليقة، وأعقل وزير وأخلصه في التصح والصحة. رغبت هي في أن تكون زوجاً لسيد الأزواج، بل لسيد العالمين جميعاً.

هكذا تفرست، وهكذا صدق الله فراستها، فأعدّها لأمرٍ عظيم، لم تك تصلح إلا له، ولم يك يصلح إلا لها.

مثلٌ من المكارم العليا

لا نريد أن نتقصّى تاريخ هذا الزواج المثالي مبدأً ونهايةً، فقد كفتنا مثونة هذا التقصّي صحاح السيرة والشمائل.

وحسبها فضلاً ونبلاً أنها كانت أسرع الناس إلى هواه، ولا يهوى إلا الخير خالصاً، وأنها أوّل مَنْ آمن به، واستجاب لدعوته، وأوّل من بشره وثبته في رجفة الوحي، إذ رجع بالآيات الأولى من غار حراء يرجف فؤاده، وتضطرب بواده<sup>(١)</sup>، حتى دخل على الزوج الحنون، والأم الرؤوم، وهو يقول: زمّلوني زمّلوني، لقد خشيتُ على نفسي.

وأخبرها الخبر، وبأله من خبر، فما كان جوابها إلا أن قالت: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق<sup>(٢)</sup>، ثم

(١) البوادر: جمع بادرة وهي اللحمية التي بين المنكب والعنق، تضطرب عند فزع الإنسان.

(٢) الكل: العاجز الذي لا يستقلُّ بأمره. والمعدوم والمُعَدَم: الفقير الذي لا مال له. وكسبه وإكسابه: إعطاؤه والإنفاق عليه. وقرى الضيف: إكرام مثواه. ونوائب الحق: كوارثه ونوازله، ووصفتها بالحق لأنها تكون في غيره.

وصفته بأصول المكارم التي أخذ بمجامعها، وارتقى إلى ذروتها.. وأقسمت مطمئنة بفطرتها وتجربتها، على أن صاحب هذه المكارم لن يضيعه الله أبداً، بل يكرمه بحسن العقبى. (طه).

٨٣٦

انطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، فأكد بشارتها، وصدق فراستها، في حديث الصحيحين، وهو أشهر من أن يُذكر<sup>(١)</sup>.

قضى سيد الأزواج قبل البعثة المحمدية خمسة عشر عاماً، يعدل كل يوم منها دنيا الأمانة والطهارة، والبرّ والوفاء، وما شئت من خلال الفضل والتبّل، وكلُّ منهما لذلك مؤثّل وأهل، ثم قضيًا بعد البعثة عشرة أعوام كاملة، كلَّ يوم منها من أيام الله، فلا يقدر قدرها، ولا يُحصي ثناءها، إلا هو سبحانه، تباركت آلاؤه، وجلت نعمائه.

وهنا نرجو قبول المعذرة، إذ نُمسك بالقلم بعد هذه المقدّمة التي لا بدّ منها بين يدي هذا الحديث الخطير، حديث الغيرة بين أمّهات المؤمنين، وخير نساء العالمين.

وعسى الله أن يأتي بفتح من عنده، وعون على البيان بإذنه، وموعدنا الجزء التالي إن شاء الله.

\*\*\*\*\*

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

## سَيِّدُ الْأَزْوَاجِ \*

- ٢ -

في العام العاشر من بعثة النَّبِيِّ ﷺ، وفي الشهر الذي تُوفي فيه عمُّه أبو طالب، كَبَّتْ خديجة نداءَ رَبِّهَا راضيةً مرضيةً، تاركةً وراءها فراغاً لم يُملاً بعد.  
ذلك بأنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يفقد بموتها شريكةَ حياته الأولى، ورائدةَ بيته المثلى، وأمَّ ولده الفضلى وحسب، ولكنه فقد بموتها أكبرَ عونٍ له - من بعد الله عزَّوجل - على تبليغ الرسالة، واحتمال أعباء الدعوة، كما فقد المؤمنون الأوَّلون بموتها أمًّا لم تلدهم، ولكنها أولى من أمهاتهم اللاتي وكدنَّهم براً، وأقرب لهم نفعاً.

### عام الحزن

لقد حزن النبيُّ ﷺ على وزيره أشدَّ الحزن وأعظمه، حتى سمى سنة وفاتهما عام الحزن! وما بلغ حزنه على موت أولاده معشار ما بلغ عليهما!!  
ولكن ماذا يفيدان من الحزن، وإن كان الحزين إمام الصَّابرين؟!

### أحفظ الناس للصنعة

إذاً فلا بدَّ من مكافأة الجميل بأجمل منه، ومجازاة الصنعة بأحسن منها، ومن أولى بذلك من إمام الشاكرين؟!.

وفي مكافأته وشكره يقول صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه الترمذي: «ما

\* مجلة الأزهر، العدد التاسع، المجلد السابع والعشرون، سنة ١٣٧٥.

٨٣٨

لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه بها<sup>(١)</sup> ما خلا أبا بكر؛ فإن له عندنا يدًا يكافيه الله تعالى بها يوم القيامة<sup>(٢)</sup>.

فأما عمه أبو طالب فقد بذل الجهد في مكافأته وهدايته، جزاء ما قدم له وللإسلام، من أياد جسام، وقد بسطنا القول في ذلك<sup>(٣)</sup>.

وأما أم المؤمنين خديجة رضوان الله عليها، فترجىء القول في مكافأتها إلى بيت النبوة الثالث، بيت الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما.

### أولاد النبي ﷺ

وأولاد النبي ﷺ - في أصح الروايات وأشهرها - سبعة: القاسم، وهو أولهم، وبه يكتى صلوات الله وسلامه عليه، وإبراهيم وهو آخرهم، وعبد الله، ويقال له: الطاهر والطيب؛ وزينب وهي كبرى بناته الأربع، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة.

وكل أولاده من خديجة رضي الله عنها، إلا إبراهيم، فمن مارية القبطية<sup>(٤)</sup> التي أهداها وأختها سيرين فيما أهدى إلى النبي ﷺ، صاحب مصر والإسكندرية، جريح بن مينا الملقب بالمقوقس، أهداهما في السنة السابعة من الهجرة. وقد وهب النبي ﷺ سيرين لحسان بن ثابت رضي الله عنه.

وقد احتسب النبي ﷺ جميع أولاده ما عدا فاطمة الزهراء - أحب أهله إليه

(١) هكذا الرواية بالياء في الماضي، وأما الآتي فروي بالياء كذلك، وروي بالهمز.

(طه).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٦١). وقال: حسن غريب من هذا الوجه.

(٣) في قصة أبي طالب ص ١٦١ - ١٧٠.

(٤) ولد إبراهيم سنة ثمان من الهجرة، وتوفي رضيعاً، ودُفن بالبقيع، وقال النبي ﷺ: «إن له مرضعاً في الجنة». وأما أمه مارية رضي الله عنها، فتوفيت سنة ست عشرة في خلافة عمر رضوان الله عليه، وقد حشر الناس ليشهدوا جنازتها، وصلى عليها، ودفنها بالبقيع. (طه).

- فإنها عاشت بعده ستة أشهر<sup>(١)</sup>.

### سيدة نساء أهل الجنة

وكان النبي ﷺ أخبرها في مرض موته أنها أول أهله لحوقاً به، وبشرها بأنها سيدة نساء أهل الجنة<sup>(٢)</sup> بعد مريم بنت عمران<sup>(٣)</sup>.

وكان إذا أراد سفراً جعلها آخر العهد به، ثم صلى ركعتين، وإذا قدم من سفر جعلها أول العهد به، بعد أن يبدأ بالمسجد، فيصلي ركعتين.

### سبب فضل فاطمة الزهراء على أخواتها

ومن لطائف ما قيل في سبب فضلها على أخواتها، بل على أمها، أنهنّ مُتَنّ في حياتِه صلوات الله عليه، فكُنّ في صحيفته، ومات هو في حياتها، فكان في صحيفتها وميزانها، ولا يقدر مقدار ذلك إلا الله عز وجل.

### القاسم وعبد الله

واحتسبت خديجة ابنيها: القاسم وعبد الله، وقد وُلدا بمكة، القاسم قبل النبوة، وعبد الله بعدها، وماتا رضيعين كإبراهيم.

وتركت رضي الله عنها بناتها الأربع، وقد أكرمهنّ الله بالإسلام والهجرة، وأدخلهنّ في السابقين الأولين. وقد تزوّجن كلهنّ؛ وتوفاهنّ الله في بيوت أزواجهنّ!<sup>(٤)</sup>

(١) وعاشت أربعاً أو خمساً وعشرين سنة.

(٢) رواه البخاري (٣٦٦٣) (٦٢٨٥)، ومسلم (٢٤٥٠) كلاهما عن عائشة مرفوعاً. وهو عند البخاري بلفظ: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة».

(٣) أخرج الحاكم في «مستدرکه» ٣: ١٥٤ عن أبي سعيد عن النبي ﷺ: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، إلا ما كان من مريم بنت عمران» وصحّحه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٤) بينا بعض الحكم في وفاة أولاده قبله ﷺ، فانظرها ص ١٣٧. (طه).

## زينب الكبرى

فتوفيت زينب عند زوجها وابن خالتها أبي العاص بن ربيع<sup>(١)</sup>، وكان النبي ﷺ يذكره، ويثني عليه في مصاهرته، فيحسن الثناء، ويقول: «حدثني فَصَدَّقَنِي، ووعدني فوقاني»<sup>(٢)</sup>.

وقد حفظت له الجميل فافتدته بعقدِها لما أُسر يوم (بدر) قبل إسلامه، في قصة رقيقة معروفة<sup>(٣)</sup>.

وولدت له علياً، وكان رديفَ النبي ﷺ على ناقته يوم الفتح، وقد مات صغيراً، وولدت له أمامة التي حمَلها صلوات الله وسلامه عليه في صلاة الصبح على عاتقه، فكان إذا ركع وَضَعَهَا، وإذا رفع رأسه من السُّجود أعادها<sup>(٤)</sup>.  
وقد تزوجها عليٌّ كرم الله وجهه، بعد خالتها - فاطمة الزهراء - بوصيةٍ منها<sup>(٥)</sup>.

## رُقِيَّةٌ وَأُمُّ كَلْثُومٍ

وكانت رُقِيَّةٌ زوجاً لعُتْبَةَ، وأمُّ كَلْثُومٍ زوجاً لأخيه عُتْبَةَ ابني أبي لهب، عقداً عليهما ولم يدخلها، فلما أنزل الله تعالى سورة أبي لهب، قال لهما أبوهما:

(١) هو ابن أخت أم المؤمنين خديجة، أمه هالة بنت خويلد.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٢٩) (٥٢٣٠)، ومسلم (٢٤٤٩).

(٣) في حديث أخرجه أحمد (٢٦٤٢٥)، وأبو داود (٢٦٩٢)، والحاكم في «المستدرک» (٥٠٨٨) (٥٤٦٠)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه البخاري (٥١٦)، ومسلم (٥٤٣) كلاهما من حديث أبي قتادة الأنصاري.

(٥) تزوج بها عليُّ بن أبي طالب في خلافة عمر، وبقيت عنده مدّة، وجاءته الأولاد منها، وعاشت بعده حتى تزوج بها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلّب الهاشمي، فتوفيت عنده، بعد أن ولدت له يحيى بن المغيرة، ماتت في دولة معاوية بن أبي سفيان، ولم ترو شيئاً. كما في «السير» ١: ٣٣٥.



٨٤١

رأسي من رؤوسكما حرام إن لم تُفارقا ابنتي محمد، ففعلنا، فأبدكهما الله خيراً  
منهما عثمان<sup>(١)</sup>.

فاطمة الزهراء

وَتُوفِيَتْ فاطمة الزهراء عند عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهه، وولدت له حسناً،  
وحُسَيْنًا، ومُحَسَّنًا - وقد مات صغيراً -، وأمَّ كلثوم، وزينب.

الذُّرِّيَّة الطاهرة

وكما قضى الله ألا يكون لخاتم النبيين ولدٌ إلا من خديجة، قضى سبحانه  
ألا يبقى له عَقَبٌ إلا من ابنتها فاطمة، انتشر نَسْلُهُ الشريف منها، من قبل  
السُّبُطَيْن: الحسن والحسن، ليس غير.

تزوج رسولُ الله ﷺ وهو بكرٌ، خديجة رضي الله عنها وهي ثيبٌ، وانتقلت  
إلى جوار ربِّها، وقد بلغت بضعا وستين سنة، وبلغ هو بضعا وخمسين.

الشأن في زواجه ﷺ

ولو كان صلواتُ الله عليه يقصد من زواجه ما يقصده العامة - وحاشاه -  
من متاع الحياة الدنيا، لاختار غير واحدة من الأبكار المعجبات الرائعات حسناً  
وجَمالاً وسناً، في زهرة حياته ونَضْرَة شبابه. وما من بيت من بيوت العرب في  
الجاهلية والإسلام، إلا وهو يُؤثر رغباته، ويتسابق في مرضاته. ونحسب أن  
سوق الأدلة على ذلك، كسوق الأدلة على الشمس، وقد دمغت رأس منكرها  
في وضح النهار.

(١) تزوجت رقية من عثمان، وولدت عبد الله، وبه كان يكنى، وبلغ ست سنين،  
ومات. مرضت قبيل بدر فخلّف النبي ﷺ عليها عثمان، فتوفيت والمسلمون ببدر. فلما  
توفيت تزوج عثمان بأختها أم كلثوم في ربيع الأول سنة ثلاث، فلم تلد له. وتوفيت في  
شعبان سنة تسع كما في «السيرة».

الشأنُ إذاً في زواجه صلوات الله وسلامه عليه، أجلُّ من الدنيا ومتاعها، بل أعظم من النفس وحاجاتها؛ لأنه من الشؤون الإلهية العليا، في سياسة الدعوة المُخلصة، التي تفتنى فيها النفس، فلا تبالي بما تلقى في ذات الله. والشأنُ إذاً للعقل والروح، والفضل والتبيل، وتوثيق العُرا وشد الأواصر، وجمَع القلوب على كلمة الله.

وكذلك كان أساسُ اختياره ﷺ، أو اختيار الله له فيما أمره أو كتَبَ له من الأزواج.

### زوجٌ لا يُعوَّضُ

لم يخطر على باله يوماً أن يتزوَّج على خديجة رضي الله عنها، حتى إذا استجابت لربِّها، أحوج ما يكون صلوات الله وسلامه عليه إلى سكنها وعونها، - فكَرَّ فيمن عسى أن تُخفِّفَ عنه من شدائد الدعوة وأعبائها، وما نحسبه عليه صلوات الله وسلامه فكَرَّ فيمن يُعوَّضُ خديجة، فإنَّ خديجة - كما تدلُّ دلائل أحواله ومقاله - لا عوَّضَ لها.

وإنه ﷺ لكذلك، إذ جاءت خولة بنت حكيم، فقالت له: ألا تتزوَّج؟ قال: من؟ قالت: إن شئتَ بكراً، وإن شئتَ ثيباً، أما البكر فابنةُ أحبِّ الخلق إليك عائشة، وأما الثيب فسودة بنت زمعة، قد آمنتُ بك وأتبعتك. قال: اذهبي فاذكريهما عليّ.

فذهبت إلى سودة فقالت: ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ قالت سودة: وما ذاك؟ قالت: إنَّ رسول الله ﷺ أرسلني إليك لأخطبك عليه، ففرحت سودة بهذه الزيجة الكريمة، وأشارت على خولة أن تستأذن أباها، وكان شيخاً كبيراً، فأذن من فوره.

سودة بنت زمعة

كانت سودة بنت زمعة - وهي قرشيَّة عامرية - تحت ابن عمِّها السكران بن

٨٤٣

عمرو، أسلم معها قديماً، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، فلمَّا قَدِمَا مكة ماتَ زوجها، فكان النبي ﷺ خيرَ عوضٍ لها.

### بيت النبوة الثاني

وبنى النبي ﷺ على سَوْدَةَ قبل أن يبنى بعائشة، فكانت سَوْدَةُ صاحبة بيته الثاني، وكانت تَقِيَّةً سَخِيَّةً مَرِحَةً، تُضْحِكُ الرسول ﷺ بالشيء أحياناً، وَخَشِيَّتْ أن يُطَلِّقَهَا صلوات الله عليه، لِكَبْرِ سَنِّهَا وَبُطْئِهَا، فسألته أن يُمَسِّكَهَا، وأن يجعل يومها لعائشة<sup>(١)</sup>، وأخبرته أنها تريد أن تُحشَرَ في أزواجه، وأنها لا تريد ما تريده النساء، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾<sup>(٢)</sup>.

من بركات سودة رضي الله عنها

لاجرم أن هذا التسامح للضرّة، والتيسير في المعاشرة، إحدى بركات سودة. ومن عظيم بركاتها إيلاف<sup>(٣)</sup> قومها بهذه الزيجة، حتى نالوا شرف الإسلام والصحبة.

\*\*\*\*\*

(١) أخرجه مسلم (١٤٦٣) في الرضاع: باب جواز هبتها نوبتها لضررتها.

(٢) سورة النساء: ١٢٨.

(٣) الإيلاف: مصدر «آلف» يقال لغة: آلف فلان الشيء، أي: آلفه. والإلْفُ: اجتماع

مع التتام. كما في «مفردات الراغب» ص ٨١.

## سَيِّدُ الْأَزْوَاجِ \*

- ٣ -

### البيت الثالث : الصَّديقة بنت الصَّديق

بنى النبي ﷺ بيته الثالث بالصَّديقة بنت الصَّديق عائشة. عَقَدَ عليها بمكة، وبنى عليها بالمدينة في السنة الثانية. وسنور معكم هذا البيت الكريم بعد أن نمرَّ مرَّ الكرام على بيوت أمَّهات المؤمنين.

### البيت الرابع : حفصة بنت عمر

وبنى صلوات الله عليه بيته الرابع بالصَّوَّامة القوَّامة<sup>(١)</sup>: حفصة بنت عمر بن الخطاب<sup>(٢)</sup> - وزيره الثاني - في السنة الثالثة بعد غزوة أحد، وكانت تحت خُنَيْس بن حُذافة القرشي السَّهمي، وهاجرت معه في المهاجرين الأوَّلين، وقد شَهِدَ

\* مجلة الأزهر، العدد العاشر، المجلد السابع والعشرون، سنة (١٣٧٥).

(١) أخرج في «المستدرک» ٤: ١٥ عن قيس بن زيد أن النبي ﷺ طلق حفصة، فدخل عليها خالها قدامة وثمان ابنا مطعون، فبكت.. وجاء النبي ﷺ، فقال: «قال لي جبريل: راجع حفصة، فإنها صوَّامة قوَّامة، وإنها زوجتك في الجنة» ورجاله ثقات غير قيس بن زيد، فإنه تابعيٌ صغيرٌ مجهول. ثم إنَّ في المتن وهماً، فإن عثمان بن مطعون مات قبل أن يتزوَّج النبي ﷺ حفصة، لأنه مات قبل أحد بلا خلاف، وزوَّجُ حفصة قبل النبي ﷺ مات بأحد، فتزوجها النبي ﷺ بعد أحد. كما في التعليق على «السير» ٢: ٢٣١.

(٢) وكان دخول النبي ﷺ بها، ولها نحو من عشرين سنة. وتوفيت سنة إحدى وأربعين

عام الجماعة.

بدرًا، ثم توفي بعدها من جراحات أصابته بها<sup>(١)</sup>.

### مكافآت نبوية

فكافأها النبيُّ الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وأقرَّ عين أبيها بزواجها، وكان قد عرَّضها على صاحبيِّه أبي بكر وعثمان، فاعتذرا اعتذاراً رقيقاً في قصة كريمة من قصص الأكرمين<sup>(٢)</sup>.

### البيت الخامس : زينب بنت خزيمة

وبنى النبيُّ ﷺ بيته الخامس بزينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية، وكانت تُدعى في الجاهلية أمَّ المساكين؛ لكثرة إطعامها إياهم ورأفتها بهم، وزادها الإسلام عطفًا وإحسانًا إليهم.

استشهد زوجها عبد الله بن جحش رضي الله عنه، في غزوة أحد، فكافأها صلوات الله عليه بأن تكون من أمَّهات المؤمنين، وبنى عليها في رمضان من السنة الثالثة، وانتقلت إلى جوار ربِّها بعد بضعة أشهر، ولم يمِث في حياته ﷺ إلا خديجة وأمَّ المساكين، وقد صلَّى عليها رسول الله ﷺ، ودفنها بالبيع.

### البيت السادس : أم سلمة

ثم بنى النبيُّ ﷺ بيته السادس بذات العقل الراجح، والرأي الصائب أم سلمة، هند بنت أبي أمية المخزومية<sup>(٣)</sup>.

(١) بل كانت وفاته رضي الله عنه إثر جراحات أصابته بأحد، وقد شهد بدرًا وأحدًا، وأصابته جراحة يوم أحد فمات منها. كما في «الإصابة» ٢: ٢٩١.

(٢) انظرها في صحيح البخاري (٤٠٠٥) في النكاح، باب عرض الإنسان بنته أو أخته على أهل الخير. وانظر: فضيلة كتمان السرِّ، ص ٥٠٥ - ٥٠٦.

(٣) وكانت آخر من مات من أمَّهات المؤمنين. عُمِّرت حتى بلغها مقتلُ الحسين الشهيد، فوجمت لذلك، وعُشِّي عليها، وحزنت عليه كثيرًا، ولم تلبث بعده إلا يسيرًا، وتوفيت سنة إحدى وستين. وعاشت نحو من تسعين سنة. كما في «السير».

كان أبوها من أجواد العرب المشهورين<sup>(١)</sup>، وكان زوجها وابن عمها عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، وهو من السابقين الأولين، وهو ابن عمّة رسول الله ﷺ، وأخوه من الرضاعة، وكانت تحبه وتجلّه، حتى إنّ أبا بكر وعمر خطّباها بعد وفاته من جرح أصابه في غزوة أحد فلم تقبل. فلم يكن خَلْفٌ لزوجها، ولا كافل لأيتامها، خيراً منه ﷺ.

### موقف رائع لأمّ سلمة

وحسبها، بل حسب الأمة منها موقفها الرائع في صلح الحديبية، حين كاد المسلمون يهلكون، إذ تباطؤوا في التحلّل من عمرتهم كما أمرهم ﷺ، فأشارت بأن يبدأ صلوات الله عليه بالحلّق، ففعل، وامتلأوا<sup>(٢)</sup>، وكشف الله بها الكربة التي ليس وراءها كربة !!

### البيت السابع: زينب بنت جحش

ثم بنى صلواتُ الله عليه بيته السابع بابنة عمّته أميمة: زينب بنت جحش، وهو بناءٌ إلهيٌّ بأمر الله عزّ وجلّ، لم يكن لنبئه بهذا البناء من حاجة، إلا أنه سبحانه أراد أن يُبطل ضلالة التّبنيّ في الجاهلية، وتسويتهم المتّبنيّ الدّعيّ بالابن الحقيقيّ في الميراث، وتحريم زوجه على المتّبنيّ.

وكانت زينب زوجاً لزيد بن حارثة حبّ النبيّ ﷺ، ومنّ أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعم عليه نبيّه بالإعتاق والتّبنيّ والتزويج بابنة عمّته.

فلما قضى زيدٌ منها وطراً - لحكمةٍ بالغة - بمحض رغبته، زوجها الله رسوله:

(١) لقبه: زاد الراكب، أبو أمية بن المغيرة.

(٢) حديث مشورة أم سلمة على رسول الله ﷺ في الحلّق والتّحر، أخرجه البخاري

(٢٧٣١) (٢٧٣٢) في كتاب الشروط.

﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾<sup>(١)</sup>.

لاجرم أنها زيجة إلهية، وآية من آيات النبوة، تُحرس الزنادقة والمتكولين، ومن لف لفهم من أعداء النبي الكريم ﷺ. ولقد حق لزيب أن تُباهي أمهات المؤمنين بأنهن قد زوجهن أولياؤهن، وأما هي، فقد زوجها الله من فوق السموات السبع<sup>(٢)</sup>.

كانت رضوان الله عليها أطول أمهات المؤمنين يداً<sup>(٣)</sup> بالبذل والإحسان والصدقة وصله الرحم، وكانت صنّاع اليدين: تدبغ وتخرز، وتتصدق في سبيل الله. وكانت أسرع أمهات المؤمنين لحاقاً بالنبي ﷺ<sup>(٤)</sup>.

البيت الثامن: جويرية بنت الحارث

وبنى صلوات الله عليه بيته الثامن بيرة<sup>(٥)</sup> بنت الحارث، سيد بني المصطلق. وكان أبوها وقومه قد جمعوا الجموع لقتاله ﷺ في «المريسيع» ماء

(١) سورة الأحزاب: ٣٧.

(٢) أخرج البخاري (٧٤٢٠) في التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ من حديث أنس: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات. وفي رواية للبخاري (٧٤٢١) من حديث أنس قال: نزلت آية الحجاب في زينب بنت جحش، وأطعم عليها يومئذ خبزاً ولحمًا، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ، وكانت تقول: إن الله أنكحني من السماء.

(٣) روى مسلم (٢٤٥٢) في فضائل الصحابة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً» قالت: فكُنَّ يتناولن أيتهن أطول يداً، قالت: فكانت أطولنا يداً زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق.

(٤) توفيت سنة عشرين وصلى عليها عمر.

(٥) كان اسمها: برة، فحوك رسول الله ﷺ اسمها إلى جويرية، كما في صحيح مسلم (٢١٤٠).

لخزاعة، فأحاط بهم المسلمون، وأخذوهم أسرى بعد قتل عشرة، منهم: مسافع بن صفوان زوج برة، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تشكو إيسارها، وترجو رحمة الله على يده، وهو صلوات الله عليه أكرم الأكرمين لعزیز قوم ذل، فلم يكذب يسمع شكاتها حتى اصطفأها لنفسه، ثم أعتقها وألحقها بأُمَّهات المؤمنين وسماها جويرية.

### بركتها على قومها

وما أن تسامع الناس بهذه المكرمة النبوية حتى أعتقوا ما بأيديهم من الأسرى، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ!! ثم أسلم بنو المصطلق وسيدهم من بعد أن أسلم العتقى جميعاً، وكانوا مائة أهل بيت أو يزيدون!

فهل عُرف في تاريخ الدنيا امرأة أعظم بركة على قومها من جويرية؟! وهل عُرف في تاريخ الدنيا أعظم أو أكرم من هذه الصنعة النبوية؟! أوليست آية أخرى من آيات النبوة؟!.

### البيت التاسع : رَملة بنت أبي سفيان

ثم بنى ﷺ بيته التاسع بأُم حبيبة رَملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب، وكان هو وزوجه هند من ألد أعدائه ﷺ.

### إصهارُ نبويٍّ إلى أشدِّ الناس عداوة

أسلمت رَملة قديماً بمكة، وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة الهجرة الثانية، فتنصّر زوجها بالحبشة ومات بها، وثبتت هي على إسلامها، فرق النبي ﷺ لكربتها، وكافأها على ثباتها في غربتها، وأرسل إلي النجاشي ليخطبها عليه، فأصدقها عنه أربعمئة دينار مع نفائس من الهدايا. ولما عادت إلى المدينة بنى عليها.

وقد قصّد صلوات الله عليه - فوق صنيعه هذا - إلى تأليف أبويها وقومها بني عبد شمس: أعداء قومه بني هاشم. وقد وقع هذا الزواج من أبيها موقع الغبطة والرّضا.



٨٤٩

## البيت العاشر : صفيّة بنت حَيّ

أما بيته العاشر، فقد بناه بسيدة بني قُرَيْظَةَ والنَّضِير<sup>(١)</sup> جميعاً: صفيّة بنت حَيّ بن أخطب.

كانت زوجاً لسلام بن مشكم القُرَظِي، ثم لكنانة ابن أبي الحقيق، فقتل عنها، وهو عروس بخبير، فحماها صلوات الله وسلامه عليه من الذلّ بعد العز، ومن الرقّ بعد السيادة.

اصْطَفَاها لنفسه، ثم أعتقها وتزوَّجها، وجعل عتقها صدقاً لها، ووصل بهذا الصنيع العريق في المكارم رَحِمًا وصهرًا، إلى بني إسرائيل عامّة<sup>(٢)</sup>، وإلى إخوانه النبيين منهم خاصّة، ولكن سفاكي الدماء، وقتلة الأنبياء، وموقدي نار الحرب والبغضاء، يَجْحَدُونَ الإحسان، ويقابلون النعم بالكفران!.

## البيت الحادي عشر : مَيْمُونَة بنت الحارث

ثم بنى بيته الحادي عشر - وهو آخر بيوت النبوة - مَيْمُونَة بنت الحارث الهلالية<sup>(١)</sup>، كانت في الجاهلية زوجاً لمسعود بن عمرو الثقفي، ففارقها، وخلفه عليها أبو رهم ابن عبد العزّي، فتوفّي عنها. فجعلت أمرها إلى أختها أمّ الفضل وزوجها العباس عمّ النبي ﷺ، فرغبه فيها العباس، ليربط بين العباسيين وخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه، بأقوم رباط، وأحكمه نسباً وصهرًا.

(١) لأن أمها كانت بنت سيد قريظة، وأباها سيد بني النضير. (طه).

(٢) وقد وصل في هذا العام أقباط مصر بمارية التي أهداها إليه المقوقس (طه) انظر حديث: الجوار في الإسلام: «إنكم ستفتحون مصر، ..» ص ٥٩٥.

(١) وهي أخت أمّ الفضل زوجة العباس، وخالة خالد بن الوليد، وخالة ابن عباس.

## زيارة كريمة عاجلة

هذه زيارة كريمة عاجلة لبيوت أمهات المؤمنين، قَبَسْنَا مِمَّا فِيهَا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ؛ لِنَعُودَ - كَمَا وَعَدْنَا - إِلَى بَيْتِ الصُّدَيْقَةِ بِنْتِ الصُّدَيْقِ، فَنَقْبَسَ مِنْهُ قَبْسَةً أُخْرَى.

ولسنا نطمع، ولن نطمع أن نذكر كثيراً ولا قليلاً من فضائل هذا البيت الكريم وشمائله، فذلك ما لا سبيل إليه في مجلدات، فضلاً عن صفحات، وإنما هي لمحة خفيفة وقور، من بناء الله ونبيه ﷺ لهذا البيت، ولمحة أخرى مما كان بين الطاهرة والمبرأة!

## روابط الإلفة والمودة

أما البيت وبنائوه، فقد علم الناس جميعاً أن الإصهار من أحكم الأسس في روابط الألفة والمودة، إن لم يكن أقوم أساس وأشدّه، وقد علم الناس جميعاً - حتى المكابرون منهم - أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أبلوا أعظم البلاء في الإسلام دعوةً وحمايةً، على اختلاف درجاتهم عند الله عزوجل.

وإذا لم يكن من المستطاع أن يُصاهرهم جميعاً - عليه صلوات الله وسلامه - على حدة، فإن من المستطاع أن يُصهرَ إلى كثيرٍ من كبرائهم والسابقين منهم، فيسرى شرفُ هذه المُصَاهرة إلى الشعوب والقبائل، كما سرى شرف الحجر الأسود إليهم، حينما وضعه في رِدَائِهِ، وأمرهم أن يأخذوا بأطرافه.

هكذا فعل صلوات الله عليه كلما صاهر. ولم يكن به إلى تعديد النساء من حاجةٍ إلا إرضاءً لربِّه، وَصِلَةَ لِرَحْمِهِ، ونشراً لدعوته.

وأحقُّ مَنْ وَصِلَ بهذه المُصَاهرات الكريمة، خلفاؤه الراشدون، أسبق الناس إسلاماً، وأعظمهم بعد الأنبياء مقاماً، وأرسخهم في دعوة الحق إقداماً.

## وشائج من الجمال والتبيل

وقد أكمل الله إصهاره إلى أبي بكر، بوشائج من الجمال والجلال، والعلم

٨٥١

والفضل، والذكاء والتُّبَل، وما شئتَ من خلال الخير والبرِّ، في خير عقيلة بكرٍ.  
وكأنَّ الله صَنَعَ الصَّدِيقَةَ على عينه، لِيُسِرَّ بها نبيَّه ﷺ، ويقرَّ بهذا السرور  
عين أبي بكرٍ.

وكانت رضوان الله عليها - إلى ما خصَّها الله به - بعيدة الهمة، طمَّاحة إلى  
ذِرْوَةِ المجد، لم يكفها أن حَطَّبتْ بأسمى مكانة بين صواحبها لدى النبيِّ ﷺ،  
حتى رغبت أن تحتلَّ من قلبه المكان الأوَّل، مكان الصَّدِيقَةَ الأوَّلَى، والحبِيبَةَ  
الفضلى، التي لا يفتأ يذكرها ويُبشِّرُها، ويكرم من أجلها خلائِلها، ويثني عليها  
ثناءً كريماً يُسابق الدهر.

#### محاط الثناء وخالد الذكر

وعبثاً حاولت الصَّدِيقَةَ بحُسن الدَلِّ، ولطفُ الحِجَل، وفنون الذكاء والتُّبَل،  
أن تقنع سيِّد الأوفياء، وأكرم النبلاء، بأنَّ الله أبدله خيراً من خديجة.  
فلتلق السَّلَمَ إذا، ولا تجادل في الحقِّ بعد ما تبين، ولتعلم أنَّ المجادلة  
والمنافسة، والغيرة - من أعقل العقائل، وفُضلى الفواضل، ومن لها قدمُ  
الصَّدق، وفُضْل السَّبْق - لا تزيد صاحبها التي لم ترها، إلا صِدْقاً من عاطر  
الثناء، وخالد الذكر.

#### إنصاف عجيب نادر

رضي الله عن الصَّدِيقَةَ بنت الصَّدِيق، لم تمنعها غيرُتها من صواحبها، ولا  
منافستها لهنَّ، أن تذكر فضائلهنَّ، وتروي عن النبيِّ ﷺ ثناءه عليهن، وذلك  
من الإنصاف العجيب النادر الذي لا يُعرف إلا في مضارب البيت العريق،  
ومعادن الكرم العتيق.

\*\*\*\*\*



## الفصل التاسع

### الفضائل والمناقب

- ١ - خير القرون (١ - ٢).
- ٢ - مثل من اختلاف الصحابة.
- ٣ - خصومة الأكابر (١ - ٢).
- ٤ - الإصلاح بين الأكابر.
- ٥ - حقوق الأكفاء.



## خير القرون \*

- ١ -

١٠٧ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خيرُ الناس قرني، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ يجيءُ أقوامٌ تسبقُ شهادةَ أحدهم يمينه، ويمينه شهادةً»<sup>(١)</sup>.

١٠٨ - وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ أمتي قرني، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم - قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة - ثمَّ إنَّ بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يقون، ويظهرُ فيهم السُّمن». رواهما الشيخان<sup>(٢)</sup>.

### المفردات

الناس: المراد بالناس في الحديث الأول: أمته ﷺ، كما بينه الحديث الآخر، وإلا فخيرُ الناس عامَّة هم الأنبياء على اختلاف درجاتهم، صلوات الله وسلامه عليهم.

والقرن: أهل كلِّ زمان؛ سُموا بذلك لاجتماعهم مُقترنين في عصر واحد.

\* مجلة الأزهر، العدد الأول، المجلد السابع عشر (١٣٦٥).

(١) البخاري (٢٦٥٢) في الشهادات، ومسلم (٢٥٣٣) في فضائل الصحابة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، في الشهادات، ومسلم (٢٥٣٥) في فضائل الصحابة.

واختلف أهل اللغة في تحديده، فمنهم من حدّه بأربعين سنة، ومنهم من حدّه بسبعين، ومنهم من حدّه بمئة وهو المشهور، ومنهم من زاد أو نقص. والحقُّ أنّ مدّة القرن تختلف باختلاف الأعمار لأهل كل زمان. والمراد بقرنه ﷺ: صحابته، وهم كلُّ مَنْ صَحِبَهُ أو رآه - ولو ساعة - زمن نبوّته، مؤمناً به، ومات على ذلك. والذين يلونهم هم التابعون. والذين يلونهم هم تابع التابعين، رضي الله عنهم أجمعين.

والنذر: ما أوجبَّ العبدُ على نفسه تطوعاً من عبادةٍ أو صدقة، وفعله من بابي ضربٍ ونصر، وبهما روي الحديث. ووفى بنذره في وفاء، وأوفى به يوفى إيفاءً: أدّاه، وباللغتين كذلك جاء الحديث.

\*\*\*\*\*

### فَضْلُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

في مطلع كلِّ عام هجري، يذكر المسلمون أصحابَ رسول الله ﷺ، وكيف أودوا في سبيل الله، وأخرجوا من ديارهم بغير حق، إلا أن يقولوا ربُّنا الله. ثم صبَّ عليهم العذابُ من كلِّ صوب، واصطَلح عليهم البلاءُ من كلِّ أوب. فلم يزدْهم ذلك إلا إيماناً بدينهم، وتصديقاً لنبيهم، وبدلاً للمُهْجِجِ والأرواح؛ ابتغاءَ مَرْضَاةِ رَبِّهِمْ. للمهاجرين منهم فَضْلُ الْفِدَاءِ وَالْهَجْرَةِ، وللأنصار منهم فَضْلُ الْإِيوَاءِ وَالنُّصْرَةِ. وبهم جميعاً أعزَّ اللهُ الإسلامَ والمسلمين، وأعلى كلمته إلى يوم الدين، وضرب المثل سياراً في العالمين، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾<sup>(١)</sup>.

(١) اقتباس من الآية ٢٨ من سورة الفتح، وفي كلام المؤلف تلميح إلى سورة الفتح،



### التحذير من بغض الصحابة وسبهم

وإذا كانوا أعلى الناس بعد النبيين منزلةً، وأرفعهم مكانةً، بشهادة الله ورسوله، فلا عَجَبَ أن يعلن سيد الأوفياء ﷺ بفضلهم، ويحض على الاقتداء بهم، ويحذر من مقتهم وسبهم، ويقول فيما رواه الترمذي: «الله!! الله!! في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً<sup>(١)</sup> بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه»<sup>(٢)</sup>.

ويقول فيما رواه الشيخان: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه»<sup>(٣)</sup>.

ولعل في هذا مُزْجراً لقوم يتناولون بعض الصحابة بالذم والتجريح، فيتعدون حدَّ الأدب، ويتناسون أنهم يؤذون الله ورسوله!

### من حقوق الصحابة رضي الله عنهم

لا نقول بعصمة الصحابة رضوان الله عليهم، فتلك منزلة الأنبياء لا يبلغها غيرهم، ولكننا نقول: إنَّ لهم علينا حقوقاً ودمماً هي - ولا مرأى - من حقوق النبي ﷺ على سائر أمته.

ومنها: أن تقبل من مُحْسِنِهِمْ، وتتجاوز عن مُسِيئِهِمْ، فإن لم نتدارس الحسنات، فلا أقل من أن نتغاضى عن الهفوات؛ فإنها ليست شيئاً مذكوراً بجانب ما قدموا لله ورسوله. فإن لم يكن بُدٌّ من ذكر حقائق التاريخ، واستنباط

وما فيها من ثناء الله عليهم، وضره المثل بهم.

(١) الغرض: الهدف، أي: لا تجعلوهم هدفاً ترمونهم بأقوالكم.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٦١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) والمد: مكيال وهو رطلان، أو ملء

الكفين الواسطين، والنصف مثلثة، والنصيف: أحد شقي الشيء. اهـ. قاموس.

عَبْرَهُ وَعِظَاتِهِ، فَلْتَكُنْ مَقْرُونَةً بِأَدَبِ الْإِعْتِذَارِ، مَعَ الْإِجْلَالِ وَالْإِكْبَارِ، وَذِكْرِ فَضْلِ الصُّحْبَةِ الَّتِي لَا عِدْلَ لَهَا وَلَا كِفَاءَ إِلَّا رِضْوَانُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

### قصة عمر مع حاطب بن أبي بلتعة

ولعلك واجدٌ في قصة عمر وحاطبٍ وأمثالها، ما يشفي صدرك، ويثبت فؤادك، ويطمئنك لما نقول.

بَعَثَ حَاطِبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، يَخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ، فَلَمَّا أَظْهَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَى الْأَمْرِ اعْتَذَرَ بِأَنَّهُ مَا فَعَلَ فَعَلْتَهُ الَّتِي فَعَلَ؛ إِلَّا لِيَصْطَنَعَ إِلَى قَرِيشٍ يَدَأُ يَحْمُونَ بِهَا قِرَابَتَهُ عِنْدَهُمْ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّمَا كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ. فَصَدَّقَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَقَبِلَ عُدْرَهُ، وَلَكِنْ هَمَّ بِهِ الْفَارُوقُ، وَقَالَ كَلِمَتُهُ الْمَأْثُورَةَ: دَعَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ! فَأَجَابَهُ ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ». وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup>. وَالْقِصَّةُ مَبْسُوطَةٌ فِي الصَّحِيحِينَ<sup>(٢)</sup>، وَفِي السِّيَرَةِ وَالتَّفْسِيرِ، فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَإِنَّهَا بَلِيغَةٌ<sup>(٣)</sup>.

### تفاوت الصحابة في المراتب

هذا وليس ثمة خلاف في أنهم رضوان الله عليهم، على منازل مختلفة،

(١) سورة الممتحنة: ١

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٨٣) و(٤٢٧٤) في المغازي، ومسلم (٢٤٩٤) في فضائل الصحابة.

(٣) انظر شرحها في كتاب شيخنا العلامة المحقق الأستاذ محمد عوامة: «من صحاح

الأحاديث القدسية» ص ٢٠٢-٢٠٧.

ومراتب متفاوتة: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وليس ثمة خلاف كذلك، في أن ذوي المكانة فيهم وأصحاب المشاهد منهم، كأهل بدر وأحد والمبايعين تحت الشجرة، ومن بشرهم النبي ﷺ، أو دعا لهم، أو ائتمنهم على كتابة وحي الله، وتبليغ رسالات الله، لا خلاف أن كل واحد من هؤلاء أعلى منزلة وأجل قدراً ممن بعده، كائناً من كان.

قال رجلٌ للمعافى بن عمران: أين عمر بن عبد العزيز من معاوية؟! فغضب غضباً شديداً، وقال: لا يقاس بأصحاب النبي ﷺ أحدٌ؛ معاوية صاحبه، وصهره، وكتبه، وأمينه على وحي الله.

### فضيلة خواص الأمة من أئمة الهدى على عوام الصحابة

وإنما الخلاف في عوام الصحابة، ومن ليس لهم من فضيلة إلا المشاهدة. والذي نختاره أن هؤلاء - مع عظيم فضلهم - لا يستون وخواص الأمة من أعلام الدين، وأئمة الهدى، والقائمين في الناس بالقسط. فإننا لا نستطيع أن نسوي بعمر بن عبد العزيز من لا يملك من فضل السبق إلا صحبة يوم أو بعض يوم. إلى هذا يومى قول ابن عبد البر، مخالفاً الجم الغفير من أهل العلم.

ومن الآثار التي تؤيدنا - فيما ذهبنا إليه - ما رواه الترمذي بسند حسن عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ الْمَطَرِ، لَا يُدْرَى أَوْلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة آل عمران: ١٦٣

(٢) سورة الحديد: ١٠

(٣) رواه أحمد ٣: ١٣٠ (١٢٣٢٧)، و٣: ١٤٣ (١٢٤٦١)، والترمذي (٢٨٦٩) وهو

وما ذنبٌ من تأخر به قرنه، ولعله إن تقدم كان من السابقين الأولين؟  
إنه إن فاته أن يكون في خير القرون، فلن يفوته أن يكون باستباق  
الخيرات، والمسارة في الطاعات: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ  
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>(١)</sup>.

أما بعد، فقد صدق الله نبيه ﷺ، إذ بعثه - كما روى البخاري - في خير  
قرون بني آدم<sup>(٢)</sup>، وحمى صحابته وتابعيهم، والقرن الثالث الذي يليهم، أن  
تفسو فيهم ضلالة، أو تكثر فيهم جهالة، حتى خلف من بعدهم خلفاً أضاعوا  
الصلاة وأتبعوا الشهوات، ممن لا يتسع المجال في هذا الجزء لشرح أوصافهم،  
فلنؤخرهم من حيث أخرهم الله إلى الجزء القابل إن شاء الله، راغبين إليه جلّت  
هباته، أن يلحقنا بالسابقين الأولين، ويجعل لنا منهم موعظةً وذكرى.

\*\*\*\*\*

حديث قوي بطرقه وشواهد. قال الحافظ في «الفتح» ٧: ٦: وهو حديث حسن له طرق قد  
يرقى بها إلى الصحة.

(١) اقتباس من الآية ٦٩ من سورة النساء.

(٢) أخرج البخاري (٣٥٥٧)، وأحمد ٢: ٤١٧ (٩٣٩٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه،  
أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ فِي خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنَا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقُرُونِ الَّتِي  
كُنْتُ فِيهَا».

خير القرون<sup>(١)</sup>

- ٢ -

الْمَمَّنَا فِي الْجَزءِ الْأَوَّلِ بَبْعُضِ فِضَائِلِ الصَّحَابَةِ، وَمَا اِمْتَاَزُوا بِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، مِنْ دَرَجَاتٍ لَا مَطْمَعٌ فِيهَا لِأَحَدٍ بَعْدَهُمْ. وَنَلَمُّ فِي هَذَا الْجَزءِ بَبْعُضِ فِضَائِلِ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ، ثُمَّ نَأْتِي عَلَى أَوْصَافِ الْخُلُوفِ الَّذِينَ أَبْطَأَ بِهِمُ الْعَمَلُ، وَأَسْرَعَ بِهِمُ الْهُوَى، حَتَّى بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ، فَلَمْ يِقَارَبُوا مِنْ سَبْقِهِمْ، وَإِنَّمَا كَانُوا مِثْلًا سَيِّئًا لِمَنْ خَلْفَهُمْ.

## فضائل التابعين

اِقْتَدَى التَّابِعُونَ بِهَدْيِ الصَّحَابَةِ، كَمَا اِقْتَدَى الصَّحَابَةُ بِهَدْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَكَانَ مِنْهُمْ الْهُدَاةُ الرَّاشِدُونَ، وَالْحُكَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ، الَّذِينَ مَلَّؤُوا الدُّنْيَا هِدَايَةً وَنُورًا، حَتَّى سَارَتْ بِذِكْرِهِمُ الرُّكبانُ، وَسُجِّلَتْ مَأْتُرُهُمْ فِي صَفْحَاتِ الزَّمَانِ. وَكَانَ مِنْهُمْ الْقَادَةُ الْمُحْتَكُونَ، وَالْفَاتِحُونَ الْمُظْفَرُونَ، وَالْمُجَاهِدُونَ الْمُخْلِصُونَ، مِمَّنْ أَعَزَّ اللهُ بِهِمُ الْإِسْلَامَ، وَهَدَى بِهِمُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ. وَكَانَ مِنْهُمْ أئِمَّةُ الْوَرَعِ، وَمُلُوكُ التَّقَى، مِمَّنْ ذَلَّتْ لَهُمُ الدُّنْيَا بَعْلُوهُمْ عَلَيْهَا، وَعَزَّتْ بِهِمُ الْآخِرَةُ لِاسْتِبَاقِهِمْ فِيهَا، وَتَزَلَّفَ إِلَيْهِمُ الْخُلَفَاءُ وَالْأَمْرَاءُ لِمَا اسْتَوْلُوا عَلَى عُرُوشِ الْقُلُوبِ، وَهِيَ أَعَزُّ مَرَامًا وَأَجَلُّ مَقَامًا، مِنْ عُرُوشِ الْخِلَافَةِ وَمَقَاعِدِ الْمَلِكِ.

وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ:

(١) مجلة الأزهر، العدد الثاني، المجلد السابع عشر (١٣٦٥).

ولستُ أبالي حين أقتل مسلماً      على أيِّ جنبٍ كان في الله مَصْرَعِي  
وذلك في ذات الإله وإن يَشَأْ      يُبارك على أوْصالِ شِلْوٍ مَمْنَعٍ<sup>(١)</sup>

### ظهور البدع والضلالات

ثمَّ استار أتباع التابعين بسيرة مَنْ قبلهم، في العلم والعمل، والورع والتقى، والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، إلى أن ظهرت في حدود العشرين ومئتين بعد انقضاء القرن الثالث، ضروبٌ من البدع والضلالات لم تكن من قبل<sup>(٢)</sup>، فأطلقت المعتزلة ألسنتهم، ورفعت الفلاسفة رؤوسهم، وامْتَحَنَ العلماءُ والأئمةُ بفتنة خلق القرآن، والخلاف في المُتَشَابِه الذي استأثر الله بعلمه، والجدل في الأغلوطات<sup>(٣)</sup> التي لا يَجْنِي المسلمون من رئاتها إلا بلاءً وشرًّا!

فإذا كانوا في نقصٍ من أمرهم، وضعفٍ من بنائهم، فما فتحوا للعدو من ثغور دَخَلَ عليهم منها، فلم يستطيعوا له منعاً، ولم يملكوا لعدوانه دفاعاً! وإذا كان صلاح آخر هذه الأمة بما صلَحَ به أولُّها، فلا مَنْجاةَ لها من ورطتها إلا برجوعها إلى كتاب ربِّها، واقتدائها بهدي نبيِّها، واستِمْسَاكها بسيرة الراشدين من أسلافها.

(١) الأوصال: جمع وَصَلَ وهو العضو، والشَّلْو: بالكسر الجَسَد، والمَمْنَع: المُفْرَق، والبيتان لخبيب بن عدي رضي الله عنه، قالهما لما أجمع المشركون قتله في غزوة الرجيع بعد أن صلى ركعتين، فكان أول من سنَّ الصلاة عند القتل (طه).

(٢) حَقَّقَ صاحب «الفتح» أن بين البعثة وآخر الصحابة موتاً، وهو أبو الطفيل، مئة سنة ونيف، وأنَّ قرنَ التابعين بين السبعين والثمانين، وقرنَ تابعي التابعين نحو من خمسين، وأنَّ آخر من كان من أتباع التابعين مَمَّنَّ يقبل قوله مَنْ عاش في حدود العشرين بعد المئتين (طه).

(٣) الأغلوطة: ما يغلط به من المسائل.

٨٦٣

ونحن لا نُنكر أن أحداثاً حَدَثت في عهد سلفنا الصالح، قد يكون لها آثارها إلى وقتنا هذا. ولا نستطيع أن نُغالطَ في حقائق التاريخ الناصعة، ولكننا نقول: إنها كانت ضيقةً محدودة، وإنما أبعَدَ شُقَّتْها، وأوسع رقعتها أعداءُ الإسلام، والدُّخلاء فيه، ممَّن يكيدون له كيداً. فكان حقاً محتوماً على الخلف أن يستيقظوا لهذه الأحداث، وينتفعوا بعبورها، فلا يتورطوا في أمثالها، وهم ينقمون من أسلافها، ولا يتشدقوا بزُخرف القول وزُوره، وهم من الخير هواء.

أربعة مآثم

وأوصاف هؤلاء المغرورين كثيرة، جاء منها في حديث عمران رضي الله عنه أربعة تكاد تكون جماع المآثم، وعنوان المخازي في الدنيا والآخرة.

يشهدون ولا يُستشهدون

فهم حُرَّاص على الشَّهادة وترويجها بالحقِّ وبالباطل، لا يعينهم أن الشَّهادة لله بالقسط، ولكن يعينهم اللُّغَط والضجيج، وإشاعة المثالب والعيوب في الناس، مُستعينين على ذلك بأيمانٍ مُخرجة، تقدِّم شهادتهم تارةً، وتعقبها تارةً أخرى. ولو أنَّهم استأنوا حتى يتراضى الخصمان، أو يزول الشَّتان، أو يُطلب إليهم أداء الشَّهادة، فيأتوا بها على وجهها، لكان خيراً لهم وأشدَّ تشبيهاً.

وليس هؤلاء ممَّن عناهم النبي ﷺ حين قال: «ألا أخبركم بخير الشهداء؟ الذي يأتي بالشَّهادة قبل أن يُسألها» رواه مسلم عن زيد بن خالد الجهني (١). فأكبر العلم أنه يريد شهداء الحُسبة، الذين يقيمون الحقوق العامة، أو يقصدون مُخلصين إلى إزالة المنكرات الشائعة، أو يشهدون متبئين في حقِّ جهلته صاحبُه، أو كاد خصمه يغلبه عليه، لأنه ألحن منه بحجته. وأين من يُحبي حقاً ممَّن ينصر باطلاً، ومَن يدرأُ فتنةً ممَّن يضرم ناراً؟.

(١) أخرجه مسلم (١٧١٩).

يخونون ولا يؤتمنون

وهم خَوْنَةٌ مُعْرَقُونَ فِي الْخِيَانَةِ وَتِلْكَ عُمْدَةُ الْمُنَافِقِينَ: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>. وقد فَضَحَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا، فَتَزَعَّ مِنْ الْقُلُوبِ الثِّقَةَ بِهِمْ، وَمِنْ النُّفُوسِ الْأَطْمِئِنَانَ إِلَيْهِمْ، وَكَفَاهُمْ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا خِزْيًا ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ﴾<sup>(٢)</sup>.

ينذرون ولا يفون

ثُمَّ هُمْ غَدْرَةٌ نَاكِثُونَ، يَنْذِرُونَ لِلَّهِ وَلَا يُفُونَ، وَيَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ. وَهَذِهِ وَلِيدَةٌ نِفَاقِهِمْ، وَرَبِيبَةٌ خِيَانَتِهِمْ، وَقَدْ كَانُوا فِي حِلٍّ مِنْ هَذَا النَّذْرِ لَوْ لَمْ يُلْزِمُوهُمُ أَنْفُسَهُمْ، وَيُعَاهِدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ. وَمَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ، فَهُوَ عَلَى النَّاسِ أَكْذَبُ، وَمَنْ غَدَرَ بَعْدَ اللَّهِ، فَهُوَ بَعْدَهُ أَغْدَرُ.

يظهر فيهم السمن

وهم منهومون لا يشبعون، أَهْمَّتَهُمْ بَطُونُهُمْ، فَشَعَلَتْهُمْ عَمَّا خُلِقُوا لَهُ، وَأَلْهَتْهُمْ عَنْ مَطَالِبِ الرُّوحِ، مِنْ مَعَالِي الْخِلَالِ وَجَلَائِلِ الْأَعْمَالِ، إِلَى مَا لَدَّ وَطَابَ، مِنْ أَلْوَانِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَحَتَّى انْتَفَخَتْ أَوْدَاجَهُمْ، وَثَقُلَتْ أَجْسَامُهُمْ، فَلَا تَخْفَ لَخَيْرٍ، وَلَا تَنْشَطُ فِي هَدْيٍ، وَكَيْفَ، وَالْبِطْنَةُ تُذْهَبُ الْفِطْنَةُ، وَ«مَا مَلَأَ ابْنَ آدَمَ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ»<sup>(٣)</sup>!!!

(١) سورة البقرة: ٩.

(٢) اقتباس من الآية ١٦ من سورة فصلت.

(٣) اقتباس من حديث أخرجه الترمذي (٢٣٨١)، وابن ماجه (٣٣٤٩)، وابن حبان (٦٧٤) (٥٢٣٦)، والحاكم (٨٠١٥).

ولفظه عند الترمذي من حديث مقدم بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ: «ماملأ آدمي وعاءاً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث

=



## تَحَرِّي الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي الرِّوَايَةِ

وفي قول عمران رضي الله عنه: «فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة» دليلٌ على تحرِّي الصحابة والتابعين فيما يروون عن النبي ﷺ، وحرصهم على الأمانة والحيطه، حتى ليروون اللفظة بصيغته الشك إن لم يستيقنوها؛ تبرؤاً من شبهة التحريف في كلام من لا ينطق عن الهوى. وقد جاء عن النعمان [بن بشير رضي الله عنهما] عند أحمد<sup>(١)</sup>، وعن عائشة عند مسلم<sup>(٢)</sup>، بغير شك.

أما بعد، فإذا كان لا يأتي يومٌ إلا والذي بعده شرٌّ منه، كما ثبت في الصحيح<sup>(٣)</sup>، فماذا ينظر المفرطون في جنب الله، أو القانطون من رحمة الله؟! ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾<sup>(٤)</sup>.

وماذا عليهم لو اهدتوا بهدي نبيهم، وأتبعوا أحسن ما أنزل إليهم من ربهم، وانتظموا في سلك الطائفة التي بشر النبي ﷺ بأنها لا تزال ظاهرة على الحق، ولا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله<sup>(٥)</sup>.

لطعامه، وثلاث لشرابه، وثلاث لنفسه». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١) أخرجه أحمد ٤: ٢٦٧ (١٨٣٤٨)، و ٤: ٢٧٦ (١٨٤٢٨)، (١٨٤٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٣٦).

(٣) رواه البخاري (٧٠٦٨)، والترمذي (٢٢٠٧) كلاهما من حديث الزبير عن أنس بن مالك، ولفظه عند البخاري من حديث الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج، فقال: «اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشرُّ منه، حتى تلقوا ربكم» سمعته من نبيكم ﷺ.

(٤) سورة محمد: ١٨.

(٥) اقتباس من حديث رواه البخاري (٣٦٤٠) ومسلم (١٩٢١)، وانظر شرحه في مجلة الأزهر، المجلد الأول، ص ٢٦٨. وسيصدر بعون الله تعالى في المجموعة القادمة.

وإذا كان التاريخ يعيد نفسه، كما يقول علماء الاجتماع، فلا يضيرهم -  
كما لم يضر مَنْ قبلهم - أن يكونوا في الناس غرباء، ما كانوا لله ولرسوله أولياء،  
«فقد بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء»<sup>(١)</sup>.

\* \* \* \* \*

---

(١) اقتباس من حديث رواه مسلم (١٤٥).

## مثل من اختلاف الصحابة \*

١٠٩ - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْأَحْزَابِ : « لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ » ، فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ نَصَلِّي ، لَمْ يُرَدِّ مَنَّا ذَلِكَ . فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمْ يَعْنَفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ .

رواه الشيخان<sup>(١)</sup>.

### غزوة بني قُرَيْظَةَ

كان بنو قُرَيْظَةَ أَشَدَّ الْيَهُودِ عداوَةً لِلرَّسُولِ ﷺ ، فَلَمَّا رَجَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ - أواخر سنة خمس - أوحى الله إليه أن يقاتلهم تَأْدِيبًا لَهُمْ ؛ إِذْ خَانُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ، وَمَالُؤُوا الْمُشْرِكِينَ حِينَ قَدَمُوا لِقِتَالَ الْمُسْلِمِينَ . فَمَا وَسَعَهُ ، وَقَدْ أُمِرَ بِغَزْوِهِمْ مِنْ فُورِهِ ، إِلَّا أَنْ اسْتَحْثَّ أَصْحَابَهُ ، وَنَادَى فِيهِمْ أَلَّا يَصَلُّوا الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَخَفُّوا سِرَاعًا لِمِثَالِ أَمْرِهِ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنْ جَهْدٍ وَمَشَقَّةٍ ، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُمْ الْعَصْرُ فِي الطَّرِيقِ ، تَخَوَّفَ نَاسٌ مِنْهُمْ فَوَاتَ الْوَقْتُ ، فَصَلُّوا عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ دُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَتَخَوَّفَ نَاسٌ فَوَاتَ الْأَمْرُ ، فَقَالُوا : لَا نُصَلِّي إِلَّا حَيْثُ أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمْ يَصَلُّوا إِلَّا بَعْدَ عِشَاءِ الْآخِرَةِ . فَلَمَّا أَدْرَكَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَكَانَ عَلَى أَثْرِهِمْ - ذَكَرُوا صَنِيعَهُمْ لَهُ ،

\* مجلة الأزهر، العدد السادس، المجلد الخامس عشر، (١٣٦٣).

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦) في صلاة الخوف واللفظ له، ومسلم (١٧٧٠) في الجهاد والسير، وروايته فيها ذكر صلاة الظهر بدلاً من صلاة العصر.

فلم يعب واحداً منهم.

ولا يعيننا هنا أن نفضّل خبر هذه الغزوة وأسبابها ونتائجها؛ فإن ذلك مما تكفّلت به كُتُبُ السيرة والشمائل. وقد كتب فيها مدير هذه المجلة فصلاً ممتعاً، شرح فيه وجهة الإسلام في القسوة، التي لا محيد عنها عند الضرورة القصوى<sup>(١)</sup>.

### الاختلاف البريء المحمود

ولا يعيننا كذلك أن نرجّح جانب الذين أخرّوا الصلاة؛ لأنهم كانوا جدّ حريصين على النص وحرفيّته، فتركوا التأويل، ولم يبالوا خروج الوقت ماداموا سامعين مطيعين لوليّ الأمر وصاحب الشّرع ﷺ، أو أن نرجّح جانب الذين صلّوا؛ لأنهم حازوا قصب السّبْق، وكانوا أسعدَ بالفضيلتين؛ إذ بادروا إلى الصلاة في وقتها، كما بادروا إلى امتثال الأمر بالخروج<sup>(٢)</sup>، وكانوا بتأويلهم أفقّه بدين الله، وأفهمَ لمراد رسول الله ﷺ، وأشدّ محافظة على الصلاة الوسطى - صلاة العصر - تلك التي من فاتته فكأنما وتر أهله وماله<sup>(٣)</sup>.

وسواءً علينا بعد هذا أكانت الصلاة عصراً كما روى البخاري، أم كانت

(١) انظر: مجلة الأزهر، المجلد الثاني عشر، ص ١٣٩ (طه).

(٢) قال الإمام الحجة البصير أبو القاسم السُّهيلي رحمه الله في «الروض الأُنْف» ٣: ٢٨٢ وهو يتكلم عن هذا الحديث: «كلُّ مجتهد وافق اجتهاده وجهاً من التأويل، وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يترفع به عن حضيض التقليد إلى هضبة النظر: فهو مصيب في اجتهاده، مصيبٌ للحكم الذي تعبّد به، وإن تعبّد غيره في تلك النازلة بعينها بخلاف ما تعبّد هو به، فلا بُعدٌ في ذلك، إلا على من لا يعرف الحقائق، أو عدلَ به الهوى عن أوضح الطرائق».

(٣) كما روى الشيخان [البخاري (٥٥٢). مسلم (٦٢٦)] وغيرهما. والوتر: النقص والسلب، فكأنه جعل وترّاً بعد أن كان كثيراً (طه).

ظهراً كما روى مسلم<sup>(١)</sup>.

وإنما الذي نقصد إليه من هذا الحديث وأمثاله، أن نقف وقفة خشوع وإكبارٍ أمام عظمة هذا الدين الحنيف، ورحابة صدره لمثل ذلك الاختلاف البريء المحمود، الناطق بيسره وسماحته، وأنه وحده الدين العام الخالد، الصالح لكل زمانٍ ومكان، إلى أن تُبدَّل الأرض غير الأرض والسموات.

### قانون عام شامل

الله أكبر! يختلف الصحابة رضوان الله عليهم بين يدي رسول الله ﷺ، فيؤيدهم ويؤني عليهم؛ لأنهم إلى الحق يقصدون، وفي سبيل الحق يجتهدون، لا يُفِرُّون ولا يُفِرِّطون<sup>(٢)</sup>.

«من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر»<sup>(٣)</sup>، قانون عامٌ وشامل فيما يقبل الاجتهاد من مسائل الدين، يضعه مَنْ لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه لعلماء أمته المُستنبطين من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. وهو من خصائص هذه الشريعة

(١) وسبيل التوفيق بين الروایتين: أن الأمر كان بعد دخول وقت الظهر، وقد صلاه بعضهم دون بعض، فقبل للذين صلّوه: لا تُصلُّوا العصر إلا في بني قريظة، وللذين لم يصلّوه: لا تصلُّوا الظهر... إلخ، أو قيل للذين ذهبوا أولاً: لا تصلُّوا الظهر، وللذين ذهبوا بعدهم: لا تصلُّوا العصر (طه).

(٢) يُفِرُّون: من فرط في الشيء، أي: قصر فيه وضيعه حتى فات. قال تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام: ٦١]. ويُفِرِّطون: من أفرط، أي: تجاوز الحد.

(٣) اقتباس من حديث رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦)، وأبو داود (٣٥٧٤) من حديث عمرو بن العاص. ورواه الترمذي (١٣٢٦)، والنسائي (٥٣٨١) من حديث أبي هريرة. ولفظه عند البخاري عن عمرو بن العاص، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد، ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد، ثم أخطأ فله أجر».

الغراء التي بُعث بها خاتم الأنبياء.

### سيرة السلف في الاختلاف

على هذا المنهج الواضح المُستبين سار سلفنا الصالح رضي الله عنهم، لا يُحجّرون من رحمة الله واسعاً، ولا يحدون عن الحق تنطعاً، ولا يحملون الناس على مسلك واحد إذا كانت لهم مندوحة عنه، في نص صريح، أو فهم صحيح، أوتيَهُ رجلٌ لا يُتهم في دينه، ولا يألُو جهداً في فقهه وتبينه.

ساروا على هذا المنهج حتى خَلَف من بعدهم خَلَفٌ، اتَّخذوا الجدال حِرْفَةً ودليلاً، والتعصّب للرأي والهوى خِطَّةً وسبيلاً! ولا تَسَلْ عما كان من فتن وبلاء، وحروبٍ تسيل فيها الدماء، على قشورٍ من المسائل ليست بذوات بال!

### أثر التعصّب للرأي والهوى

ثمَّ كان من آثار هذا الخلاف البغيض المقيت، أن تقطع المسلمون أحزاباً وشيعاً، دَرَسَتْ بينهم معالمُ السنة، وحمست<sup>(١)</sup> بينهم ملاحم البدعة، حتى صار القُبْح حُسناً، والمنكر عُرفاً. ولولا طائفةٌ لا تزال على الحق ... لكانت الحالقة!

وأثرٌ آخر له خطره ومغبته، وهو: الإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ - ولن يضلّ من تمسك بهما - إلى التمسك بالأراء، والجمود على أقوال المتعصّبين من الفقهاء<sup>(٢)</sup>.

ومن أجل ذلك ينادي بعض أهل العلم في فتراتٍ متقطّعة، بحمل الكافّة

(١) حمس: صلب واشتد.

(٢) إلا إن كانوا من أئمة العلم والهدى، فالتمسك بأرائهم، والتعلق بهم تعلقٌ بالعلم والهدى، لأن آراءهم وأقوالهم مبنية على أدلة الشريعة، وفهمهم للنصوص أولى من فهم الطاعين فيهم.

على مذهبٍ واحدٍ لا مَعْدَى عنه، ولا محيصَ منه؛ لِمَا لِلشَّعْثِ، وخيفة على البقية! <sup>(١)</sup>.

### الخلاف ضروبٌ شتى

ولئن كنا نَعْدُرُ هؤلاء فيما ذهبوا إليه، لِنُنَبِّئَهُمْ أَنَّ الخِلافَ على ضُرُوبٍ شتى.

فما كان في أصول الدين، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فذلك كفرٌ ونكال <sup>(٢)</sup>.

وما كان في قواعده، وأحكامه، ممَّا ظهرت فيه الحُجَّةُ، ووضَّحت فيه المَحَجَّةُ، فذلك زَيْغٌ وضلال <sup>(٣)</sup>. وكلاهما تفریقٌ في الدين، وتمزيقٌ لوحدة المؤمنین.

وما كان في الفروع التي تحتل غير وجهٍ واحد، فذلك الذي وقع في عهد الرسول ﷺ وصحابته، وخير القرون من أمته.

ولا يكاد هذا الخلاف يعدو - في صحيح النظر - دائرة الفاضل والمفضول،

(١) لا يقرُّ المؤلف هذه الدعوى بدليل سابق كلامه ولاحقه، وهذه الدعوى مرفوضة مَبْذُودَةٌ، وهذا السَّعيُّ في توحيد المذاهب مُخالفٌ لإرادة الله في تشريعه، ولرسوله ﷺ، وللصحابة رضي الله عنهم، وللسلف من بعدهم، ومخالفٌ للعقل. انظر تفصيل ذلك في «أدب الإختلاف في مسائل العلم والدين» ص ٢٢-٢٤ لشيخنا المحقق الأستاذ محمد عوامة.

(٢) وأما ما كان في فروعِهِ، من جزئيات المغيبيات، كرؤية النبي ﷺ لله عزوجل ليلة المعراج، فهذا ممَّا جرى فيه الخِلافُ، فأثبتها ابن عباس، وأنكرتها السيدة عائشة رضي الله عنهم. وأنكرت السيدة عائشة رضي الله عنها أن الميت يُعَذَّبُ ببيكاء أهله عليه، وأثبته غيرها من الصحابة. وانظر كلام الشيخ الإمام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ١٢: ٤٩٢ و ٢٠: ٣٣.

(٣) كالإختلاف الذي نشأ من القدرية والخوارج والرافضة.. وسائر فرق الإسلام، الذين انشقوا بخلافاتهم هذه عن منهج أهل السنة والجماعة.

والجائز والمكروه، مما لا يدعو - عند الإنصاف - إلى خصام أو نزاع.

وقد أجمع سلفُ الأمة وخلفها على أنه لا يُعابُ من ترك المندوب إلى المباح، كما أجمعوا على أنه لا يعابُ المجتهد إذا أخطأ في الاجتهاد، فكيف تُشقُّ عصا الطاعة، وتمزق وحدة الجماعة في هذه المسائل الهينات؟<sup>(١)</sup>

ويذهب صاحب «الميزان»<sup>(٢)</sup> في كلام طويل إلى أنه لا خلاف في الشريعة الغراء البتة، وإنما هي مراتب ترجع في جملتها إلى الرخصة والعزيمة، والتخفيف والتشديد، وأنَّ المُخاطَبَ بالأولى هم الضعفاء والعاجزون، والمُخاطَب بالثانية هم الأقوياء والقادرون؛ ولكنَّ الناس ليسوا بمنزلة سواء.

### الحكمة في اختلاف الفروع

والذي يبدو لنا أنَّ مثل هذا الخلاف - كما قال ابن تيمية - كمثل الخلاف في القراءات، كلُّها جائز، وإن كان فريق من الناس يختار بعضها دون بعض، وأنه خلافٌ ينفع ولا يضر، فقد أمر رسول الله ﷺ كلاً من القراء أن يقرأ كما يعلم، وحذَّره جميعاً أن يقعوا في هاوية الاختلاف، فيهلكوا كما هلك الذين من قبلهم<sup>(٣)</sup>.

(١) ضربنا عن ذكر الأمثلة صفحاً؛ لأنها كثيرة معروفة في كُتب الأئمة. وانظر «إعلام الموقعين»، و«حجة الله البالغة»، و«رسالة ابن تيمية في اجتهاد الصحابة والتابعين» (طه).

(٢) للعلامة الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، المتوفى سنة ٩٧٣ رحمة الله تعالى في الفصول الأولى من كتابه «الميزان الكبرى» طبعة المطبعة الكستلية سنة ١٢٧٩هـ.

(٣) روى البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن عن عبد الله بن مسعود أنه سمع رجلاً يقرأ آيةً سمع النبي ﷺ قرأ خلافها. قال: فأخذت بيده، فانطلقت به إلى النبي ﷺ، فقال: كلاكما محسن فاقراً. أكبر علمي قال: فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فأهلكهم.

وروى الحاكم في «مستدرکه» ٢: ٢٢٣ في كتاب التفسير، وصحَّحه الذهبي عن ابن مسعود قال: أقراني رسول الله ﷺ سورة حم. ورحت إلى المسجد عشية، فجلس إلي رهط.



٨٧٣

ومن الحمق والخفة أن تُفرَّق الكلمة ويشتدَّ الخصام في جزئيات يسيرة جعل الله التوسعة فيها؛ يُسرّاً في الدين، ورحمةً للمسلمين<sup>(١)</sup>.

ولو أن هذه الأمة حُمِلت على طريقة واحدة في فروع الدين ولطائفه، لحرَجَ صدرها وضاق ذرعها، ولذاقت عذاب الإصر الذي حمله الله على الأمم التي قبلها، ولو أنهم حُمِلوا - في أصول الدين وقواعده - على طرائق شتى لكان البلاء أعظم، والمصائب أعم، فسبحان من جلت حكمته، ووسعت كل شيء رحمته!

### واجب العلماء والعامّة

وبعد؛ فحقّ على العلماء أن يرجعوا بالناس إلى الفقه النبويّ، في كنوز السلف الصالح، وأن يبيّنوا لهم عند الحاجة مدى هذا الخلاف وحكمته، وكيف كان اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ؛ فإنّه - لعمرُ الحق - خيرٌ من اتفاقنا،

فقلت لرجل من الرهط: اقرأ عليّ، فإذا هو يقرأ حروفاً لا أفرّوها. فقلت له: من أقرأكها؟ قال: أقرأني رسول الله ﷺ. فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ، وإذا عنده رجل، فقلت له: اختلفنا في قراءتنا، فإذا وجه رسول الله ﷺ تغير، ووجد في نفسه حين ذكرت له الاختلاف، فقال: «إنما أهلك من قبلكم الاختلاف». ثمّ أسرّ إليّ عليّ. فقال عليّ: إنّ رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كلُّ رجلٍ منكم كما علّم، فانطلقنا وكلُّ رجلٍ منا يقرأ حروفاً لا يفرّوها صاحبه.

(١) اشتهر هذا الحديث على الألسنة: «اختلاف أمتي رحمة» ورواياته كلّها ضعيفة، والظاهر أنه صحيح المعنى في الجملة، ويروى عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقول: ما سرّني لو أنّ أصحاب محمد ﷺ لم يختلفوا؛ لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة. وعن بعض السلف آثارٌ في هذا المعنى. انظر: «كشف الخفاء» (طه).

وينظر أيضاً «المقاصد الحسنة»، و«الجامع الصغير» وشرحه، وغيرها كثير. وينظر كلام الإمام الخطابي رحمه الله تعالى في «أعلام الحديث» ١: ٢١٩-٢٢١، فهو مما يُستفاد، ولو لا طوله لنقلته، فلينظر.

وذلك خيرٌ وأجدى من حمل الناس على مذهب واحد، هيهات أن يتفقوا عليه،  
ثم هيهات هيهات أن يهدوا العامة إليه.

موقف الإمام مالك من تيار توحيد المذاهب وحمل الناس على اجتهادٍ  
واحدٍ أو اجتهادٍ واحدٍ

وَرَحِمَ اللهُ مالِكًا! لقد كان أبعدَ نظرًا وأسدَّ رأياً، وأكثرَ توفيقاً، حينما  
فاوضه الرشيد والمنصور؛ وعزم أبو جعفر على أن ينسخَ نُسْخًا من «الموطأ»،  
ثم يبعث إلى كلِّ مصر من أمصار المسلمين بنسخة، فيأمرهم أن يعملوا بما فيها  
لا يتعدَّونها إلى غيرها، وأن يدعوا ما سواها، فقال له مالك: لا تفعل يا أمير  
المؤمنين؛ فإنَّ الناس قد سبَّت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا  
روايات، وأخذ كلُّ قوم بما سبق لهم، وعملوا به، ودانوا به من اختلاف  
أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم، وأصبح ردُّهم عمَّا هم عليه شديداً، فدع  
الناس وما اختاروا لأنفسهم. فقال: لَعَمْرِي لو طاوعتني على ذلك لأمرتُ به<sup>(١)</sup>.

ثم شاوره هارون الرشيد في أن يعلِّق «الموطأ» في الكعبة، ويحمل الناس  
على ما فيه، فقال: يا أمير المؤمنين: إنَّ اختلاف العلماء رحمةٌ من الله تعالى  
على هذه الأمة، كلُّ يتَّبِع ما صحَّ عنده، وكلُّ على هدى، وكلُّ يريد الله تعالى.  
فقال: وفَّقك الله يا أبا عبد الله<sup>(٢)</sup>.

ثم حقَّ على العامة ألا يأخذوا دينهم إلا عمَّن يُوثق به<sup>(٣)</sup>، ممَّن يدعو إلى

(١) طبقات ابن سعد ص ٤٤٠ في القسم المُتَمِّم، عن شيخه الواقدي - وهو كما قال  
الذهبي في «السِّيَر» ٧: ١٤٢: «وإن كان لا نزاع في ضعفه فهو صادق اللسان، كبير القدر».

(٢) الرواة عن مالك، للخطيب البغدادي كما في «كشف الخفاء» للعجلوني ١: ٦٥

(١٥٣).

(٣) انظر أوصاف هؤلاء في «أدب الاختلاف» للعلامة المحقق الشيخ محمد عوامة

ص ٤٨-٥٩.

الله على بصيرة، وليسمعوا لهم ويطيعوا إن أرادوا لأنفسهم الخير والسعادة، وليعلموا أن العلماء في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، يهتدي بهم الحيران في الظلماء<sup>(١)</sup>، وأن الحاجة إليهم أشد من الحاجة إلى الطعام والشراب، وإطاعة أمرهم فريضة من الله بنص الكتاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن نَنزَعْنَهُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*\*

(١) اقتباس من حديث أخرجه أحمد في «مسنده» ٣: ١٥٧ (١٢٦٠٠)، والخطيب في «الفيقه والمتفق» ٢: ٧٠ عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي: «إن مثل العلماء في الأرض، كمثل النجوم في السماء، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم، أو شك أن تضل الهداة» والحديث إسناده ضعيف.

قال الحافظ ابن رجب في «شرح حديث أبي الدرداء» ص ٣٩: «فالعلماء بما أنزل الله على رسوله هم الأدلاء، والذين يهتدى بهم في ظلمات الجهل والشبه والضلال، فإذا فقدوا، ضل السالك.

وقد شبه العلماء بالنجوم. والنجوم فيها ثلاث فوائد: يهتدى بها في الظلمات، وهي زينة للسماء، ورجوم للشياطين الذين يسترقون السمع منها. والعلماء في الأرض يجتمع فيهم هذه الأوصاف الثلاثة: بهم يهتدى في الظلمات، وهم زينة للأرض، وهم رجوم للشياطين الذين يخلطون الحق بالباطل، ويدخلون في الدين ما ليس منه من أهل الأهواء.

(٢) سورة النساء: ٥٩. وأولو الأمر - كما قال ابن عباس -: أهل الفقه والدين، الذين يعلمون الناس معاني دينهم. أخرجه ابن أبي حاتم، والحاكم في «المستدرک» ١: ٢٣.

## خُصُومَةُ الْأَكَابِرِ \*

-١-

١١٠- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكرٍ أخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته؛ فقال النبي ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامر». فسلم وقال: يا رسول الله، إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه، ثم ندمتُ، فسألته أن يغفرَ لي فأبى علي! فأقبلتُ إليك. فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر!» ثلاثاً.

ثم إنَّ عمرَ ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أئنم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فسلم عليه، فجعل وجهُ النبي ﷺ يتمعر! حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبته، فقال: يا رسول الله، أنا كنت أظلم! مرتين.

فقال النبي ﷺ: «إنَّ الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت! وقال أبو بكر: صدق! وواساني بنفسه وماله؛ فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟!» مرتين، فما أُوذي بعدها. رواه البخاري<sup>(١)</sup>.

المفردات:

غامر: دخل في غمرة الخصومة، والمغامر: هو الذي يرمي بنفسه في الأمر العظيم، وأصل الغمرة: الماء الكثير.

\* مجلة الأزهر، العدد الرابع، المجلد الخامس والعشرون (١٣٧٣ = ١٩٥٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦١) في فضائل الصحابة، و (٤٦٤٠) في التفسير.

يتمعر: يتغير وتذهب نضارته من أجل الغضب، والظاهر أنه من قولهم: مكان أمعر، إذا لم يكن به خصب؛ وفي نسخة: يتمغر: أي يحمر، كأنه صنع بالمغرة. واساني: وفي رواية: آساني بالهمز، وهي الأصل، وعليها يقتصر بعض أهل اللغة. والحديث حجة عليه. والمواساة: المعاونة.

تاركو لي صاحبي: بحذف نون الإضافة، وفي رواية بإثباتها وهي الأصل، ولذا قال أبو البقاء: إن الحذف من خطأ الرواة<sup>(١)</sup>، أفلا يبلغ رواة البخاري عنده مبلغ رواة النحاة؟! مع أن لمثل هذا الحذف بين المضافين في العربية وجهاً وجيهاً وشاهداً<sup>(٢)</sup>.

#### الخصومة من طبيعة البشر

الخصومة من طبيعة البشر في هذه الحياة الدنيا، لا معدى لهم عنها، ولا محيص لهم منها، ما داموا يختلفون ويتجادلون: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَفَهُمُ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) إعراب الحديث النبوي ص ٢٩١ لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري المتوفى سنة ٦١٦.

(٢) قال محقق «إعراب الحديث»: ذهب البصريون إلى أنه لا يفصل بين المضاف والمضاف إليه إلا في الشعر. وأجاز الكوفيون الفصل في بعض الحالات، ومنها إذا كان المضاف وصفاً، والفاصل بين المضاف والمضاف إليه ظرفه كما في هذا الحديث. ينظر: الأشموني ٢: ٣٢٧، وهمع الهوامع ٢: ٥٢.

(٣) سورة هود: ١١٨-١١٩. ومعنى الآية كما في تفسيري «المرشد الوجيز» - يسر الله طباعته -: «ولو شاء ربك لسلب الناس إرادتهم الحرة، فجعلهم مجبورين، وحينئذ يجعلهم أمة واحدة مفلطحة على الهداية، وبما أن الله سبحانه جعل الناس ذوي إرادات حرة، فإنهم لا يزالون مختلفين. ومن مظاهر اختلافهم: أن يريد بعضهم الإيمان، وبعضهم الكفر، لكن من يختار الإيمان بصدق وإرادة جازمة، يشرح صدره للإسلام برحمته ومعونته له».

(٤) سورة الكهف: ٥٤.

يَبْدُ أَنهَا تَخْتَلِفُ قُوَّةً وَضَعْفًا، وَرَفَقًا وَعُنْفًا، وَقَصْدًا وَسَرَفًا، تَبَعًا لِاخْتِلَافِ  
الطَّبَائِعِ وَالْمَيُولِ، وَالْأَرَءِ وَالْعُقُولِ، وَكِبَرِ النُّفُوسِ وَصِغَرِهَا، وَعُلُوِّ الِهْمَمِ  
وَسَفْلِهَا.

### موقف الإسلام من الخصومة

ولا يُؤَاخِذُ الْإِسْلَامُ أَحَدًا بِاخْتِلَافٍ وَخِصُومَةٍ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْجِهَادِ فِيهِ  
وَالْعَمَلِ لَهُ، مَا دَامَ سَلِيمَ الْقَصْدِ حَسَنَ الطَّوَيَّةِ، نَزَاعًا إِلَى الْخَيْرِ، وَلَوْ أَخْطَأَ - فِي  
بَعْضِ أَحْيَانِهِ - قَصْدَ السَّبِيلِ، بَلْ رُبَّمَا يَدْعُو الْإِسْلَامُ إِلَى الْهَجْرَةِ - وَهِيَ تَوَامُّ  
الْخِصُومَةِ - إِذَا كَانَتْ سَبِيلًا إِلَى التَّرْبِيَةِ وَالتَّأْدِيبِ.

وَفِي هِجْرَتِهِ ﷺ نِسَاءَهُ شَهْرًا أَبْلَغَ حُجَّةً وَأَبَيَّنَ دَلِيلًا.

كَمَا لَا يُؤَاخِذُ الْإِسْلَامُ أَحَدًا كَذَلِكَ بِالنِّزْعَةِ يَنْزِعُهَا الشَّيْطَانُ فِي مَخَاصِمَتِهِ  
لِأَخِيهِ، إِذَا اسْتَغْفَرَهُ أَوْ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ لَهُ، مُعْتَرِفًا بِذَنْبِهِ، عَائِدًا مِنَ الشَّيْطَانِ بِرَبِّهِ،  
غَيْرَ مُصِرِّ عَلَى مَا فَعَلَ، وَلَا مُجَادِلٍ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ.

عَلَى هَذَا النِّحْوِ مِنَ التُّبُّلِ فِي الْخِصُومَةِ - إِنْ لَمْ يَكُنْ بَدًّا مِنْهَا - كَانَتْ  
خِصُومَةُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَعَلَيْهِ تَكُونُ خِصُومَةُ الَّذِينَ  
جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ  
وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

### أنبأ خصومة عرفها التاريخ

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مَثَلٌ مِنْ أَرْوَاعِ الْأَمْثَالِ فِي شَرَفِ الْخِصُومَةِ وَتُبُّلِهَا، يَضْرِبُهُ  
لَنَا الصَّدِيقُ وَالْفَارُوقُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ، فَنَرَى فِيهِ مِنْ أَعْجَابِ  
الْفَضْلِ وَالتُّبُّلِ وَالسُّودِدِ، ثُمَّ مِنْ أَسَالِيبِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّزْكِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ، ثُمَّ مِنْ

(١) سورة الحشر: ١٠.

الاعتراف بالجميل لأهله، ما يجلب عن وصف الواصفين.

كان بين الصَّاحِبَيْنِ الكَرِيمَيْنِ رضوان الله عليهما محاورَةً ومعاتبةً، أسرع فيها الصديق إلى الفاروق، فأغضبه..

انصرف عمرُ غَضِبَانَ أَسْفَاءً! وأتبعه أبو بكر نادماً معتذراً! يسأله أن يتقبل عذره فلم يقبل، ويتوسَّل إليه أن يغفر له فلم يفعل، بل تحرَّز بعد الفرار منه بداره، وأغلق بابه في وجهه! إنها لكبيرةٌ، وسابقةٌ جدُّ خطيرة، ليس لها أن تُرفع، إلا إلى الشفيع المُشَفَّع صلوات الله وسلامه عليه ...

أقبل رضوان الله عليه، والرسول ﷺ ينظر إليه، وقد كشف عن ركبته، وأخذ من ثوبه بحاشيته، حتى سَكَمَ وجلس، وقصَّ ما كان بينه وبين صاحبه لم يظلم منه شيئاً، وما أن فرغ من شكاته، حتى طمأنه الرسول الكريم بدعوته: أن يغفر الله له، ثلاث مرار يكررها ...

### شذرة من مناقب العُمَرَيْنِ

كان الفاروق رضي الله عنه في هذه الأثناء راجع نفسه فندم على ما كان منه لأحب الناس إليه بعد رسول الله ﷺ، فليُسرع إذاً إلى بيته ليغفر له ويتقبل معذرتَه، بل ليستغفره ويعتذر له! فلماً لم يجده بمنزله أسرع إلى النبي ﷺ.. وَمِنْ خَيْرِ المَرَبِّينَ تلقَى درساً شديداً قاسياً، غير أنه كان عظيم النفع، حميد العاقبة.

لم يكن درساً لعمر وحده، بل كان درساً للأمة كلها في شخص عمر، ذلك الذي أعزَّ الله به الإسلام، وفرَّق به بين الحق والباطل، وأعدَّه لأمر عظيم هو أحق به وأهله، بعد أفضل الناس وأحبهم إلى رسوله وأولاهم به، ذلكم ثاني اثنين الله ثالثهما، ذلكم الصديق أبو بكر رضي الله عنه.

### فضل الصديق علي الفاروق

فليجلس عمر إذاً من رسول الله ﷺ مجلس التلميذ من معلِّمه، ولا بأس

إذاً بأن يُعرض عنه صلوات الله وسلامه عليه مراراً؛ لأنه كان صاحبَ حقٍّ فأضاعه، وصار مديناً، وليذكر - إن كان نسي - مَنْ هو أبو بكر؟! صاحب الأيادي البيضاء التي ذكرها أعرف الناس للصنيعة، وأذكروهم لها صلوات الله عليه وسلامه، فقال فيما قال من فضائله التي لم يشرك فيها أحداً غيره: «إنَّ من أمنَّ الناس في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متَّخذاً خليلاً غير ربي لاتَّخذت أبا بكر خليلاً؛ ولكن أخوة الإسلام ومودَّته، لا ييقنَنَّ في المسجد باب إلاَّ سدَّ، إلاَّ بابُ أبي بكر»<sup>(١)</sup>.

وقال: «ما لأحد عندنا يد إلاَّ وقد كافأناه بها ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر»<sup>(٢)</sup>.

### درسٌ نبويٌّ عظيم

وبينما النبيُّ ﷺ يؤنَّب عمر ويعتب عليه أن لم يقبل عذر أبي بكر، ولم يغفر له بعد أن استغفره، وكان الظنُّ به ألاَّ يحوجه إلى اعتذار أو استغفار. أشفق أبو بكر على عمر أن يناله من رسول الله ﷺ ما يكره، فيرك على ركبته معذراً آسفاً، ويقسم للنبيِّ ﷺ مرتين أنه كان أظلم؛ لأنه هو الذي بدأ صاحبه بالإساءة!

وهنا يكفُّ النبيُّ ﷺ عن تأنيب عمر وتوبيخه، ثم يذكر بعض مآثر أبي بكر ومناقبه وسبقه إلى التصديق برسالته، ومواساته له بنفسه وماله، ثم يختم حديثه عن أولى الناس به من صحابته بهذه الكلمة المدوية الجامعة: «فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟!» ويكررها مرتين أو ثلاثاً كما في بعض الروايات، تلك الكلمة التي كانت فصل الخطاب، في فضل مقدّم الأصحاب، فلم ينله من الصحابة رضوان الله عليهم مكروه بعدها.

(١) رواه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢)، والترمذي (٣٦٦١).

(٢) رواه الترمذي (٣٦٦٢)، وقال: حسن غريب من هذا الوجه.



## درسٌ إلهيٌّ أجلٌ وأعظم

وإذا أثمرت هذه الخصومة الكريمة بين العُمَريين ذلك الدرس النبوي العظيم، فثمة درسٌ إلهيٌّ أجلٌ وأعظم، لا يعيننا أن كان لاحقاً أو سابقاً، ولكن يعيننا أنه تأديبٌ ربّانيٌّ للناس كافةً، ولأولي الأمر منهم خاصةً، وفي مقدّمتهم الإمامان الخيّران: أبو بكر وعمر.

ففي صحيح البخاري وغيره أنه لما قدم على النبي ﷺ ركبٌ من بني تميم، قال له أبو بكر رضي الله عنه: أمرٌ عليهم القَعَقَاعُ بنَ مَعْبُدٍ؛ وقال عمر رضي الله عنه: بل أمرُ الأقرعِ بنِ حابسٍ، فقال أبو بكر: ما أردتَ إلاّ خلافي، وقال عمر: ما أردتُ خلافاً. فتمّارياً حتى ارتفعتْ أصواتُهُما، ونزل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَانفُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، إلى قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> فما كانا يكلمان رسول الله ﷺ بعد ذلك إلا سراراً<sup>(٢)</sup>.

اختصما في الخير والمصلحة للأمة، ولكنهما افتاتا على رسول الله ﷺ، إذ لم يكن استشارهما، ثم عزّب عنهما أن مجلسه أجلٌ وأرفع من أن يكون فيه تنازعٌ أو صحبٌ، وهما الأسوة الحسنة بعد رسول الله ﷺ، فكان في هذه الآيات التأديب الإلهي الرائع، الذي يملأ النفوس إجلالاً وإكباراً للرسول الأكرم، وينقي المراجعة أو المجادلة ممّا يشوبها من كدر الخصومة ولجاجها.

## شعار الخيّرَين بعد الدّرَسين

وكذلك كان هذا الأدبُ الرفيع شعارهما فيما يختلفان فيه بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وهما يُقلبان وجوه الرأي، لا وجهه لهما إلا

(١) سورة الحجرات: ١ - ٣.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٦٧) و(٧٣٠٢)، والترمذي (٣٢٦٦)، والنسائي في الصغرى (٦٣٨٦)، والكبرى (٥٩٣٦) و(١١٥١٤)، وأبو يعلى (٦٨١٦).

الخير والمصلحة، وسرعان ما يتفقان على ما هو أهدى سبيلاً.

ومن ذلك اختلافهما في قتال مانعي الزكاة، وكان رأي أبي بكر أن يأخذهم بالسيف حتى يؤدوها كاملة، ورأي عمر مسألتهم وتألفهم خشية أن يكون القتال نكبةً على الإسلام والمسلمين! ولكن عزم الصديق وهو الرفيق اللين، غلب سلم الفاروق وهو المقدم الصنديد!

ومن ذلك اختلافهما في جمع القرآن كما أشار عمر، وتخرج أبو بكر أن يفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ، فلم يزل يراجع حتى شرح الله صدر أبي بكر للذي شرح له صدر عمر.

هذا مثلٌ من أمثال كثيرة في خُصومة أولي الفضل والنبل، ينادينا ألا تلغوا ولا تخاصموا، فإن لم يكن بدءٌ من لغو أو خصام، فحسبكم أن تمرؤا عليه مرور الكرام.

\*\*\*\*\*

## خصومة الأكابر \*

-٢-

١١١- عن عروة بن الزبير قال: «كان عبدُ اللهِ بنُ الزُّبير أَحَبَّ البَشَرِ إلى عائشة رضي الله عنها، بعد النبي ﷺ وأبي بكر، وكان أبرَّ الناس بها، وكانت لا تمسك شيئاً ممَّا جاءها من رزق الله تصدَّقتُ. فقال ابن الزبير: ينبغي أن يُؤخذ على يديها. فقالت: أَيُؤخذُ على يدي؟! عليَّ نذرٌ إن كلمته. فاستشفَّعَ إليها برجال من قريش، وبأخوال رسول الله ﷺ خاصَّةً، فامتنعت، فقال له الزُّهريُّون أخوالُ النبي ﷺ - منهم عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يَعُوْث، والمِسْوَرُ بن مخرمة -: إذا استأذنا فاقْتَحِمِ الحِجَاب، ففعل، فأرسل إليها بعشر رقاب، فأعتقتهم. ثم لم تنزل تُعتِقْهُم حتى بلغت أربعين، فقالت: ودِدْتُ لو أني جعلت - حين حلفت - عملاً أعمله فأفرغ منه». رواه البخاري<sup>(١)</sup>.

### خصومة من طراز آخر

سقنا حديث الجزء الماضي - مكتفين به - شاهداً عدلاً على أنبل خصومة عرفها التاريخ. ثمَّ بدا لنا في آخر الأمر أن نسوق حديث هذا الجزء شاهداً من

\* مجلة الأزهر، العدد الخامس، المجلد الخامس والعشرون (١٣٧٣).

(١) رواه البخاري (٣٥٠٥) في باب مناقب قريش من أوائل كتاب المناقب، ورواه مطَّوِّلاً برقم (٦٠٧٣)، (٦٠٧٤)، (٦٠٧٥) في باب الهجرة من أواسط كتاب الأدب، وفي الرواية المطَّوِّلة تفصيل لكثيرٍ ممَّا أُجْمِل في هذه الرواية المختصرة، استعنا به في الشرح (طه).

طراز آخر، يختلف عن سابقه بأنه مسَّ رابطة الصحبة وجلالها، ويختلف هو عن سابقه بأنه أثار عاطفة الرحم ودلالها؛ ثم يختصُّ هذا بالطف الحيل وأشرف الوسائل إلى بلوغ المثل الأعلى في صلة الرَّحْم، وتَرْضِيَّة الأم، على حين يتَّفَق الشاهدان كلاهما في أصالة النَّبَل والفضل، وجلالة العِبَر والذكري!.

### شَدْرَةٌ من حياة الصِّدِّيق

كان أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ودوداً كريماً، وفيّاً أياً، فطناً ذكياً، لا يبلغ أحدٌ مبلغه من مكارم الأخلاق، حاشا من بُعث ليتممها صلوات الله وسلامه عليه؛ وكان إلى ذلك مرهف الوجدان، رقيق الحسِّ، ومن هنا كانت تعتربه - إذا مسَّ أحدٌ عقيدته أو مروءته - حدَّة ربِّما غلبت على حزمه وعزمه، وهما من نفسه الأبيَّة في حِصْنِ حصين؛ وقد لخصَّ ترجمته ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما في كلمة جامعة فقال: «كان أبو بكر خيراً كله على حدَّة كانت فيه»<sup>(١)</sup>.

وأيم الله إنها لَقَوْرَةُ الحق، وِعْظْبَةُ الإيمان والصِّدْق، وإنها لفضيلةٌ من فضائله، وإنَّ عابها هو من نفسه الكريمة رضوان الله عليه، وكذلك كانت ابنته الصِّدِّيقَةُ رضي الله عنها.

### من صفات عائشة رضي الله عنها

ورثت عنه كثيراً من مكارمه، كما ورثت عنه حدَّته التي كانت تعتربه، إلى جانب ما ورثت من مكارم النبوة من شمائل وفضائل جعلتها بالمنزلة التي لا تُسامى عند خاتم النبيين<sup>(٢)</sup>.

(١) أبو بكر الصِّدِّيق، لعلي الطنطاوي، ص ٢١٠.

(٢) قال الذهبي في «السير» ٢: ١٤٢: وأحبها حباً شديداً كان يتظاهر به، بحيث أن عمرو بن العاص، وهو ممن أسلم سنة ثمان من الهجرة، سأل النبي ﷺ: أيُّ الناس أحبُّ

ولقد كان صلوات الله وسلامه عليه يغفر لها حدتها، ويحميها من أيها إذا همَّ بها، وقد بدرت منها بادرة تستوجب المؤاخذة والتأنيب.

وكان من أبرز صفاتها رضي الله عنها: كرمٌ وجود، وإنفاقٌ في سبيل الله تعالى والرحم لا يُبقي على شيء، وحسبك أنها ابنة الصديق، أجود الناس بعد زوجها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

### شذرة من حياة ابن الزبير

وكان عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما - أحد العبادلة، وأحد الشجعان من الصحابة، وأحد من وكى الخلافة - أحب الناس قاطبة إلى خالته عائشة بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه، كانت أشدَّ حباً له من أبويه، وأقرب الناس إليه، ومن آيات هذا الحب: أنه لما أخذ من وسط القتلى يوم الجمل - وفيه بضع وأربعون جراحة - أدت إلى البشير الذي بشرها بأنه لم يمتم عشرة آلاف!

وأساس هذا الحب أن عبد الله أول مولود وُلد للمهاجرين بعد الهجرة، وكانت يهودٌ تقول: قد سحرناهم فلا يولد لهم بالمدينة ولد، فكبر الصحابة حين ولد، وفرحوا به فرحاً شديداً، ثم جاءت به أمه أسماء إلى رسول الله ﷺ ووضعت في حجره، فبرك عليه، وتفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله، ثم قال لعائشة: هو عبد الله، وأنت أم عبد الله، فما زالت تكنى به وما ولدت قط، ثم إنها استوهبته من أبويه، فكان في حجرها يدعوها أمًا، هذا

إليك يا رسول الله؟ قال: «عائشة»، قال: فمن الرجال؟ قال: «أبوها». وهذا خيرٌ ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه السلام ليحب إلا طيباً، وقد قال: «لو كنت متخذاً خليلاً من هذه الأمة، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام أفضل». فأحب أفضل رجل من أمته، وأفضل امرأة من أمته، فمن أبغض حبيبي رسول الله ﷺ فهو حريٌّ أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله» انتهى.

إلى ما لها عليه من حق التربية، ثم حق الأمومة العامة الذي كتبه الله لأُمَّهَاتِ المؤمنين على جميع المؤمنين.

### غضب الأم الرؤوم

ليس عَجَباً بعد الذي قدّمنا أن تغضب هذه الأمُّ الرؤوم على ابنها العاقُّ غَضَبَةَ الحق، وتعترم قطيعته وهجرانه، فلا تكلمه أبداً حتى يفرق بينهما الموت! ثم تؤكد الهجرة ودوامها بنذرٍ عظيمٍ لربّها، يتفق - إن هي كلمته - مع فظاعة العقوق وبشاعة الجرم<sup>(١)</sup>.

وأَيُّ عقوق في شريعة الأبوة الرحيمة، والأمومة البرّة الكريمة، أشد من تسفيه رأيهما والحجّر في الخير عليهما؟!.

وهل ذنبُ أمِّ عبد الله أم المؤمنين عند ابنها هذا الذي سخط عليها بيع دارها، حتى قال: «لنتتهين عائشة أو لأحجرن عليها»، إلا أنها طُبعت على إغاثة الملهوف، وصنائع المعروف، وألاً تدع شيئاً عندها من رزق الله إلا تصدّقت به؟!.

إنَّ أقلَّ عقوبة لهذه الجريمة هي الهجرة حتى الموت.. وكذلك جمعت أمرها، ووطّنت عزمها، فلا تردّد ولا شفاعاة.

### هجرة الأكاير للتأديب

ومنّ ذا الذي يُؤاخذ أمّ المؤمنين أو يعيب عليها هذه الهجرة، وهي الفقيهية في دين الله، المتأدّبة فيما تدع وتأخذ بأدب رسول الله عليه صلاة الله وسلامه؟! وأقل ما تتّسم به مثل هذه الهجرة إباحتها، إن لم ينهض دليل على وجوبها.

(١) نذرها معلق بدليل «إن» الشرطية، واستدللنا على عظمتها بأمرين: معنوي وهو إبهامه، وحسي وهو إعتاقها في كفارة نذرها أربعين رقبة، وظنّها بعد ذلك أنها لم تقه كما ينبغي له (طه).

٨٨٧

ولقد هَجَرَ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أمهات المؤمنين - للتأديب - شهراً<sup>(١)</sup>، وَهَجَرَ بعضهنَّ أربعين يوماً، وهجر كعب بن مالك وصاحبيه: مُرارة بن ربيعة، وهلال بن أمية - وأمر أصحابه بهجرتهم - خمسين يوماً<sup>(٢)</sup>، ولولا أن تاب الله عليهم، وأنزل توبتهم بعد ما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ما كَلَّموهم أبداً!!<sup>(٣)</sup>.

ولقد رأى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رجلاً يضحك في جنازة، فقال له مُسْتَهْماً: تضحك مع الجنازة؟! لا أكلمك أبداً.

وكان لأنس بن مالك رضي الله عنه امرأةٌ في خُلُقها سوء، فكان يهجرها السنة والأشهر، وهي تتعلَّق بثوبه، وتقول: أنشدك بالله يا ابن مالك! أنشدك بالله يا ابن مالك! فما يكلمها

والنهيُّ عن الهجران فوق ثلاث ليالٍ إنَّما هو رخصةٌ لحظُّ النفس ورغبتها،

(١) روى البخاري (٥٢٠٢)، ومسلم (١٠٨٥) من حديث أمِّ سلمة: أن النبيَّ ﷺ حَلَفَ لا يدخل على بعض أهله شهراً، فلما مضى تسعة وعشرون يوماً غدا عليهنَّ أو راح، فقيل له: يا نبيَّ الله، حلفت أن لا تدخل عليهنَّ شهراً؟ قال: إن الشهر يكون تسعة وعشرين يوماً. وفي رواية للبخاري (١٩١٠): آلى من نسائه شهراً. وروى البخاري (٥٢٠٣) عن ابن عباس قال: أصبحنا يوماً ونساء النبي ﷺ يبكين، عند كلِّ امرأةٍ منهنَّ أهلها، فخرجتُ إلى المسجد، فإذا هو ملآنُ بين الناس، فجاء عمر بن الخطاب، فصعدَ إلى النبي ﷺ، وهو في غرفة له، فسلمَ فلم يُجبه أحد، ثم سلمَ فلم يُجبه أحد، ثم سلمَ فلم يُجبه أحد، فناداه، فدخل على النبي ﷺ فقال: أطلَّقت نساءك؟ فقال: «لا»، ولكن آليتُ منهنَّ شهراً». فمكث تسعاً وعشرين، ثم دخل على نسائه.

(٢) تنظر قصة توبتهم العجيبة في صحيح البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٣) قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ صَاغَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاغَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَسُوْبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

فأماً إذا كان لخوف مضرّة أو أذى في الدين أو الدنيا، فإنه لا حدّ له.

### حَسَنَات الأَبْرَار

وبعد هذا كله، فإنه يُسْتَعْظَم من صاحب الشَّانِ في رَحْمٍ أو قرابة أو علم ودين ما لا يُسْتَعْظَم من غيره، وَرُبَّ حَسَنَةٍ من صغير تعدُّ سَيِّئَةً من كبير؛ ولذلك لم يمنع النبي ﷺ كلام من تخلف من المنافقين في غزوة تبوك كما منع كلام الثلاثة، ولم يُؤَاخِذْهُمْ مؤَاخِذَتَهُمْ؛ ازدراءً للمنافقين وتحقيراً، وإعظاماً للصادقين وتقديراً.

ومن هذا القبيل كانت عقوبة أمّ المؤمنين لأحبّ الناس إليها وأبرّهم بها.

### ألطف الحيل في إصلاح ذات البين

طالت هجرة أمّ المؤمنين على عبد الله! ونقصه الله بهجرتها في أمره كلّهُ، ولم يستطع على تلك الحال صبراً! فأخذ يستشفع إليها بكلّ جدير أن يشفع، وهي تُقسم بالله لا تشفّع فيه أحداً، ولا تحنث في نذرهما أبداً، ولقد بالغت في الرد، حتى إنّ الزُّهريين - أحوال النبي ﷺ وذوي قرابته - لم ينالوا من الشفاعة لديها مارباً.

ازدادت قَسْوَةُ الأمّ على ابنها، واشتدَّ خوف الابن من هجرها، فلم يكن بدُّ من إعمال الحيلة، وتحنيثها في يمينها بكلّ وسيلة، رحمةً بعبد الله وشفقةً عليه، وليَقْضِ اللهُ أمراً كان مفعولاً.

كانت أمّ المؤمنين لا تُدْخِلُ أحداً في بيتها إلاّ بإذنها، ومن دَخَلَ فينبهه وبينها حجاب، إلاّ ذوي محارمها، ومع هذا فلا يدخلون عليها حجابها إلاّ بإذن.

وكانت حيلة الزُّهريين التي يبيّنونها أن يُقْبَلَ المِسُور وعبد الرحمن بعبد الله مُشْتَمَلَيْنِ عليه بأرديتهما، فيستأذنا على أمّهما ويقولوا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ فتقول: ادخلوا، فيقولوا: كلنا؟ فتقول: نعم ادخلوا كلُّكم،



٨٨٩

وهي لا تعلم أن معها ابن الزبير. وكذلك نجحت الحيلة النبيلة في مصلحة أم المؤمنين ... فأنعم بها!.

دخلوا، واقتحم عبد الله الحجاب، فاعتنق أمه، وطفق يناشدها ويبكي! وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبّلت منه، ويقولان: إنَّ النبيَّ ﷺ نهى عمّا قد علمت من الهجرة، فإنّه لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال.

ابنُ بارٍ وأمُّ حنون

فلمّا أكثرُوا على أمّ المؤمنين من التذكرة و التحريج طفقت تذكّرهما وتبكي، وتقول: إني نذرت، والنذر شديد! فلم يزالا بها حتى كلمت ابنها، وكفّرت عن نذرها. ولا يعلم إلا الله مدى ما اشتمل عليه من فرح الأوبة، وقبول التوبة، وعودة الابن البار إلى أمّه الحنون!!!.

وأرسل إليها عبدُ الله عشرَ رقابٍ، فأعتقتهم جميعاً، ثمّ لم تكتفِ بهم كفارةً لنذرها؛ بل بعثت إلى اليمن بمالٍ تبتاع به رقاباً، فلم تزل تعتق منهم حتى بلغ ما أعتقته في نذرها هذا أربعين رقبة مؤمنة.

خصومة الخير والبركة

وهكذا كانت خصومتها خيراً وبركة، وفتح بابٍ فسيحٍ لتحرير هؤلاء المساكين؛ وكم لآل أبي بكر من بركات وخير كثير.

ثم كانت بعد ذلك تذكّر نذرها وتبكي حتى تبلّ دموعها خمارها، وتقول: وددت أني جعلت - حين حلفت - عملاً أعمله فأفرغ منه.. ودّت - والله أعلم - لو حدّدت نذرها، حتى تكون على بيّنة من الأمر حين تكفّر عنه إذا حنث فيه، لكن هذا النذر المبهم المجهول لا حدّ لكفّارته إلا أن يطمئن قلبها، وهاهي ذي تعتق أربعين رقبةً كاملةً، ثم تخشى ألا تكون قد وفّت بحقّ نذرها، وأدّت إلى الله ما عليها!

## أجمل مصالحة بين الأبناء والآباء

وبعد ، فإذا كان في الحديث الأول أئبلُ خصومة عرفناها بين الإخوان والأصدقاء ، فإنَّ في الحديث الثاني أجمل مصالحة عرفناها بين الأبناء والآباء . فإن يُرد الله أن يُعزِّزهما بثالثٍ ، فإننا نرجو بتوفيقه ومعونته ، أن يكون في الإصلاح بين السَّادة الكبراء ، وموعدنا الجزء التالي إن شاء الله ، والله المستعان .

\* \* \* \* \*

## الإصلاح بين الأكابر\*

١١٢ - عن أبي بكر رضي الله عنه يقول: رأيتُ رسولَ الله ﷺ على المنبر، والحسنُ بنُ عليٍّ إلى جنبه، وهو يُقبلُ على الناسِ مرّةً وعليه أخرى، ويقول: «إنَّ ابني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ الله أن يُصلِّحَ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». رواه البخاري<sup>(١)</sup>.

### الإصلاح بين السادة والكبراء

في أوّل جزء من المجلد الثامن عشر شرحنا حديث الصحيحين: «ليس الكذاب الذي يُصلِّح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً...» وبيننا هنالك فضل الإصلاح بين الناس عامة، وإلى أيّ مدى دعا الإسلام إليه، وأعدَّ لأهله الأجر العظيم والخير العميم<sup>(٢)</sup>.. ثمّ قلنا في خاتمة الشرح: إنَّ الإصلاح بين الناس جزءٌ من شرائع الأنبياء والمرسلين، بل إنَّه عماد دعوتهم وأساس رسالاتهم؛ وما أحوج البشر - وقد اصْطَخَبَتْ بينهم المعارك، واشتعلت فيهنَّ نيرانُ الخصومة - إلى مَنْ ينهج في إصلاحهم منهجَ النبيين، ويَسْتارُ فيهم سيرة الصادقين المخلصين، ﴿وَمَا ذَلِك عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

\* مجلة الأزهر، العدد السادس، المجلد الخامس والعشرون (١٣٧٣ = ١٩٥٤).

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤) في كتاب الصلح، وفي المناقب (٣٦٢٩)، وفضائل الصحابة (٣٧٤٦)، والفتن (٧١٠٩).

(٢) انظر حديث: «الإصلاح بين الناس» ص ٥٥٤.

(٣) سورة إبراهيم: ٢٠.

### حاجتنا إلى هذا الإصلاح

ونريد أن نَقْصِرَ القول في هذا الحديث، على صنف خاص من هذا الإصلاح العام، نرى أن أمننا الإسلامية - التي كانت في أوج مجدها أمة واحدة - أحوج ما تكون إليه، ونعني به الإصلاح بين سادة كل أمة وكبرائها وأولي العلم والأمر فيها، ثم الإصلاح بين أكابر الأمم وساداتهم، فإنهم الذين إذا صَلَّحُوا صَلَّحَ النَّاسَ جَمِيعاً، وإذا فَسَدُوا فَسَدَ النَّاسَ جَمِيعاً.

من الذي يَضْطَلَعُ به؟

وليس هذا الإصلاح الخاص الذي نَعْنِيهِ، وندعو إلى الاضطلاع بعبئه، ونُمَهِّدُ له منذ زمن بعيد؛ ليس بالأمر اليسير الهين، الذي يَضْطَلَعُ به كل فاضل وخير؛ ولكنَّهُ أمرٌ عظيم جدُّ عظيم، لا يَضْطَلَعُ بخطرهِ إلاَّ السادة النُّجُبُ، وإلا من أخذ من النُّبُلِ والفضل، والهدى والتقى، والحزم والعزم، بحظٍّ عظيم.

قَلَّةٌ قليلة مباركة

ولئن كان الحسن بن علي رضي الله عنهما نسيجَ وحده في السادة المصلحين، فإن من بعده قَلَّةٌ تنهج منهجه سداداً ورشداً، وتدعو بدعوته حقاً وصدقاً، حقناً للدماء، وصوناً للأموال والأعراض، وحرصاً على ذات البين أن تفسد؛ فإن فساد ذات البين هي الحالفة.

بهذه القلَّة الكريمة المباركة يُرَجَى للأُمم صلاحُها ورشادُها، وإلى هذه القلَّة الكريمة المباركة نتوجَّه - أول ما نتوجَّه - ببيان هذه المنقبة العظمى: منقبة الإصلاح بين الأكابر التي بشرَّ بها النبي ﷺ علماً من أعلام بيته، فانتدب لها، وكان أحقَّ بها وأهلها، بل كان إمام الأئمة الذين جاؤوا من بعده من الهداة والمصلحين.

سيادة الحَسَنِ رضي الله عنه

كلَّ الناس يعلم مَنْ هو الحَسَنُ؟ وكلَّ الناس يعلم مكانه من رسول الله ﷺ وكثيرٌ منهم يودُّ لو يتخلَّقُ بخلُقِ الحَسَنِ رضي الله عنه، ويقتدي به، وبجَدِّه

٨٩٣

صلوات الله عليه وسلامه. ولكنَّ القليل النادر الذي يقدرُّ هذه الأخلاق النبويَّة قدَّرها؛ وأقلُّ من هذا القليل النادر من يحتملُها، ويصبر عليها ويوفِّيها حقَّها.

ومنَّ ذا الذي يستطيع أن يرفضَ الملك، والمُلكُ يسعى إليه؟! أو يعرض عن الدنيا، والدنيا مقبلةٌ عليه، إلاَّ الحسن وأمثاله؟! من هذه الفئة القليلة النادرة، التي يصطفي الله الواحدَ بعد الواحد منها، فيجدُّ به للأمة أمرَ دينها، ويجمع به شملها، ويحييها بعد موتها، من الألى يهبون الدنيا على خصاصةٍ وخبرة، ويرجون الآخرة على بيِّنة وعبرة، ويدعون إلى الله على هدى وبصيرة.

### عَلَمٌ من أعلام النبوة

وإذا آمناً إيماناً لا ريبَ فيه بما بشرَّ به النبي ﷺ أمته، من سيادة سبْطه الحسن، وتحقيق منقبة الإصلاح الكبرى على يديه، ثمَّ آمناً أنَّ هذه البشارة العظْمي ووقوعها عَلَمٌ من أعلام النبوة - فلنؤمن كذلك إيماناً لا شكَّ فيه بتحقيق بشارته صلوات الله وسلامه عليه لمعاوية رضي الله عنه رضي الله عنه ودعائه له إذ قال: «اللهمَّ اجعله هادياً مهدياً واهده»<sup>(١)</sup>، «اللهمَّ علِّمه الكتاب والحساب، وقه العذاب»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في «المسند» ٤: ٢١٦ (١٧٨٩٥)، والترمذي (٣٨٤٢) كلاهما من حديث عبد الرحمن بن أبي عميرة. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

والحديث رجاله ثقات رجال الصحيح، إلا أن سعيد بن عبد العزيز - أحد رجال السند - الذي عليه مدار الحديث، اختلط في آخر عمره فيما قاله أبو مسهر ويحيى بن معين. وغمَزَ في هذا الحديث ابن عبد البر وابن حجر. كما في التعليق على «المسند» طبعة مؤسسة الرسالة.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» ٤: ١٢٧ (١٧١٥٢)، من حديث العرياض بن سارية، وإسناده ضعيف لجهالة الحارث بن زياد الشامي، فقد تفرد يونس بن سيف بالرواية عنه، وقال الذهبي في «الميزان»: مجهول، وقال ابن عبد البر: مجهول، منكر الحديث. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩: ٣٥٦ وقال: «رواه البزار (٩٧٧)، وأحمد، والطبراني ١٨

وقد استجاب الله لنبيه ﷺ فحدثنا التاريخ المنصف الصدوق أنه كان بهديه وحلمه ورفقه وسياسته وكياسته - أجدر الناس بالخلافة والملك طول ولايته، وأرعاهم للأمة وأعظمهم بلاءً في دين الله، وأكبرهم شأنًا وسلطاناً في أعين عدو الله، وهاهو ذا ملك الروم يزحف إلى حدود الدولة الإسلامية بجند عظيم، ومعاوية في معمة القتال مع عليّ بصفين، فيكتب إليه معاوية مُنذراً فيقول: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك لأضطلحن أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيّقن عليك الأرض بما رحبت. فيخافُ ملك الروم وينكف.

وإن تكن له أخطاء يُبالغ فيها ويُجسّمها من لا يبالي أن ينال من أصحاب رسول الله ﷺ، فالله يغفرها له بجانب ما قدّم للإسلام والمسلمين من جهادٍ وفتح، وإعزاز وقوة<sup>(١)</sup>.

#### نَبَذُ الخصومة عند الشدائد

وما لنا نُؤمن ببشارة النبي ﷺ للحسن بما أجرى الله على يديه من هدى وإصلاح، ولا نُؤمن ببشارة النبي ﷺ لمعاوية، وقد مهّد لهذا الإصلاح نفسه وكان شريكاً للحسن فيه؟! فقد حدثنا التاريخ أنه لما تهيأت الفتتان العظيمتان للقتال أو كادتا، أسفَ معاوية أسفاً شديداً، وخاف على المسلمين الهلاك، وقال فيما قال: مَنْ لذراري المسلمين ونسائهم وضعفائهم؟! ثم أرسل رسولين

(٦٢٨)، وفيه الحارث بن زياد، ولم أجد مَنْ وثّقه، ولم يرو عنه إلا يونس بن سيف، وبقية رجاله ثقات، وفي بعضهم اختلاف».

(١) قال الحافظ الذهبي في «السير» ٣: ٢٧٩: «أعاذنا الله من الفتن، ورضي الله عن جميع الصحابة، فترضّ عنهم يا شيعي تُفلح، ولا تدخل بينهم، فالله حكّم عدل، يفعل فيهم سابق علمه، ورحمته وسعت كل شيء، وهو القائل: «إن رحمتي سبقت غضبي» و: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] فنسأل الله أن يعفو عنا، وأن يثبتنا بالقول الثابت آمين».

٨٩٥

من قريش من ذوي الشأن والرغبة في الإصلاح<sup>(١)</sup>، وفوض إليهما الأمر في كل ما يريان، وفي كل ما يطلب الحسن من مال، لترضية الثائرين، وتعويض الغارمين، وتسكين فتن كقطع الليل المظلم.

لقد روى المؤرخون أن معاوية أرسل رسوليّه، ومعهما صحيفة بيضاء محتوم على أسفلها، وكتب إليه: أن اكتب إلي في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها بما شئت فهو لك. وما ذاك إلا لشفقته على المسلمين، ورحمة بهم، وحقناً لدمائهم، وقد تواتر أنه رضي الله عنه ما كان يضع سيفاً حيث يغني عنه سوط، وما كان يضع سوطاً حيث تغني عنه كلمة، لا جرم أنه لا يقاتل حتى لا يجد من القتال بدأ.

### حديث الصلح

وهاهو ذا البخاري يحدثنا بسنده حديث هذا الصلح، فيقول:

حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا سفيان، عن أبي موسى، قال: سمعت الحسن البصري يقول: استقبل - والله - الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: والله إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها؛ فقال له معاوية - وكان والله خير الرجلين -: أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء..! من لي بأمر الناس؟! من لي بنسائهم؟! من لي بضيعتهم؟! فبعث إليه رجلين من قريش، من بني عبد شمس: عبد الرحمن بن سمرّة، وعبد الله بن عامر بن كرز، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه. فأتياه فدخلا عليه، فتكلما وقالوا له، فطلبنا إليه؛ فقال لهما الحسن بن علي: إننا - بني عبد المطلب - قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دماها<sup>(٢)</sup>. قالوا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك

(١) وهما: عبد الرحمن بن سمرّة، وعبد الله بن عامر بن كرز كما سيأتي.

(٢) فيحتاج إرضائها في دماها إلى مال كثير، وكان رضي الله عنه جواداً لا يدخر

=

ويسألك. قال: فَمَنْ لي بهذا؟ قالوا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قال له: نحن لك به، فصالحه. فقال الحسن البصري: ولقد سمعت أبا بكره يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر.. إلخ الحديث<sup>(١)</sup>.

هذا نصُّ رواية البخاري في كتاب الصلح؛ ورواها في كتاب الفتن مختصرة<sup>(٢)</sup> وكلتا الروایتين - وناهيك بهما صحة وقوة ووثوقاً - شاهدٌ على صدق رغبة الحسن ومعاوية ورسوليه في الإصلاح بين الطائفتين، وأن اشتراكهم جميعاً في هذه المحمّدة التي تعاونوا عليها من أجلّ المحامد التي تُدخّر في صحائف المصلحين، وتُسجّل بمدادٍ من النور والشرف في سجلّات الخالدين.

### عام الجماعة

ولما سلّم الحسن لمعاوية الأمر بايعه على إقامة كتاب الله تعالى، وسنّة نبيّه ﷺ، ودخل معاوية الكوفة، وبايعه الناس أفواجا، وسُمّي عام هذه البيعة عام الجماعة؛ لاجتماع المسلمين بعد الفرقة، وائتلافهم بعد التّفرة، وسلّ سيوفهم لحماية الدعوة الإسلامية، بعد أن عطّلها قتلةُ ذي النورين رضي الله عنه بضع سنين.

وبايع معاوية كلُّ من كان معتزلاً للقتال، من أمثال عبد الله بن عمر، وسعد ابن أبي وقاص، ومحمد بن أبي مسلمة رضي الله عنهم. وأجاز معاوية الحسن ثلاث مئة ألف، وألف ثوب، وثلاثين عبداً، ومئة جمل.

ولمّا تنازل الحسن لمعاوية رجّع إلى المدينة؛ وولّى معاوية الكوفة المغيرة

شيئاً، وقد راعى هذا الكرم معاوية عند الصلح (طه).

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤) في كتاب الصلح.

(٢) وروى الحديث مقصوراً على سيادة الحسن، وإصلاح الله به في علامات النبوة

(٣٦٢٩)، وفي فضل الحسن (٣٧٤٩) والمناسبات في هذه المواضع الأربعة ظاهرة (طه).



٨٩٧

ابن شعبة، والبصرة عبد الله بن عامر، وهو أحد رسوله إلى الحسن، ورجع هو إلى دمشق.

ولم يُبالِ الحسن رضي الله عنه أن يجترئ عليه بعض السفهاء من دُعاة الفتنة، فيقول له وقد تمّ الصلح: يا عار المؤمنين! فيجيبه بجوابٍ من قبس النبوة: العارُ خيرٌ من النار..<sup>(١)</sup>.

ولئن كان لم الشَّمْل، وجمعُ الكلمة، عاراً عند السفهاء، إننا لنرحّب بهذا العار، ونقرُّ به عيناً، ونطيبُ نفساً.

أمّا بعد، فليس من شأننا في هذا المقام أن نطيلَ بذكر الأحداث التي جرت في ذلك العهد، ولا أن نرجِّح بعض الروايات المتضاربة فيها على بعض، ولا أن نفاضلَ بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما في أمر الخلافة أو الملك، ثمّ نقضيَ لأحدهما بأنه أجدر به من صاحبه وأحقّ؛ فمّا إلى ذلك قَصَدْنَا.. وإنّما الشأنُ كلُّ الشأنِ أنهما اشتركا في الصلح بين المسلمين وتعاونوا عليه، حقناً للدماء، وصوناً للحرمات، وقصداً إلى السِّداد والرِّشاد<sup>(٢)</sup>.

#### سياسة معاوية وكياسته

وإذا كان من سيادة الحسن، وعظيم ورعه، ورغبته فيما عند الله عزّ وجل،

(١) روى الترمذي (٣٤٠٨)، والحاكم ٣: ١٧٠، والطبراني (٢٧٥٤) عن يوسف بن مازن قال: عَرَضَ للحسن رجلٌ فقال: يا مُسَوِّدُ وجوه المؤمنين! قال: لا تعذّلي، فإن رسول الله ﷺ أُرِيَهُمْ يَتَّبِعُونَ على منبره رجلاً رجلاً. وأورد الذهبيُّ في «السير» ٣: ٢٧٢: قال: أتى مالك بنُ ضَمْرَةَ الحسن، فقال: السلام عليك يا مُسَخِّمَ وجوه المؤمنين. فقال: لا تقل هذا، وذكر كلاماً يعتذر به، رضي الله عنه. وقال له آخر: يأمُذَلُّ المؤمنين! فقال: لا، ولكن كرهت أن أفتلكم على الملك.

(٢) من أهم مراجعنا في شرح هذا الحديث كتاب «العواصم من القواصم»، في تحقيق مواقف الصحابة، للقاظي أبي بكر بن العربي، بتحقيق السيد محب الدين الخطيب (طه).

أن يدع الأمر لصاحبه، وهو أحقُّ به منه - بعد أن بايعه أربعون ألفاً على الموت - فمن سياسة معاوية وكياسته وجدارته باضطلاع هذا الأمر ألا يُعرض جيشه، وهو أطوع له من جيش الحسن، لمعركة يسيل فيها دمٌ، أو تُقطع فيها رَحِمٌ، أو يشمت بالإسلام فيها خصم. ولكلُّ منهما مقامٌ معلومٌ، لا يُماري فيه من كان على حقٍّ.

### سيّد الحكماء وسيّد الشهداء

ولولا كتابٌ من الله سَبَقَ باستشهاد الحسين رضي الله عنه، لاستمع للناصحين له بالأبّ يخرج، وعلى رأس نُصحائه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ولنَهَجَ منهجَ أخيه الحَسَنَ في الأخذ بالحِيطَةِ، وإمعان التَبَصُّرِ في العاقبة! ولكن أباي الله إلا أن يكونَ الحسن في الرعيل الأول من سادة الحكماء، وأن يكون الحسين في الصف الأول من سادة الشهداء.

### دعوة السّادة إلى زكاة السيّادة

وفَصَّلَ الخطاب إلى ما ندعو إليه سادتنا وكبراءنا، وأولي الفضل والنُّبُلِ منا - وهُمْ مَنْ وَصَفْنَا بِالْقَلَّةِ الكريمة المباركة - أن يؤدُّوا زكاة السيادة كما أدّاها الحَسَنُ كاملة، بالإصلاح النقيّ الجليّ، وبالشفاعة الحُسنى الخالصة، وبالدعوة الجادّة الصادقة إليهما، ما استطاعوا إلى الجدِّ والصدق سبيلاً.

\*\*\*\*\*

## حقوق الأكفاء\*

١١٣- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بعث النبي ﷺ بعثاً، وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس في إمارته، فقال النبي ﷺ: «إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وإيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده». رواه الشيخان، واللفظ للبخاري<sup>(١)</sup>.

### تقدير الكفايات

إذا كان من حقوق الأمة على بنيتها أن يُسخرُوا قواهم لخيرها، وأن يُجندُوا أنفسهم لعزّها ومجدها، فإن من حقوق أقويائها الأمانة، وعلماؤها الأتقياء، أن يكونوا موضع الثقة والعناية منها، والتجلّة والإعزاز فيها؛ كلُّ له مقام معلوم، ومكان محفوظ، كفاء ما وهب الله له من موهبة، وما منحه من فضيلة، وما آتاه من قوّة في الحقّ، وبصّر في تقدير الأمور.

وبتقدير الأمم للكفايات وحدها - دون أن يكون للعداوة أو المحبّة أو غيرها سلطان، في تولية أو حرمان - تستقيم أمورُها، وتصلح شؤونها، ويشتدُّ بنيانها؛ لأنها وقيت شرّاً التحاسد والتحاقد، والتقاطع والتباغض، إلى غير

\* مجلة الأزهر، العدد الرابع، المجلد الرابع والعشرون (١٣٧٣ = ١٩٥٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٧٣٠) في باب فضائل الصحابة، و (٦٦٢٧) في باب قول النبي ﷺ: «وإيم الله» من كتاب الأيمان والنذور، و (٤٢٥٠) في باب غزوة زيد بن حارثة من المغازي، و (٧١٨٧) في باب من لم يكثر بطعن من لا يعلم في الأمراء حديثاً من الأحكام، ومسلم (٢٤٢٦) في فضائل الصحابة.

أولئك من معاول الهدم فيها والقضاء عليها!.

حَسْبُكَ من السياسة الرشيدة أن تُقدِّر الكفائياتِ قدرها، وتُسند الأمورَ إلى أهلها، غير ناظرة إلا إلى المصلحة الخالصة وحدها، فإذا صاحب الكفاية تقريرُ قاعدة من قواعد الإصلاح، أو تثبيتُ أصل من أصول التربية، أو هدمُ عاملٍ من عوامل الفساد، فذلك منتهى السُّموِّ في سياسة الشعوب، وغاية الرُّشد في قيادة الأمم.

### تأمير أسامة ووالده

وفي هذا الحديث من ضروب السياسة العليا، التي يهدي بها النبي ﷺ أمته إلى طريق الكمال الإنساني، مثلان:

تأميره أسامة بن زيد حبه وابن حبه<sup>(١)</sup>، على جيش عدته ثلاثة آلاف، فيهم سبعمئة من قريش، منهم كبار المهاجرين والأنصار، وفي طليعتهم الشيخان: أبو بكر وعمر، وأمين هذه الأمة: أبو عبيدة بن الجراح، بعث به إلى مشارف الشام، وهي حدودها ممَّا يلي الصحراء، وكان هذا آخر جيش جهَّزه النبي ﷺ في حياته، وأول جيش أنفذه الصديق رضي الله عنه في خلافته.

وتأميره أباه زيدا من قبله على جيش عدته ثلاثة آلاف كذلك، بعثه إلى مؤتة من مشارف الشام أيضاً، وولَّى عليه ثلاثة أمراء أولهم زيد؛ عقد له النبي ﷺ لواء أبيض ودفعه إليه، وقال: «إن قُتل زيد فأميركم جعفر بن أبي طالب، فإن قتل فأميركم عبد الله بن رواحة، فإن قتل فليترض المسلمون برجل منهم»<sup>(٢)</sup>، ومن هنا سُمِّي هذا الجيش بجيش الأمراء.

(١) قال الذهبي في «السير» ٢: ٥٠٠: «قلت: لما أمره النبي ﷺ على ذلك الجيش، كان عمره ثماني عشرة سنة».

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٦٠) ولفظه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أمر

## من أعلام النبوة

ومن أعلام نبوته ﷺ أن ينعي الأمراء الثلاثة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فيقول: «أخذ الراية زيداً فأصيب»<sup>(١)</sup>، ثم أخذ الراية جعفرُ فأصيب، ثم أخذ الراية عبدُ الله بن رواحة فأصيب - وإنَّ عيني النبي ﷺ لتذرْفان - ثم أخذها سيفٌ من سيوف الله خالد بن الوليد من غير إمرة، ففتح الله تعالى له»<sup>(٢)</sup>.

ولحكِّم بالغة لم يولَّ خالدًا أوَّل الأمر، قد يكون منها أنه حديث عهد بإسلام؛ إذ لم يكن مضى على إسلامه قبل هذه الغزوة الأولى له أكثر من ثلاثة أشهر، فتولَّيته إذ ذاك لا تصادف من الجيش موقعاً وقبولاً، وإذا اختلف الجيش فقلَّ على النصر السلام!

وبعد أن شرفَّ الله الأمراء بالشَّهادة في سبيله، نُصر المسلمون على يد خالد نصراً عزيزاً، وهُزم عدوُّهم هزماً ذليلاً، وكانوا مئة ألف أو يزيدون.

## جيش الأمراء

جهَّز النبيُّ ﷺ جيش الأمراء دفاعاً عن الإسلام، وتثبيتاً لقواعد السلام، وإرهاباً لأولئك الذين اعتدوا على حُرِّمات المسلمين، وقتلوا رسولَ رسولِ الله ﷺ، مع أن الرسل لا تُقتل! وإشهاداً للعالم بأنَّ العزةَ لله ولرسوله وللمؤمنين، وبأنَّ أساس النصر ليس كثرة العدد ولا قوَّة العُدِّد، ولكنَّ النصر من عند الله العزيز الحكيم.

رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: «إن قُتل زيد فجعفر، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة». قال عبد الله: «كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب، فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين من طعنةٍ ورَمِيَّةٍ».

(١) قتل رضي الله عنه طعناً بالرمح، وكانت مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان، وهو ابن خمس وخمسين سنة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٦٣) في الجهاد.

## جيش أسامة

ثم جهَّز صلوات الله وسلامه عليه جيش أسامة قبيل وفاته، وندَّب الناس لغزو الروم - وهم والفرس أعظم دول العالم حينئذ - وعقد بيده الكريمة لواء أسامة، وقال له: «سر إلى موضع مقتل أبيك، وأغرِّ صباحاً، وأسرع المسير تسبق الخير، فإن ظفرك الله بهم فأقلِّ اللبث فيهم»<sup>(١)</sup>.

## وصية نبوية

وبينما أسامة يتأهب للرحيل، اشتدَّ برسول الله ﷺ وجعه، وطعن قومٌ بتأميره على الجيش، وعلى رأسهم عيَّاش بن أبي ربيعة المخزومي. فردَّ عليه عمر، وأخبر النبي ﷺ، فغَضِبَ غَضَباً شديداً، ولم يمنعه مرضه أن يخطبهم غاضباً، وأن ينكر عليهم الطعن في إمارته وإمارة أبيه من قبله، وأن يُوصي بإنفاذ الجيش إلى الجهة التي ولَّاهَا ... ثم انتقل صلوات الله وسلامه عليه إلى الرفيق الأعلى، فأنفذ الجيش أبو بكر بعد استخلافه؛ تنفيذاً للوصية النبوية التي تكشف الغطاء عن عظمتها وجليل آثارها قريباً.

سار الجيشُ كما أمر رسول الله ﷺ، وأمضى عشرين يوماً أو تزيد، قُتل فيها قاتلُ زيد أبي أسامة، وأرهب فيها عدوَّ الله، ثم عاد بعدها سالماً غانماً معززاً منصوراً.

## إمارة زيد وابنه في البعوث والسرايا

لم تقتصر إمارة زيد وابنه على هذين الجيشين العظيمين اللذين أشهدا العالم على عظمة الإسلام وعزته، وبلوغه الذروة في كرمه وعدالته، بل أمرهما النبي ﷺ على غيرهما من البعوث والسرايا، وإن لم تبلغ مبلغ هذين

(١) ينظر: الطبقات الكبرى ٢: ١٨٩ وفتح الباري ٧: ٧٥٨ - ٧٥٩.

الجيشين أهبة ووجهة وعديداً.

فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول: «ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمره عليهم، ولو بقي بعده لاستخلفه»<sup>(١)</sup>.

وهذا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه يقول: إنه خرج فيما يبعث النبي ﷺ من البعوث تسع غزوات، يؤمر عليهم مرة أبا بكر ومرة أسامة<sup>(٢)</sup>.

كفاية زيد وابنه الحريّة، ومقدرتهما الفاتقة

ولا يعيننا هنا أن نُفصّل أبناء هذه البعوث والسرايا، فقد تكفّلت بها كتب السير والمغازي، وإنما يعيننا أن نبين منها كفاية زيد وابنه، وأن كلاً منهما أهل للإمارة بحق؛ وأن نتبين كذلك خبرة النبي ﷺ وثاقب نظره في الرجال وحسن اختيارهم. حتى إن العرب على مراسم للحرب وبلائهم فيها لم يستطيعوا أن يطعنوا في كفايتهما الحربية، ومقدرتهما الفاتقة التي جعلت

(١) أخرجه أحمد ٦: ٢٢٧ (٢٥٨٩٨) وإسناده حسن إن صحّ سماع البهيّ - وهو عبد الله - من عائشة، فقد ثبتته البخاري في «تاريخه الكبير» ٥: ٢٥٦، ودفعه الإمام أحمد. والحديث أخرجه النسائي في الكبرى (٨١٨٢) والحاكم ٣: ٢١٥ وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. كما في التعليق على «المسند» طبعة مؤسسة الرسالة.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٧٢) في المغازي: باب بعث النبي أسامة بن زيد إلى الحركات من جُهينة، بلفظ: «غزوت مع النبي ﷺ تسع غزوات، وغزوت مع ابن حارثة، استعمله علينا». قال الحافظ في شرح الحديث (٤٢٥٠): هكذا ذكر مبهماً. ورواه أبو مسلم الكجي عن أبي عامر بلفظ: «وغزوت مع زيد بن حارثة سبع غزوات يؤمره علينا». وكذلك أخرجه الطبراني عن أبي مسلم بهذا اللفظ. وأخرجه أبو نعيم في «المستخرج» عن أبي شعيب الحراني، عن أبي عاصم كذلك. وكذا أخرجه الإسماعيلي من طرق عن أبي عاصم. وأخرجه ابن سعد ١: ٣١ من طريق أبي عاصم النبيل عن يزيد بن أبي عبيدة، عن سلمة بن الأكوع، قال: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، ومع زيد بن حارثة تسع غزوات، يؤثره رسول الله علينا. وإسناده صحيح، وصحّحه الحاكم ٣: ٢١٨ ووافقه الذهبي.

من زيد أميراً فوق الأمراء، بل رشّحته لأن يكون خليفةً لخاتم الأنبياء على خير أمة أخرجت للناس. ثم جعلت من ابنه أسامة - وهو غلام حَدَثٌ لم يتجاوز الثامنة عشرة - قرناً لأبي بكر وعديلاً له، بل أميراً عليه وعلى المشيخة من المهاجرين والأنصار، ومنهم صاحب البلاء الحميد، في البأس الشديد.

وإذا لم يكن للطاعنين مَطْعَنٌ في كفايتهما وحُسن بلائهما، فإنَّ مطعنهم في أمر وراء الكفاية، سنكشف الغطاء عنه على أثر إمامة بمكان أسامة وأبيه من العرب، ثم من النبي ﷺ.

### عجالة خاطفة في تاريخ الحبِّ وابنِ الحبِّ

كان زيدٌ مع أمّه في زيارة أخواله، فأغارت خيل في الجاهلية على أبيات لهم، فاحتملوا زيداً في صبيةٍ معه وقدموا به إلى سوق عكاظ.

وكانت خديجة أوصت حكيم بن حزام بن خويلد أن يبتاع لها غلاماً ظريفاً عربياً إن قدر، فأعجبه كيس هذا الصبي وظُرفه، فابتاعه وقدم به على عمته، ففرحت به وأكرمته. حتى تزوّجها رسول الله ﷺ وهو عندها، فلماً أعجبه ظُرفه وأدبه، استَوْهبه منها، فوهبته له. فشبَّ عند النبي ﷺ، حتى إذا خرج في إبلٍ لأبي طالب بالشام مرَّ بأرض قومه فعرفوه، ثم قدم أبوه وعمّه وأخوه يفتدونه من النبي ﷺ بما يحبُّ من الفداء، فقال لهم: «أعطيكم خيراً من ذلك؛ أُخبره فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء»، فقالوا: جزاك الله خيراً، فقد أحسنت وزدت على النصف... فلماً خيّرهُ صلواتُ الله وسلامه عليه قال: ما أنا بمختار عليك أحداً، أنت مني بمنزلة الأب والعم، فلماً رأى أنه آثره على أبيه وعمّه وأخيه خرج إلى حجرٍ إسماعيل وقال: «اشهدوا عليّ أنه حرٌّ، وأنه ابني يرثني وأرثه»، فطابت أنفسهم بذلك لما رأوا من كرامته عليه<sup>(١)</sup>.

(١) السيرة النبوية، لابن هشام ١: ٢٤٨.



### القضاء على عادة التبني

ولم يزل يُدعى في الجاهلية زيد بن محمد، حتى نزلت الآية الكريمة ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> فدعى زيد بن حارثة، وشدّد النبي ﷺ النكير على دعاء أحدٍ إلى غير أبيه وهو يعلم.

وللقضاء على هذه الدعوة المنكرة أحلّ الله تعالى للمتبنّي أن يتزوَّج زوجة الدّعي إذا طلقها وقضت عدتها، وأمر نبيّه أن يتزوَّج زينب بنت عمته أميمة، وكان زوّجها زيدا، لمكانته عنده، غير أنها كانت تتعالى عليه، وتفخر بحسبها ونسبها، وكان يشكوها إلى النبي ﷺ في قصة طويلة معروفة.

### وراثه الفضل والنبل

وورث أسامة أباه في الفضل والنبل، والكياسة والسياسة، والكفاية في الإمارة، وعظيم البلاء فيها. كما شارك أباه في حبّ النبي ﷺ له، وثقته البالغة به، ثمّ في عدّه من موالي قريش وعتقائهم تبعاً لأبيه من قبل.

هذه عَجالة خاطفة في تاريخ الحبّ وابن الحبّ تُرينا مكانهما من النبي ﷺ ومن العرب، وأنّ ما لصق بهما من العتق والولاء إن يكن ذنباً فلا يد لهما فيه، ولا عيب عليهما به. وحسبهما أنّ الله أنعم عليهما ورسوله ﷺ، فأخرجهما من ظلمة الشرك، ومذلة الرق.

### القضاء على الأنفة والكبر والعصبية

أرأيت كيف طعن الطاعنون في زيد وابنه، وشقّ عليهم أن يكونوا تحت إمرة مولى من مواليهم وعتيق من عتقائهم؟! بله غلاماً حدّثاً يتأمر عليهم، ولماً

(١) سورة الأحزاب: ٥.

يبلغ العشرين من عمره؟!.

إنها الأنفة والكبر والعصية التي جاء النبي ﷺ لمحوها واجتثاث أصولها، قولاً وعملاً وسيرةً وهدياً؛ لأنها من شجار الفتن<sup>(١)</sup>، ومعاقد البلايا والمحن في كل أمة تُمنى بها! ومن أحقُّ بأن يحمله شرف القضاء عليها من حبيبه، وأقرب الناس إليه.

### من أسرار الاختيار

يضاف إلى كفاية زيد وابنه، وما صحَّبهما من بناء قاعدة المساواة بين الناس جميعاً، وهدم دعامة الفخر بالأحساب والأنساب، أن زيداً أعلم بالجهة التي انتدب إليها؛ لأنه نشأ فيها؛ ولأن قومه منها؛ ثم إن ابنه أولى الناس بالقصاص من قاتل أبيه؛ فاختياره أحيا لنفسه، وأبعث لهمة، وأجدر ألا يدخر منها في سبيل الله وسعاً، وكذلك كان.

رأى هذا كله وأكثر منه كبار أصحاب رسول الله ﷺ، فلم يطعنوا ولم يعترضوا، وإن رغب بعضهم في أن يتوجه جيش أسامة وجهة أخرى لمحاربة المرتدين، كما رغب بعضهم أن يستبدل بأسامة من هو أكبر منه سناً، وأسبق في بلاء الحروب قدماً.

### أروع أمثلة الحزم والعزم

وهنا يضرب الصديق أروع الأمثال حزمًا وعزمًا، ويأبى كل الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة دون أن يغير في قضاء رسول الله ﷺ شيئاً، ثم يزيد في إكبار القائد الحدث وإجلاله، فيستأذنه في إبقاء الفاروق بجانبه؛ ليكون له رداءً وعوناً على مهمات الخلافة وأعبائها، ثم يودع الجيش ماشياً، فيقول له أسامة:

(١) الشجار والمشاجرة والتشاجر: المنازعة. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ

بَيْنَهُمْ﴾.

٩٠٧

يا خليفة رسول الله لتركيناً أو لأنزلن، فيقول الخليفة - الذي لم تزده الخلافة إلاّ تواضعاً وإنكاراً لذاته - : والله لا تنزل ولا أركب، وما عليّ أن أغبّر قدمي ساعة في سبيل الله؟!.

أو رأيت كيف يصنع الله لنبيّه؟! وكيف يهديه في سياسته، وكلّ شأن من شؤونه وشؤون أمته، للتي هي أقوم، ويجمع له في الأمر الواحد ما تفرّق من قواعد الإصلاح، ودعائم الرشد والفلاح؟! و ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾<sup>(١)</sup>.

\* \* \* \* \*

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٤.



## الفصل العاشر

### الفتن

- ١ - أتباع سنن السابقين.
- ٢ - أخذ الله للظالمين.
- ٣ - الفرار من الفتن.
- ٤ - سبيل المؤمنين (١ - ٢).



## اتِّباع سنن السَّابِقِينَ \*

١١٤- عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شُبْرًا بِشُبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ». قلنا: يا رسول الله؛ اليهودُ والنَّصارى<sup>(١)</sup>؟ قال النَّبِيُّ ﷺ: «فَمَنْ؟!» رواه الشيخان<sup>(٢)</sup>.

المفردات:

السَّنَن: بفتح السين، السبيل والمنهاج، وقد يضم فيكون جمع سنَّة، وهي الطريقة والسيرة.

الجُحْر: بضم الجيم، كلُّ شيءٍ تحتفره الهوام والسُّباع لأنفسهم. ونقل شارح القاموس عن فقهاء اللغة أنه كان خاصًّا بالضَّبِّ، ثم توسَّعوا فيه واستعملوه لغيره.

الضَّبُّ: دُوْبِيَّة تشبه الحرذون، وهي أنواع؛ فمنها ما هو قدر الحرذون، ومنها أكبر منه، ومنه دون العنز، وهو أعظمها. ونقل الدَّمِيرِي في «حياة الحيوان» أن الضَّبَّ، والوَرَل، والحرَباء، وشحمة الأرض، والوزغ، كلها متناسبة في الخَلْق.

\*\*\*\*\*

\* مجلة الأزهر، العدد الخامس، المجلد السادس عشر، سنة (١٣٦٤).

(١) بالرفع والنصب أي: أهم اليهود والنصارى؟ أو تعني اليهود والنصارى؟ وقوله: «فمن؟» استفهام إنكار يعني ليس المراد غيرهم (طه).

(٢) رواه البخاري (٣٤٥٦) في كتاب الأنبياء، ومسلم (٢٦٦٩) في كتاب العلم.

### من دلائل نبوته ﷺ

من دلائل نبوته صلوات الله وسلامه عليه، أن يخبر ببعض ما كان، وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة؛ فإن ذلك من أنباء الغيب التي يُوحىها الله تعالى إليه، ما كان يعلمها هو ولا قومه من قبل.

ومن هذا القبيل - وهو في صحيح السنة غير قليل - أن أمته - إلا من عصم الله - ستركب رؤوسها، وتتبع أهواءها، وتسيرُ سيرة أهل الكتاب من قبلها - حذو القذة بالقذة<sup>(١)</sup>، والنعل بالنعل - لا تغادر شيئاً من معاصيها وبدعها، وزيفها وانحرافها، إلا وقعت فيه، وآثرته على تعليم دينها، وآداب شرعها.

### سرُّ التمثيل بالشبر والذراع

وهذا هو سرُّ التمثيل بالشبر والذراع، وتخصيص الجحر بالضب؛ فهم لحرصهم على اقتفاء آثار القرون الخالية، والاقتراء بهم في كل كبيرة وصغيرة، ليأخذن بأحذهم<sup>(٢)</sup>، وليدخلن في مداخلهم، وإن بلغت من الضيق والالتواء والرداءة مبلغ جحر الضب.

### ابتلاء هذه الأمة بما ابتليت به الأمم السابقة

وإذا لم يكن بُدٌ من قضاء الله تعالى، وصدق نبيه ﷺ، فلا عجب أن تُبتلى هذه الأمة بما ابتليت به الأمم قبلها، من التفرُّق والتخاذل، والمجادلة والتحاسد، والغلو في اتباع الآباء والكبراء، وحب الدنيا والرياسة، إلى غير ذلك مما يُضعف الدين ويُذهب باليقين، ويُمهّد للشُر الذي يستطير بين يدي

(١) أي مثل ريشة السهم، تقدّر على قدر صاحبها وتقطع. والعبارتان تضربان مثلاً للشئيين يستويان ولا يتفاوتان. وقد وردتا في روايات هذا الحديث (طه).

(٢) أخذ أخذه وبأخذه، فعل فعله واستار بسيرته. والهمزة مفتوحة. وقيل: مثله (طه).



الساعة. و«لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق»<sup>(١)</sup>.

نَبَتَ هذا كله، وأخذ ينمو ويترععرع في أعقاب القرون الثلاثة الأولى حينما أُنسعت رقعة الفتح، ونَمَتِ الوشائج بالأمم المغلوبة، ثم فُتِنَ العامة بالدنيا وزُخرفها، وفرَّ الخاصَّة - إلا قليلاً - بدينهم من الفتن، وعجزوا أن يقاوموا الدنيا وعِبَادَها، والأهواء وأشياعها، ورضُوا من الغنيمة بالسلامة. وليس هنا مجالُ لمؤاخِذة مُقَصِّرٍ على تفريطه، أو متغالٍ على إفراطه.

بل لقد كاد ينبتُ هذا، والنبِيُّ ﷺ بين أظهر صحابته، لولا أن اجتثَّ البذرة، وسدَّ الذريعة ببليغ حكمته.

#### شجرة ذات أنواط

أخرج مالك والنسائي وغيرهما عن أبي واقد الليثي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: خَرَجْنَا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَيْن - ونحن حديثو عهد بكفر، وللمشركين سِدْرَةٌ يعكفون عندها، ويُنوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذاتُ أنواط - فمررنا بسِدْرَةٍ، فقلنا: يا رسولَ الله، اجْعَلْ لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، إِنَّهَا السُّنَنُ، قَلْتُمْ - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ»<sup>(٢)</sup>، لتركبن سنن من كان قبلكم»<sup>(٣)</sup>.

(١) اقتباسٌ من حديثٍ أخرجه مسلم (٢٩٤٩) في الفتن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»، وأخرجه مسلم أيضاً في الإمارة (١٩٢٤) من قول عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق».

(٢) سورة الأعراف: ١٣٨.

(٣) رواه بهذا اللفظ أحمد ٥: ٢١٧ الميمية (٢١٨٩٧) الرسالة، والترمذي (٢١٨٠)، وابن حبان (٦٧٠٢) كلهم من حديث أبي واقد الليثي، وهو حديث صحيح على شرط

## سبب ورود الحديث

ونرى مَحْمَلًا قريباً أن تكون هذه القصة السببَ الأول في سياقة هذا الحديث، فيكون من قبيل تحذيره صلوات الله وسلامه عليه لأُمَّته في أواخر حياته أن يقعوا فيما وقع فيه الأُمم من قبل، كما حذَّروهم في مرضه الذي توفي فيه أن يتَّخذوا كما اتَّخذَ اليهودُ والنَّصارى، قبورَ الأنبياء مساجد.

ما فائدة التحذير من أمر مُتَحَقِّقٍ؟!

وإذا كان ركوبُ الأُمَّةِ المَحمَديَّةِ سَنَنَ مَنْ قَبْلُهَا، أمراً لا مناص منه، ولا مَعْدَى عنه، حتى عُدَّ ذلك بحقٍّ من المعجزات ودلائل النبوة، فما الحيلة في قضاء نافذ، وأمرٍ مقدور؟! ثم ما فائدة التحذير ممَّا حَدَّثَ ﷺ أنه كائن لا مَحَالَةٌ؟! .

جديرٌ بنا أن نقتبس الإجابة عن هذا السؤال من صاحب «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم»، فإنه لم يدع في هذا المقام لمُستزید زيادة. قال: «إِنَّ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ قَدْ دَلَّآ عَلَيَّ أَنَّهُ لَا يَزَالُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ طَائِفَةٌ مُسْتَمْسِكِينَ بِالْحَقِّ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ<sup>(١)</sup>، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَزَالُ يَغْرَسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمَلُهُمْ فِيهِ بَطَاعَتَهُ<sup>(٢)</sup>، وَأَنَّهُمْ لَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى ضَلَالَةٍ<sup>(٣)</sup>».

الشيخين انظر: التعليق على المسند ٣٦: ٢٢٦.

(١) روى البخاري (٣٦٤٠) (٣٦٤٢)، ومسلم (١٠٣٧) (١٩٢١) (٣٦٤١) من حديث جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقفون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة».

(٢) روى أحمد في المسند ٤: ٢٠٠ (١٧٧٨٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٩: ٦١، وابن ماجه في «المقدمة» (٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٢٦) من حديث أبي عنبَةَ الخولاني يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يزال الله يغرس في هذا الدين بغرس يستعملهم في طاعته»، وهو حديث حسن. انظر: التعليق على المسند ٢٩: ٣٢٥.

(٣) روى أحمد في «المسند» ٦: ٣٩٦ (٢٧٢٢٤)، والطبراني في الكبير (٢١٧١) من

=

ففي التحذير من التقليد وركوب السنن تكثيراً لهذه الطائفة الظاهرة المنصورة، وتثبيتاً لها، وتقويةً لإيمانها.

ثمَّ لو قُدِّرَ أنَّ أحداً لا يترك التشبُّه بهم، والدخول في أهوائهم، لكان في هذا التحذير إيماناً بما جاء به الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه.

ألا ترى إلى ما يرويه مسلم من قوله: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وهذا أضعف الإيمان»<sup>(١)</sup>. وفي لفظ: «ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»<sup>(٢)</sup>. والإيمان بما كرهه الله خيرٌ، وإن لم يقترن بالعمل.

ومن هنا كان حقاً على العالم بالمنكر أن يُنكره، ولو تورط فيه وابتلي به. على أن العالم بالذنب قد يستغفر الله، ولو أصرَّ على ما فعل، أو يأتي بحسنات تمحوه، أو تُخَفِّفه، أو تُضَعِّف هَمَّتَه في طلبه.

وكم بين العالم والجاهل من درجات وفضل، والحمد لله إذ منَّ على هذه الأمة بأنها مهما اختلفت وتخاذلت، فلا يزال طائفةٌ منها ظاهرين على الحق لا يضرُّهم منْ خالفهم حتى يأتي أمر الله»<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا كما أشرنا أوَّلَ الشرح إيماءً إلى أنه صلوات الله وسلامه عليه لا يقصدُ كل الأمة، وإنما يقصد سوادها الأعم الأغلب، اعتماداً على ما تواتر

حديث أبي بصرة الغفاري، وهو حديث صحيح لغيره. والترمذي (٢١٦٧) من حديث ابن عمر، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. ولفظه عند الترمذي من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يجمع أمتي أو قال: أمة محمد ﷺ على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شدَّ شدَّ إلى النار».

(١) رواه مسلم (٤٩).

(٢) رواه مسلم (٥٠).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية ١: ١٧١-١٧٢.

عنه، من استثناء هذه الفئة النادرة. والنادر - كما يقولون - لا حكم له.

### بلاء التقليد وسوء مغبته

وفي الحديث إشارة إلى بلاء التقليد، وسوء مغبته، وكم جرّ التقليد على الأمم - لا سيّما المسلمين - من ويّلات وككّبات، في أنفسهم ودينهم وقوميتهم، حتى كادوا ينماعون في غيرهم، كما ينماع الملح أو الحبر.

### الحكمة من النهي عن التشبه بالغير

ولحكمة بالغة، نُهينا عن التشبه بغيرنا، ولو في ظاهر الأمر والمباح منه؛ لأنّ المشاركة في الهدى الظاهر تُورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال. وترى هذا مُشاهدًا جلياً فيمن يتجمل بلباس أهل العلم، ومن يتزيّياً بزى الجند مثلاً، فإنّ كلاّ منهما - ولا محالة - واجد في نفسه ميلاً إلى مَنْ يقلّده، لا يزال ينمو ويقوى حتى يصير طبعاً وعادة.

ومن هنا ندرك بعض ما ينطوي عليه من أسرارٍ وحكمٍ قوله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»<sup>(١)</sup>. وإذا كان هذا في السّمّت المباح والأمر الظاهر، فكيف

(١) أخرجه أحمد ٢: ٥٠٠ (٥١١٤)، (٥١١٥)، (٥٦٦٧) من حديث ابن عمر مرفوعاً: «بُعِثت بالسيف بين يدي الساعة...» وهو حديث ضعيف الإسناد على نكارة في بعض ألفاظه. ففي إسناده ابن ثوبان - وهو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان - اختلفت فيه أقوال المجرّحين والمعدّلين، فمنهم من قوى أمره، ومنهم من ضعفه، وقد تغيّر بأخرة، وخلاصة القول فيه: أنه حسن الحديث إذا لم ينفرد بما ينكر، فقد أشار الإمام أحمد إلى أن له أحاديث منكورة، وهذا منها. انظر التعليق على مسند أحمد ٩: ١٢٤. وأخرج قوله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم» فقط أبو داود (٤٠٣١) وفيه ابن ثوبان أيضاً. ويشهد لقوله: «من تشبه بقوم فهو منهم» حديث حذيفة عند البزار (١٤٤)، وقال: لا نعلمه مسنداً عن حذيفة إلا من هذا الوجه، وقد وقفه بعضهم على حذيفة، وأورده الهيثمي في «المجمع» ١٠: ٢٧١ ونسبه إلى الطبراني في «الأوسط» (٨٣٢٧) فقط، وقال: فيه عليّ بن غراب (وهو عند البزار أيضاً)، وقد وثقه غير واحد، وضعّفه بعضهم، وبقيه رجاله ثقات.

بالتشبه في الفسق والضلال وذرائع الكفر، والعياذُ بالله عزَّ وجلَّ؟!.

مضارُّ التقليد الأعمى وسوءاته

شهد بمضارِّ التقليد وسوءاته فلاسفة الأخلاق والاجتماع، وعلماء النفس والتربية قديماً وحديثاً، وحرصوا على ألا تتردَّى في الهاوية أممهم، حتى لتجد الأمة القوية العريقة مُستمسكة بتقاليدها وعاداتها، عاضَّةً عليها بالنواجذ، لا تفرطُ فيها قيداً أنملة.

ومن سخفِ العقل، وكثافة الجهل، ما نرى من غلوِّ هؤلاء المقلِّدين، وحرصهم على بعض عادات وتقاليد، أطرحها ذووها؛ لِمَا رأوا فيها من فسادٍ لا صلاح معه.

ولو لم يكن من مضارِّ التقليد إلا شعور المُقلِّد بضعفه وحقارته، ثم بكمال المُقلِّد وعظمته، لكفى بذلك إثماً وعاراً.

وما أحكمَ ما يقول ابن خلدون في «مقدمته»: «إنَّ النفس - أبداً - تعتقدُ الكمالَ فيمن غلبها، وانقادت إليه ... ولذلك ترى المغلوبَ يتشبهُ أبداً بالغالب، في ملبسِهِ، ومركبه وسلاحه، في اتِّخاذها وأشكالها، بل في سائر أحواله. وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم، كيف تجدهم مُتشبِّهين بهم دائماً، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمالَ فيهم»<sup>(١)</sup>.

التقليد البصير

على أننا لا ننكر من التقليد ما كان بصيراً، يَهدي إلى الرُّشد، ويعين على بناء الأمة، وينهضُ بها إلى مدارج الرُّفعة والعزة؛ فإن لذلك آثاره الحميدة، وغاياته المجيدة. والإسلام لا يمنع من هذا ولا يقف في طريقه. وكيف، وهو

(١) مقدِّمة ابن خلدون ص ١٣٧ الفصل الثالث والعشرون من الباب الثاني في أن المغلوب مَوْلَعٌ أبداً بالافتداء بالغالب في شعاره وزِيَّهٍ ونَحْلته وسائر أحواله وعوائده.

ينادي بالسَّبَقِ إلى كلِّ فضيلة، والعمل على تحقيق كلِّ خير ومصلحة؟!.

ولئن دَخَلَ العدوُّ على المسلمين من أبواب مُتَفَرِّقة، فإنَّ أشدَّ المداخل عليهم ما رماهم به عدوُّهم من الجمود والتعصُّب، كي يسلبهم ما ورثوا من عزَّة وقوَّة، وينفذ إلى ما يرومُّ من ذلَّة وضعف؛ على حين أنَّ هؤلاء الذين غرُّوهم أحرص الناس على تقاليدهم وعاداتهم، لا يعدلون عنها فتيلًا. وإلا فما بالهم لا يقلِّدون المسلمين، ولو مُجَامِلة في الأمور التافهة؟!.

فإنَّ كان ولا بد من تقليد، فليكن في جدِّ الحياة دون هزلها وعبثها، وفي شريف الأمور دون خسيسها ودينيتها؛ «فإنَّ الله تعالى يحبُّ معالي الأمور وأشرفها، ويكره رذالها وسفاسفها»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*\*

(١) اقتباس من حديث رواه الطبراني (٢٨٩٤)، والقضاعي في «الشهاب» (١٠٧٦) عن الحسين بن علي عليهما السلام. قال الهيثمي في «المجمع»: «فيه خالد بن إلياس، ضعفه أحمد وابن معين والبخاري والنسائي، وبقية رجاله ثقات، وهو حديث صحيح لشواهده. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» ٢: ٣٥٨: «أخرجه البيهقي من حديث سهل بن سعد متصلاً، ومن رواية طلحة بن عبيد الله بن كُرَيْز مرسلاً، ورجالها ثقات». وقال المناوي في «الفيض» ٢: ٢٩٥: «معالي الأمور، هي: الأخلاق الشرعيَّة، والخصال الدينيَّة، لا الأمور الدنيويَّة؛ فإنَّ العلوَّ فيها نزول يُكره. وسفاسفها؛ أي: حقيرها ورديتها».

## أَخَذُ اللهُ لِلظَّالِمِينَ \*

١١٥- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». قال ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾<sup>(١)</sup>. رواه الشيخان<sup>(٢)</sup>.

### المفردات:

الإملاء: الإمداد في الزمن والإمهال والتأخير، مأخوذاً من الملوء، والملاوة - مثلثين - وهي الطائفة الطويلة من الزمن. وأملى للبعير: أرخى له الزمام ووسع له في القيء؛ ليتسع له المرعى. والمملوان: الليل والنهار.

والظلم: وضع الشيء في غير موضعه. وفي المثل: «من استرعى الذئب فقد ظلم». وأصل الظلم: الجور ومجاوزة الحد، وهو ثلاثة أقسام تأتي: وأفلته من الورطة، وفلته: خلصه وأنقذه. وأفلت منها بنفسه، وأفلتها: تخلص، يتعدى ويلزم.

\*\*\*\*\*

\* مجلة الأزهر، العدد السادس، المجلد السادس عشر (١٣٦٤).

(١) سورة هود: ١٠٢.

(٢) رواه البخاري (٤٦٨٦) في كتاب التفسير، ومسلم (٢٥٨٣) في كتاب البر والصلة.

## معنى الظلم

لا نستطيع أن نفهم الحديث حقَّ فهمه، ولا أن نُجَلِّيه كما ينبغي له، إلا إذا أوضحنا المراد «بالظلم»، وكشفنا الغطاء عنه؛ ذلك أننا لا نكاد نفهم من «الظلم» عند إطلاقه إلا أنه انتهاك حرمان الناس، والتعدّي على حقوقهم. وهو على هذا الوجه شائعٌ معروف في كتاب الله وسنة رسوله، وفي لغة العامة والخاصة. حتى قال الأستاذ الجزيري رحمه الله في صدر كتابته على حديث الظلم والشُّح<sup>(١)</sup>: «كلُّ الناس يعرفون معنى الظلم، ويدركون معنى العدوان على الأنفس والأعراض والأموال والحقوق العامة والخاصة. فإذا اعتدى أحدٌ على غيره في نفسه أو ماله أو عرضه، أو سلبه حقاً من حقوقه فقد ظلمه، ومن يفعل ذلك فقد خسِر خسراً مبيئاً، وكان عُرْضَةً للهلاك في الدنيا والآخرة». وهو - رحمه الله - مُنصف في حمل الحديث على هذا المعنى؛ لأنه لا يكاد يحتمل غيره، وإن كان ذلك في حقيقة الأمر نوعاً من أنواع الظلم، على ما نوضّحه.

## الظلم مخالفة أوامر الله وتعدّي حدوده

ذلك بأننا نجد القرآن المبين - وقد ذمَّ الظلم وأهله مئة مرة وثيِّفاً - يطلق «الظلم» في أغلب الأحيان على معنى عام، هو مخالفة أمر الله وتعدّي حدوده التي حدَّ لعباده، فيشمل كبائر الذنوب وصغائرها أيّاً كان نوعها ومناطقها.

## الظلم ثلاثة أنواع

ومن هنا نقل الراغب عن بعض الحكماء أن الظلم ثلاثة<sup>(٢)</sup>: ظلمٌ بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه: الكفر والشُّرك والنفاق؛ ولذلك قال: ﴿إِنَّكَ

(١) في المجلد الحادي عشر من مجلة الأزهر ص ٣٩٤.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني ص ٥٣٧.



الشِّرْكَ لَظَلْمٌ عَظِيمٌ»<sup>(١)</sup>، وإياه قصد بقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وظلمٌ بينه وبين الناس، وإياه قصد بقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وظلم بينه وبين نفسه، وإياه قصد بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وكلُّ هذه الثلاثة في الحقيقة ظلمٌ للنفس؛ فإنَّ الإنسان أول ما يهْمُ بالمعصية، فقد ظلم نفسه وعدا عليها وعرضها لسخط الله عز وجل، ولذلك قال الله تعالى في غير موضع: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

ولا ريبَ أن من ظلم نفسه التي بين جنبيه كان لغيره أظلم، وإن كان يجهل أو يتجاهل أنه ظالمٌ لنفسه؛ لأنه يتجلى له ظلمه في صورة المنفعة، وتمثل له نفسه في صورة الأخيار المصلحين، وهكذا شأن الظالمين المجرمين.

ويؤيد هذا الذي نقله الراغب ما يؤثر عن عليٍّ رضي الله عنه في بعض خطبه: «ألا وإنَّ الظلم ثلاثة: فظلم لا يُغفر، وظلم لا يُترك، وظلم مغفور لا يطلب.

فأمَّا الظلم الذي لا يُغفر: فالشِّرْكَ بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة لقمان: ١٣.

(٢) سورة هود: ١٨.

(٣) سورة الشورى: ٤٠.

(٤) سورة فاطر: ٣٢.

(٥) سورة البقرة: ٥٧.

(٦) سورة النساء: ٤٨.

وأما الظلم الذي يُعْفَر: فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات<sup>(١)</sup>.  
وأما الظلم الذي لا يُتْرَك: فظلم العباد بعضهم بعضاً. القصاص هناك شديد،  
ليس هو جرحاً بالمُدَى ولا ضرباً بالسياط، ولكنه ما يُستصغر ذلك معه.

### المراد بالظلم في الحديث

وواضحٌ - بعد أقسام الظلم التي أوضحناها - أن المراد به في الحديث ما  
يشملها جميعاً: من الإفساد في الأرض والتعالي فيها، وانتهاك حُرْمَاتِ اللَّهِ  
وحُرْمَاتِ عِبَادِهِ، ويتناول ذلك أول ما يتناول الاستهزاء بالرسول وما جاؤوا به،  
وذلك أقبح الظلم وأشنع. وهو - ولا ريب - دَرَكَاتٌ متفاوتة بتفاوت الظالمين  
في الشرِّ والإفساد.

ويؤيِّد هذا المعنى العام الذي ذهبنا إليه، استشهاده ﷺ بالآية الكريمة في  
وعيد الظالمين وتهديدهم، بأنَّ عاقبتهم هي عاقبة المكذِّبين لرسولهم، من قوم  
نوح وعاد وثمود، وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مَدْيَن وقوم موسى، ومن  
إليهم. وقد أملى لهم الله فلم يزدتهم الإملاء إلا عتُوًّا وفساداً، وبالغت الرسل في  
نصحهم، فلم تردهم النصيحة إلا بغياً وعناداً، ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ  
مِنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

### إملاء الله للظالمين

وإملاءُ الله للظالمين هو إرجاءُ عقوبتهم، وإمهالُهُم إلى أجلٍ مُّسَمًّى، مع  
إمدادهم بالنَّعم وإمتاعهم بزهرة الدنيا وزينتها؛ مكرّاً بهم وكيداً لهم؛ ليزدادوا  
إثماً وبغياً، وطغياناً وكفراً.

(١) الأمور الحقيرة، وأراد بها الإمام صغائر الذنوب.

(٢) اقتباس من الآية ٢١ من سورة غافر.

٩٢٣

حقّ عليهم ذلك بما أفسدوا من فطرة الله، وكفروا بأنعم الله، واغترؤا بحلمه تعالى، وما علموا أنّ الله يستدرجهم من حيث لا يعلمون، ثم يأخذهم بَغْتَةً وهم لا يشعرون.

### حكيمته سبحانه في الإملاء

ولعلّ من حكيمته تعالى في هذا الإملاء - وله الحجّة البالغة - أن يُعذر إلى الظالمين<sup>(١)</sup>؛ لئلا تكون لهم عند الله حُجَّةٌ، ولا تنفعهم لديه معذرة. وعسى أن يكون في بعضهم أثاراً من خير، فيتذكّر ما قدّمت يداه، ويندم على ما فرط في جنب الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

هذا إلى ما كتب الله للأرض من أجلٍ تبلغ فيه عمارتها، وتأخذ فيه زخرفها وزينتها، ﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

### جزاء الظالمين

ومن العدل الإلهي، وقد حرّم الله الظلم على نفسه، ووكدّ تحريمه على عباده، أن يجعل عقابه أليماً، وجزاءه وخيماً. وقد قصّ سبحانه من أبناء الظالمين - أفراداً وأمماً - ما فيه العبر الناجعة، والعظات البالغة، لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع. فصلّل أخذه للظالمين في مئين من آي الذكر، وأجمله في غير آية منه.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ

(١) يزيل عذرهم فلا يبقى لهم موضعاً للاعتذار. وفي حديث البخاري (٦٤١٩):

«أعذر الله إلى امرئ آخر أجله حتى بلغه ستين سنة» (طه).

(٢) سورة الشورى: ٢٥.

(٣) سورة النحل: ٦١.

مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١﴾.

﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٢).

### فقدان الأمة عزتها

وليس أخذ الله للظالمين مقصوراً على الإهلاك الحسي، والتدمير المرئي، بل إن من ضروب الأخذ ما هو أشدُّ أثراً في النفوس، وأفعل فتكاً في الأمم! ألا وهو فقدان عزتها، وذهاب قوميتها، واستعباد الأمم لها حتى يهي بناؤها وتنقص عروتها، وتصبح مثلاً في الأذلين.

ومن الأدلة على هذا: ما نشاهده من أن الأمة القوية إذا غلبت على أمرها، فإنها تُؤثرُ الفناء على الاستعباد، وتختار الهلاك في سبيل عزتها على البقاء في رِبْقَةِ الذلة والهوان.

وما أحكم أبا الطيّب إذ يقول:

ذَلَّ من يَغْبِطُ الذِّلِيلَ بعِيشِ رَبِّ عِيشِ أَخْفَ منه الحِمَامِ

ابتلاء الله الظالمين بالظالمين

ومن ضروب الأخذ: أن يبتلي الله ظالماً بظالم، وبتنقم من فاسقٍ بفاسق،

(١) سورة النحل: ١١٢ - ١١٣.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٠.

ثم ينتقم منهم جميعاً. وهاهي ذي بلاد البغي والفجور، لا تزال غارقة في بحار من الدماء، هائمة في وديان من البؤس والشقاء، بما أقترفوا من الشّهوات، واجترحوا من فنون الموبقات؛ كما اعترف بذلك أساطينهم، وأهل الرأي فيهم.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾<sup>(١)</sup>.

وليقراً في قصص القرآن، وفي تاريخ الممالك والدول، وفي قضاء الله تعالى في بني إسرائيل وأشباههم، من شاء أن يتبين قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

### افتراق الأمة أحزاباً وشيعاً

ومن أنواع العقوبة على الظلم: أن تفترق الأمة أحزاباً وشيعاً، فيتصدّع جمّعها، وتختلف كلمتها، وتتشعب أهواؤها، فيطمع العدو فيها، ويهون عليه أمرها. وهذا الذي أنزله الله بالأمة المحمّدية لما ظلمت نفسها، وحادت عن تعاليم نبيّها.

روى البخاري عن جابر رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك»، قال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك»، قال: ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْعًا وَيُزَيِّقَ بَعْضُكُمْ بِأَسْ بَعْضٍ﴾<sup>(٣)</sup> قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون أو هذا أيسر»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الرعد: ٣١.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٩.

(٣) سورة الأنعام: ٦٥.

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٢٨). والشك من الراوي. انظر الحديث في مجلة الأزهر

حماية هذه الأمة من عذاب الاستئصال ببركة النبي ﷺ

وقد جمعت هذه الأمة من المنكرات ما تفرَّق في الأمم السابقة، ممَّا تستحقُّ على بعضه عذاب الاستئصال، ولكنَّ الله حماهم منه ببركة نبيِّهم ﷺ، فهل لهم في ذلك مُعْتَبَرٌ؟.

من شوْم الظلم

ومن شوْم الظلم: أنَّ عقوبته تعمُّ الظالمين وغيرهم، يؤيِّد ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾<sup>(١)</sup>.

وكذلك ما رواه الشيخان عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ: «أنهلكُ وفينا الصَّالِحون؟ قال: «نعم، إذا كَثُرَ الخَبِثُ»<sup>(٢)</sup>.

أما بعد، فهذا بعض عقاب الله للظالمين - على ما مَصَّت به سنته، وجرَّت به عادته - ولا ملجأ لهم من بطشه وأخذه، إلا أن يثوبوا إلى رُشدِهم، ويكفُّوا عن ظلمهم، ويؤدُّوا حقوق الله وحقوق عباده، قبل أن يأتي يومٌ لا تجزي نفسٌ عن نفس شيئاً، ولا يقبل منها عدلٌ، ولا تنفعها شفاعة. فإن لم يفعلوا، فليصبروا على عذاب الله في الدنيا: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*\*\*

المجلد الثاني عشر، ص ٢٧٣ (طه).

(١) سورة الأنفال: ٢٥.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٣) اقتباس من الآية ١٢٧ من سورة طه.

## الفرار من الفتن\*

١١٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتنٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي؛ من تشرف<sup>(١)</sup> لها تستشرفه، فمن وجدَ ملجأً أو معاذاً فليعدْ به»<sup>(٢)</sup>.

١١٧- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشكُ أن يكونَ خيرَ مالِ المسلمِ غنمٌ»<sup>(٣)</sup> يتبعُ بها شَعَفَ الجبالِ ومواقعِ القطرِ؛ يفرُّ بدينه من الفتن». رواهما الشيخان<sup>(٤)</sup>.

### المفردات :

الفتنة: للفتنة في لسان العرب معانٍ منها: المحنة، والعذاب، والفضيحة، والتفرُّق في الآراء والأهواء وما يعقب ذلك من هرج ومرج.

\* مجلة الأزهر، العدد الثاني، المجلد الخامس عشر، صفر (١٣٦٣).

(١) في «الجمع بين الصحيحين» لعبد الحق الإشبيلي ٤: ١٧٦ «يشرف»، وفي نسخة أخرى: «تشوف».

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠١) في المناقب، ومسلم (٢٨٨٦) في الفتن وأشراط الساعة.

(٣) أشهر الروايتين برفع (غنم) على أنها الاسم. ويجوز في (يتبع) تشديد التاء وتسكينها (طه).

(٤) أخرجه البخاري (١٩). ولم يروه مسلم في صحيحه، كما في «تحفة الأشراف» ٣:

وجماع معنى الفتنة: الابتلاء، والامتحان، والاختبار؛ من الفتن: وهو إدخال الذهب في النار لتظهر جودته من رداءته.

مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا...: أي مَنْ تَطَّلَعَ إِلَيْهَا، وَتَصَدَّى لَهَا تَصَدَّتْ لَهُ، وَمَنْ غَالَبَهَا غَالَبْتُهُ، فَأَهْلَكَتُهُ.

والملجأ، والمعاذ، والعياذ، واحد: وهو الحصن، وعاذ به يعوذ، واستعاذ به، لجأ إليه. يوشك: يقرب.

وَشَعَفَ الْجِبَالَ: رَؤُوسُهَا وَأَعَالِيهَا، وَاحِدَتَهَا: شَعْفَةٌ.

مَوَاقِعَ الْقَطْرِ: مَسَاقِطُ الْمَطَرِ، وَالْمَرَادُ: الْأُودِيَّةُ وَالْمَرَاعِي.

\*\*\*\*\*

### من دلائل النبوة

من أعلام نبوته وآيات صدقه - صلوات الله وسلامه عليه - ما قصَّ الله على أمته، ممَّا كان وممَّا هو كائن إلى يوم القيامة؛ من أحداث الزمن، وطغيان الفتن، واختلاف الأمة، وأشراط الساعة، إلى غير أولئك من أنباء الغيب التي لا مَطْمَعَ فِيهَا، وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهَا إِلَّا بِوَحْيٍ مِنْ قِبَلِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.

قَبَسُ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ فِي الْفِتَنِ

وَإِذَا تَنَزَّهَ حُكْمُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ عَنِ الْعَبَثِ، فَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْحِكْمَةِ فِيمَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ضُرُوبِ الْفِتَنِ الشَّعْوَاءِ، الَّتِي قَطَّعَتْهُمْ أَحْزَابًا وَشِيعًا، وَكَادَتْ تَحْصِدُ الْأَخْلَاقَ وَتَحْلِقُ الدِّينَ؛ أَنْ يُمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَيَجْزِي كَلًّا مِنَ الصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ؛ فَإِنَّ الدِّينَ لَغَوْرٌ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ مَا دَرَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقُ، وَسُبِعَتْ عَلَيْهِمُ الْعَافِيَةُ؛ فَإِذَا جَدَّ الْجَدُّ، قَلَّ الدِّيَانُونَ ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ



يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١٠١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا  
وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿١٠٢﴾<sup>(١)</sup>.

وحكمة أخرى، وهي العظة والاعتبار بما يصيب الدولة القوية - بل  
الضعيفة - إذا تقسّمتها العصبية والأهواء، ودبّ فيها ديبُّ الفرقة والاختلاف.

وأخْلَقُ بنا - في هذا المقام - أن نتأمّل مليّاً في ذرائع الفتن وبذورها، من  
الغيبة، والنميمة، والتجسُّس، والتكالب على الدنيا، إلى أمثال هذه المنكرات  
التي تهيج النفوس، وتزرع فيها العدَاوة والبغضاء؛ وأن نتأمّل كذلك مليّاً في  
تحذيره البليغ صلوات الله وسلامه عليه من الفتن، ودعوته إلى الفرار منها،  
فضلاً عن مخالطتها والتحقُّم فيها.

#### أحوال الناس في الفتن

والناس في الفتن على أحوال شتى؛ شرُّهم من ينفخ شرَّها، ويضرمُ  
نارها، ويوقظ نائمها. وأهون منه مَنْ يخالطها ويهواها، ويعين عليها. وخيرٌ من  
هذا، مَنْ يقعد بعيداً عنها، غير متدنِّس بدنسها ولا متلطِّح بأثامها؛ مثله  
فيها: كمثل ابن اللبون، لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب؛ فإن خشي أن تهبَّ  
عليه عاصفتها كان أشدَّ الناس فراراً منها، ولو أن يأويَ إلى رأس جبل، أو أن  
يعضَّ بجذع شجرة؛ وحسبُه من القوت ما سدَّ الجوعة، ومن اللباس ما وارى  
العورة!.

#### موقف السلف من الفتن

على أن فضل الفرار من الفتن إنّما هو للعاجز الذي لا يملك فيها حولاً ولا  
قوة؛ أما من ظنَّ بنفسه قدرةً على إخمادها، أو تسكينها، أو التقليل من  
أظفارها، فليقم لما أعدّه الله له؛ فإن الله مبتليه بذلك، وساتله عمّا مكّن له.

(١) سورة العنكبوت: ٢-٣.

ومن هنا نستطيع أن نفسر - بعض التفسير - موقف السلف من الفتن التي مُنيَ بها المسلمون في العهد الأول، فاعتزلها قوم<sup>(١)</sup>، ودفعتها - أو حاول - آخرون.

وإذا كنا لا نعصمُ فريقاً منهم من الخطأ<sup>(٢)</sup>، فإننا لا نستبعد على الدُّخلاء في الإسلام سوءَ النية<sup>(٣)</sup>؛ ولكننا لا ننظرُ بأصحاب رسول الله ﷺ إلاّ خيراً

(١) من هؤلاء محمد بن مسلمة، وعبد الله بن عمر، وأبو بكره رضي الله عنهم. ينظر: فتح الباري، كتاب الفتن، شرح الحديث (٧٠٨٢).

(٢) في كلام المؤلف نَظَرُ، فإنَّ الخليفةَ الحقَّ بعد عثمان هو عليُّ بن أبي طالب، والذين قاتلوه في الجَمَلِ وصفينَ مخطؤون بغاة، ولهذا أجرى أمير المؤمنين عليُّ رضي الله عنه أحكامَ البغاة في حقِّهم، بل إنَّ الفقهاء ما أخذوا أحكامَ البغاة إلاّ عنه رضوان الله عليه. فأمر المؤمنين عليُّ رضي الله عنه كان هو المحقُّ المصيب في تلك الحروب، وممَّا يؤيد ذلك ما رواه مسلم في صحيحه (٢٩١٥) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ لعمار، حين جعل يحفر الخندق، وجعل يمسح رأسه ويقول: «بؤسَ ابنِ سُمَيَّة: تقتلُك فتةٌ باغية». وما رواه مسلم ٢: ٧٤٥ (١٥٠) أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «تمرَّقْ مارقةً عند فرقة من المسلمين، تقتلها أولى الطائفتين بالحق».

فهذه الروايات - كما يقول النووي في «شرح مسلم» ٧: ١٦٨: صريحة في أن علياً رضي الله عنه كان هو المصيب المحق، والطائفة الأخرى، أصحاب معاوية كانوا بغاة متأولين. قال: وفيه التصريح بأنَّ الطائفتين مؤمنون، لا يخرجون بالقتال عن الإيمان، ولا يفسقون. وهذا مذهبنا، ومذهب موافقينا.

ومن الأدلة أيضاً ما رواه البزار - بإسناد جيد كما قال الحافظ في «الفتح» ١٣: ٩٢ - عن زيد بن وهب قال: كنا عند حذيفة فقال: كيف أنتم، وقد خرج أهل دينكم، يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف؟ قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «انظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر عليٍّ فالزموها، فإنَّها على الحق» وانظر بقية الأدلة في «الفتح» ١٣: ٩٢.

(٣) وفي مقدمة هؤلاء عبد الله بن سبأ الهمداني، المعروف بابن السوداء، كان يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء، أسلم زمن عثمان رضي الله عنه، ثم تنقل في بلدان المسلمين

٩٣١

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

أي الأمرين أفضل : العزلة، أم الخِطْطَة؟

ويستدلُّ بهذين الحديثين، وما في معناهما مَنْ يُرَجِّحُ العزلة ويدعو إليها. وترجيح العزلة على المخالطة، أو العكس، من مهمّات المسائل التي تناولتها بحوثُ العلماء قديماً وحديثاً، وأوفتها حقّها، درساً وتمحيصاً، حتى اختصّها الإمام الغزالي رحمه الله بكتاب من «إحياء علوم الدين»<sup>(٢)</sup>.

وجملة القول : أن فريقاً من الناس يُؤثرون العزلة؛ لأنها أسلم للدين، وأدعى للأنس بالله عزّ وجل. ولو لم يكن فيها إلاّ الخلاص من الغيبة التي أضحت فُكاهة المجالس لكفى. ومن هؤلاء: سفيان الثوري، والفضيل بن عياض، وأكثر العبّاد والزهاد.

وآخرون يُؤثرون الخِطْطَة، لما فيها من العلم والتعلّم، والنفع والانتفاع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البرّ والتقوى، وتحقيق المثل العليا لخير أمة أُخرجت للناس، ومن هؤلاء: سعيد بن المسيّب، والشّعبيّ، وابن المبارك، والشافعي، وابن حنبل، وأكثر التابعين.

وفصلُ الخطاب : أن لكلّ من العزلة والاجتماع كثيراً من الآفات، وأنّ كلاّ منهما يختلف باختلاف أحوال الناس والأحوال والأوقات؛ وليس أجمل ولا أعدل من الاعتدال، في عامة الأحوال.

يريد ضلالتهم، وهو أول من وضع مبدأ الرجعة، وأول من قال بالوصية. تنظر أخباره في تاريخ الطبري ٤ : ٢٤٥، والبداية والنهاية، لابن كثير ٧ : ٢٣٦.

(١) سورة النور: ٦٣.

(٢) إحياء علوم الدين، كتاب العزلة، وهو الكتاب السادس من ربيع العادات ٢ : ٢٢٢.

- ٢٤١.

فليأخذ المرء بحظّه من الأمرين جميعاً؛ في رُشد وسَدَاد، وبصيرة وجهاد، فإذا ما تموجت الفتن، وعمّت الأهواء، ولم يجد ملجأً إلا الفرار، فليَسَعه بيته، وليُنك على خطيئته، وليُعذ بالله خير معاذ<sup>(١)</sup>.

ولن يكون ذلك إلا بعد أن يذهب الصّالحون تبعاً، وتبقى حفّالة<sup>(٢)</sup> كحفّالة الشعير أو التمر، لا يبالهم الله باله<sup>(٣)</sup>. فالحقّ الذي تهدي إليه معالمُ السنّة أن شرائط العزلة لم تكتمل كلها بعد؛ وإن عست أن تكون قريباً.

وما لم تتم شرائط العزلة كلها، فهروب المرء أو قبوعه في كسر بيته - لا سيما أهل الدعوة إلى الله تعالى - جُبْنٌ، أو رهبانية؛ وليس الجُبْن من صفات المتّقين، وليست الرهبانية في شيء من هذا الدين، وإنما كانت سائغة في الأمم السابقة، بل كانت قُرْبَةً إلى الله تعالى، ووسيلةً إلى رضوانه، أمّا هذه الأمة فرهبانيتها - كما روى الإمام أحمد وغيره - الجهاد في سبيل الله عزّ وجل<sup>(٤)</sup>.

(١) كما في قوله ﷺ لعبد الله بن عامر الجهنّي لما قال له: يارسول الله: ما النجاة؟ قال: «أسك عليك لسائك، وليَسَعك بيتك، وأبك على خطيئتك» أخرجه الترمذي في الزهد (٢٤٠٦) وقال: هذا حديث حسن.

(٢) الحفّالة: الحثالة، وما رقّ من عكر الدّهْن، ورُغوة اللبن.

(٣) كما في الحديث الذي رواه البخاري في الرقاق (٦٤٣٤) باب ذهاب الصّالحين من حديث مرداس الأسلمي رضي الله عنه - وكان من أصحاب الشجرة - قال: قال رسول الله ﷺ: «يذهب الصّالحون، الأول فالأول، ويبقى حفّالة كحفّالة الشعير أو التمر، لا يبالهم الله باله» أي: لا يرفع لهم قدراً، ولا يقيم لهم وزناً. يقال: ماباليته، أي: لم أكرث به. كما في «النهاية» ١: ١٥٦.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» ٣: ٨٢ (١١٧٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري، ومن حديث أنس بن مالك ٣: ٢٦٦ (١٣٨٠٧)، وكلا الحديثين ضعيف. انظر: «المسند» طبعة مؤسسة الرسالة.

٩٣٣

## الفتن ضروب شتى

وبعد، فيومئ الحديثان إلى ما استفاض في السنة، من أن الفتن ضروبٌ شتى؛ منها العام والخاص، ومنها الشديد العظيم، والهين اليسير؛ ومنها المعين والمباغت، وبين يدي الساعة تصطخب وتضطرم، ويكسع بعضها بعضاً<sup>(١)</sup>، ويركب بعضها أعناق بعض.

والمؤمن الكيس من أعد للفتن عدته، وبادرها بالصالحات قبل أن تبغته، فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال؛ فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً؛ يبيع دينه بعرض من الدنيا»<sup>(٢)</sup>.

\* \* \* \* \*

---

(١) أي: يتبع بعضها بعضاً.

(٢) أخرجه مسلم (١١٨) في الإيمان، والترمذي (١٢٩٥) في الفتن وصححه.

## سبيل المؤمنين\*

- ١ -

١١٨ - عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما يقول: كان الناسُ يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشرِّ مخافةً أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: «نعم؟» قلت: وهل بعد ذلك الشرِّ من خيرٍ؟ قال: «نعم، وفيه دُخْنٌ»، قلت: وما دُخْنه؟ قال: «قومٌ يهدون بغير هُدًى، تعرف منهم وتُنكر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شرٍّ؟ قال: «نعم، دعاةٌ على أبواب جهنم، مَنْ أجابهم إليها قذفوه فيها!» قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم»، فقلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟! قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة، حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك» رواه الشيخان واللفظ للبخاري<sup>(١)</sup>.

## مكان حذيفة في الصحابة

أبو عبد الله حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، من كبار أصحاب رسول الله ﷺ، ومن المقدمين عنده علماً ونبلاً وفضلاً، كان صاحب سرِّه في المنافقين،

\* مجلة الأزهر، العدد التاسع، المجلد الثامن والعشرون (١٣٧٦ = ١٩٥٧).

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦) في المناقب، و(٧٠٨٤) في الفتن، ومسلم (١٨٤٧) في

الإمارة.

٩٣٥

لا يعلم نفاقهم غيره، وتلك مزيةً اختصَّ بها النبيُّ صلوات الله عليه وسلامه، وقد أرسله ليلة الأحزاب - سريةً وحده - لياتيه بخبر القوم، فذهب إليهم وجاءه بخبرهم<sup>(١)</sup>.

وكان عمر يُجَلُّه ويسأله: هل تعلم فيَّ شيئاً من النفاق؟ فيقول: لا.

وأبلى في الفتح الإسلامي بلاءً حسناً، وولاه عمر المدائن، وقال لأصحابه: تمنوا، فتمنوا ملء البيت الذي هم فيه جوهرًا، لينفقوه في سبيل الله، فقال عمر: أتمنى رجالاً مثل أبي عبيدة ومعاذ وحذيفة، وأستعملهم في طاعة الله.

#### أحاديث الفتن وأشراط الساعة

كان أحفظ الصحابة - رضوان الله عليهم - لأحاديث الفتن وأشراط الساعة، حتى ليقول فيما رواه الشيخان: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً، ما ترك شيئاً يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلاَّ حدَّث به، حفظه مَنْ حفظه، ونسيه من نسيه. قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره، كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم عنه قال: أخبرني رسول الله ﷺ بما كان إلى أن تقوم الساعة<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٨) في الجهاد.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠٤)، ومسلم (٢٨٩١). قال الذهبي في «السير» ٢: ٣٦٦: «قلت: قد كان ﷺ يرثل كلامه ويُفسِّره، فلعلَّه قال في مجلسه ذلك ما يُكتب في جزء، فذكر أكبر الكوائن، ولو ذكر أكثر ما هو كائن في الوجود، لما تهيأ أن يقوله في سنة، بل ولا في أعوام، ففكَّر في هذا»

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٩١).

٩٣٦

وفي صحيح مسلم أيضاً عنه قال: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة كائنة فيما بيني وبين الساعة<sup>(١)</sup>.

لاجرمَ أن الله تعالى عَلَّمَ نبيَّهُ ما لم يكن يعلم، وأوحى إليه من أنباء الغيب كثيراً، وإن كانت في جنبِ علمِ الله قليلاً.. ثم اختصَّ ﷺ صاحبَ سرِّه منها بالنصيب الأوفى..

### الشر والفتن والنفاق توائم

والشرُّ والفتن والنفاق توائم، بعضها من بعض، يبرأ منها الإيمان والمؤمن الحق؛ لأنها معاول هدم وفساد ونقض، تهدمُ الأمة، وتفرِّقُ الكلمة، وتنقض العروة، وتُفسد ذاتَ البين، وتجعل أهلها أثراً بعد عين!! وأشدُّها ما التبس أمره واضطربت مذاهبه، كما قال رضي الله عنه - وقد سُئِلَ: أيُّ الفتن أشد؟ -: أن يعرض عليك الخير والشرّ، فلا تدري أيُّهما تركب.

### تعاقب الشر والخير

كان رضوان الله عليه شديد الخوف والحذر، من الفتن والنفاق والشر، وحبَّ الله إليه السؤال عنها؛ ليحذرهما ويحذّر منها، كما حبَّبَ الله لغيره من أصحاب نبيِّه ﷺ أن يسألوا عن وجوه الخير؛ ليعملوا بها ويبلغوها، وكلُّهم على هدى من الله ورحمة..

وقد سأل رسولَ الله ﷺ - فيما سأل -: عمّا هم فيه من الخير العظيم، والفضل العميم، والهدى والنور، والشفاء لما في الصدور، الذي بعث الله به خاتم النبيين ﷺ يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، بعد أن كانوا في جهالةٍ

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩١). ولفظه من حديث حذيفة أنه قال: أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة. فما منه شيء إلا قد سألته، إلا أنني لم أسأله: ما يُخرج أهل المدينة من المدينة؟.



٩٣٧

جهلاء، وضلالة عمياء، وظلمات بعضها فوق بعض هل يكون بعد هذا الخير - وما أعظمه - شيء من شر؟.

فأجابه من لا ينطق عن الهوى عليه صلوات الله وسلامه: نعم إن شيئاً من الشر لكائن! ابتلاء للأمة، واختباراً للنعمة ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾<sup>(١)</sup> ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين<sup>(١)</sup>.

سأل حذيفة مرة ثانية: هل من خير يجيء بعد ذلك الشر فيمحوه؟ فأجابه المعصوم ﷺ: نعم، سيكون خير خالص لاشية فيه، كالنور مضياً، لا دخان به، وكالماء صافياً لا كدر معه.

قال حذيفة مرة ثالثة: هل يلحق ذلك الخير من شر؟ فأجابه الصادق المصدوق ﷺ: نعم. فقال: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ فقال ﷺ: نعم، ولكنه خير يخالطه الشر، كالنور معتماً والماء مكدرأ، فكذلك الناس ونفوسهم، يُرشدون بغير سنتي، ويسلكون غير سبيلي، على أنك ترى المعروف منهم حيناً فتشكره، وإن كنت ترى المنكر أحياناً فتنكره، خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

### دعاة الفتن

لم يقنع حذيفة رضي الله عنه بما سأل رسول الله ﷺ عن تعاقب الخير والشر، وهو يجيبه في كل مرة.. بل سأله مرة خامسة عما وراء هذا الخير المدخول: هل من شر يكون بعده؟ فأجابه ﷺ: نعم، شر أشد وأفظع! يطيره دعاة فتن، وأرباب سوء، يدعون الناس إلى الفساد، ويصدونهم عن سبيل الرشد، يقولون ما لا يفعلون، ويلبسون الحق بالباطل، ويكتمون الحق وهم يعلمون، مأواهم - ومن اتبعهم - النار، وبئس القرار!

(١) سورة العنكبوت: ٢ - ٣.

والعجب أنهم من جلدتنا، وأبناء عشيرتنا وملتنا، يتكلمون بهذا اللسان العربي، وربما قرؤوا كتاب الله تعالى، وتحدثوا بحديث رسول الله ﷺ، ولكن أفندتهم من الخير هواء: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فَمَنْ أدرك منهم أحداً فلينبذه تَبَذَّ النَوَاةَ، وَاكْتُمُوا جماعة المسلمين، وَيَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ، من السمع والطاعة، فَإِنَّ «من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية»<sup>(٢)</sup>.

#### خيار الأمة وشرارهم

نعم، إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرَعَاهُ، «وما من عبدٍ يسترعيه الله رعيّةً يموت يوم يموت، وهو غاشٍ لرعيته إلا حَرَّمَ اللَّهُ عليه الجنة»<sup>(٣)</sup>.. هكذا توعّد الصّادق المصدوق ﷺ كلَّ أميرٍ أو حاكمٍ لم يجهد لأُمته، ولم ينصح لجماعته. وقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «اللهم مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِي شَيْئاً، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشَقُّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِي شَيْئاً، فَفَرَّقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»<sup>(٤)</sup>.

كما قال صلوات الله وسلامه عليه: «خيار أئمتكم: الذين تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُم، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشَرَارُ أئمتكم: الذين تُبْغِضُونَهُمْ

(١) سورة آل عمران: ١٦٧.

(٢) اقتباس من حديث أخرجه مسلم في صحيح (١٨٥١) في كتاب الإمارة من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً.

(٣) اقتباس من حديث أخرجه البخاري (٧١٥٠) (٧١٥١)، ومسلم (١٤٢) كلاهما من حديث معقل بن يسار مرفوعاً.

(٤) أخرجه مسلم (١٨٢٨).

٩٣٩

ويُغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم» قالوا: يا رسول الله أفلا ننايذهم؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة»<sup>(١)</sup>.

### لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

وإنما حَتَمَ النبي ﷺ على كلِّ امرئ أن يسمع ويطيع لإمامه فيما أحبَّ أو كره - ما لم يُؤمر بمعصية - حرصاً على وحدة الأمة، وجمعاً لكلمتها، وطلباً لسلامتها من محنة الفتنة، ومغبة الفرقة، وهو الذي أرسل رحمة للعالمين.

فإذا لم يكن إمامٌ للناس ولا جماعة، وتقطَّعوا أحزاباً وشيعاً، كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون، فليعتزل هذه الأحزاب كلَّها، وليتحمل من البلاء ما حُمِّل، وله إذا صبر واحتسب جزاء الصَّابرين.

### من أعلام النبوة

ذلك، والحديثُ عَلمٌ من أعلام النبوة، ما في ذلك ريب، ولكن هل يشير إلى فتن معينة، وفرق خاصة؟ وما هي تلك الفرق؟ هذا ما نرجو أن نكشف الغطاء عنه في الجزء التالي بمشيئة الله تعالى وتوفيقه وهو ولي التوفيق.

\*\*\*\*\*

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

سبيل المؤمنين<sup>(١)</sup>

-٢-

١١٩ - عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرِّ: مخافة أن يدركني؛ فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: «نعم»، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنَّتي، ويهدون بغير هَدْيِي، تعرف منهم وتُنكر»؛ فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها»! فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: «نعم، قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ على أصل شجرة، حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك». رواه الشيخان واللفظ لمسلم<sup>(٢)</sup>.

\* \* \* \* \*

(١) مجلة الأزهر، العدد العاشر، السنة الثامنة والعشرون (١٣٧٦=١٩٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦) في المناقب، و (٧٠٨٤) في الفتن، ومسلم (١٨٤٧) في

الإمارة، واللفظ له.

## الشورى في الإسلام

كان النبي ﷺ - بمقتضى الدستور الإلهي - هو الحاكم المقدم، والرئيس الأعظم، لخير أمة أخرجت للناس، وكان - مع تلك الولاية العظمى - مأموراً بمشاورة أمته فيما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل.

فلماً لحق صلوات الله وسلامه عليه بالرفيق الأعلى، كان شأن المشورة بين أمته أعظم، وكانت - لما لم يرد فيه نص من الأحكام - ألزم..

وعلى أساس هذه الشورى مَضَوْا رضوان الله عليهم في تولية الخلفاء الراشدين أئمة لهم.

## مبادرة الفاروق

ولئن بادر الفاروق بمبايعة الصديق رضي الله عنه - ولما تنضج الشورى في المبايعة - فلقد كان مترجماً لما في نفس رسول الله ﷺ ونفوس أصحابه، من أن أحب الناس إليه، وخليفته في حياته، أولى الناس قاطبة بأن يكون خليفته من بعد وفاته.. ذلك أنه رضي الله عنه بادر؛ إذ أوجس في نفسه خيفة من أن ينحدر الاختلاف في الشورى - والاختلاف فيها لا بد منه - إلى عاقبة لا يعلم إلا الله مداها، وهذه الدنيا من حولهم تريد أن تتخطفهم، وتربص بهم الدوائر!

## عهد الصديق

ولئن عهد أبو بكر بالخلافة إلى صاحبه، فلقد كان عهداً شورياً، ما أجل خيره، وأعظم ثمره وبره؛ لأنه وليد الشورى الصديقية العبقريّة، التي تمخضت عن استنباء الأجلاء من أصحاب رسول الله ﷺ، واستطلاع آرائهم فيمن يلي أمرهم من بعده، فكان إجماعهم رائعاً على أن من اختاره الصديق لهم، هو خيرهم وأفضلهم، وأقواهم على احتمال هذا العبء غير مدافع.

## منشأ الفرق والطوائف

ثمَّ كانت الشورى في خلافة ذي التَّورين، وأبي الحَسَنِ - رضوان الله عليهما - سافرة نيرةً.

ولئن حدثت في عهديهما أحداثٌ كانت منشأ فرَق وطوائف، ثم نحلِّ ومذاهب، فرقت المسلمين فرقا، وقطعتهم أحزاباً وشيعاً، مُنيَ بها المسلمون إلى يومنا هذا. إنه البلاء المبين الذي يبتي الله به عباده حيناً بعد حين؛ ليجمعهم على إمام سيِّد، عبقرِيٍّ مُجدِّد، كما جمعهم على الحسن بن علي رضي الله عنهما، لما ترك الأمر لمعاوية، وهو أحقُّ به منه، بعد أن بايعه على هذا الحقِّ أربعون ألفاً على الموت.

## بشارة نبوية

وبهذا الإصلاح العبقرِي العظيم، حَقَّقَ اللهُ بشارَةَ جَدِّ الحَسَنِ ﷺ، إذ بشرَّ أمته، وهو على المنبر، والحسن إلى جنبه، وهو ﷺ يقبل على الناس مرةً، وعليه أخرى، ويقول: «إنَّ ابني هذا سيد، ولعلَّ اللهُ أن يُصلح به فئتين عظيمتين من المسلمين»<sup>(١)</sup>.

## لن يُفلح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة

وقد اشتركت في هذه الأحداث أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لما وكَّيت أمر المطالبة بدم عثمان رضوان الله عليه، ففضى الله أن تزداد شقَّة الخِلاف والفتن من حيث تبتغي هي ومن معها إحقاق الحق<sup>(٢)</sup>؛ ليرينا الله - رأيَ

(١) البخاري (٢٧٠٤) في كتاب الصلح. وانظر شرح هذا الحديث في: الإصلاح بين الأكاير ص ٨٩١.

(٢) انظر «مختصر التحفة الاثني عشرية» للسيد محمود شكري الألوسي، بتحقيق السيد محب الدين الخطيب (طه).

٩٤٣

العين - أنه «لن يُفْلَحَ قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة»<sup>(١)</sup>، ولو بلغت مرتبة الصديقين، وكانت من أمّهات المؤمنين<sup>(٢)</sup>.

### حقوق الصُّحبة

وهنا نُذَكِّرُ القراءَ بأنَّ لأصحاب رسول الله ﷺ حقوقاً وِذْمًا، هي من حقوق رسول الله ﷺ على سائر أمته، منها: أن نقبلَ من مُحسنهم، ونتجاوزَ عن مُسيئهم، فإن لم نندارس الحسنات، فلا أقلَّ من أن نتغاضى عن الهفوات؛ فإنها ليست شيئاً مذكوراً بجانب ما قدّموا لله ورسوله ﷺ. ولنعلم أن صحبتهم لرسول الله ﷺ، لا يعدلها إلا رضوان الله عزَّ وجلَّ.

### عام الجماعة

ولمَّا سَلَّمَ الحسن لمعاوية مقاليد الأمر، اجتمعت عليه القلوب بعد الفرقة، وأتلفت بعد الثفرة، ودخل الناس في بيعته أفواجا حتى سُمِّيَ هذا العام بحقِّ عام الجماعة.

### أحداثٌ وفتن

ثمَّ كانت أحداثٌ وفتنٌ، هبَّت في ثناياها عواصف هُوج، وتكاثرت في خلالها طوائف وشيع، وتزاحمت فيها منكراتٌ وبدعٌ، لا يزال المسلمون منها إلى اليوم في شقاءٍ وبلاءٍ!!

(١) اقتباس من حديث رواه البخاري (٤٤٢٥) في الفتن، و (٧٠٩٩) في المغازي، والترمذي (٢٢٦٣) في الفتن، والنسائي (٥٣٨٨) في القضاة من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

(٢) قال الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٢: ١٧٧: «ولا ريب أن عائشة ندمت ندامةً كليَّةً على مسيرها إلى البصرة، وحضورها يومَ الجمل، وما ظنَّت أن الأمر يبلغ ما بلغ. فعن عمارة بن عمير، عمَّن سمع عائشة: إذا قرأت: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] بكت حتى تُبَلِّ خمارها».

## نعمتان كبيرتان

ولولا أن من الله على المسلمين بنعمتين من نعمه الكبرى، لكان الإسلام منذ قرون أثراً بعد عين:

حفظ كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعداً عليه حقاً، إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وتأييد هذا الدين - الذي أظهره على الدين كله - بمن شاء من عباده، حتى إنه ليؤيده بأقوام لا خلاق لهم.

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، في قصة القتال نفسه بعد أن أبلى في الجهاد بلاءً حسناً: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»<sup>(٢)</sup>.

## الخروج على أئمة الجور

وفي مثل هذا الحديث دليلٌ ساطع على أنه لا يجوز لأحد - كائناً من كان - أن يخرج على أئمة الجور: «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان»<sup>(٣)</sup>، بل فيه دليلٌ على الدعاء لهم، ومُضيّ الجهاد معهم؛ اتقاء الفتنة، وابتغاء سلامة الأمة، واجتماع الكلمة.

## متى يكون الفرار؟

فإذا عَظُمَ الصَّدْعُ، وَتَشَتَّتَ الْجَمْعُ، وتفرقت الأمة - وعباداً بالله - أيدي سباً، ولم يكن لهم إمامٌ يجمعهم، ولا رادع يردعهم، فقد حقت عليهم كلمة

(١) سورة الحجر: ٩.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (١١١).

(٣) اقتباس من حديث أخرجه البخاري (٧٠٥٥) (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).



٩٤٥

العذاب، وحقّ لمن يرجو النجاة أن يفرّ بدينه من الفتن، ولو أن يأوي إلى أصل شجرةٍ وحيداً فريداً يلاقي من آلام الوحدة ما يلاقي حتى الموت، فإنّ وحدته حينئذٍ خيرٌ من مجتمع كله شرّاً لا أمل للخير فيه، وضلالٌ لا رجاء للهدى معه!!.

لا يأس من رَوْحِ الله

أما بعد؛ فعلى الرغم ممّا نرى في زماننا هذا من موجات يأسٍ مُتتابة، وظلمات دَنَسٍ متلاحقة، ورؤوس رجسٍ مُتسابقة، لم يحن وقت الفرار بعد، ولن يحلّ لمؤمن أن ييأس من رَوْحِ الله: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْفَؤُومُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*\*

(١) سورة يوسف: ٨٧.



## تَمَّتَان

التمة الأولى : حول عبارة : " المزية لا تقتضي الأفضلية "

تقدّم قول المؤلف رحمه الله تعالى في شأن الصيام واختصاصه من بين العبادات بالإضافة إليه سبحانه ص ٣١٤: "المزية لا تقتضي الأفضلية"، وكذلك قوله في حديث "تخير العاملين" في اختياره ﷺ عمرو بن العاص وتأميره على السابقين من أصحابه ص ٦١٦: "ومن القضايا الثابتة: أن المزية لا تقتضي الأفضلية" ويرى بعض أهل العلم عدم صحة هذه العبارة.

قال شيخنا العلامة المحدث المفسر الأصولي عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله تعالى في كتابه "خواطر دينية" ص ٦٦: "مما شاع بين كثير من أهل العلم، عبارة: المزية لا تقتضي التفضيل". فإذا قلت لأحدهم: كيف يكون الخضر - وهو ولي - أعلم من موسى وهو نبيٌ يوحي إليه؟ أجابك بأنه مزية، والمزية لا تقتضي التفضيل. وهي عبارة - كما ترى - فُصِدَ بها الاسترواح، وليس عليها دليل، بل الدليل ضدها.

ذلك أن التفضيل ينبنى على المزية، فبقدر مزايا الشخص يكون تفضيله، وكلُّ نبيٍّ فضِّلَ بمزية اختصَّ بها، كاختصاص إبراهيم بالخلة، وموسى بالكلام، ومحمد عليه الصلاة والسلام بالرؤية، وهكذا. وفضِّلَ نبينا لكثرة مزاياه التي اختصَّ بها، وهي التي تُسمَّى خصائص، ومناقب، وفضائل، والأولياء والعلماء يتفاضلون بالمزايا التي عند كلِّ واحد منهم، وكذلك الشهور والأيام والساعات والأذكار، تتفاضل بالمزايا التي وضعها الله فيها، فقد تبين بطلان تلك العبارة من أساسها " انتهى كلام شيخنا.

والذي يبدو - والله أعلم - أن قولهم "المزية لا تقتضي الأفضلية" قولٌ صحيح، لكن مع إضافة كلمة واحدة، بأن نقول: لا تقتضي الأفضلية العامة، فمزية علي في القضاء - مثلاً - لا تقتضي تفضيله علي الشيخين في غير القضاء، رضي الله عنهم جميعاً. وهذا القيد أو التفسير ملاحظٌ في أذهان قائله.

وإذا قرأنا كلام شيخنا رحمه الله تعالى مع الأمثلة التي ذكرها، ولاحظنا فيها هذا القيد لم نر إشكالاً.

فمزية الخضر - وهو نبيٌ كما هو رأيُ الشيخ وجمهور العلماء - لا تقتضي مطلق تفضيله على سيدنا موسى عليهما الصلاة والسلام، ومزية إبراهيم في الخلّة، وموسى في التكليم، ومحمد ﷺ في الرؤية، لا تقتضي كل واحدة منها تفضيله المطلق على غيره.

وأما قوله رحمه الله تعالى: " وفضلُ نبينا ﷺ لكثرة مزاياه التي اختصَّ بها... " فهذا سليمٌ جداً، فقد جاء التفضيل العام للمزايا العامة. والله تعالى أعلم.

\*\*\*\*\*

التتمة الثانية : موسى لم يدرك شعيباً عليهما السلام.

تقدم قول المؤلف رحمه الله تعالى ص ٦١٢ في أن الشيخ الكبير الذي لقيه موسى في "مدين" وتزوج ابنته أنه شعيب عليه السلام، كما ذهب إلى ذلك أكثر المفسرين. والصحيح أن موسى لم يدرك شعيباً عليهما السلام.

قال الحافظ ابن كثير في "تفسيره" ٦ : ٢٦٥٣ : "وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل: مَنْ هو؟ على أقوالٍ أحدها: أنه شعيب النبيُّ - عليه السلام - الذي أرسل إلى أهل مدين، وهذا هو المشهور عند كثيرين، وقد قاله الحسن البصري، وغير واحد.

وقال آخرون: بل كان ابن أخي شعيب. وقيل: رجلٌ مؤمن من قوم شعيب. وقال آخرون: كان شعيب قبل زمان موسى - عليه السلام - بمدّة طويلة لأنه قال لقومه: ﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنكُمْ يَبْعِدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل - عليه السلام - بنص القرآن، وعلِمَ إنه كان بين موسى والخليل - عليهما السلام - مدّة طويلة، تزيد على أربعمئة سنة كما ذكره غير واحد. ثم من المقوِّي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إيّاه، لأوشك أن يُنصَّ على اسمه في القرآن هاهنا.

وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى، لم يصح إسناده.

ثم من الموجود في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه "يثرون"، والله أعلم" انتهى.

(١) سورة هود: ٨٩.

وقال شيخنا العلامة المحدث المفسر الأصولي الشيخ عبد الله بن الصديق رحمه الله تعالى في كتابه "خواطير دينية" ص ٣٨ - ٣٩: "قال كثير من المفسرين في المرأتين اللتين سألهما موسى عليه السلام حين ورد ماء مدين: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>: إنهما ابنتا شعيب عليه السلام. لكن ليس في القصة ما يؤمى إلى ذلك سوى ذكر "مدين"، وهذا ليس بدليل.

ومن المستبعد ألا تشير المرأتان إلى نبوة أبيهما، كما لم تُشر إليه الآية إطلاقاً. وليس في إخفائهما حكمة، فقد ذكر الله لوطاً مع إبراهيم، ويعقوب مع إسحاق، وهارون مع موسى، ويوسف مع يعقوب، ويحيى مع عيسى عليهم السلام، فلم أخفى شعيباً؟.

ثم إنني تأملت سورة الأعراف، فوجدتها ذكرت نوحاً وهوداً وصالحاً ولوطاً وشعيباً على هذا الترتيب. وقالت بعد ذلك: ﴿ثُمَّ بَمَثَلنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسىٰ بِأَيَّتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهٖ فَظَلَمُوا بِهَا﴾<sup>(٣)</sup>. فأفادت الآية أن موسى بعد شعيب عليهما السلام. فلا أدري كيف غفل عنها المفسرون؟.

وفي سورة الحج: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿١٤﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿١٥﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾<sup>(٤)</sup>.

وبهذا الترتيب ذكروا أيضاً في سورة هود<sup>(٥)</sup>، فلماذا أرجح أن الشيخ الكبير والد المرأتين ليس شعيباً عليه السلام، وما يذكر في ذلك من الحديث ليس بصحيح، والله أعلم " انتهى.

(٢) سورة القصص: ٢٣.

(٣) سورة الأعراف: ١٠٣.

(٤) سورة الحج: ٤٤.

(٥) بدءاً من الآية ٢٥ إلى الآية ٩٦.

٩٥١

وقال شيخنا العلامة المفكر المفسر عبد الرحمن حبنكة الميداني حفظه الله تعالى في تفسيره النفيس "معارض التفكير ودقائق التدبر" ٩ : ٣٨١ :

" من هو الشيخ أبو المرأتين من أهل مدين ؟

جاء عند جمهور المفسرين أنه شُعب الرسول عليه السلام، وليس لهذا القول سندٌ يرفعه إلى الرسول ﷺ.

وقيل : اسمه شعيب على اسم الرسول شعيب عليه السلام.

وقيل : هو ابنُ أخي شعيب عليه السلام. وقيل : هو ابن عمه. وقيل : هو رجل مؤمنٌ من قوم شعيب.

أقول : جاء في الإصحاح (٢) من سفر الخروج عند أهل الكتاب أن اسمه "رعوثيل" فقرة (١٨).

وجاء في الإصحاح (٣) من سفر الخروج أن اسمه "يثرُون"، وأنه كان كاهن مديان. فقرة (١).

وجاء في كتاب "قاموس الكتاب المقدس" : أن "يثرُون" معناه : فضل، وأن "رعوثيل" معناه : صديق، أو خليل الله. قالوا: ويظهر أن هذا الاسم كان اسمه الشخصي، وأن "يثرُون" لقبٌ شرفٍ أُطلق عليه.

والذي أراه أن لا داعي لاعتماد قولٍ بعينه، وعلى الرغم مما عند أهل الكتاب من أغاليط كثيرة، فلا مانع عقلاً من أن يكون هذا الرجل "رعوثيل"، وأن لفظ "يثرُون" لقب شرف أُطلق عليه، وأنه كان كاهن "مديان" أي: كان ذا رياسة في قومه، وعلى ملة الرسول شعيب عليه السلام " انتهى.

فالأرجح أنه ليس شعيباً عليه السلام، لأن شعيباً كان قبل موسى بمدة زمنية طويلة.

ومما يرجح ذلك أيضاً أن قوم لوط وقوم مدين كانا مُتقاربين من حيث الزمان ومن حيث المكان، وكان دمار قوم لوط قبل دمار مدين بفترة قريبة،

وذكرهم شعيب عليه السلام بما حلَّ بقوم لوط فقال لهم: ﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ﴾<sup>(٦)</sup> كما تقدم نقله عن ابن كثير.

وبما أنَّ هلاك قوم لوط كان زمن إبراهيم عليه السلام، فقد كان هلاك قوم مدين قريباً من عهد إبراهيم. وبين إبراهيم وموسى فترة زمنية طويلة، تمتدُّ لعدة قرون، فبينهما كلٌّ من إسحاق ويعقوب ويوسف عليهم الصلاة والسلام، وبين يوسف وموسى مدة طويلة.

وإلى هذا القول ذهب أيضاً الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى، ورجَّح أنه ليس بشعيب، وإنما هو شيخ آخر من مدين، فقال "في ظلال القرآن" ٥: ٢٦٨٧: "والذي يحمل على هذا الترجيح: أن هذا الرجل شيخٌ كبير، وشعيبٌ شهيدٌ مهلكٌ قومه المكذِّبين به، ولم يبقَ معه إلا المؤمنون به، فلو كان هو النبيُّ شعيب بين بقية قومه المؤمنين، ما سَقَوْا قبل بتي نبيِّهم الشيخ الكبير... فليس هذا سلوك قومٍ مؤمنين ولا معاملتهم لنبيِّهم وبناته من أول جيل!

ويُضاف إلى هذا أن القرآن لم يذكر شيئاً عن تعليمه لموسى صهره، ولو كان شعيباً النبيَّ لسمعنا صوت النبوة في شيء من هذا مع موسى، وقد عاش معه عشر سنوات". انتهى.

\*\*\*\*\*

(٦) سورة هود: ٨٩.



## الفهارس

- ١ - فهرس أطراف الأحاديث
- ٢ - فهرس أسماء رواة الأحاديث والآثار
- ٣ - فهرس المصادر والمراجع
- ٤ - فهرس الموضوعات الإجمالي
- ٥ - فهرس الموضوعات التفصيلي



## فهرس أطراف الأحاديث

١٩٧	اشف وأنت الشّافي	(أ)	٥٨٩	آمنت بالله ورسله
٥٦٢	اشفَعُوا فلتؤجروا	٧٦٧	أثبوني بكتاب، أكتب لكم كتاباً لن	
٩٠٤	اشهدوا عليّ أنه حرٌّ	٣٠٧	تضلُّوا بعده أبداً	
	اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان	٢٣٢	أثبوه فصلُّوا فيه	
٨٦٥	إلا والذي بعده أشدُّ منه	١٥١	أبسط رداءك	
٧٢٢، ٧٧١	اعلموا أنّما الأرض لله ورسوله	٦٢٧	ابن جدعان كان في الجاهلية	
٤٧٤	اغتنم خمساً قبل خمس	٧٨٢، ٧٨٠	اتقوا الحدود	
٥٨٠	انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً	٦٢٧	أثبوا الله فيما ملكت أيما نكح	
٧١٧، ٧١١	انطلقوا إلى يهود	٨٧٣	اتقوا النار	
٦٠٧	انطلقوا فإنما حملكم الله	٣٦٠	اختلاف أمتي رحمة	
	أنظر ما كان من حديث رسول الله	٧٧٤	ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة	
٢٤٩	ﷺ فاكتبه	٥١٥	ادعي لي أبا بكر	
٨٢٢	انظروا إلى حبِّ الأنصار التمر	٧٥١	اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن	
٣٤٦	انظروا إلى عبادي	٥١٥	مساويهم	
٧٠٦	انفذ عليّ رسلك حتى تنزل بساحتهم	٧٥١	اذهبي فقد غفر الله لك	
٥١٨	أبايعك على الإسلام	٢٣٦	ارجعوا إلى أهليكم، فعلموهم	
١٨١	أبشر بالذي يسرك	٦٠٧	استحملناك فحلفت ألا تحمِلنا	
٦٥١	أبغض البلاد إلى الله	١٩٥	استرقوا لها، فإن بها النظرة	
٥٢٦	أناكم يعلمكم دينكم	٨٩٥	استقبل - والله - الحسن بن علي	
٦٢٦، ٥٦٣	أشفع في حدٍّ من حدود الله	٥٧١	معاوية بكتائب أمثال الجبال	
٥٨٩	أشهادني أني رسول الله	٧٧٥	استوصوا بالنساء خيراً	
٧٤٩	أثبني عليها وقد زنت	٧٧٥	اسمعوا وأطيعوا	
٧٤٧، ٥١١	أتعرف ذنب كذا؟	٧٦٧	اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم	
٦٩٧	أثكسر ثنية الربيع يا رسول الله		الخميس	
٥٠٢	أتى عليّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب			

- ٤٢٦ إذا مرض العبد أو سافر، كُتِبَ له مثلُ ما كان يعملُ
- ٢٩٥ إذا همَّ أحدكمُ بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة
- ١٩٧ أذهبِ البأسَ ربَّ الناسِ
- ١٥١ أرأيتَ أشياء كثيرة كنت أتحنثُ بها
- ١٩٦ أرأيتَ رقي نسترقها
- ٢٠٥ أرأيتَ لو كان لك إبلٌ
- ٢١٧ أربع من السعادة
- ٣٦٩ أسألك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك
- ٦٤٨ أسدده بكلِّ جميل، وأهبَّ له كلَّ خلُق كريم
- ٨٤٧ أسرعكنَّ لحاقاً بي أطولكنَّ يداً
- ١٥١ أسلمتَ علي ما سلفَ من خير
- ٧١١ أسلموا تسلموا
- ٦٩٠ الأسودان؛ التمرُ والماء
- ٧٤٩ أصبتُ حذاً فأقمه عليّ
- ٢١٩ أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ
- ٥٥٦ إصلاحُ ذاتِ البين، فإن فسادَ ذاتِ البين هي الحالقة
- ٤٣٧ أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
- ٩٢٣ أعذر الله إلى امرئٍ أخرَّ أجله حتى بلغه ستين سنة
- ٤٩٤ أعطه من هو أفقر مني
- ٧٣٠ أعطوني رداً
- ٩٠٤ أعطيكم خيراً من ذلك
- ٣٤٥ أعظم الأيام عند الله يوم النحر
- ١٩٣ أعوذ بكلمات الله التامة
- ٦٥٨ أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات
- ٨٢٧ مع الغلمان
- ٧٥٣ أتيتُ رسولَ الله ﷺ في نسوة بايعنه على الإسلام
- ٢٣٦ أتينا النبي ﷺ ونحن شبيبةٌ متقاربون
- ٦٤٣ أجل، والله إنه لموصوفٌ في التوراة
- ٧٩٨ الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه
- ٧٤٩ أحسن إليها، فإذا وضعت فانتني بها
- ٢١٤ أحسنها القول، ولا ترد مسلماً
- ٩٣٥ أخبرني رسول الله ﷺ بما كان إلى أن تقوم الساعة
- ٩٠١ أخذ الراية زيدٌ فأصيب
- ٧٥٢ أخذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا أَخَذَ عَلَى النِّسَاءِ
- ٧٥٩ أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه
- ٧٧٣ أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ٧٦٧، ٧٧٣
- ٧١٣ أدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم
- ٤٣٠ إذا أحبَّ الله عبداً نادى جبريلَ
- ٧٥٧ إذا أراد الله بعبده الخير عَجَّلَ له العقوبة في الدنيا
- ٨٨٣ إذا استأذناً فافتحِ الحجاب
- ٤٩٤ إذا جاءك من هذا المال شيءٌ وأنت غير مشرفٍ عليه ولا سائلٍ فخذُه
- ٢١٣ إذا حسدتم فلا تبغوا
- ٨٦٩ إذا حكم الحاكم فاجتهد
- ٦٠٤ إذا حلقت علي يمين، فرأيت غيرها خيراً منها، فكفر عن يمينك
- ٣٦٠ إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء
- ٢٠٥ إذا سمعتم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه
- ٣٥١ إذا صلح صلح الجسد كله
- ٦٣٠ إذا عميت الخطيئة في الأرض
- ٦٢٣ إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان
- ٤٤٢ إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة ١٨٣، ٤٤٢

- ٥٤٠ ألا يوشك رجلٌ شعبان على أريكته  
٥٧٥ إلى أقربهما منك باباً  
٥٧٣ الذي لا يأمنُ جارهُ بوائفَهُ  
٨٦٣ الذي يأتي بالشهادة قبل أن يُسألها  
٨٥٧ الله !! الله !! في أصحابي  
٩١٣ الله أكبر، إنَّها السنن  
٣٦٢ الله أكثر  
اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكِّها،  
٣٨٠ أنتَ خيرٌ من زكَّأها  
٨٩٣ اللهم اجعلْه هادياً مهدياً واهد  
اللهم ارحم الأنصار، وأبناء  
٧٣١ الأنصار  
اللهم ارزقه مالاً وولداً، وبارك له  
٨٢٧ فيه  
٧٠٨ اللهم اكفه الحرَّ والبرد  
٥٤٩ اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون  
٥٦٨  
٣٨٩ اللهم اهدنا لأحسن الأعمال  
اللهم أجرني في مصيبي، وعوِّضني  
٨١٥ خيراً منها  
٣٤٩ اللهم أعني على ذكرك، وشكرك  
اللهم إن كنتَ تعلمُ أنَّ هذا الأمرُ  
٢٩٥ خيرٌ لي في ديني ومعاشي  
اللهم إنِّي أَسْتَخِيرُكَ بعلمك،  
٢٩٥ وأَسْتَقْدِرُكَ بِقَدْرَتِكَ  
اللهم إنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ ممَّا صنع  
٦٩٣ هؤلاء  
اللهم إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ  
٣٨٠ والكسلِ  
اللهم إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا  
٣٨٠ ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع  
٥١٧ اللهم ثبته، واجعله هادياً مهدياً
- ٩٢٥ أعوذ بوجهك  
٨٢٧ أعيدوا سمنكم في سقائكم  
٣٠٧ أفننا في بيت المقدس  
٢٠٥ أفراراً من قدر الله  
٥٥٦ أفضل الصّدقة: إصلاح ذات البين  
٧٩٥ أفلا أكون عبداً شكورا  
٨٠٥  
٨٧٣ أقرأني رسول الله ﷺ  
٢٠٦ أكل مع مجذوم  
أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم  
٨٣٢ خلقاً  
إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه  
من الله برهان  
٩٤٤ ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام  
والصلاة والصدقة  
٥٥٦ ألا أخبركم بخير الشهداء؟  
٨٦٣ ألا أنبئكم بخير أعمالكم  
٣٥٠ ألا إن كل مولود يولد على الفطرة  
١١٧ ألا إنني أوتيت الكتاب ومثله معه  
٢٢٧،  
٥٤٠  
٧٦٠ ألا تبايعون رسول الله ﷺ  
٦١٠ ألا تستعملني كما استعملت فلاناً  
٥٦٩ ألا تعجب من حُبِّ مغيث بريرة  
ألا رجل يمنح أهل بيت ناقةً، تغدو  
بِعُسٍّ  
٦٨٨ ألا تغزوا ونجاهد معكم  
٤١٨ ألا وإن في الجسد مضغةً، إذا  
٣٨٦ صلحت صلح الجسد كله  
٥١١ ألا وإن لكل ملك حمى  
ألا وإن من ذهاب العلم أن يذهب  
٢٤٩ حملته  
٧١٦ ألا يرضيكم أن يحكم فيكم

- اللهمَّ ربَّ السَّمَوَاتِ وما أَظْلَلْنَ،  
وربَّ الأَرْضِينَ وما أَقْلَلْنَ ٧٠٧
- اللهمَّ الرفيقَ الأعلى ٧٨١
- اللهمَّ صلِّ على آلِ أبي أوفى ٥٣٥
- اللهمَّ علِّمهُ الكتابَ والحسابَ، وَقِه  
العَدَابَ ٨٩٣
- اللهمَّ لا تجعلَ قبري وثناً ٧٧٨
- اللهمَّ لا طَيْرَ إلا طَيْرُكَ، ولا خَيْرَ إلا  
خيرُكَ ٢١٤
- اللهمَّ لا يَأْتِي بالحَسَنَاتِ إلا أنتَ،  
ولا يدفعُ السيِّئَاتِ إلا أنتَ ٢١٤
- اللهمَّ مَنْ وَلِيَّ من أُمِّمْتِي شيئاً ٩٣٨
- اللهمَّ مُنْزِلَ الكتابِ، ومُجْرِي  
السَّحَابِ، وهَازِمَ الأَحْزَابِ ٢٨٣
- أليسَ إذا حاضَتْ لم تُصَلِّ ولم تصم ٤٠٣
- أليسَ شهادةُ المرأةِ مثلُ نصفِ شهادةِ  
الرجلِ ٤٠٣
- أما إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا أنَّ في  
تَقِيْفِ كَذَاباً ومِبيراً ١٤٢
- أما إنه يَمْنَعُنِي من ذلكَ أَنِي أكره ٢٥١
- أما تَرْضَوْنَ أن يرجعَ الناسُ بالدنيا ٧٣١
- أما تَرْضَيْنَ أن أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ،  
وأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ٥٥٠
- أما تَرْضَيْنَ أن تكوني سيدةَ نساءِ أهلِ  
الجنةِ ٨٣٩
- أما صاحبُكم فقد غامرَ ٨٧٦
- أما واللهِ إني لأخشاكم اللهُ، وأتقاكم  
له ٧٩٣
- أما واللهِ إني لأعلمُ أنك حجراً لا  
تضرُّ ولا تنفعُ ٣٣١
- أما واللهِ لأستغفرنَّ لك ما لم أُنِّه  
عَنكَ ١٦٤
- أما ما ذَكَرْتَ من غيرتك فسأدعو الله ٨١٥
- أما مالي ولِبنِي عندَ المَطْلَبِ فهو  
لكم ٥٦٩
- أما النعتُ فقد أصابَ فيه ٦٧٠
- أمرني رسولُ اللهِ ﷺ - أو أمرٌ - أن  
يُسْتَرْقَى من العينِ ١٩٥
- أمرني النبيُّ ﷺ، أو أمرٌ أن نسترقِيَ  
من العينِ ١٩٣
- أمسكَ عليكِ لسانَكَ، وليَسْعَكَ  
بيتَكَ، وابِكِ على خَطِيئَتِكَ ٩٣٢
- أمرَ رسولَ اللهِ ﷺ في غزوةِ مُؤْتَةَ ٩٠١
- أمرَ عليهم الفَعَقَاقَ بنَ مَعْبَدٍ ٨٨١
- إنَّ أَتاني يَمشي: أتَيْتُهُ هِرْولَةً ٣٧٣
- إنَّ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ، وإنَّ  
استعانَكَ أَعْتَتَهُ ٥٧٣
- إنَّ أَصابته سَرَأءُ شَكَرٍ، فكانَ خيراً له ٣٢٣
- إنَّ تَطْعَنُوا في إمارته فقد كنتم  
تَطْعَنُونَ في إمارةِ أبيه من قبلِ ٨٩٩
- إنَّ تَقَرَّبَ إليَّ شَبْرًا: تَقَرَّبْتَ إليه ذِراعاً ٣٧٣
- إنَّ شِئْتَ أن أَطْبِقَ عليهم الأَخْشِييْنَ ٥٦٧، ٦٥٤
- إنَّ شِئْتَ أن كُحِنْتَكَ حفْصَةَ ٥٠٥
- إنَّ قُتِلَ زَيْدٌ فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرٌ ٩٠٠
- إنَّ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ ٩٠١
- إنَّ كانَ في شَيْءٍ فِفي المرأةِ ٢١٧
- إنَّ كانَ النبيُّ ﷺ ليخالطنا ٨٢١
- إنَّ كُنَّا لَنَنْظُرُ إلى الهلالِ، ثُمَّ الهلالِ ٦٨٨
- أَنَّ تَجْعَلَ اللهُ نَدًا وهو خَلْقُكَ ٧٤١
- أَنَّ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ ٧٤١
- أَنَّ تَعْبُدُوا اللهَ ولا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً،  
وَتُصَلُّوا الصَّلَواتِ ٧٦٠
- أَنَّ تَقْتَلَ وَلَدَكَ خَشِيَةً أَن يَطْعَمَ مَعَكَ ٧٤١
- أَنَّ يُوْفَى لَهُم بِعَهْدِهِمْ ٥٨٧

٢٦٠	إِنَّ الدِّينَ يَسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلِبَهُ	١٢٠، ١٢٥، ١٥٨	أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة
٣٢٦	إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ	٦٧٨	أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين
٣٠٧	إِنَّ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ	١٢٤	أنا سيد الناس يوم القيامة
٣٥٠	إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ	١٣٢	أنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي
٨٨٧	إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعَةَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا	١٨١	أنا عملك الصالح
٤٥٢	إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي فِي ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ	٣٧٣	أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني
٥٥٨	إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ	١٢٦	أنا محمد وأحمد
٧٥٧	إِنَّ عِظْمَ الْجِزَاءِ مَعَ عِظْمِ الْبَلَاءِ	١٢٥، ١٥٨	الأنبياء أولاد علات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد
٢٤١	إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ	٥٣٣	أنت بعد ثلاث عبد العصا
٧٠١	إِنَّ فُسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ	٦٤٣	أنت عبدي ورسولي
٧٣١	إِنَّ قَرِيشًا حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ	٧٩٣	أنتم الذين قلتم كذا وكذا
٤٢٦	إِنَّ قَوْمًا خَلَفْنَا فِي الْمَدِينَةِ، مَا سَكَلْنَا شَعْبًا وَلَا وَادِيًا	٧٨٩	أنفق يا رسول الله
٧٠٠	إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ	٥٤٩	إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين
٥٣٧	إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقِّهِ فَلَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ	١٩٣	إن أباكم كان يُعوذُ بها إسماعيل
٧٠٠	إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ	٩٤٢، ٨٩١	إن ابني هذا سيدٌ
٨٧٦	إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ! وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ!	٦٨٩	إن أجرها لعظيم
٤٢٤	إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي	٨٢١	إن أحب أموالي إليّ بيرحاء
٥١٣	إِنَّ اللَّهَ حَيَّ سَتِيرٌ	٣٨٤	إن أحدكم إذا مات
٧٧٤	إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ	٨٢٩	إن إخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم
٤٣٢	إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ	٢٥٥	إن الأعمال تُعرض كل اثنين وخميس
٤٠٧	إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ	٧٧٤	إن أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر
		٦٣١	إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل

- ١٣٢ ، إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ  
١٣٣ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا  
٧٥٩ إِنَّ الْمَفْلَسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ  
٧٩٦ إِنَّ الْمُتَّبِتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ  
١٨٦ إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ  
وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ  
٦٢١ إِنَّ مَنْ أَفْرَى الْفِرْيَ أَنْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا  
لَمْ تَرَ  
٨٨٠ إِنَّ مَنْ أَمِنَ النَّاسَ فِي صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ  
أَبَا بَكْرٍ  
٤٣٩ إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ  
وَرَقُّهَا، وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ  
٦٩٤ ، إِنَّ مَنْ عْبَادَ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ  
لَأَبْرَهُ  
٦٩٧ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا  
عَلَى يَدَيْهِ  
٤٦٤ إِنَّ النَّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ  
٢٣٧ إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: أَكْثَرُ أَبُو هُرَيْرَةَ  
٢٣١ إِنَّ هَذَا الْخَيْرَ خَزَائِنُ  
٥٠١ إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ  
٧٩٦ أَنْ بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارًّا يَطِيفُ  
بِبئرٍ  
٧٤٦ أَنْ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَقِيَ النَّبِيَّ  
١٩٣ أَنْ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي  
كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً  
٥٠٧ أَنْ رَجُلًا هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ  
٤٢٨ أَنْ النَّبِيَّ ﷺ حَلَفَ لَا يَدْخُلُ عَلَيَّ  
بَعْضَ أَهْلِهِ شَهْرًا  
٨٨٧ أَنْ يَدَهُ لَمْ تَمَسَّ يَدَ امْرَأَةٍ قَطَّ  
٨٢٩ إِنَّا - بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - قَدْ أَصَبْنَا مِنْ  
هَذَا الْمَالِ
- ٦٥٤ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا  
رَدُّوا عَلَيْكَ  
٧٤٥ إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكَفَلِ  
٥٤٦ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
٤٢٦ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ  
٩١٥ إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ  
٢٤٥ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَتَّزِعُهُ  
مِنَ الْعِبَادِ  
٩٤٤ إِنَّ اللَّهَ لِيُؤَيِّدَ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ  
الْفَاجِرِ  
٩١٩ إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ  
لَمْ يُفْلِتْهُ  
٣٣٦ إِنَّ اللَّهَ يَبَاهِي الْمَلَائِكَةَ  
٢٦١ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصَتُهُ كَمَا  
يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ  
٤٣٠ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَجِبْهُ  
٩١٨ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مُعَالِي الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا  
٥١١ إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضِعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ  
إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلِقَ الْإِسْلَامُ  
الْحَيَاءُ  
١١٠ إِنَّ اللَّهَ تَسَعَةً وَتَسَعِينَ اسْمًا  
٣٦٤ إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ  
٥٤٣ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونَنِي،  
وَأَحْسَنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ  
٥٥٠ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا  
يُسْتَشْهَدُونَ  
٨٥٥ إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ عَهْدًا، وَإِنَّ اللَّهَ  
جَاعِلٌ لَكَ فَرْجًا وَمَخْرَجًا  
٥٩٠ إِنَّ رَجُلًا يَأْتُونَكَ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ  
يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ  
٢٣٧ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْتِي مَسْجِدَ قَبَاءَ  
٣١٠ إِنَّ مِثْلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ  
٨٧٥



- ٧٨٩ أَنَّهُ مَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ قَطُ فَقَالَ: لَا  
٥٠٢ إِنَّهَا سِرٌّ  
إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا  
٨٣١ وَوَلَدٌ  
٦٢٧ إِنِّي أَخَذْتُ بِحُجْرَتِكُمْ  
٨٢٩ إِنِّي أَرْحَمُهَا، قُتِلَ أَخُوهَا مَعِي  
٦٧٠ إِنِّي أَصْدَقُهُ عَلَى أْبَعَدَ مِنْ ذَلِكَ  
إِنِّي لِأَعْطِي الرَّجُلَ وَأَدْعُ الرَّجُلَ،  
٧٣٠ وَالَّذِي أَدْعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي  
٧٦٢ إِنِّي لِأَعْلَمَ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ  
إِنِّي لِأُخَيِّسَ الْعَهْدَ، وَلَا أُحْبِسُ  
٥٨٩ الْبُرْدَ  
٧٥٣ إِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ  
٤٦٢ إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا  
إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانَاءَ، وَلَكِنْ بُعِثْتُ  
٥٦٨ دَاعِيًا وَرَحْمَةً  
٢٠٥ إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَى ظَهْرِ  
إِنِّي وَاللَّهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لَا أَحْلِفُ  
٦٠٧ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا  
٩٢٦ أَنْتَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟  
أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ  
٥٤٣ الرَّحْمَةَ  
٤٠٤ أَوْ اثْنَيْنِ  
٥٣٠ أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ  
٥٣٦  
٧٧٣ أَوْصِيكُمْ بِثَلَاثَ  
٤٧٨ أَوْلَتِكَ الْأَكْيَاسَ  
١١٧ أَوْلَيْسَ خِيَارِكُمْ أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ  
٦٦٩ أَوْ مُخْرَجِيَّ هُمْ  
٥٢٩ أَوْلَ مَنْ أَسْرَجَ السَّرَاجَ فِي الْمَسْجِدِ  
٢٤٩ أَيُّ ثُكَلْتِكَ أَمَكُ  
١٦٤ أَيُّ عَمٍّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةٌ
- ٣٣٩، ٣٣٣ إِنَّا أُمَّةٌ أَمِيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ  
٢٠٧ إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ  
٩٣٤ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشِرِّ  
إِنَّا كُنَّا - آلَ مُحَمَّدٍ - لَنَمُكِّثَ  
٤٤٢ شَهْرَيْنِ، مَا نُوَقِّدُ نَارًا  
٨١٥ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ  
٦١٥ إِنَّا لَنْ نَسْتَعْمَلَ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ  
٥٣٣ إِنَّا وَاللَّهِ لَنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ  
إِنَّا وَاللَّهِ، لَا نُوَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ  
٦١٠ أَحَدًا سَأَلَهُ  
إِنِّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ  
يُسَمَّى فِيهَا الْقَيْرَاطُ  
٥٩٥  
٦١٠ إِنِّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا  
٥٦٩ إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ  
٨٧٣ إِنَّمَا أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِكُمُ الْاِخْتِلَافُ  
إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ  
٤٢٣، ٤٢٧، ٦٧٩، ٦٨٥، ٦٨٦  
إِنَّمَا بَعَثْتُمْ مِيسِرِينَ  
٢٦١  
٤٢٥ إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ  
٥٦٤ إِنَّمَا السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ وَرَمَحُهُ  
إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةِ: فِي الْفَرَسِ،  
وَالْمَرْأَةِ، وَالِدَارِ  
٢١٦  
٣٨٤ إِنَّمَا الْقَبْرِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ  
٧٥٣ إِنَّمَا قَوْلِي لِمِئَةِ امْرَأَةٍ قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ  
٦٧٥ إِنَّمَا كَانَتْ الْهَجْرَةُ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ  
٥٥٢ إِنَّمَا الْمَسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ  
٤٥٣ إِنَّمَا النَّاسُ كَالْإِبِلِ الْمِئَةِ  
٣٥٥ إِنَّهُ خَيْرٌ لِكَمَا مِنْ خَادِمٍ  
٢٢٧ إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أَحْدِثْكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا  
٣٦٤ إِنَّهُ وَتَرٌّ يَحِبُّ الْوَتَرَ  
أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَتَاهُ السَّائِلُ، أَوْ صَاحِبُ  
٥٦٢ الْحَاجَةِ

- ٢٥٨ بشروا ولا تُنْفروا، ويسروا ولا  
تُعسروا
- ٨٩٩ بعث النبي ﷺ بعثاً، وأمر عليهم  
أسامة بن زيد
- ٩١٦ بعثت بالسيف بين يدي الساعة
- ٨٦٠ بعثت في خير قرون بني آدم قرناً  
فقرناً
- ٥٨٩ بعثني قريش إلى النبي
- ٥٠٢ بعثني رسول الله ﷺ لحاجته
- ٥٦٧ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم  
من يعبد الله وحده
- ٦٥٤ من يعبد الله وحده
- ٦٥٩ بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء
- ٥٩٢ بلوا أرحامكم ولو بالسلام
- ٥٤٩ بلى يا رب
- ٥٥٠ بني الإسلام على خمس
- ٣٢٠ بهذا أمرت
- ٧٨٩ بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين
- ١٤١ بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء  
الكعبة، إذ أقبل عبدة بن أبي معيط
- ٦٥٧ بينما رجل يمشي بطريق
- ١٠٩
- ٧٤٧ بينما رسول الله ﷺ عند الكعبة،  
وأبو جهل وأصحاب له جلوس
- ٦٥٦ (ت)
- ٢٩٤ تخلف من بعدهم خلوف
- ٣٦٦ تخلقوا بأخلاق الله عز وجل
- ٢٢٧ تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما  
تمسكتم بهما
- ٥٤١ تصدق رجل من ديناره
- ٤٩٦ تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم
- ٤٠٣ تعافوا الحدود فيما بينكم
- ٥٦٥
- ٤٧٨ أي المؤمنين أفضل؟
- ٨٨٤ أي الناس أحب إليك يا رسول الله
- ٨٨٣ أيؤخذ على يدي؟!
- إياك والتنعّم، فإن عباد الله ليسوا  
بالتنعّمين
- ٨٠١ إياكم والتنعّم وزي أهل الشرك
- ٨٠١ أيكون المؤمن جباناً
- ٥٥٨ الإيمان بضع وسبعون - أو بضع  
وستون - شعبة
- ١٠٥ أين علي بن أبي طالب؟
- ٣٢١ أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري
- ٧٠٥ أيها الناس إنكم لتتلون آية من  
كتاب الله سبحانه
- ٦٣٢ أيها الناس إنما هلك الذين من قبلكم  
أيها الناس هل سمعتم ما سمعت
- ٥٦٤ (ب)
- ٥٨٤ بؤس ابن سمية تقتلك فئة باغية  
بادروا بالأعمال؛ فتناً كقطع الليل  
المظلم
- ٩٣٣ بارك الله لكما في ليلتكما
- ٨٢٢ باسم الله أريقك، من كل داء يؤذيك
- ١٩٧ بايعت رسول الله ﷺ على إقام  
الصلاة، وإيتاء الزكاة
- ٥١٦ بايعت رسول الله ﷺ على شهادة أن  
لا إله إلا الله
- ٥١٩ بايعت النبي ﷺ على السمع  
والطاعة
- ٥١٦ بايعوني على أن لا تُشركوا بالله  
شيئاً، ولا تسرقوا
- ٧٣٤ يخ بخ يا أبا طلحة، ذلك مال رايح  
بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً
- ٨٢١ كما بدأ، فطوبى للغرباء
- ٨٦٦

- ٨٠٠ حُبَّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ
- ٦٠٥ حُبُّكَ الشَّيْءُ يُعْمِي وَيُصِمُّ
- ٤٢٦ حَبْسُهُمُ الْعَذْرُ
- ٧٥٧ حَتَّى الشُّوْكَةِ يَشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا
- ٨٤٠ حَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي، وَوَعَدَنِي فَوَفَانِي
- ٢٦٧ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ
- ٥٥٧، ٤٥٠ الْحَرْبُ خُدْعَةٌ
- ٧٧١ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ
- ٣٦٦ حُسْنُ الْخَلْقِ مِنْ أَخْلَاقِ اللَّهِ
- ٢٣٢ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَايِنَ
- ٤٢٣ الْحَلَالَ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ
- ٢٦٠ حُلُوهُ، لِيَصِلَ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ
- ٣٢١، ١٠٥ الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ
- (خ)
- ٨٢٨ خَدَمَ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ
- ٥٠٤ خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ
- ٤٩٤ خَذَهُ - قَوْلُهُ ﷺ لِعَمْرٍ فِي أَخْذِ الْعَطَاءِ -
- ٧٩٥ خَذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تَطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ
- ١٧٠ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا
- خَفَّفَ عَنِّي كُلَّ لَيْلَةٍ اثْنِينَ
- خِيَارَ أُمَّتِكُمْ: الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ
- ٩٣٨، ٦١٩، ٢٩٤
- ٨٣٢ خِيَارِكُمْ خَيْرِكُمْ لِنِسَائِهِ، وَأَنَا خَيْرِكُمْ لِنِسَائِي
- خِيَارَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، خِيَارَهُمْ فِي
- الإسلام
- ١٥٣
- ٨٥٥ خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ
- ٧٣٨ خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ
- ٨٥٥ خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ
- خَيْرُ النَّاسِ مِنْ طَالِ عُمُرِهِ وَحَسُنَ
- عَمَلُهُ
- ٣٨٣
- ٧٦٣، ٣٤٢ خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ

- ٢٥٥ تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ
- ٢٥٥ تَفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْخَمِيسِ
- ٥٤٣ تَقْبَلُونَ الصَّبِيَّانَ؟
- ٩٣٠ تَقْتُلُكَ فِتْنَةٌ بَاطِنِيَّةٌ
- ٩٣٠ تَقْتُلَهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ
- ٦٤٥ تَقْرَأُ الْكُتَابِينَ: التَّوْرَةَ وَالْقُرْآنَ
- ٤٠٢ تُكْثِرُ اللَّعْنَ وَتَكْفُرُ الْعَشِيرَ
- ٩٣٤، تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ
- ٩٤٠
- ٩٣٠ تَمْرُقٌ مَارِقَةٌ عِنْدَ فِرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
- ٥٩٢ تُنْتَهَكُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ
- ٣٩٣ تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعِ
- تَوْفِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِي بَيْتِي
- شَيْءٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبَدٍ
- (ث)
- ٢٠٧ ثِقَةٌ بِاللَّهِ وَتَوَكَّلًا عَلَيْهِ
- ٣٢٦ ثَلَاثُ مَتَوَالِيَاتٍ
- ٦٨٩ ثَلَاثَةٌ أَهْلَةٌ فِي شَهْرَيْنِ
- ثَلَاثَةٌ لَا يَسْلَمُ مِنْهُنَّ أَحَدٌ: الطَّيْرَةُ،
- وَالظَّنُّ، وَالْحَسَدُ
- ٢١٣
- (ج)
- جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ:
- ٥٤٣ تُقْبَلُونَ الصَّبِيَّانَ
- جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهَطٌ إِلَى بَيْوتِ أَزْوَاجِ
- النَّبِيِّ ﷺ
- ٧٩٣
- ٢٧٣ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
- ٧٦٢ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى عَمْرٍ
- ٤٠٧ جَاءَتْنِي مَسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْتَيْنَ لَهَا
- ٢٧٥ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
- ٥٧٤ الْجِيرَانُ ثَلَاثَةٌ: جَارٌ لَهُ حَقٌّ
- (ح)
- ٥٩٣ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ

- ٨٢٩ ربَّنَا بَلِّغْ قَوْمَنَا (د)
- رجلٌ له مال كثير أخذَ من عُرْضه مئة ٨٠٦ دخل عليه رجل به أنثرُ صُفرة كرهها
- ٤٢٧ ألف درهم ٤٠٧ دَخَلت عليَّ امرأةٌ ومعها ابتتان لها
- ٧٤٤ الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ٣٨٠ الدعاء هو العبادة
- الرجل يقاتل للمغتم، والرجل يقاتل ٩٤٠ دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها
- ٢٧٦ للذكر ٥٦٦ دعوةُ المسلم لأخيه بظهر الغيب
- رحم الله موسى؛ قد أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ ٣٥٨ دعوتُ ربي فلم يستجب لي
- هذا فصير ٣٥٨ دَعُونِي، فالذي أنا فيه خيرٌ ممَّا
- ٧٢٨ رفع القلم عن ثلاثة ٧٦٧ تدعونني إليه
- ٤٢٤ رهبانية هذه الأمة الجهاد ٢٦١ دعوه، وأهريقوا على بوله ذنوباً
- الرؤيا الصالحة يبشر بها العبد ٦٩٨ دَعَوْهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ
- الرؤيا الصالحة يراها المؤمن ٤٠٨ دفنُ البنت من المَكْرُمَات
- ٣٠١ (ز) ٢٧٣ دُنِّي على عملٍ يعدلُ الجهاد
- زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللَّهُ ٥٢٥ ، ٥١٨ الدين النصيحة
- (س) (ذ)
- سألت رسول الله ﷺ عن المسجد ٦٦٢ ذلك أخي كان نبياً وأنا نبيٌّ
- الذي أُسِّسَ على التقوى ٤٦٥ ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ
- سبعة يظلمهم الله في ظلِّه ٢١٧ ذروها ذميمة
- سَبَقَ دَرَهْمٌ مِئَةَ أَلْفِ دَرَهْمٍ ٣٥٠ ذكر الله تعالى
- سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا ٧٢٢ ذلك أريد، أسلموا تسلموا
- لك اليوم ٥٨١ ذمَّة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم
- ستكون فتنٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من ٥٧٩ ذهبْتُ إلى رسول الله ﷺ عام
- القائم ٣٠١ الفتح، فوجدته يغتسل
- سر إلى موضع مقتل أبيك ٣٠١ ذهب النبوة وبقيت المبشرات
- سل ربك العافية والمعافاة (ر)
- ٤٧٧ سل الله العافية في الدنيا والآخرة
- سلوا الله اليقين والمعافاة؛ فما أوتي ١٩٥ رأى في بيتها جاريةً، في وجهها سفعةٌ
- أحدٌ بعد اليقين خيراً من العافية ٧٧٥ رأيتُ رسولَ الله ﷺ على المنبر،
- السمع والطاعة على المرء المسلم ٨٩١ والحسنُ بنُ عليٍّ إلى جنبه
- سميتك المتوكل ٤٩٦ رأيتُ وجهَ رسول الله ﷺ يتهلَّل
- السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم ٧٩٨ ربَّ صائمٍ حظه من صيامه الجوع
- ٣٢٦ سيكون في أمتي ثلاثون كذابون ١٤٠

- ١٩٠ العين حقٌ، تُدخل الجمل القدر  
١٨٩، العين حقٌ، ولو كان شيء سابق  
٢١٧ القدر، سبقت العين  
١٨٩ العين حقٌ، ونهى عن الوشم  
١٩٠ العين حقٌ، ويحضر بها الشيطان  
(غ)
- ٦٩٢ غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر  
٩٠٣ غزوت مع النبي ﷺ تسع غزوات  
٢٨٦ غَزَوْتُ مع رسول الله ﷺ غزوات  
٢٨٩ غَزَوْتُ مع رسول الله ﷺ قَبْلَ نَجْدِ  
٦٩٨ غزونا مع النبي ﷺ وقد ثاب معه ناس  
٣٥٥ غُفِرَتْ خطاياها، وإن كانت مثل زبد البحر  
(ف)
- ٥٧١ فاستوصوا بالنساء خيراً  
٨٣٩ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة  
٣٩٣ فاطمِرْ بذاتِ الدِّينِ، تَرَبَّتْ يَدَاكَ  
٩٣٤، فاعتزل تلك الفرق كلها  
٩٤٠  
٦٨٦ فَأَعْمَلُ مَنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ  
١١٨، ١١٧ فأبواه يهودانه  
٤١١ فأحسن صحبتهم، واتقى الله فيهن  
فإذا أمرتكم بشيء، فأتوا منه ما  
٤٦٥ استطعتم
- فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في  
٥٩٥ موضع لبنة، فخرج منها  
فإن المُنْتَبِتَ لا أرضاً قطع ولا ظهراً  
٧٩٦ أبقى  
١٣٣ فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين  
فأنفق عليهن، وزوجهن، وأحسن  
٤١١ أدبهن  
٢٦١، فَأِنَّمَا بُعِثْتُم مِّسْرِينَ ولم تبعثوا  
٢٦٥ معسرين
- ١٢٤ سيّد ولدِ آدم ولا فخر  
(ش)  
شرار أمتكم: الذين تُبغضونهم  
ويبغضونكم  
٦١٩ شهران لا يقصان، شهرا عيد:  
٣٣٣ رمضان وذو الحجّة  
٣٣٨ الشهر تسع وعشرون  
٣٣٣ الشهر هكذا وهكذا  
(ص)
- ٧٨٢، ٧٨٠ الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ  
٣٠٧ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِئَةِ أَلْفٍ  
٥٣٥ الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ  
٣٠٤، صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ  
٣٠٥ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ  
٢٣٦ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي  
صُمْ وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ؛ فَإِنَّ لِمَسْجِدِكَ  
٧٩٥ عَلَيْكَ حَقًّا  
٣١٦ الصِّيَامُ جَنَّةٌ  
٣١٥ الصِّيَامُ نِصْفُ الصَّبْرِ  
٣٣٥ صِيَامُ يَوْمٍ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ  
(ض)  
٤٦٢ ضحكك حتى بدت نواجذهُ  
(ط)
- ١١٦ طُبِعَ عَلَى الْكُفْرِ، وَلَوْ عَاشَ لِأَرْهَقَ أَبُوهُ  
٥٠١ طوبى لعبد جعله الله مفتاحاً للخير  
٥١٥ طوبى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنِ عِيُوبِ النَّاسِ  
٥٩٦ طوبى له - لأبي ذر -  
(ع)
- ٥٩٨ عاش وحده، ومات وحده  
٣٢٣، عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ  
٧٥٨ خَيْرٌ  
٨٨٣ عَلِيٌّ نَذَرَ أَنْ كَلِمَتُهُ

- ٤٩٦ فجاءه قوم عُرَاة مُجتَابِي التَّمَارِ  
٢٠١ فَرَّ مِنَ المَجْدُومِ كَمَا تَفَرُّ مِنَ الأَسَدِ  
٧٤٧ فشكر الله تعالى له، فغفر له  
٧٤٦ فشكر الله له وغفر له بما صَنَعَ  
٧٤٦ فشكر الله لها وغفر لها به  
فضل العلم خَيْرٌ من فضل العبادة،  
٤٦٧ وخَيْرُ دِينِكُمُ الوَرعُ  
فَلَرَسُولُ الله ﷺ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ  
الرَّيْحِ المُرْسَلَةِ  
٣٢٠ فَمَنْ؟ - عندما سئل ﷺ عن اتباع  
اليهود والنصارى -  
٩١١ فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلُ؟  
٢٠٦ فَمَنْ رَغِبَ عَنِ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي  
٧٩٣ فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَيَّ اللهُ  
٧٣٤ فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ  
٧٢٨ فهذا بأخبث المنازل  
٤٢٥ فهذا بأفضل المنازل  
٤٢٥ فهل أنتم تاركولي صاحبي  
٨٨٠ فَهَلْ تَمْنَحُ مِنْهَا شَيْئًا  
٦٨٦ فهو بِنَيْتِهِ، فَوَزَّرُهُمَا سِوَاءَ  
٤٢٥ فهو ذاك فعليكموه  
٣١١ فوالذي نفسي بيده ما علمتُ بشيءٍ  
مِمَّا كَانَ  
٥٨٤ فوالذي نفسي بيده، لقد تابت توبةٌ  
٧٥٠ فوالله لا أَدْعُ شَيْئًا صَنَعْتَهُ فِي الجَاهِلِيَّةِ  
إِلَّا فَعَلْتُ فِي الإسلامِ مِثْلَهُ  
١٥٤ فِي النَّارِ بَشَرٌ حَالٌ - أَوْ - بَشَرٌ حَيَّةٌ  
١٧٠ فِيمَا اسْتَطَعْتَنَّ وَأَطَقْتَنَّ  
٧٥٣ (ق)  
٧٥٧ قاربوا وسدّدوا  
قال الله عزَّ وجلَّ: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ  
لَهُ إِلَّا الصَّيَّامَ  
٣١٢
- قال الملك الموكَّل به: آمين، ولك  
بمثل  
٥٦٦ قالت النساء للنبي ﷺ: غَلَبْنَا عَلَيْكَ  
الرِّجَالُ  
٤٠٠ قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً  
٩٣٥ القبر رَوْضَةٌ من رياض الجنة، أو  
حفرةٌ من حفر النار  
٣٨٤ قَبِلَ رَسُولُ اللهُ ﷺ الحَسَنَ بِنَ عَلِيٍّ  
٥٤٣ قُتِلَ أَخُوها مَعِي  
٨٢٩ قد أَجْرْنَا مَنْ أَجْرْتَ يَا أُمَّ هَانِي  
٥٧٩ قد بايعتك على ذلك  
٨٠٨ قد بايعناك يا رسول الله، فَعَلَامَ  
نبايعك  
٧٦٠ قد سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا  
٧٤٧ قدِّمْتَ أَنَا وَأَخِي مِنَ اليَمَنِ  
٢٥٢ قِصَّةُ الجِئْسَاسَةِ  
٥٢٨ قل: آمَنتُ باللهِ ثم استقم  
١٠٨ القلوب أوعية  
٣٦٠ قوم يَسْتُنُّونَ بغيرِ سُنَّتِي، ويهدون بغير  
هَدْيِي  
٩٤٠ قومٌ يهدون بغير هَدْيِي، تعرف منهم  
وَتُنْكَرُ  
٩٣٤ قُومُوا عَنِّي، ولا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ  
٧٦٩ (ك)  
٧٨٠ كان آخِرُ كَلَامِ النَبِيِّ ﷺ  
٦٢٨ كان إِذَا أَرَادَ سَفْرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ  
كان إِذَا خَرَجَ لِحَاجَةٍ يُعَجِّبُهُ أَنْ  
يَسْمَعَ: «يا نَجِيعُ يا رَاشِدُ»  
٢١٥ كان إِذَا طَلَعَ الفَجْرُ أَمْسَكَ عَنِ القِتَالِ  
٢٨٦ كَانِ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ  
٨٠٣ كان خَلْقُهُ القُرْآنَ  
٣٢٤ كان رسولُ الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ  
٣٢٠

- ٨٠٠ كان يستعذب الماء
- ٤٦٢ كان يمزح ولا يقول إلا حقاً
- ٥٦٤ كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه
- ٦٩٧ كتاب الله القصاص
- ٦٧٠ كَرُبُّ كَرْبِهِ لَمْ يَكْرَبْ مِثْلَهَا قَطُّ
- ٨١٧ كُلُّ بِيَمِينِكَ
- كلا والله، لتأمرنَّ بالمعروف،  
وتنهونَّ عن المنكر
- ٦٣١
- ٨٧٢ كلاكُما محسن فاقراً
- ٥٠٩ كلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ
- ٣١٢ كلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ
- ٣٢٣
- ١١٢ كلُّ مولود يولد على الفطرة
- ٤٦٣، ٣٧٩ كلُّ مَيْسِرٍ لَمَّا خُلِقَ لَهُ
- ٢١٥ الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم
- كن أزواج النبي ﷺ عنده، لم يغادر
- ٥٠٦ منهنَّ واحدةً
- كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَسْعَةَ أَوْ
- ٧٦٠ ثمانية أو سبعة
- ٤٩٦ كنا في صدر النهار عند رسول الله
- كنت أرهاها - الغنم - على قراريط
- ٥٩٥ لأهل مكة
- ٦٢٥ كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ
- ٧٩٦ كنت جاره
- كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل
- ٨٧٦ أبو بكر
- ٤٣٢ كنت سمعته الذي يسمع به
- ٨١٣ كنتُ غلاماً في حجر رسول الله ﷺ
- ٧٥٤ كنتُ مع النسوة المبايعات
- كيف أنتم إذا لم تجتنبوا ديناراً ولا
- ٥٩٢ درهماً
- ٧٢٧ كيف بك إذا أخرجت من خير

- ٧٨٧ كان رسول الله ﷺ أحسنَ النَّاسِ ٣٢٤،
- كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً
- ٢٥٨ من أصحابه
- كان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار
- ٤٩٨ وجهه
- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ
- ٨٠٣ الْعُذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا
- ٤٩٤ كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء
- كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ
- ٢٩٥ في الأمور كلها
- كان عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ أَحَبَّ الْبَشَرِ
- ٨٨٣ إلى عائشة
- كان عبد الله بن مسعود يُذَكِّرُ النَّاسَ
- ٢٥١ كان عبد الله يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ
- ٢٥١ خميس
- ٢٥٦ كان عمله ديمة
- كان فيمن كان قبلكم رجل يُسَمَّى
- ٧٤٥ الكفل
- كان لا يتطير من شيء
- ٢١٥ كان المؤمنون يفرُّوا أحدهم بدينه
- ٦٧٧ كان الناسُ يسألون رسول الله ﷺ
- ٩٣٤،
- ٩٤٠ عن الخير
- ٨١٩ كان النبي ﷺ أحسنَ النَّاسِ خُلُقاً
- كان النبي ﷺ يتخولنا بها، مَخَافَةَ
- ٢٥١ السَّامَةِ عَلَيْنَا
- كان النبي ﷺ يعوذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ
- ١٩٣
- ٨٠٠ كان يأكل اللحم ويختصُّ بالذراع
- ١٩٢ كان يُؤْمَرُ الْعَائِنُ، فَيَتَوَضَّأُ
- كان يتخولنا بالموعظة خشية السَّامَةِ
- ٢٦١ علينا
- ٨٠٠ كان يحبُّ الحلواء والعسل
- ٨٢٨ كان يدخل على أمِّ حرامٍ فيطعمها عندها

- ٣٤٣ لا تستطيعونه
- ٣٠٢ لا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ
- ٥٧٧، لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، وَلَا
- ٦٧٣ تَكْذِبُوهُمْ
- لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنِ
- ٦٧٢ مَرِيَمَ
- لا تَعْدُلْنِي، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُرِيَهُمْ
- ٨٩٧ يَتَّبِعُونَ عَلَيَّ عَلَى مَنْبَرِهِ رَجُلًا
- ٣٠٨ لا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ
- ٧٣٨ لا تُغْلَبُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلَّةٍ
- ٦٦٥ لا تَفْضَلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ
- ٩١٣ لا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ
- لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قِبَائِلُ مَنْ
- ١٤٠ أُمَّتِي بِالْمَشْرِكِينَ
- ١٤٠ لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَبْعَثَ دَجَّالُونَ
- لا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ
- ٢٢٨ الْقُرْآنِ فَلَيْمَحْهُ
- لا تَنْقَطِعُ التُّوبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ
- ٦٧٨ مِنْ مَغْرِبِهَا
- ٦٧٨ لا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التُّوبَةُ
- ٢١٥ لا طَيْرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأَلُ
- ٢١٠ لا طَيْرَةَ، وَالطَّيْرَةُ عَلَى مَنْ تَطِيرَ
- لا عَدَوِي، وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا هَامَةَ،
- ٢٠١ وَلَا صَفَرَ
- ٤١٤ لا لَكُنْ أَفْضَلَ الْجِهَادِ، حَجٌّ مَبْرُورٌ
- ٦١٩ لا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ
- ٦٨٩ لا مَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ لَهُمْ، وَأُتِيتُمْ عَلَيْهِمْ
- ٥٣٨ لا تُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً
- لا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادَ وَنِيَّةَ
- ٦٩١، ٦٨٥، ٦٧٥
- ٥٣٢ لا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَةَ
- ٤٤٦ لا وَاللَّهِ، لا تَمْسَحُ عَارِضِيكَ بِمَكَّةَ
- ٥٣٠ كيف كتب على الناس الوصية
- ٦٥٦ كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم
- ٥٣٩ كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه
- (ل)
- ١٤١ لا أخرجن إلى مسلمة، لعلي أقتله
- ٧٠٥، لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله
- ٧٠٧ ورسوله
- لأن تكون قلتها أحب إلي من أن
- ٤٣٩ يكون لي كذا وكذا
- لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً
- ٧٠٦، ٧٠٥، ٤٤١
- لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم
- ٥٥٠ الممل
- لأنكن تكثرن الشكاة، وتكفرن
- ٤٠٣ العشير
- لا، جواباً عما سألته ﷺ : أياكون
- المؤمن كذاباً؟
- ٥٥٨ لا استطعت
- ٨١٧ لا أجده، جواباً لمن سألته ﷺ عن
- عمل يعدل الجهاد؟
- ٢٧٣ لا إله إلا الله، إن للموت سكرات
- ٧٨١ لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم
- ٥١٤ لا تتخذوا قبري وثناً
- ٧٧٨ لا تتمنوا لقاء العدو
- ٢٨٣ لا تُحَدِّثَنَّ بَسْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا
- ٥٠٢ لا تُخْبِرَنَّ بَسْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا
- ٨٢٧ لا تزال طائفة من أمتي يقفون على
- ٩١٤ الحق
- ٥٤٠ لا تسبوا أصحابي
- ٨٥٧
- لا تسبوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا
- ٥١٥ إلى ما قدموا



- لا يَسْتُرُ اللهُ على عبدٍ في الدنيا، إلا  
٥٠٩ سَتَرَهُ اللهُ يومَ القيامةِ
- لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ  
٩١١
- لَتَرْكِبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ  
٩١٣
- لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ  
٣١٢
- لَعَلَّ اللهُ اطَّلَعَ على أهل بدر  
٧٣٦
- لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ أو غَمَزْتَ أو نظرت  
٨٠٧
- لَعَلَّهُ تَنَفَّعَهُ شَفَاعَتِي يومَ القيامةِ  
١٦١
- لَعَلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا  
٧٦٨
- لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ البَيْضَةَ  
فَتَقَطُّعُ يَدَهُ  
٦٣٤
- لَعَنَ اللهُ قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم  
مساجد  
٧٧٨
- لَعَنَ الواشمةَ والمستوشمةَ  
١٨٩
- لَقَدْ بَلَغَ هذا الكلبُ من العطشِ مثل  
الذي كان بَلَغَ مني  
٧٤٦
- لَقَدْ تاب توبةً لو تابها أهل المدينة  
لَقُبِلَ مِنْهُمْ  
٧٥١
- لَقَدْ تابت توبةً لو قُسمت بين سبعين  
من أهل المدينة لو سعتهم  
٧٤٩
- لَقَدْ حكمتَ فيهم بحكم الله يا سعد  
٧١٦
- لَقَدْ لقيتُ من قومك  
٦٥٤
- لَقَدْ هممتُ أو أردتُ أن أرسل إلى  
أبي بكر  
٧٧٤
- لَكُنَّ أَحْسَنَ الجهادِ وأجمله: الحجُّ  
٤١٨
- لَكُنِّي أصومُ وأفطر، وأصلي وأرقد  
٧٩٣
- للصائم فرحتان يفرحهما  
٣١٢
- الله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة  
المسلمين، وعامتهم  
٥١٨، ٥٢٥
- لم تُراعوا.. لم تُراعوا  
٧٨٧
- لم تركته؟  
٨٠٨
- لم صنعته؟  
٨٠٨
- ٨٨٧ لا ولكن آليتُ منهنَّ شهرًا  
لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده  
شرُّ منه  
٨٦٥
- لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ  
إليه من والده وولده  
١٣٧
- لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه  
٦٩٩
- لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ،  
إلا بابُ أبي بكر  
٧٧٤، ٨٨٠
- لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان  
٦٩٩
- لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أنه كان يقتل أصحابه  
٦٩٩
- لا يحبُّهم إلا مؤمن  
٦٨٩
- لا يحملني بغضي إياكم وحبي إياها  
على ألا أعدل  
٧٢٣
- لا يدخل الجنة صاحب مكسٍ  
٧٥٠
- لا يرجعُ من عندك سائلٌ ولو بشقِّ  
تمره  
٤١٢
- لا يرد القدر إلا الدعاء  
٣٦٢
- لا يزال الله يغرس في هذا الدين  
٩١٤
- لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله  
٣٥١
- لا يَسْتُرُ عبدٌ عبداً في الدنيا، إلا  
سَتَرَهُ اللهُ يومَ القيامةِ  
٥٠٩
- لا يُصَلِّينَ أحدُ العَصْرِ إلا في بني  
قريظة  
٧٧١، ٨٦٧
- لا يغني حذر من قدر  
٣٦٢
- لا يُقَصُّ إلا أمير، أو مأمور، أو  
مُحْتَالٌ  
٢٥٤
- لا يُلدِّغُ المؤمنُ من جُحرٍ مرتين  
٤٤٥
- لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر  
لي خطيئتي يوم الدين  
١٥١
- لا يوردن ممرض على مُصْحٍ  
٢٠٤
- لا يدخل الجنة قاطع  
٥٥٢
- لا يدخل الجنة نام  
٥٥٩

- لم يقبض نبيٌ قط حتى يرى مقعده  
في الجنة ٧٨١
- لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ٨٠٧
- لما يرى من فضل الشهادة ٢٧٥
- لما يرى من الكرامة ٢٧٥
- لما يزع الله بالسلطان أعظم مما يزع  
بالقرآن ٥٦٤
- لما قبض رسول الله ﷺ ١٤١
- لما كان يوم حنين أثر النبي ﷺ ٧٢٨
- أناساً في القسمة ٦٦٧
- لما كذبتني قريش قمت في الحجر ٢٤٧
- لن تزال هذه الأمة قائمة ٩٤٣
- لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ٦٤٣
- لن يقبضه الله حتى يقيم به الملة  
العوجاء ٨١١
- لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل  
مكة ٣٧٧
- لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل ٧٤٨
- لو أن الأنصار سلكوا وادياً ٦٩٠
- لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث  
النساء، لمتعهن المسجد ٤١٩
- لو أننا خرّفنا في نصيبنا خرّفاً ٦٢٦
- لو راجعته ٥٦٩
- لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتها ١٤٠
- لو سلك الناس وادياً، وسلك  
الأنصار شعباً ٧٣١
- لو قلت له يغسل هذا ٨٠٦
- لو كان رسول الله ﷺ كاتباً شيئاً ٨٠٩
- لو كان شيء سابق القدر ١٨٩
- لو كان المطعم بن عدي حياً ٦٨٣
- لو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما ٥٨٩
- لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي ٧٧٤
- لأتخذت أبا بكر خليلاً ٨٨٠
- ٨٨٥
- لولا آيتان في كتاب الله ما حدثت  
حديثاً ٢٣١
- لولا أن أخي جبرائيل، قام عن هذه ١٤٣
- لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ٦٩٠
- لي خمسة أسماء: أنا محمد،  
وأحمد، وأنا الماحي ١٢٦
- ليس الإيمان بالتمني ٣٧٦
- ليس بفظ ولا غليظ ٦٤٣
- ليس الشديد بالصرعة ٥٥٢
- ليس شيء أكرم على الله من الدعاء ٣٨٠
- ليس على أحد فضل إلا الدين ٧٠٠
- ليس الغنى عن كثرة العرض ٤٩٣
- ٥٥٢
- ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ٥٥٤
- فيئني خيراً ٨٩١
- ليس المسكين الذي ترده التمرة  
والتمرتان ٥٥٢
- ليس منا من دعا إلى عصبية ٧٠٠
- ليس الواصل بالمكافئ ٥٤٨
- ليس وراء ذلك من الإيمان حبة  
خردل ٩١٥
- ليس يوم عند الله أعظم من يوم  
الجمعة، ليس العشر ٣٤٣
- ليُنز عن القرآن من بين أظهركم  
(م) ٥٣١
- ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع  
إلى الدنيا ٢٧٥
- ما أراد هؤلاء؟ ٣٣٥، ٣٤٦
- ما أردت إلا خلافي ٨٨١

- ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودين  
أذهب للب الرجل الحازم من إحداهنَّ ٤٠٢  
ما رأيتُ منه ولا رأى منِّي ٨١١  
ما زال جبريل يوصيني بالجار ٥٧٣  
ما سئل شيئاً قط، فقال: لا ٨١٠  
ما ظنَّك يا أبا بكرٍ باثنينِ اللهُ ثالثهما ٦٨١  
ما عندي شيء، ولكن ابتع عليَّ ٧٨٩، ٨١٠  
ما غرتُ على أحدٍ من نساء النبيِّ  
ﷺ، ما غرتُ على خديجة ٨٣١  
ما كان أحفظ لحديث رسول الله ﷺ  
مني إلا عبد الله بن عمرو ٦٤٥  
ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم ٢٧٤  
ما كان يُخَيَّر بين أمرين إلا اختار  
أيسرهما ما لم يكن إثماً ٥٦٥  
ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ٨٣٨،  
٨٨٠  
بها ما خلا أبا بكر  
ما مسَّت يدهُ يد امرأة قط ٨٠٨  
ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ٨٦٤  
ما من أصحاب النبي ﷺ أكثر حديثاً ٦٤٥  
ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُّ  
إلى الله من هذه الأيام ٣٣٤،  
٣٤١  
ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيَّةً ٩٣٨  
ما من عبدٍ يُصاب بمصيبة ٨١٥  
ما من مسلم له ابتنان ٤١١  
ما من مسلم يدعو بدعوةٍ ٣٦٢  
ما من الناس من مسلمٍ يتوفى له  
ثلاثة لم يبلغوا الحنثَ ٤٠٤  
ما من نبيٍّ بعثه الله ٢٩٤  
ما من يومٍ أفضل عند الله من يوم  
عرفة ٣٣٥،  
٣٤٥  
ما من يومٍ أكثر من أن يعتق الله فيه  
عبداً ٣٣٥
- ١٦١ ما أغنيتَ عن عمِّك  
٥٩٧ ما أقلَّت العُبراء ولا أطلَّت الخضراء  
ما أنت بمُحدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه  
عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة ٢٦٨  
ما أنزل الله من داء، إلا أنزل له  
شفاء ١٩٦  
ما النجاة؟ ٩٣٢  
ما انتقم لنفسه قط ٥٦٥  
ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ٧٩٩  
ما بال أقوام يصنعون كذا ٨٠٦  
ما بال دعوى أهل الجاهلية ٦٩٨  
ما بعث رسول الله ﷺ زيدَ بن حارثة  
في جيشٍ قطُّ إلا أمره عليهم ٩٠٣  
ما بين كلِّ درجتين كما بين السماء  
والأرض ٢٧٥  
ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا  
درهماً ٥٣٨  
ما ترك شيئاً يكون عن مقامه ذلك  
إلى قيام الساعة إلا حدَّث به ٩٣٥  
ما حاجته؟ ٨٢٧، ٥٠٢  
ما حالك؟ ١٧٠  
ما حبَّسك؟ ٨٢٧، ٥٠٢  
ما حجبتني رسول الله ﷺ ٥٠٧  
ما حق الجار على الجار؟ ٥٧٣  
ما حقُّ امرئٍ مسلمٍ له شيءٌ يُوصي فيه  
ما حملكم على قتل الذريرة ١١٧  
ماخاب من استخار، ولا ندم من استشار ٣٠٠  
ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء ٥٣٢  
ما خيَّر رسول الله ﷺ بين أمرين قطُّ  
إلا أخذ أيسرهما ٢٦١  
ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من  
مظلمة ظلمها قط ٨٠٧

- المرأة كَالضَّلَعِ إِنْ أَقَمْتَهَا كَسْرَتَهَا ٥٧٢ ، ٥٧٦  
 ٥٧٩ مرحباً بِأُمِّ هَانِيٍّ  
 ٥٠٦ مرحباً يَا بُنَيَّتِي  
 ٦٧٩ المسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمونَ مِنْ لِسَانِهِ  
 ٢١٩ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا  
 مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ البِنَاتِ بِشَيْءٍ ،  
 ٤٠٧ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ  
 ٨٦٩ مَنْ اجْتَهَدَ وَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ  
 مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهَمَّ لَهُ  
 ٦٢٠ كَارِهُونَ  
 ٤٧٩ مَنْ التَّمَسَّ رِضَا اللَّهِ سَخَطَ النَّاسَ  
 مَنْ أَتَى مِنْكُمْ حَدًّا فَأُقِيمَ عَلَيْهِ فَهُوَ  
 ٧٥٢ كَفَّارَتُهُ  
 مَنْ أَسْخَطَ اللَّهَ فِي رِضَا النَّاسِ سَخَطَ  
 ٤٨٢ اللَّهُ عَلَيْهِ  
 مَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ، ثُمَّ سَتَرَهُ  
 ٧٣٤ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ  
 ٤٧٤ مَنْ أَصْبَحَ مَعْفَى فِي جَسَدِهِ  
 مِنْ تَتَبِعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المسلمَ تَتَبَعَ اللَّهُ  
 ٥١٤ عَوْرَتَهُ  
 مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُفِّفَ أَنْ يَعْقِدَ  
 ٦٢٠ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ  
 مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً لَعَزَّهَا لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا  
 ٣٩٥ ذَلًّا  
 مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ  
 ٩١٦ مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ ، فَمَنْ وَجَدَ  
 ٩٢٧ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ  
 ٤٢٧ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ تَمْرَةً مِنْ كَسْبِ طَيْبٍ  
 مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنْ  
 ٢٢٧ النَّارِ  
 مَنْ تَمَسَّكَ مِنْكُمْ بِحَقِّهِ فَلَهُ بِكُلِّ  
 ٥٦٩ إِنْسَانٍ سِتُّ فَرَانِضٍ
- ٤٠٠ ما مَنَكُنَّ امْرَأَةً تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا ،  
 ٤٠٥ إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ  
 ما نَفَعَنِي مالٌ أَحَدٌ قَطُّ ما نَفَعَنِي مالٌ  
 ٨٨٠ أَبِي بَكْرٍ  
 ما هَذَا الجَبَلُ ؟  
 ٢٦٠  
 ما هَذَا الخَنْجَرُ ؟  
 ٤١٧  
 ما هَمَمْتَ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ  
 ٨١١ الجَاهِلِيَّةِ يَفْعَلُونَهُ  
 ما يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ  
 ٨٥٨ بَدْرٍ  
 ما يَزَالُ البَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي  
 ٧٥٧ نَفْسِهِ  
 ما يَصِيبُ المسلمَ مِنْ نَصَبٍ ، وَلَا وَصَبٍ  
 ٧٥٧ ما يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ : إِنِّي خَيْرٌ مِنْ  
 يُونُسَ بْنِ مَتَّى  
 ٦٦١ الْمُؤْمِنِ غَيْرِ كَرِيمٍ ، وَالْمَنَافِقِ خَبٌّ  
 لَثِيمٌ  
 ٤٤٩ الْمُؤْمِنُ كَيْسُ فِطْنٍ  
 ٤٥٠ الْمُؤْمِنُونَ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهِمُ  
 ٥٨٤ الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي  
 ٦٩٩ مَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
 ٥٣٣ مِثْلُ أُمَّتِي كَمِثْلِ المَطَرِ  
 ٨٥٩ مِثْلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ  
 ٣٤٩ رَبَّهُ ، مِثْلُ الحَيِّ وَالْمَيِّتِ  
 ٣٧٤ مِثْلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ ، وَالواقِعِ  
 ٦٢٦ فِيهَا  
 مِثْلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ  
 ٣٤٣ الصَّائِمِ القَائِمِ  
 ٦٨٤ مِثْلِكَ يَا أبا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ  
 ٣٨٠ ، ٣٥٨ مِخُّ العِبَادَةِ  
 مَدَادُ العُلَمَاءِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ دَمِ  
 ٢٤١ الشَّهَدَاءِ

- مَنْ فَتَحَ لَهُ فِي الدَّعَاءِ مِنْكُمْ فَتَحَتْ لَهُ  
أَبْوَابَ الْجَنَّةِ ٣٦٢
- مَنْ قَاتَلَ لِنُكُونِ كَلِمَةِ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا  
مَنْ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَى ٢٧٧
- فَقَدْ كَذَبَ ٦٦١
- مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ٥٨٧
- مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا  
يُؤْذِي جَارَهُ ٥٧١
- مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،  
فَلْيُكْرِمِ جَارَهُ ٥٧٣
- مَنْ كَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ فَأَدَّبَهَا وَأَحْسَنَ أَدَبَهَا ٤١٢
- مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ ٤١١
- مَنْ لَا يَرِحُّمْ لَا يَرِحُّمْ ٥٤٣، ٥٤٥
- مَنْ لَمْ يَدْعِ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلِ بِهِ،  
فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدْعَ طَعَامَهُ ٣١٥
- مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ ٣٥٩
- مَنْ مَنَعَ مَنِيحَةَ لِسَانِهِ أَوْ وَرَقٍ، أَوْ  
هَدَى زُقَاقًا ٦٨٨
- مَنْ هَذِهِ؟ - سَوَّالُهُ ﷺ عَنْ امْرَأَةٍ عِنْدَ  
عَائِشَةَ - ٢٦٠
- مَنْ هَذِهِ؟ سَوَّالُهُ ﷺ عَنْ أُمِّ هَانِيءٍ ٥٧٩
- مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفْقِهِهِ فِي الدِّينِ ٢٤٧، ٣٣٩
- مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تَطِيقُونَ ٢٦٠
- مَهْلًا يَا خَالِدَ ٧٥٠
- (ن)
- النَّاسُ مُعَادِنٌ ١٥٣
- نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ ٧٩٠
- نَحْنُ أُمَّةٌ أَمِيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ ١٧٤
- نَحْنُ قَوْمٌ لَا نَأْكُلُ حَتَّى نَجُوعَ ٤٧٥
- نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَرَفَاتٍ ٣٣٦،
- فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ ٧٦٢
- نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ، وَنَحْنُ فِي الْغَارِ ٦٨١
- مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرِفْثْ وَلَمْ يَفْسُقْ ٣٠٣
- مَنْ حَسُنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكُهُ مَا لَا  
يَعْنِيهِ ٤٦٠
- مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا ٧٠١
- مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ ٩٣٨
- مَنْ دَخَلَ دَارَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ فَهُوَ  
آمِنٌ ٤٩٢
- مَنْ دَفِنَ ثَلَاثَةَ، فَصَبَرَ عَلَيْهِمْ ٤٠٤
- مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ إِلَّا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ ٧٤٦
- مَنْ رَأَى عَوْرَةَ فَسْتَرَهَا، كَانَ كَمَنْ  
أَحْيَا مَوْءُودَةَ ٥١٣، ٧٥٦
- مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ٩١٥
- مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا،  
وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ٢٧٥
- مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا  
وِثْلَاثِينَ ٣٥٥
- مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ ٧٥٦
- مَنْ سَعَادَةُ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ ٢١٧
- مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً ٤٩٦
- مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً سَيِّئَةً ١٨٦
- مَنْ شَعَلَهُ الْقُرْآنُ وَذَكَرَنِي عَنْ مَسْأَلَتِي ٣٦٣
- مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدِي أَرْبَعِينَ صَلَاةً ٣٠٦
- مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ٣٠٦
- مَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُدْبَ ٦٢٠
- مَنْ طَلَبَ مُحَمَّدًا اللَّهُ بِسَخَطِ النَّاسِ ٤٨٢
- مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا ٤٣٢
- مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ ٤١١
- مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلَّمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ  
يَعْلَمُ ٢٧٤
- مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ٤٢٣

- ٢٥٦ هل كان رسول الله ﷺ يختصُّ شيئاً
- ٥٣٠ هل كان النبي ﷺ أوصى
- ٢٦٠ هلَكَ المتنتظعون
- هلِكَ المسلمون، أمرتهم بالأمر فلم يفعلوا
- ٥٦٧ يفعلوا
- ٩٣٤ هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا
- ١٦١ هو في ضحضاح من نار
- ٣١٠ هو مسجدكم هذا
- ١٩٦ هي من قدر الله
- ٤٣٩ هي النَّخْلَةُ
- (و)
- واثنين، جواباً لمن سأله عن مأت لها ولدان
- ٤٠٠ واعلموا أنَّ الجِنَّةَ تحت ظلال السيوف
- ٢٨٣ والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة
- ١٧١ والذي نفسُ محمدٍ بيده، لَخُلوفُ فَمِ الصائم
- ٣١٢ والله إنك لخيرُ أرضِ الله، وأحبُّ أرضِ الله إلى الله
- ٣٠٥ والله إن هذه القِسْمةَ ما عدلَ فيها
- ٧٢٨ والله إنني لأعلمُ الناسَ بكل فتنة كائنة
- ٩٣٦ والله لأخبرنَّ النبيَّ ﷺ
- ٧٢٨ والله لا أحملكم، ولا أجد ما أحملكم عليه
- ٦٠٧ والله لا يؤمن، والله لا يؤمن
- ٥٧٣ والله لتأمرن بالمعروف
- ٦٣٢ والله لقد جثتكم من عند أحبِّ الناس إلي
- ٧٢٣ والله لو حدثتُ به أحداً لحدثتُك به
- ٥٠٢ يا ثابت
- ٥٣٢
- ٤١٤ نِعْمَ الجهادُ الحَجُّ
- ٤٩٥ نِعْمَ المالُ الصالح للرجلِ الصالح ١٨١، ٤٩٥
- نعم، جواباً عن سؤال: أيكون المؤمنُ جباناً؟
- ٥٥٨ نعم إذا كثرَ الخَبَثُ
- ٩٢٦ نعم دعاةُ على أبواب جهنم ٩٣٤، ٩٤٠
- نعم لم يأت أحدٌ قطُّ بمثل ما جئتُ به إلا عودي
- ٦٦٩ نعم وفيه دَخْنٌ
- ٩٤٠، ٩٣٤ نعمتانِ مَعْبُونٌ فهما كثيرٌ من النَّاسِ
- ٤٦٩ نفرٌ من قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله
- ٢٠٥ نقرتكم بها على ذلك ماشئنا
- ٧٢٠ نهى عن الوشم
- ١٨٩ نية المؤمن خيرٌ من عمله
- ٤٢٥ (هـ)
- ٥٦٠ هاد يَهْدِي السبيل
- ٤٨١ هادياً مهدياً
- ٩٢٥ هذا أهون أو هذا أيسر
- ١٤٠ هذا ثابت يجيبك عني
- ١٠٦، هذا جريلٌ عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم
- ٥٢٦ هذا خُوَيْدَمُك أنس
- ٨٠٩ هذا مَقْعَدُكَ حتى يَبْعَثَكَ اللهُ
- ٣٨٤ هذا الناموس الذي نزل الله على موسى
- ٦٦٩ هذا يومك الذي كنت تُوعِد
- ١٨١ هل أنت مُبلِّغ عني قومك
- ٥٩٩ هل أوصى رسول الله ﷺ
- ٥٣٦ هل تستطيع إذا خَرَجَ المجاهدُ أن تدخلَ مَسْجِدَكَ
- ٢٧٣ هل تعلمون بعقله بأساً
- ٧٤٩ هل عندكم شيءٌ من الوحي إلا كتاب الله
- ٥٣٢

٨٠٨ يا أمّ فلان اجلسي في أيّ سكك المدينة  
٣٣٦، يا أمير المؤمنين، آية تقرأونها في  
٧٦٢ كتابكم  
٤٦٤ يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية  
٢٤٩ يا أيها الناس خذوا من العلم  
يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو،  
٢٨٣ واسألوا الله العافية  
٦٤٣ يا أيها النبي إنا أرسلناك  
يا بني كعب بن لؤي أنقذوا  
٥٤٩ أنفسكم من النار  
٣٥٨ يا جبريل لا تعجل بقضاء حاجة عبدي  
٤٨٩ يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة ١٥٣،  
٧٩٥ يا حنظلة ساعة وساعة  
٨٢٦ يا ذا الأذنين  
يا رسول الله ابن جُدعان كان في  
١٥١ الجاهلية يصل الرحم  
يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط  
٩١٣ كما لهم ذات أنواط  
يا رسول الله أتكلّف هذا، وقد غفر  
٨٠٥ الله لك ما تقدّم من ذنبك  
يا رسول الله رأيت أشياء كنتُ  
١٥١ أتحنّث بها في الجاهلية  
١٩٦ يا رسول الله رأيت رقيّ نسترقها  
٣٠٧ يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس  
٧٠٥ يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا  
٧٧٥ يا رسول الله ألا نقاتلهم  
يا رسول الله أمرنا على بعض ما  
٦١٠ ولأك الله عزّ وجل  
٧٥١ يا رسول الله أنا صاحبها  
٨٧٦ يا رسول الله أنا كنت أظلم! مرتين  
يا رسول الله إنا كُنا في جاهلية  
٩٣٤ وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير

٨٩٩ وایمُ اللهُ إن كان لخليقاً للإمارة  
وایمُ اللهُ لو أنّ فاطمة بنتَ محمدٍ  
٥٦٤ سرقت لقطعت يدها  
٢٧٥ وأخرى يرفع الله بها العبد مئة درجةٍ  
١٩٢ وإذا استُغسلتم فاغسلوا  
٦٧٥ وإذا استُفترتم فانفروا  
٧٥٤ وإنك لهند بنت عتبة؟  
وَدِدْتُ لو أنّي جعلت - حين حلفت -  
٨٨٣ عملاً أعمله فأفرغ منه  
٧١٥ وضعت السلاح  
٣٨٨ وقت أذنك يا غلام  
٣٣٤ ولا الجهاد في سبيل الله، إلاّ رجلٌ  
٣٤١ خرج بنفسه وماله  
٧٦٠ ولا تسألوا الناس شيئاً  
٦٤٣ ولا يدفع بالسيئة السيئة  
٦٧٧ ولكن جهاد ونية  
٧٩٥ ولكن يا حنظلة ساعة وساعة  
وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ  
٤٣٢ إليّ ممّا افترضته عليه  
١٨٦ ومن سنّ في الإسلام سنّة حسنة  
٤٠٤ وواحداً؟ لمن مات لها ولدٌ احتسبته  
٤١١ وواحدة؟ لمن كان له بنت أحسن إليها  
٦٨٦ ويحكّ إن الهجرة شأنها شديدٌ  
(ي)  
٧٧٤ يا أبا بكر لا تبك  
٦٠٠ يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً  
٢٥١ يا أبا عبد الرحمن لو ددت أنك  
٢٦١ تذكّرنا كلّ يوم  
٨٢١، ٨١٩ يا أبا عمير، ما فعل النّعير  
٧٤٤ يا ابن آدم، إنك ما دعوتني  
٧٢٣ يا أعداء الله تطعموني السُّحت  
٨٢٦ يا أمّ سليم، إن الله قد كفى وأحسن

- ٤٦٢ يا رسول الله إنك تُداعبنَا
- ٣٥٠ يا رسول الله إن شرائع الإسلام
- ٥٧٥ يا رسول الله إن لي جارين
- ٨٧٦ يا رسول الله إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء
- ٢٣٢ يا رسول الله إنني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه
- ٧٤٩ يا رسول الله إنني ظلمتُ نفسي وزنيت
- ٧٥٠ يا رسول الله إنني قد زينتُ فطهرني
- ٤٧٧ يا رسول الله أي الدعاء أفضل
- ٥٧٩ يا رسول الله زعم ابنُ أمي عليُّ أنه قاتلُ رجلاً قد أجزته
- ٦٩٢ يا رسول الله غبتُ عن أوَّل قتالٍ قاتلتُ المشركين
- ٢٠٦ يا رسول الله فما بالُ الإبل تكون في الرَّمْل كالظَّبَاء
- ١٠٨ يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك
- ٥٨٩ يا رسول الله لا أرجع إليهم
- ٥٦٧ يا رسول الله لا تلمهم
- ٧٥٠ يا رسول الله لِمَ تردُّني
- ٦٨١ يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا
- ٧٥٣ يا رسول الله ما حقُّ الجار على الجار
- ٦٨٩ يا رسول الله ما رأينا قوماً أبذل من كثير، ولا أحسن مواساة من قليل
- ٧٥٣ يا رسول الله نبيحك على أن لا تشرك بالله شيئاً
- ٤١٤ يا رسول الله نرى الجهادَ أفضلَ العملِ، أفلا نُجاهدُ
- ٤١٧ يا رسول الله هذه أمُّ سليم
- ٦٥٤ يا رسول الله هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومٍ أحد
- ٦٩٣ يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا تُكسرُ ثنيتُها
- ٤٨٩ يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأُ أحداً بعدك شيئاً
- ٥٩٢ يا رسول الله وما الوهن
- ٩١١ يا رسول الله اليهود والنصارى!
- ٦٩٣ يا سعد بن معاذ، الجنة، وربِّ النَّصْر
- ٤١٢ يا عائشة استتري من النار
- ٤١٢ يا عائشة اشترى نفسك من النار
- ٣٥٨ يا عبادي لو أن أولكمم وأخركم
- ٤٧٤ يا عباس يا عمَّ رسول الله: سل العافية في الدنيا والآخرة
- ٦٠٤ يا عبد الرحمن بن سمرّة، لا تسأل الإمارة
- ٨١٣ يا غلام سمَّ الله، وكلِّ بيمينك
- ٥٠٧ يا فاطمة أما ترَضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين
- ٥٤٩ يا فاطمة أتقذي نفسك من النار
- ٥٦٧ يا محمد إن الله قد سمع قول قومك، وأنا ملكُ الجبال
- ٥٦٨ يا محمد ارفع رأسك، سل تعط
- ١٩٧ يا محمد اشتكيت؟
- ٣١١ يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم
- ٧٣١ يا معشر الأنصار، ما حديثٌ بلغني عنكم
- ٧٠٤ يا معشر المسلمين! أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم
- ٧١٣ يا معشر المسلمين: الله الله
- ٥١٤ يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفَضِّص الإيمان إلى قلبه



٣٨٧ ، ٣٥٧	يُستجاب لأحدكم ما لم يعجلْ	٤٠٢	يا معشر النساء تصدقن، فإني أريتكن
٢٥٨	يسرّوا ولا تعسّروا، وبشروا ولا تنفروا	٧٢٢ ، ٧١٧	يا معشر يهود، أسلموا تسلموا
٩٣٣	يُصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً	٧٤١	يا نبي الله أي الذنب أعظم عند الله
٨٧٦	يغفر الله لك يا أبا بكر	٢٤٩	يا نبي الله كيف يرفع العلم
٧٠٧	يفتح الله على يديه فيمكته من قاتل أخيك	٢١٥	يا نجيج يا راشد
٢٧٦	يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية	٩٣٣	يبيع دينه بعرض من الدنيا
٣٦٨	يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم	١٧٨	يتبع الميت ثلاثة
٧٣٧	يقول الله تعالى: أنا عند ظنّ عبدي بي	١٧٨	يتبعه أهله وماله وعمله
٤٠٤	يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن	٤٥٢	يجري من ابن آدم مجرى الدم
	عندي جزاء إذا قبضتُ صفيه	٨٥٥	يجيء أقوامٌ تسبقُ شهادةُ أحدهم
	يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا		يَمينه
٢٩٤	يؤمرون		اليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى
٣٤٦	يكفر السنة الماضية والآتية	٤٩٠ ، ٤٨٩ ، ١٥٣	
٨٨٣	ينبغي أن يؤخذ على يديها	٩١٥	يد الله مع الجماعة
٥٩٢	يوشك الأمم أن تداعى عليكم	٥٣١	يدرس الإسلام كما يدرس وثنى الثوب
٩٢٧	يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمٌ	٧٤٧	يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربه
٧٦٧ ،	يوم الخميس وما يوم الخميس	٩٣٢	حتى يضع عليه كنفه
٧٧٣			يزهد الصالحون، الأول فالأول

\* \* \* \* \*

## فهرس أسماء رواة الأحاديث والآثار

أبو	
٥٣٧	أبو أمامة الباهلي
٥٣٩	أبو أيوب الأنصاري
٩١٥	أبو بصرة الغفاري
٦٨١ ، ٦٣٢ ، ٥٣٨ ، ٤٧٧ ، ٤٦٤	أبو بكر الصديق
٩٤٣ ، ٨٩١ ، ٣٨٣ ، ٣٣٣ ، ٣٢٦	أبو بكره = نفيح بن الحارث
١٩٦	أبو خزامة السعدي
٨٧٦ ، ٥٥٦ ، ٣٥٠ ، ٣٠٧ ، ٣٠١	أبو الدرداء
٧٠٠ ، ٥٩٥ ، ٣٥٨	أبو ذر
٥٨٩	أبو رافع مولى النبي ﷺ
٣١٠ ، ٢٧٥ ، ٢٣٧ ، ١٩٧ ، ١٩٣ ، ١٦١ ، ١٢٤	أبو سعيد الخدري
٦٨٥ ، ٤١١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٠ ، ٣٨٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٢	
٩٣٠ ، ٩٢٧ ، ٩١١ ، ٨٣٩ ، ٨٠٣ ، ٧٥٧ ، ٧٤٤	
٩٣٢	
٥٧٣	أبو شريح الخزاعي
٤١٧	أبو طلحة
٢٠٥	أبو عبيدة
٩١٤	أبو عبنة الخولاني
٨٤٠ ، ٣٣٥	أبو قتادة
٤٢٥	أبو كبشة الأنماري
٦١٠ ، ٥٦٢ ، ٤٢٦ ، ٣٤٩ ، ٢٩٢ ، ٢٧٦ ، ٢٥٨	أبو موسى الأشعري
٩١٩	

٩٧٩

١٠٥، ١٠٩، ١١٢، ١٢٠، ١٣٣، ١٤٠، ١٤١،  
 ١٧١، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٩، ٢٠١، ٢٠٤، ٢١٥،  
 ٢٣١، ٢٣٢، ٢٧٣، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣١٠، ٣١١،  
 ٣١٢، ٣١٥، ٣٢١، ٣٣٥، ٣٤٦، ٣٥٥، ٣٥٧،  
 ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧٣، ٣٨٦، ٣٩٣، ٤٠٤، ٤١٢،  
 ٤٢٧، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٤٩، ٤٦٠،  
 ٤٩٣، ٥٠٩، ٥٤٣، ٥٤٩، ٥٥٣، ٥٩٢، ٥٧١،  
 ٦٣٤، ٦٥١، ٦٦١، ٦٧٣، ٦٨٨، ٧١١، ٧١٧،  
 ٧٢٢، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٩، ٧٧٨، ٨٦٠، ٨٦٩،  
 ٩٢٧، ٩٣٣، ٩٤٤

أبو هريرة

٢٥١ أبو وائل = شقيق بن سلمه

٩١٣ أبو واقد الليثي

(أ)

٦٩٠ أبي بن كعب

٢١٣ إسماعيل بن أمية

١١٧ الأسود بن سريع

٦١٠ أسيد بن حضير

١٧٨، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٧، ٢٧٥، ٣٠٠، ٣٠٦،  
 ٣٢٤، ٣٩٥، ٤٠٤، ٤٢٦، ٤٥٠، ٤٧٧، ٥٠٢،  
 ٥٠٤، ٥٦٠، ٥٨٠، ٦٨٩، ٦٩٢، ٦٩٩، ٧٥٧،  
 ٧٧٥، ٧٨٧، ٧٩٠، ٧٩٣، ٨٠١، ٨٠٧، ٨٠٨،  
 ٨١٩، ٨٢٥، ٨٢٩، ٨٤٧، ٨٥٩، ٨٦٥، ٨٧٥،  
 ٩٣٢

أنس بن مالك

(ب)

٧٩٦، ٦٨٩، ٦٨٨

البراء بن عازب

(ت)

٥٢٥

تميم الداري

(ث)

٥٩٢ ، ٣٦١ ، ١٤٠

ثوبان

(ج)

٤٠٤

جابر بن سمرّة

٢٩٥ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ ، ٣٢٤ ، ٣٣٥ ، ٤٠٣ ، ٤٥٠ ،

جابر بن عبد الله

٩٢٥ ، ٩١٤ ، ٨١٠ ، ٧٩٦ ، ٦٩٨ ، ٦٦٧ ، ٥٧٤

جُبَيْر بن مطعم

١٢٦ ، ٥٥٢ ، ٦٨٣ ، ٧٦٨

جرير بن عبد الله

٤٩٦ ، ٥١٦ ، ٥٢٥

(ح)

٩٤٠ ، ٩٣٦ ، ٩٣٥ ، ٩٣٤ ، ٥٥٩ ، ٥٣١ ، ٤٦٠

حُدَيْفَة بن اليمان

٤٨٩ ، ١٥١

حكيم بن حزام

(ر)

١٤٣

رفاعة الفتياني

(ز)

٣٨٠

زيد بن أرقم

٧٩٦

زيد بن ثابت

٨٦٣

زيد بن خالد الجهني

١١٠

زيد بن طلحة بن رُكَّانَة

(س)

٢١٧

سعد بن أبي وقاص

١٠٨

سفيان بن عبد الله الثقفي

٩٠٣ ، ٨١٧

سَلْمَة بن الأكوع

٢١٧ ، ٥٠١ ، ٥٦٨ ، ٧٠٥

سهل بن سعد

(ش)

٥٤٦

شدّاد بن أوُس

(ص)

٥٥٨

صفوان بن سليم

- صهيب بن سنان ٣٢٣، ٧٥٨  
(ط)  
طارق بن شهاب ٧٦٢  
(ع)  
عَبَادَةَ بن الصَّامِتِ ٧٣٤، ٧٥٢  
العباس بن عبد المطلب ١٦١، ١٧١، ٤٧٣، ٥٣٣  
عبد الرحمن بن أبي عميرة ٨٩٣  
عبد الرحمن بن سَمْرَةَ ٦٠٤  
عبد الرحمن بن عوف ٢٠٥  
عبد الله بن أبي أوفى ٢٨٣، ٥٣٠  
عبد الله بن أنيس ٣٠٩  
عبد الله بن بَسْرٍ ٣٨٣، ٣٥٠  
عبد الله بن الزبير ٣٠٥  
عبد الله بن عامر الجهني ٩٣٢  
عبد الله بن عباس ١٨٩، ١٩٣، ٢٠٤، ٢١٧، ٣٢٠، ٣٣٤، ٣٤١،  
٤١١، ٤٢٤، ٤٦٩، ٤٧٤، ٤٧٧، ٤٨٢، ٦٢٠،  
٦٦١، ٦٧٤، ٦٧٥، ٧٦٧، ٧٧٣  
٣٠٥  
عبد الله بن عدي ٢١٤، ٢٨٩، ٣١٠، ٣٢٠، ٣٣٣، ٣٦٢، ٣٨٤  
عبد الله بن عمر ٤٣٩، ٤٥٣، ٤٧٨، ٤٩٠، ٥١١، ٥١٤، ٥١٥،  
٥٣٧، ٥٧٣، ٦٢١، ٧٢٠، ٧٤٥، ٧٤٧، ٨٦٧،  
٨٩٩، ٩٠٠، ٩١٥، ٩١٦، ٩٣٨  
عبد الله بن عمرو ٢٤٥، ٣٠١، ٣٠٧، ٣٦٠، ٣٨٦، ٥٤٨، ٥٥٦،  
٥٦٥، ٥٦٩، ٥٨٧، ٥٩٧، ٦٤٣، ٦٥٧، ٩١٣  
٣٤٥  
عبد الله بن قرط ٤٧٤  
عبد الله بن محصن ٢٥١، ٢٥٢، ٢٦١، ٢٦٨، ٢٩٤، ٤١١، ٥٥٨  
عبد الله بن مسعود

- ٥٨٩ ، ٦٢٣ ، ٦٣١ ، ٦٥٦ ، ٧٢٨ ، ٧٤١ ، ٨٥٥ ،  
٩١٣  
٨٩٣ العرياض بن سارية  
٦٣٠ العرس بن عميرة الكندي  
٨٨٣ عروة بن الزبير  
٢١٤ عروة بن عامر  
٥١٣ ، ٧٠٠ ، ٧٥٠ ، ٧٥٦ عُقبة بن عامر  
٣٦٨ ، ٣٨٩ ، ٤٢٤ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٧٧٨ ، ٧٨٠ علي بن أبي طالب  
٨١٣ عمر بن أبي سلمة  
٢٠٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٦ ، ٤٢٣ ، ٤٩٤ ، ٥٠٥ ، ٥٨٧ عمر بن الخطاب  
٧٨٩ ، ٧٦٢  
٨٥٥ عمّان بن حصين  
٨٨٤ ، ٨٦٩ عمرو بن العاص  
٢٩٤ ، ٦١٨ ، ٧٦٠ عوف بن مالك الأشجعي  
٧٠٠ عياض بن حمار
- ( م )
- ٧٤٩ معاذ بن مالك الأسلمي  
٢٣٦ مالك بن الحويرث  
٩٣٢ مرداس الأسلمي  
٣٤٩ ، ٥٧٣ ، ٦٩٩ ، ٨٠١ معاذ بن جبل  
٤٧٩ معاوية بن أبي سفيان  
٩٣٨ معقل بن يسار  
٨٦٤ المقدام بن معدى يكرب
- ( ن )
- ٤٢٣ ، ٤٣٤ ، ٤٤٤ ، ٦٢٦ ، ٨٦٥ النعمان بن بشير  
٢٨٦ النعمان بن مقرن  
٤٢٥ النواس بن سمعان

( ي )

٥١٣

يعلى بن أمية

\*\*\*\*\*

## فهرس أسماء النساء

١٤٢	أسماء بنت أبي بكر الصديق
٧٥٤	أسماء بنت زيد
٧٥٣	أميمة بنت رقيقة
٤١٦	الربيع بنت معوذ
٩٢٦	زينب بنت جحش
٤٥٢	صفية بنت حسي أم
	المؤمنين
	عائشة أم المؤمنين
٣٣٥ ، ٣٢٤ ، ٢٦١ ، ١٩٥ ، ١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٥١	
٤٤٢ ، ٤٢٣ ، ٤١٨ ، ٤١٤ ، ٤٠٧ ، ٣٦٢ ، ٣٤٦	
٥٤٣ ، ٥٣٨ ، ٥٣٢ ، ٥١٥ ، ٥٠٦ ، ٤٨٢ ، ٤٧٩	
٦٧٥ ، ٦٥٤ ، ٦٢٨ ، ٦٢٤ ، ٥٧٤ ، ٥٧٣ ، ٥٦٥	
٨١١ ، ٨٠٩ ، ٨٠٧ ، ٧٨٠ ، ٧٧٤ ، ٧١٦ ، ٦٨٨	
٩٠٣ ، ٨٦٥ ، ٨٤٧ ، ٨٣٩ ، ٨٣١	
٣٠٧	ميمونة مولاة النبي
٨٨٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٥ ، ١٩٥	أم سلمة
٣٠١	أم كرز الكعبية
٥٥٤	أم كلثوم بنت عقبة
٥٧٩	أم هانئ

\*\*\*\*\*

## فهرس المصادر والمراجع

- ١- أبو بكر الصديق. لعلي الطنطاوي - ت ١٤٢٠ -، ط ٤، دار المنارة، جدة ١٤١٥.
- ٢- أبو هريرة راوية الإسلام وسيد الحفاظ الأثبات. لعبد الستار الشيخ، ط ١، دار القلم، دمشق ١٤٢٤.
- ٣- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة. للبوصيري، أحمد بن أبي بكر الكناني - ت ٨٤٠ - تصحيح عادل سعيد، وسيد محمود إسماعيل، ط ١، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٩.
- ٤- الأجوبة المرضية فيما سُئلت عنه من الأحاديث النبوية. للسخاوي، محمد بن عبد الرحمن - ت ٩٠٢ -، تحقيق محمد إسحاق إبراهيم، ط ١. دار الراية، الرياض ١٤١٨.
- ٥- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. للأمير ابن بلبان الفارسي - ت ٧٣٩ -، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٨.
- ٦- إحياء علوم الدين. للغزالي، محمد بن محمد - ت ٥٠٥ -، مصورة دار المعرفة في بيروت عن طبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٤٦.
- ٧- أخبار عمر. لعلي الطنطاوي - ت ١٤٢٠ - ط ١١، دار المنارة، جدة ١٤١٩.
- ٨- أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين. لمحمد عوامة، ط ٢، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤١٨.
- ٩- أدب الدنيا والدين. للماوردي، علي بن محمد - ت ٤٥٠ -، طبعة مصطفى عطا، ط ٢، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٨.
- ١٠- الأدب المفرد. للبخاري، محمد بن إسماعيل - ت ٢٥٦ -، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٣، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩.
- ١١- الأذكار النووية. للنووي، يحيى بن شرف - ت ٦٧٦ -، تحقيق سبيع حاكمي، ط ١، دار القبلة الإسلامية، جدة ١٤١٢.



- ١٢- الإصابة في تمييز الصحابة. لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي - ت ٨٥٢ -  
تحقيق مجموعة من الأساتذة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥.
- ١٣- إظهار الحق. لمحمد رحمة الله بن خليل العثماني الكيرانوي الهندي - ت  
١٣٠٨ -، تحقيق عمر الدسوقي، ط ١، الشؤون الدينية بدولة قطر ١٤٠٠.
- ١٤- إعراب الحديث النبوي. للعكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين - ت ٦١٦ -  
تحقيق حسن موسى الشاعر، ط ٢، دار المنارة، جدة ١٤٠٨.
- ١٥- الأعلام. للزركلي، خير الدين - ت ١٣٩٦ - ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت  
١٩٨٠ م.
- ١٦- أعلام الحديث شرح صحيح البخاري. للخطابي، حمد بن محمد - ت ٣٨٨ -،  
تحقيق محمد بن سعود بن عبد الرحمن، ط ١، مركز إحياء التراث الإسلامي  
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٠٩.
- ١٧- الأعلام الشريفة في المائة الرابعة عشرة الهجرية. لزكي محمد مجاهد، -  
ت ١٤٠٠ - ط ٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٤.
- ١٨- أعلام العراق. لمحمد بهجة الأثري - ت ١٤١٦ -، ط ١، المطبعة السلفية،  
القاهرة ١٣٤٥.
- ١٩- أقوال الحفاظ الذهبي النقدية في علوم الحديث من كتابه سير أعلام النبلاء.  
لمجد مكي، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، ١٤١٠.
- ٢٠- إكمال المعلم بفوائد مسلم. للقاضي عياض بن موسى اليحصبي - ت ٥٤٤ -،  
تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل، ط ١، دار الوفاء، المنصورة ١٤١٩.
- ٢١- الأنوار في شمائل النبي المختار. للبغوي، الحسين بن مسعود - ت ٥١٦ -،  
تحقيق إبراهيم اليعقوبي، ط ٢، دار المكتبي، دمشق ١٩٩٩.
- ٢٢- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. لابن تيمية، أحمد بن عبد  
الحليم، - ت ٧٢٨ -، تحقيق ناصر العقل، ط ٧، توزيع وزارة الشؤون  
الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية ١٤١٩.
- ٢٣- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث. لابن كثير. شرح أحمد محمد  
شاکر - ت ١٣٧٧ - ط ١، مكتبة المعارف، الرياض ١٤١٦.

- ٢٤- البداية والنهاية. لابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر - ت ٧٧٤ - مصوِّرة مكتبة المعارف، بيروت، دون تاريخ.
- ٢٥- بصائر للمسلم المعاصر. لعبد الرحمن حبنكة الميداني، ط٣، دار القلم، دمشق ١٤٢٠.
- ٢٦- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث. للهيثمي، علي بن أبي بكر - ت ٨٠٧ -، تحقيق حسين أحمد صالح الباكري، ط١، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة ١٤١٣.
- ٢٧- البلاغة العربية. لعبد الرحمن حبنكة الميداني، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٦.
- ٢٨- البلدانيات. للسخاوي، محمد بن عبد الرحمن - ت ٩٠٢ - تحقيق حسام محمد قطان، ط١، دار العطاء، الرياض ١٤٢٢.
- ٢٩- بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها. لابن أبي جمرة الأندلسي - ت ٦٩٥ - المطبعة الخيرية ١٣٤٨.
- ٣٠- البيان والتبيين. للجاحظ، عمرو بن بحر - ت ٢٥٥ - تحقيق عبد السلام هارون، ط٥، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٥.
- ٣١- تاج العروس من جواهر القاموس. للزبيدي، محمد مرتضى - ت ١٢٠٥ - مكتبة دار الحياة، بيروت.
- ٣٢- تاريخ بغداد. للخطيب البغدادي، أحمد بن علي - ٤٦٣ -، مصوِّرة دار الكتاب في بيروت لطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩.
- ٣٣- تجريد أسماء الصحابة. للذهبي، محمد بن أحمد - ت ٧٤٨ -، دار المعرفة، بيروت.
- ٣٤- تخریج أحاديث إحياء علوم الدين. للعراقي، عبد الرحيم بن الحسين، - ت ٨٠٦ -، مطبوع في حاشية "الإحياء" مصوِّرة دار المعرفة، بيروت.
- ٣٥- تذكرة الحفاظ. للذهبي، محمد بن أحمد - ت ٧٤٨ -، مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩٨٧

- ٣٦- الترغيب والترهيب. للمنزري، عبد العظيم عبد القوي - ت ٦٥٦ -، ط١، دار ابن حزم ١٤٢٢.
- ٣٧- تفسير الطبري. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - ت ٣١٠ - تحقيق محمود شاكر، ط٢، دار المعارف، القاهرة. ورجعت في مواطن قليلة إلى طبعة دار هجر.
- ٣٨- تفسير القرآن العظيم. لابن كثير، إسماعيل بن عمر - ت ٧٧٤ -، تحقيق محمد إبراهيم البناء، ط١، دار ابن حزم، بيروت ١٤١٩.
- ٣٩- تفسير القرآن. للصنعاني، عبد الرزاق بن همام - ت ٢١١ - تحقيق مصطفى مسلم. ط١، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٠.
- \* - تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن.
- ٤٠- تفسير المنار. لمحمد رشيد رضا - ت ١٣٥٤ -، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢.
- ٤١- تقريب التهذيب. لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي - ت ٨٥٢ -، ومعه حاشيتا البصري والميرغني، تحقيق، محمد عوامة، ط١، دار ابن حزم، بيروت ١٤٢٠.
- ٤٢- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة. لابن عراق، علي بن محمد الكناني، - ت ٩٦٣ -، مصورة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠١.
- ٤٣- تهذيب الكمال في أسماء الرجال. للمزني، يوسف بن عبد الرحمن - ت ٧٤٢ -، تحقيق بشار معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٠.
- ٤٤- جامع الأصول في أحاديث الرسول. لابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد، - ت ٦٠٦ -، ط١، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دمشق ١٣٨٩.
- ٤٥- الجامع بين الصحيحين. للإمامين البخاري ومسلم، لصالح أحمد الشامي، ط١، دار القلم، دمشق ١٤٢٢.
- ٤٦- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. لابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد - ت ٧٩٥ -، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١١.

- ٤٧- الجامع الصغير. للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر - ت ٩١١ -، بشرح "فيض القدير" للمناوي، تصوير دار المعرفة، بيروت ١٣٩١.
- ٤٨- الجامع لأحكام القرآن. للقرطبي، محمد بن أحمد - ت ٦٧١ -، مصورة طبعة دار الكتب المصرية، ط ٣، دار الكتاب العربي ١٣٨٧.
- ٤٩- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. للخطيب البغدادي، أحمد بن علي - ت ٤٦٣ -، تحقيق محمود الطحان، ط ١، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٣.
- ٥٠- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام. لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر - ٧٥١ -، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٢٢.
- ٥١- الجمع بين الصحيحين. للإشبيلي، عبد الحق بن عبد الرحمن - ت ٥٨٢ - تحقيق حمد الغماس، ط ١، دار المحقق ١٤١٩.
- ٥٢- الجواهر المضبية في طبقات الحنفية. للقرشي، عبد القادر بن محمد - ت ٧٥٧ - تحقيق عبد الفتاح الحلو، ط ٢، دار هجر، القاهرة ١٤١٣.
- ٥٣- جياذ المسلسلات. للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر - ت ٩١١ -، تحقيق مجد مكي، ط ١، دار نور المكتبات، جدة ١٤٢٣.
- ٥٤- حجة الله البالغة. للدّهلوي، أحمد بن عبد الرحيم المعروف بشاه ولي الله الدّهلوي - ت ١١٧٦ -، تحقيق عثمان ضميرية، ط ١، مكتبة الكوثر، الرياض ١٤٢٠.
- ٥٥- حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر - ت ٩١١ -، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٨٩.
- ٥٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نُعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله - ت ٤٣٠ - مصورة دار الكتب العلمية ببيروت، عن مطبعة السعادة ١٣٥١.
- ٥٧- خواطر دينية. لعبد الله بن الصديق الغماري - ت ١٤١٣ - ط ١، مكتبة القاهرة ١٣٨٨.
- ٥٨- درجات الناس عند الملوك. لظه محمد الساكت - ت ١٤٠٣ - ط ١؛ مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة، المحرم ١٣٧٠.

٩٨٩

- ٥٩- درجات الناس. لطفه محمد الساكت - ت ١٤٠٣ - ط ٢ و ٣ ؛ مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة، رجب ورمضان ١٣٧٠.
- ٦٠- الدر المنثور في التفسير المأثور. للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر - ت ٩١١ -، مصورة دار المعرفة للطبعة الميمنية ١٣١٤.
- ٦١- الدعاء. للطبراني، سليمان بن أحمد - ٣٦٠ - تحقيق محمد سعيد البخاري، ط ١، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٠٧.
- ٦٢- دفاع عن أبي هريرة. لعبد المنعم صالح العلي العزّي، دار القلم ببيروت، ومكتبة النهضة ببغداد.
- ٦٣- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. للبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين - ت ٤٥٨ -، تحقيق عبد المعطي قلعه جي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥.
- ٦٤- دلائل النبوة. لأبي نُعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله - ت ٤٣٠ - تحقيق محمد رواس قلعه جي، ط ١، المكتبة العربية، حلب ١٣٩٠.
- ٦٥- ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل. للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد - ت ٧٤٨ - تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط ٤، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٤١٠.
- ٦٦- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل. للكنوي، محمد عبد الحي - ت ١٣٠٤ -، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط ٣، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٤٠٧.
- ٦٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع. للألوسي، محمود بن عبد الله - ت ١٢٧٠ -، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥.
- ٦٨- الروح. لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر - ت ٧٥١ - تحقيق يوسف بديوي، ط ٣، دار ابن كثير، دمشق ١٤١٩.
- ٦٩- الروض الأنف. للسهيلى، عبد الرحمن بن عبد الله - ت ٥٨١ -، طبعة طه عبد الرؤوف، مصورة دار المعرفة، بيروت ١٣٩٨.
- ٧٠- رياض الصالحين. للنووي، يحيى بن شرف - ت ٦٧٦ -، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥.

٩٩٠

- ٧١- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم. للشنقيطي، محمد حبيب الله بن عبد الله الجكني - ت ١٣٦٣ -، مصورة دار إحياء التراث العربي.
- ٧٢- زاد المعاد في هدي خير العباد. لابن قَيِّم الجوزيَّة، محمد بن أبي بكر - ت ٧٥١ - تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، ط ١٥، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧.
- ٧٣- زوائد تاريخ بغداد على الكتب والستة. لخلدون الأحذب، ط ١، دار القلم، دمشق ١٤١٧.
- ٧٤- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد. للصَّالحي، محمد بن يوسف الشامي - ت ٩٤٢ - تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٤.
- ٧٥- سَدَادُ الدِّينِ وَسَدَادُ الدِّينِ فِي إثبات النجاة والدرجات للأبوين. للبرزنجي، محمد بن رسول الشافعي - ت ١١٠٣ -، تحقيق عباس صقر وحسين شكري، ط ١، دار المدينة المنورة ١٤١٨.
- ٧٦- السعادة العظمى. لمحمد الخضر حسين - ت ١٣٧٦ -، الشركة التونسية ١٤٠٥.
- ٧٧- سلاح المؤمن في الذكر والدعاء. لابن الإمام، محمد بن محمد بن علي - ت ٧٤٥ -، تحقيق محيي الدين مستو، ط ١، دار ابن كثير، دمشق ١٤١٤.
- ٧٨- سلوة الكئيب بوفاة الحبيب. لابن ناصر الدين الدمشقي، محمد بن عبد الله - ت ٨٤٢ -، تحقيق صالح معتوق، ط ١، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي.
- ٧٩- السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ وبيان مدلولها الشرعي. لعبد الفتاح أبو غدة - ت ١٤١٧ -، ط ١، مكتب المطبوعات الإسلامية، بحلب ١٤١٢.
- ٨٠- السنة ومكانتها في التشريع. لمصطفى السباعي - ت ١٣٨٤ -، ط ٤، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥.
- ٨١- سنن أبي داود. لسليمان بن الأشعث السَّجِسْتَانِي - ت ٢٧٥ -، تحقيق محمد عوامة، ط ١، دار القبلية الإسلامية بجدة، ومؤسسة الريان، بيروت ١٤١٩.
- ٨٢- سنن ابن ماجه. لمحمد بن يزيد القزويني - ت ٢٧٥ - طبعة محمد فؤاد عبد

- الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧٢.
- ٨٣- سنن الترمذي "الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعول وما عليه العمل". لمحمد بن عيسى بن سورة - ت ٢٧٩ -، الطبعة التي ابتدأ تحقيقها أحمد محمد شاكر، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٨٤- سنن الدارمي. لعبد الله بن عبد الرحمن - ت ٢٥٥ -، تحقيق وشرح نبيل هاشم الغمري، ط ١، الدار المكية ودار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤١٦.
- ٨٥- سنن النسائي (المُجتبى). لأحمد بن شعيب - ت ٣٠٣ -، بعناية عبد الفتاح أبو غدة، ط ٢، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٠٦.
- ٨٦- السنن الكبرى. للنسائي، أحمد بن شعيب - ت ٣٠٣ -، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٢.
- ٨٧- السنن الكبرى. لليهقي، أحمد بن الحسين - ت ٤٥٨ -، مصورة دار الفكر بيروت لطبعة حيدر آباد الدكن.
- ٨٨- سير أعلام النبلاء. للذهبي، محمد بن أحمد - ت ٧٤٨ -، تحقيق جماعة من الأساتذة، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١.
- ٨٩- السيرة النبوية. لابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام - ت ٢١٨ -، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الإياري، وعبد الحفيظ الشلبي، مصورة مؤسسة علوم القرآن، دمشق.
- ٩٠- شرح السنة. للبخاري، الحسين بن مسعود - ت ٥١٦ -، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣.
- ٩١- شرح حديث أبي الدرداء. لابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد - ت ٧٩٥ -، تحقيق أشرف عبد المقصود، ط ١، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة ١٤٠٧.
- ٩٢- شرح صحيح مسلم (منهاج المحدثين وسبل طالبه المحققين). للنووي، يحيى ابن شرف - ت ٦٧٦ -، المطبعة المصرية، القاهرة.
- ٩٣- شرح المواهب اللدنية. للزرقاني، محمد عبد الباقي - ت ١١٢٢ -، مصورة دار المعرفة بيروت لطبعة المكتبة الأزهرية ١٣٢٩.

- ٩٤- شُعَب الإيمان. لليبهقي، أحمد بن الحسين - ت ٤٥٨ - تحقيق عبد العلي حامد، ط ١، الدار السلفية، الهند ١٤٠٦، ونشره محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٠.
- ٩٥- الشفا بتعريف حقوق المصطفى. للقاضي عياض بن موسى السبتي - ت ٥٤٤ - تحقيق علي البجاوي، مصورة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٤.
- ٩٦- الشمائل المحمدية. للترمذي، محمد بن عيسى بن سورة - ت ٢٧٩ - تحقيق ماهر ياسين فحل، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٢٠.
- ٩٧- الصحاح. للجوهري، إسماعيل بن حماد - ت ٣٩٣ -، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، ط ٢، القاهرة ١٤٠٢.
- ٩٨- صحيح أسباب النزول. لإبراهيم محمد العلي، ط ١، دار القلم، دمشق ١٤٢٤.
- \* - صحيح ابن حبان ( المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقلها ) = الإحسان.
- ٩٩- صحيح ابن خزيمة ( المسند الصحيح المتصل بنقل العدل عن العدل من غير قطع في السند ولا جرح في النقلة). لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة - ت ٣١١ - تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، ط ٢، شركة الطباعة السعودية، الرياض ١٤٠١.
- ١٠٠- صحيح البخاري ( الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه). لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - ت ٢٥٦ - مصورة عن الطبعة الأميرية ببولاق ١٣١٣، اعتنى به محمد زهير ناصر، ط ١، دار طوق النجاة، بيروت ١٤٢٢.
- ١٠١- صحيح مسلم ( المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن رسول الله ﷺ). لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري - ت ٢٦١ - طبعة محمد فؤاد عبد الباقي، مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٠٢- صفحات من صبر العلماء. لعبد الفتاح أبو غدة - ت ١٤١٧ -، ط ٥، مكتب المطبوعات الإسلامية ١٤١٨.
- ١٠٣- الطبقات الكبرى. لابن سعد البصري - ت ٢٣٠ - تحقيق إحسان عباس، دار



٩٩٣

صادر، بيروت ١٤٠٥.

١٠٤- ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ. لعبد الرحمن حبنكة الميداني،  
ط١، دار القلم، دمشق ١٤١٤.

١٠٥- العقد الفريد. لابن عبد ربه أحمد بن محمد - ت ٣٢٧ - تحقيق أحمد أمين،  
وأحمد الزين، وإبراهيم الإبياري، مصورة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٣.

١٠٦- العقيدة الإسلامية. للمكي بن عزُّوز - ت ١٣٣٤ - شرح وتحقيق مجد أحمد  
مكي، ط١، دار نور المكتبات، جدة ١٤٢١.

١٠٧- عمل اليوم والليلة. للنسائي، أحمد بن شعيب - ت ٣٠٣ -، تحقيق فاروق  
حمادة، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦.

١٠٨- عوارف المعارف. للسهروردي، عمر بن محمد - ت ٦٣٢ -، تحقيق أديب  
الكمداني ومحمد المصطفى، ط١، المكتبة المكية، مكة المكرمة ١٤٢٢.

١٠٩- غنية العارف بتخريج أحاديث عوارف المعارف. لأحمد بن محمد بن الصديق  
الغماري - ت ١٣٨٠ -، تحقيق أديب الكمداني ومحمد المصطفى، ط١،  
المكتبة المكية ١٤٢٢.

\* - فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية = مجموع الفتاوى

١١٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري. لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي - ت  
٨٥٢ -، مصورة دار الفكر، بيروت عن الطبعة السلفية بمصر.

١١١- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية. لابن علان، محمد بن علان الشافعي -  
١٠٥٧ -، مصورة دار إحياء التراث العربي ببيروت، دون تاريخ.

١١٢- في ظلال القرآن. لسيد قطب - ت ١٣٨٧ - ط١٧، دار الشروق، بيروت  
١٤١٢.

١١٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير. للمُنَاوي، محمد بن عبد الرؤوف - ت  
١٠٧١ - ط٢، مصورة دار المعرفة ببيروت لطبعة مصطفى محمد.

١١٤- القاضي عبد الوهاب البغدادي في آثار القدماء والمُحَدِّثِينَ. لعبد الحكيم  
الأنيس، ط١، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي ١٤٢٤.

١١٥- القاموس المحيط. للفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب - ت ٨١٧ -

- ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٧.
- ١١٦- قصص الأنبياء. لعبد الوهاب النجار - ت ١٣٦٠ -، ط٣، دار ابن كثير، دمشق ١٤٠٨.
- ١١٧- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة. للذهبي، محمد بن أحمد - ت ٧٤٨ -، تحقيق محمد عوامة، ط١، دار القبلة، جدة ١٤١٢.
- ١١٨- الكامل في ضعفاء الرجال. لابن عدي، عبدالله بن عدي - ت ٣٦٥ - ط١، دار الفكر، بيروت ١٤٠٤.
- ١١٩- الكشّاف. للزّمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر - ت ٥٣٨ - دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ.
- ١٢٠- كشف الاستار عن زوائد البزار. للهيثمي، علي بن أبي بكر - ت ٨٠٧ -، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٩.
- ١٢١- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. للعجلوني، إسماعيل بن محمد - ت ١١٦٢ -، ط٣، مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٢٢- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. للمتقي الهندي، علي المتقي بن حسام - ت ٩٧٥ - ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥.
- ١٢٣- لسان الميزان. لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي - ت ٨٥٢ - تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط١، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٤٢٣.
- ١٢٤- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف. لابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد - ت ٧٩٥ - تحقيق ياسين السواس، ط١، دار ابن كثير، دمشق ١٤١٣.
- ١٢٥- لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث. لعبد الفتاح أبو غدة - ت ١٤١٧ - ط٤، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٤١٧.
- ١٢٦- مجلة الأزهر.
- ١٢٧- مجلة لواء الإسلام.
- ١٢٨- مجلس في فضل يوم عرفة. لابن ناصر الدين الدمشقي، - ت ٨٤٢ - تحقيق

- محمد عوامة، ط١، دار القبلة ١٤١٣.
- ١٢٩- مجمع الأمثال. للميداني، أحمد بن محمد النيسابوري - ت ٥١٨ -، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط٢، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٧٩.
- ١٣٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. للهيثمي، علي بن أبي بكر - ت ٨٠٧ - مصورة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٢ عن طبعة مكتبة القدسي ١٣٥٢.
- ١٣١- المجموع شرح المذهب. للنووي، يحيى بن شرف - ت ٦٧٦ -، مصورة دار الفكر، بيروت.
- ١٣٢- مجموع الفتاوى. لابن تيمية، أحمد عبد الحلیم - ت ٧٢٨ -، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض ١٣٩٨.
- ١٣٣- مختار الصحاح. للرازي، محمد بن أبي بكر - ت ٦٦٦ -، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٩.
- ١٣٤- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. لابن قيم الجوزية، محمد ابن أبي بكر - ت ٧٥١ -، طبعة محمد حامد الفقي، تصوير دار الفكر العربي، القاهرة.
- ١٣٥- المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي. لأحمد بن الصديق الغماري - ت ١٣٨٠ -، ط١، دار الكتبي، القاهرة ١٩٩٦.
- ١٣٦- مذكرات خطية. للأستاذ طه محمد الساكت - ت ١٤٠٣ -.
- ١٣٧- المستدرک على الصحيحين. للحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله - ت ٤٠٥ - طبعة عبد السلام علوش، ط١، دار المعرفة بيروت ١٤١٨.
- ١٣٨- مسند أبي يعلى الموصلي. أحمد بن علي - ت ٣٠٧ -، تحقيق حسين سليم أسد، ط١، دار المأمون، دمشق ١٤٠٤.
- ١٣٩- المسند. لأحمد بن حنبل - ت ٢٤١ -، تحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١.
- ١٤٠- مسند أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز. للباغندي، محمد بن محمد - ت ٣١٢ -، تحقيق محمد عوامة، ط٢، مؤسسة علوم القرآن، دمشق ١٤٠٤.

- ١٤١- مسند الشهاب. للقضاعي، محمد بن سلامة - ت ٤٥١ -، تعليق حمدي عبد المجيد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٥٥.
- ١٤٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. للفيومي، أحمد بن محمد - ت ٧٧٥ -، المكتبة العلمية، بيروت.
- ١٤٣- المصنّف. للصنعاني، عبد الرزاق بن همام - ت ٢١١ -، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٥٣.
- ١٤٤- المصنّف. لابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد - ت ٢٣٥ -، تحقيق محمد عوامة، يصدر قريباً بعون الله تعالى عن دار القبلة، بجدة
- ١٤٥- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية. لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي - ت ٨٥٢ -، تحقيق مجموعة من الباحثين، ط١، دار العاصمة، الرياض ١٤٢٥.
- ١٤٦- معارج التفكير ودقائق التدبّر. للميداني، عبد الرحمن حبنكة، ط١، دار القلم، دمشق ١٤٢٢.
- ١٤٧- معالم السنن. للخطابي، حمد بن محمد - ت ٣٨٨ -، تحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.
- ١٤٨- معجم الأخطاء الشائعة. لمحمد العدناني - ت ١٤٥١ -، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩٣.
- ١٤٩- المعجم الكبير. للطبراني، سليمان بن أحمد - ت ٣٦٥ -، طبعة حمدي عبد المجيد، ط١، الدار العربية للطباعة، بغداد ١٤٥٥.
- ١٥٠- المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية في القاهرة، تصوير دار الفكر، بيروت.
- ١٥١- المعجم الأوسط. للطبراني، سليمان بن أحمد - ت ٣٦٥ -، تحقيق طارق عوض الله، وعبد المحسن الحسيني، ط١، دار الحرمين، القاهرة ١٤١٥.
- ١٥٢- معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه. للحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله - ت ٤٥٥ -، تحقيق أحمد فارس السلوم، ط١، دار ابن حزم، بيروت ١٤٢٤.
- ١٥٣- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر - ت ٧٥١ -، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩.

٩٩٧

- ١٥٤- مفردات ألفاظ القرآن. للراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد - ت ٤٢٥ تقريباً، تحقيق صفوان داودي، ط ٢، دار القلم، دمشق ١٤١٨.
- ١٥٥- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة. للسخاوي، محمد بن عبد الرحمن - ت ٩٠٢، تحقيق عبد الله بن الصديق الغماري، مصورة دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩.
- ١٥٦- مقدمة ابن خلدون. لابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ٨٠٨، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٢٣.
- ١٥٧- من صحاح الأحاديث القدسية. لمحمد عوامة، ط ١، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة ١٤١٣.
- ١٥٨- المنتقى من مكارم الأخلاق. للخراثطي، محمد بن جعفر - ت ٣٢٧، انتقاء أبي طاهر السلفي، تحقيق محمد مطيع الحافظ، وغزوة بدير، ط ١، دار الفكر، دمشق ١٤٠٦.
- ١٥٩- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية. للقسطلاني، أحمد بن محمد - ت ٣٢٣، مع شرحه للزرقاني، المطبعة الأزهرية المصرية ١٣٢٩.
- ١٦٠- الموطأ. لمالك بن أنس - ت ١٧٩، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٦١- ميزان الاعتدال في نقد الرجال. للذهبي، محمد بن أحمد - ت ٧٤٧، نشره علي محمد البجاوي، مصورة دار المعرفة، بيروت، عن طبعة مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٨٢.
- ١٦٢- الميزان الكبير. للشعراني، عبد الوهاب بن أحمد - ت ٩٧٣، المطبعة الكستلية ١٢٧٩.
- ١٦٣- نصب الراية لأحاديث الهداية. للزيلعي، عبد الله بن يوسف - ت ٧٦٢، تقديم وتصحيح محمد عوامة، مصورة دار القبلة بجدة ١٤١٨، طبعة دار المأمون بمصر ١٣٥٧.
- ١٦٤- النهاية في غريب الحديث والأثر. لأبن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد - ت ٦٠٦، تحقيق محمود الطناجي، ط ١، عيسى البابي الحلبي ١٣٨٣.

- ١٦٥- نوادير الأصول في معرفة أحاديث الرسول. للحكيم الترمذي، محمد بن علي -  
ت ٣٢٠ - مصورة دار صادر بيروت، دون تاريخ.
- ١٦٦- الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب. لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر -  
ت ٧٥١ -، تحقيق حسن إسبر، ط ١، دار بن حزم، بيروت ١٤٢٤.
- ١٦٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. لابن خلّكان، أحمد بن محمد - ت ٦٨١ -،  
تحقيق إحسان عباس، ط ١، دار صادر، بيروت.

\*\*\*\*\*

## الفهرس الإجمالي

١٠٢ - ٨	مقدمة المحقق
٧٠ - ٩	ترجمة الشيخ طه الساكت
٣٨ - ٢١	نشاطه العلمي والدعوي
٦٦ - ٤٣	آثاره العلمية
٦٧	موقفه من تدريس الفقه الشيعي
٦٨	أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر
٩٨ - ٧١	شرح الأحاديث النبوية
٩٩	عمل المحقق في خدمة الكتاب
٢٢٤ - ١٠٣	الفصل الأول : العقيدة والغيبيات
١١١ - ١٠٥	١ - شعب الإيمان.
١١٩ - ١١٢	٢ - دين الفطرة.
١٢٥ - ١٢٠	٣ - اجتماع الأنبياء على دين واحد.
١٥٠ - ١٢٦	٤ - خاتم النبيين ﷺ (١ - ٤).
١٧٠ - ١٥١	٥ - جزاء الصالحات (١ - ٤).
١٧٧ - ١٧١	٦ - بلوغ الدعوة المحمدية.
١٨٢ - ١٧٨	٧ - عمل المرء لنفسه.
١٨٨ - ١٨٣	٨ - عمل المرء لغيره.
١٩٤ - ١٨٩	٩ - العين حق.
٢٠٠ - ١٩٥	١٠ - علاج العين.

١٠٠٠

- ٢٢٤ - ٢٠١ ١١ - إبطال مزاعم الجاهليّة (١ - ٣).
- ٢٧٠ - ٢٢٥ الفصل الثاني : العلم والدعوة
- ٢٣٥ - ٢٢٧ ١ - مثل من الحيطة في رواية الحديث.
- ٢٤٤ - ٢٣٦ ٢ - الرحلة في طلب العلم.
- ٢٥٠ - ٢٤٥ ٣ - كيف يقبض العلم؟.
- ٢٥٧ - ٢٥١ ٤ - الاقتصاد في الموعظة.
- ٢٧٠ - ٢٥٨ ٥ - البعوث في الإسلام (١ - ٢).
- ٣٩٠ - ٢٧١ الفصل الثالث : العبادات والأدعية والأذكار
- ٢٨٢ - ٢٧٣ ١ - حيّ على الجهاد (١ - ٢).
- ٢٨٨ - ٢٨٣ ٢ - الجنة تحت ظلال السيوف.
- ٢٩٤ - ٢٨٩ ٣ - الصلاة سلاح النصر.
- ٣٠١ - ٢٩٥ ٤ - خيرة الله خير.
- ٣١١ - ٣٠٢ ٥ - المساجد الثلاث.
- ٣١٩ - ٣١٢ ٦ - من أسرار الصوم وآدابه.
- ٣٢٥ - ٣٢٠ ٧ - مدرسة الصيام.
- ٣٣٢ - ٣٢٦ ٨ - استدارة الزمان.
- ٣٤٠ - ٣٣٣ ٩ - شهران لا ينقصان.
- ٣٤٨ - ٣٤١ ١٠ - أحبُّ الأيام إلى الله.
- ٣٥٦ - ٣٤٩ ١ - فضل الذكر.
- ٣٦٢ - ٣٥٧ ٢ - أدب الدعاء.
- ٣٧٢ - ٣٦٣ ٣ - دعاء الله بأسمائه.
- ٣٧٩ - ٣٧٣ ٤ - ظن العبد بربه.



١٠٠١

٣٩٠ - ٣٨٠ ٥ - دعاء واستعاذة.

٤٢٠ - ٣٩١

## الفصل الرابع : الأسرة والمرأة

٣٩٩ - ٣٩٣

١ - الظفر بذات الدين.

٤٠٦ - ٤٠٠

٢ - النساء في العهد النبوي.

٤١٣ - ٤٠٧

٣ - الإحسان إلى البنات.

٤٢٠ - ٤١٤

٤ - جهاد النساء.

٤٨٥ - ٤٢١

## الفصل الخامس : الرقائق والأخلاق

٤٢٩ - ٤٢٣

١ - إنما الأعمال بالنيات.

٤٣٨ - ٤٣٠

٢ - الحب الإلهي.

٤٤٤ - ٤٣٩

٣ - بركة المسلم حياً وميتاً.

٤٥٢ - ٤٤٥

٤ - كياسة المؤمن.

٤٥٩ - ٤٥٣

٥ - عزّة الكمال في الناس.

٤٦٨ - ٤٦٠

٦ - من حُسن إسلام المرء.

٤٧٨ - ٤٦٩

٧ - الصحة والفراغ.

٤٨٦ - ٤٧٩

٨ - التماس رضا الله وإن سخط الناس.

٦٤٠ - ٤٨٧

## الفصل السادس : الآداب والأحكام

٤٩٥ - ٤٨٩

١ - اليد العليا خير من اليد السفلى.

٥٠١ - ٤٩٦

٢ - سنة حسنة.

٥٠٨ - ٥٠٢

٣ - فضيلة كتمان السر.

٥١٥ - ٥٠٩

٤ - من المروءات ستر العورات.

٥٢٤ - ٥١٦

٥ - مكان النصح في الإسلام (١ - ٢).

٥٢٩ - ٥٢٥

٦ - الدين النصيحة.

١٠٠٢

- ٥٤٢ - ٥٣٠ - ٧ - الوصاة بكتاب الله (١ - ٢).
- ٥٤٧ - ٥٤٢ - ٨ - من لا يرحم لا يُرحم.
- ٥٥٣ - ٥٤٨ - ٩ - الواصل والمكافئ.
- ٥٦١ - ٥٥٤ - ١٠ - الإصلاح بين الناس.
- ٥٧٠ - ٥٦٢ - ١١ - اشفعوا تُؤجروا.
- ٥٧٨ - ٥٧١ - ١٢ - الوصاة بالجار والمرأة.
- ٦٠٣ - ٥٧٩ - ١٣ - الجوار في الإسلام (١ - ٣).
- ٦٠٩ - ٦٠٤ - ١٤ - وصية نبوية.
- ٦١٩ - ٦١٠ - ١٥ - تخيير العاملين.
- ٦٢٥ - ٦٢٠ - ١٦ - الجزاء من جنس العمل.
- ٦٣٣ - ٦٢٦ - ١٧ - مثل القائم على حدود الله والواقع فيها.
- ٦٤٠ - ٦٣٤ - ١٨ - عقوبة السارق.

### الفصل السابع السيرة النبوية

- ٧٨٤ - ٦٤١ - ١ - صفته ﷺ في التوراة (١ - ٢).
- ٦٥٣ - ٦٤٣ - ٢ - صفحة من الجهاد النبوي.
- ٦٦٠ - ٦٥٤ - ٣ - قبسٌ من أدب النبوة.
- ٦٦٦ - ٦٦١ - ٤ - من أعلام النبوة.
- ٦٧٣ - ٦٦٧ - ٥ - لا هجرة بعد الفتح.
- ٦٧٩ - ٦٧٤ - ٦ - الجوار الأعظم.
- ٦٨٤ - ٦٨٠ - ٧ - بدلٌ من الهجرة.
- ٦٩١ - ٦٨٥ - ٨ - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.
- ٦٩٧ - ٦٩٢ - ٩ - دعوى الجاهلية.
- ٧٠٤ - ٦٩٨

١٠٠٣

٧١٠ - ٧٠٥

١٠ - راية الإسلام.

٧٢٧ - ٧١١

١١ - عيد الجلاء الأول (١ - ٣).

٧٣٣ - ٧٢٨

١٢ - مَثَلٌ من حِلْمِ النَّبِيِّ ﷺ.

٧٦١ - ٧٣٤

١٣ - التطهير في الإسلام (١ - ٣).

٧٦٦ - ٧٦٢

١٤ - عيد الدستور.

٧٧٩ - ٧٦٧

١٥ - آخر الوصايا النبويّة (١ - ٢).

٧٨٤ - ٧٨٠

١٦ - آخر الكلام النبويّ.

٧٨٥ - ٨٥١

## الفصل الثامن : السّمائل النبويّة

٧٩٢ - ٧٨٧

١ - من صفات القائد ﷺ.

٨٠٢ - ٧٩٣

٢ - منهج النبيّ ﷺ في العبادة.

٨١٢ - ٨٠٣

٣ - الحياء النبوي.

٨١٨ - ٨١٣

٤ - من أدب النبوة.

٨٣٠ - ٨١٩

٥ - مسامرة نبويّة (١ - ٢).

٨٥١ - ٨٣١

٦ - سيّد الأزواج ﷺ (١ - ٣).

٩٠٨ - ٨٥٣

## الفصل التاسع : الفضائل والمناقب

٨٦٦ - ٨٨٥

١ - خير القرون (١ - ٢).

٨٧٥ - ٨٦٧

٢ - مثل من اختلاف الصحابة.

٨٩٠ - ٨٧٦

٣ - خصومة الأكابر (١ - ٢).

٨٩٨ - ٨٩١

٤ - الإصلاح بين الأكابر.

٩٠٨ - ٨٩٩

٥ - حقوق الأكفاء.

٩٤٨ - ٩٠٩

## الفصل العاشر : الفتن

٩١٨ - ٩١١

١ - أتباع سنن السابقين.

١٠٠٤

٩٢٦ - ٩١٩

٢ - أخذ الله للظالمين.

٩٣٣ - ٩٢٧

٣ - الفرار من الفتن.

٩٤٨ - ٩٣٤

٤ - سبيل المؤمنين (١ - ٢).

١٠٥٦ - ٩٥٣

الفهارس

\*\*\*\*\*

١٠٠٥

## فهرس الموضوعات التفصيلي

١٠٢ - ٨	مقدمة المحقق
٤٢ - ٩	ترجمة الشيخ طه الساكت
٩	ولادته ونشأته
١٠	كتابه عن تاريخ حياته
١١	أثر زوج أمه في تربيته
١٤	انتقاله إلى دور آخر
١٥	بعد انتسابه إلى المعهد ولحقه به
١٦	موجز حياته العلمية
١٨	حجته الأولى والثانية وانتدابه للتدريس بمكة المكرمة
١٩	سعيه في الإصلاح في بعوث التدريس بمكة المكرمة
٣٨ - ٢١	نشاطه العلمي والدعوي
٢١	الوعظ والتذكير
٢١	قضاؤه على خرافتين شائعتين : طيران الميت وزيارته الأولياء رغم حامله
٢٤	اجتثاث شجرة تُعبد من دون الله، ودعوته إلى الوعظ العملي
٢٧	من آثار الخلوة وتزكية النفس
٢٨	نصيحته للحاكم ودعوته إلى تحكيم كتاب الله
٢٩	الانتقال إلى التدريس في معهد القاهرة
٣٠	تأثره بالشيخ محمد بن عبد العزيز الخولي وكلمته في تأيينه

١٠٠٦

- ٣١ إصلاح طرق الوعظ و نظام العمل فيه
- ٣١ رئيس إدارة الوعظ الشيخ عبد ربه مفتاح
- ٣٢ وعاظ الفيوم
- ٣٣ برنامجه الخاص
- ٣٣ موازنة بين الوعظ والتدريس
- ٣٥ معاناة الوعاظ
- ٣٦ قرار مشيخة الأزهر ابتعائه إلى اليابان
- ٣٧ من نشاطاته العلميّة والدعوية
- ٣٧ جماعة الأزهر للنشر والتأليف
- ٣٨ مشاركته في عدة لجان في مجمع البحوث والمجلس الأعلى للشؤون  
الإسلامية
- ٣٩ أصدقاءؤه وأقرانه
- ٤٠ تلاميذه
- ٤١ أسرته ووفاته
- ٤٣ - ٦٧ آثاره العلميّة
- ٤٤ درجات الناس عند الملوك
- ٤٤ إشارات بالمولفّات المستحقّة للذكر
- ٤٥ نقد بعض المؤلفات المعاصرة والتنبيه على بعض أخطائها
- ٤٥ فجر الإسلام لأحمد أمين
- ٤٨ الفلسفة القرآنية للعقاد
- ٥٠ الرسالة الخالدة لعبد الرحمن عزام
- ٥٠ الكاتبون في اجتهاد النبي ﷺ وسيرته ومعجزاته

١٠٠٧

- ٥١ من آفات التأليف الشائعة
- ٥٢ مزايا الطبعة الثانية لكتاب "درجات الناس"
- ٥٣ ثناؤه على ورثة الأنبياء من العلماء العاملين
- ٥٤ تحذيره من علماء السوء
- ٥٥ تقرّظ مجلة الأزهر لكتاب "درجات الناس"
- ٥٦ مقالات الأستاذ طه الساكت
- ٥٦ مقالاته في مجلة "الإسلام" والتعريف بالمجلة وأهم كتّابها (ت)
- ٥٩ مقالاته في مجلة "الإيمان"، و"نور الإسلام"، و"الرسالة"
- ٥٩ بعض بحوثه المكتوبة
- ٦١ نقد الكتب والمؤلفات المعاصرة
- ٦٢ أضواء على السنة المحمدية لأبي رية
- ٦٣ الإنجيل والقرآن للحداد
- ٦٤ حول الحجر الأسود، وضياء التّيرين
- ٦٥ دعوة الأحرار، والقنبلة الذرية الشرعية
- ٦٧ موقفه من تدريس الفقه الشيعي، وفكرة التقريب بين السنة والشيعية
- ٦٨ أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ونصحه للحاكم
- ٧١ شرح الأحاديث النبوية
- ٧٢ منهاج السنة في مجلة الأزهر
- ٧٣ كُتّاب السنّة في مجلة الأزهر
- ٧٣ ترجمة حسن منصور، وإبراهيم الجبالي
- ٧٤ ترجمة عبد الرحمن الجزيري، وفكري يس
- ٧٥ عدد الأحاديث المشروحة ومنهجه في اختيارها

١٠٠٨

- ٨٠ طريقته في الشرح
- ٨١ شرحه لعدة متون في موضع واحد
- ٨٣ شرحه لمتن واحد في عدة مواضع
- ٨٤ كتابته عدّة أحاديث متنوّعة في حلقات متتابعة يجمعها موضوع واحد
- ٨٥ تخريج الأحاديث
- ٨٧ تفسير الحديث بالحديث، والتنبيه إلى بعض الفوائد الحديثية
- ٨٨ فضّل خواصّ أعلام الدين على عوام الصحابة
- ٨٨ تحرّري الصحابة والتابعين في الرواية
- ٩١ الجَمْع بين مختلف الحديث
- ٩٢ الإحالة إلى كتب وبحوث استوعبت شرح الحديث
- ٩٤ منهجه في عرض الأحكام الفقهية
- ٩٦ إحالة مَنْ يريد التوسّع في الأحكام الفقهية إلى المراجع التي اهتمت بذلك
- ٩٧ بعض مراجعه في شرح الأحاديث
- ٩٨ أسلوبه وكثرة اقتباسه من الكتاب والسنة
- ٩٨ معنى الاقتباس وحكمه (ت)
- ٩٩ عملي في هذا الكتاب
- ٢٢٤ - ١٠٣ الفصل الأول : العقيدة والغيبات
- ١٠٥ شعب الإيمان : " الإيمان بضع وسبعون شعبة "
- ١٠٥ المنهاج النبويُّ في التربية
- ١٠٦ البيان الإجمالي ثم التفصيلي
- ١٠٧ حديث جبريل أمُّ السنة



١٠٠٩

- ١٠٧ حَصْرُ الشُّعْبِ وتحديدِها
- ١٠٨ من عجائب التربية النبوية
- ١٠٨ كلمة التوحيد مفتاح شُعب الإيمان
- ١٠٩ إمطة الأذى عن الطريق أدنى مراتب شُعب الإيمان
- ١٠٩ مكانة الحياء من شُعب الإيمان
- ١١٠ الحياء الشرعي المحمود
- ١١٢ دين الفطرة : " كل مولود يولد على الفطرة "
- ١١٣ معرفة الله وتوحيده
- ١١٤ المراد بولادة المولود على الفطرة، ولم اقتصر ﷺ على الأبوين في إضلال الطفل؟
- ١١٥ العبرة بالإيمان الشرعي، والسرُّ في إسلام الكثير من الأجانب
- ١١٥ هل جميع الأطفال وُلدوا على الفطرة؟
- ١١٦ تحديد المراد بالفطرة
- ١١٧ سبب ورود الحديث
- ١١٨ نزعات الفطرة و أُنجاهاتها، وحكم من مات من غير أطفال المسلمين
- ١١٨ قبول النفوس للتغيير والتهديب
- ١١٩ من فوائد الحديث
- ١٢٠ اجتماع الأنبياء على دين واحد : " أنا أولى الناس بعيسى "
- ١٢٠ أقرب النبيين أخوة إلى المسيح
- ١٢١ أصول الدين وفروعه وآدابه
- ١٢٢ تشابك الشُّعب الثلاث

١٠١٠

- ١٢٣ وحدة الإيمان بالرسول
- ١٢٣ الرسل مراتب ودرجات
- ١٢٤ ردُّ فرية اليهود والنصارى
- ١٢٤ لا نبيَّ بين البعثتَيْن
- ١٢٦ خاتم النبيين (١) : "لي خمسة أسماء: أنا محمد ، وأحمد "
- ١٢٦ الأسماء النبوية وخصوصها وعمومها
- ١٢٧ كثرة أسماء الشريفة وأوصافه المنيفة ﷺ
- ١٢٧ أمهات الأسماء النبوية وأصولها
- ١٢٨ مُحَمَّدٌ ﷺ
- ١٢٩ أحمد ﷺ
- ١٢٩ اسمه ﷺ في الإنجيل والتوراة
- ١٣١ الماحي ، والحاشر ، والعاقب ﷺ
- ١٣٣ خاتم النبيين (٢)
- ١٣٣ نظرة صادقة في تاريخ هذا النبيِّ الكريم
- ١٣٤ اتحاد الشرائع واختلافها
- ١٣٥ شهاداتُ من الله تعالى لنبيه ﷺ
- ١٣٦ أولاده ﷺ
- ١٣٧ أبوته ﷺ الروحية المعنوية
- ١٣٧ وفاة أبنائه في حياته ﷺ كرامةٌ ورحمةٌ
- ١٣٩ خاتم النبيين (٣) : "إنَّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل "
- ١٣٩ شرُّ الدوابِّ عند الله تعالى المتنبِّئون
- ١٣٩ تحذيره ﷺ من فتنة الدجالين الكذابين

١٠١١

- ١٤٠ مُسَيِّلِمَةُ الكَذَابِ
- ١٤١ ظهور شوكة مُسَيِّلِمَةَ الكَذَابِ وقتل وحشيٍّ له
- ١٤٢ الأسود العنسي، و المختار بن أبي عبيد الثقفي
- ١٤٣ والد المختار، وأخته صفية بنت أبي عبيد
- ١٤٤ الحارث بن سعيد، وإسحاق الأخرس
- ١٤٤ أذنانٌ تتلوى بعد قطع رؤوسها
- ١٤٦ خاتم النبيين (٤)
- ١٤٦ من أذنان المتنبئين: أبو منصور العجلي والمنصورية
- ١٤٧ القاديانية، و البابية والبهاية
- ١٤٨ نقل كلام الألووسي في تفسيره عن البابية، وقيام والي بغداد بالقضاء عليهم
- ١٤٩ ترجمة الوالي محمد نجيب باشا والإشارة إلى بعض مصادر ترجمته (ت)
- ١٤٩ من أعلام نبوته ﷺ: إخباره بظهور هؤلاء الأفاكين
- ١٥٠ ورتة الأنبياء ومهمتهم في التبليغ
- ١٥٠ نزول عيسى عليه السلام لا يعارض ختام نبوته
- ١٥١ جزاء الصالحات (١): حديث حكيم بن حزام ﷺ: "أسلمت على ما سلف من خير"
- ١٥١ مسألة خطيرة ذات شقين
- ١٥٣ خيار الناس
- ١٥٣ مكانة حكيم قبل الإسلام وبعده
- ١٥٤ صدقه ما عاهد الله عليه
- ١٥٥ عقد واسطته الإسلام

١٠١٢

- ١٥٦ جزاء الصّالحات (٢) : حديث عائشة في سؤالها عن ابن جدعان
- ١٥٦ حكم الإسلام في مُثُوبة غير المسلمين
- ١٥٦ ابن جدعان في الجاهليّة
- ١٥٧ التكذيب بيوم الدين هدم لركن الإيمان بالله رب العالمين
- ١٥٧ الإسلام دين الأنبياء كافة
- ١٥٨ الشك في أصل من أصول الإيمان كفر
- ١٥٩ شبهة من تلبس إبليس في أن مجرد الإيمان بالله واليوم الآخر يُنجي صاحبه
- ١٦٠ منشأ هذه الضلالة وبيان أن أركان الإيمان مترابطة متماسكة
- ١٦١ جزاء الصّالحات (٣) : قوله ﷺ عن أبي طالب: أنه في ضحضاح من النار
- ١٦٢ صلة قصة أبي طالب يبحث جزاء الصالحات
- ١٦٢ أعمام النّبي ﷺ الذين أدركوا الإسلام
- ١٦٢ أبو طالب وعبد المطلب في قريش
- ١٦٣ أعلى مثل للأبوة والبنوة في التاريخ
- ١٦٣ بَدَلُ قُصَارَى جَهْدِهِ ﷺ فِي هِدَايَةِ عَمِّهِ
- ١٦٤ وفاة يحضرها رسولُ الله وعدوُّ الله
- ١٦٤ هداية التوفيق وهداية الدلالة
- ١٦٥ المجادلة في الحقّ بعدما تبينَ وزعم إيمان أبي طالب
- ١٦٥ الإشارة إلى أسماء بعض الكتب التي زعمت إيمان أبي طالب
- ١٦٦ عظاتٌ وعبر في عدم إيمان أبي طالب
- ١٦٧ جزاء الصّالحات (٤)
- ١٦٧ يأس الرسول ﷺ من هداية عمّه أبي طالب

١٠١٣

- ١٦٨ يأسه ﷺ من الاستغفار له
- ١٦٨ شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب
- ١٦٩ أبو طالب أهون أهل النار عذاباً
- ١٧٠ تخفيف عذاب القبر لأبي لهب كل ليلة اثنين بسبب فرحه بولادته ﷺ
- ١٧٠ أداء الله عزَّ وجلَّ عن نبيه ﷺ
- ١٧١ بلوغ الدعوة المحمدية: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة"
- ١٧١ عموم الدعوة المحمدية وخلودها
- ١٧١ أمة الدعوة والإجابة
- ١٧٢ معذرة مَنْ لم تبلغه الدعوة
- ١٧٢ سرُّ تقديم قريش بالإنذار
- ١٧٣ عموم رسالته ﷺ وخلود شريعته
- ١٧٣ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ وَاهْتَدَى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَعِلْمَانِهِمْ
- ١٧٤ الرد على من زعم أنه ﷺ أرسل إلى العرب خاصة
- ١٧٥ ما آمن بالله من لم يؤمن برسوله ﷺ
- ١٧٥ حكم مَنْ بلغتهم الدعوة الإسلامية محرقة
- ١٧٦ مسؤولية الأمة الإسلامية في تبليغ الدعوة
- ١٧٦ صلة الحديث ببحث جزاء الصالحات، وإحالة المؤلف إلى بعض المراجع
- ١٧٨ عمل المرء لنفسه: "يتبع الميت ثلاثة"
- ١٧٨ أبقى الأصحاب وأكرمهم
- ١٧٩ متى يكون العمل صالحاً؟

١٠١٤

- ١٨٠ هدي الرسول ﷺ وأصحابه في تسخير الدنيا واتخاذها وسيلة إلى الآخرة
- ١٨١ الحرص على العمل الصالح
- ١٨٢ أكملُ الهدى في تشييع الميت
- ١٨٣ عمل المرء لغيره : " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة "
- ١٨٤ ثبوتة الله تعالى لعبده على عمل غيره
- ١٨٤ الأعمال أصناف ثلاثة
- ١٨٥ انتفاع المؤمن بعمله وبما كان سبباً فيه بعد موته
- ١٨٥ تنشئة الأولاد على الهدى والاستقامة
- ١٨٦ الحضُّ على وقف الخيرات والمبرات
- ١٨٦ تقييد العلم بالمنتفع به
- ١٨٧ وصف الولد بالصلاح ، وهل الأجر متوقَّفٌ على دعاء الولد؟
- ١٨٩ العينُ حَقٌّ
- ١٩٠ النهيُّ عن الوشم
- ١٩١ إصابة العين والقدر
- ١٩١ عالم الروح والغيب
- ١٩٢ المقياس الرشيد في عالم الغيب والشهادة
- ١٩٢ إطفاء شعلة العين الحاسدة
- ١٩٣ الرقية المشروعة
- ١٩٥ عود إلى علاج العين
- ١٩٥ أمانة المحدثين في الرواية
- ١٩٦ الداء والدواء من قدر الله

١٠١٥

- ١٩٧ مشروعية الرقية واستحبابها
- ١٩٧ من الهدى النبوي في عيادة المرضى
- ١٩٧ الرقى المنهي عنها
- ١٩٨ من العلاج النبوي للعين
- ١٩٨ من عجائب الطب النبوي
- ١٩٩ طب الأرواح والأبدان
- ٢٠١ إبطال مزاعم الجاهلية (١) : " لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر "
- ٢٠٢ انتشار الخرافات والأوهام
- ٢٠٢ سبيل المؤمنين ونهج المتوكلين في ربط الأسباب بالمسببات
- ٢٠٣ اعتقاد أهل الجاهلية في العدو
- ٢٠٣ إثباته ﷺ العدو على الوجه الصحيح
- ٢٠٤ التوفيق بين الأحاديث التي تُثبت العدو والتي تنفيها
- ٢٠٦ أدب الاختلاف وحكمة عمر
- ٢٠٦ أدلة نفي العدو
- ٢٠٧ أثر العزيمة وقوة الإرادة في القضاء على الأمراض
- ٢٠٧ الثقة بالله والتوكل عليه
- ٢٠٩ إبطال مزاعم الجاهلية (٢)
- ٢٠٩ ضلالة التطير
- ٢١٠ سلطان الأباطيل والأوهام
- ٢١١ بلاء الطيرة وسرُّ النهي عنها
- ٢١١ ليس العرب بدعاً في التشاؤم

١٠١٦

- ٢١٢ إنكار حكماء الجاهلية التطيُّر
- ٢١٣ بم يُدفع التطيُّر؟
- ٢١٣ تخريج حديث: " ثلاثة لا يسلم منهن أحد " بتوسُّع (ت)
- ٢١٤ الترخيص في الفأل
- ٢١٦ إبطال مزاعم الجاهلية (٣)
- ٢١٦ دفع شبهة التعارض بين الأحاديث في نفي الشؤم، وحديث: " إنما الشؤمة في ثلاثة "
- ٢١٨ إبطال الهامة والصمفر، والنوء والغول
- ٢١٩ الحكمة في خلق النجوم
- ٢٢١ العفاريث والمردة
- ٢٢١ آثار الخرافات والتغافل عنها
- ٢٢٢ التَّخْلِيَةُ قَبْلَ التَّحْلِيَةِ
- ٢٢٢ واجب الأزهر وأولي الأمر
- ٢٢٥ - ٢٧٠ الفصل الثاني : العلم والدعوة
- ٢٢٧ مثلٌ من الحَيْطَةِ في رواية الحديث : " من تعمَّد عليَّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار "
- ٢٢٧ القرآن والحديث أصلان مُشْتَبِكَانِ وصنَّوان لا يفترقان
- ٢٢٨ نهيه ﷺ أول الأمر عن كتابة الحديث
- ٢٢٨ تحرِّي الصحابة وأمانتهم في رواية الحديث
- ٢٢٩ أبو هريرة أحفظ الصحابة للحديث
- ٢٣٠ مسند أبي هريرة وعدد الرواة عنه
- ٢٣١ الإشارة إلى بعض الكتب التي رَدَّتْ عليَّ أعداء السنة (ت)



١٠١٧

- ٢٣٢ عناية السلف بالحديث
- ٢٣٣ كشفُ الوضّاعين ونقد الموضوعات
- ٢٣٤ منكر و السنة
- ٢٣٦ الرّحلة في طلب العلم : حديث مالك بن الحويرث : أتينا النبيّ ﷺ ونحن شبّبة متقاربون
- ٢٣٦ الوفود في العهد النبوي
- ٢٣٧ إكرامه ﷺ الوفود، ووصيته بهم
- ٢٣٨ وفد مالك بن الحويرث، ووصيته ﷺ بالصلاة وتقديم الأكبر سنّاً في الإمامة
- ٢٣٩ المحافظة على صلاة رسول الله ﷺ كما أمر بها
- ٢٣٩ رحلات دائبة متعاقبة إلى الأزهر
- ٢٤٠ الرحلة في طلب العلم من شعب الجهاد في سبيل الله
- ٢٤١ تخريج حديث "مداد العلماء" (ت)
- ٢٤٢ مناقشة رشيد رضا في استدلاله بقول الله تعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة﴾ على التفرغ لطلب العلم وترك الخروج للجهاد (ت)
- ٢٤٢ الوجه الصحيح في تفسير الآية نقلاً عن مفسرين علمين (ت)
- ٢٤٣ الأزهر: رسالته وأياديه
- ٢٤٣ مصر والأزهر
- ٢٤٥ كيف يقبض العلم: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه"
- ٢٤٥ ميراث الأنبياء
- ٢٤٦ للوسائل حكم المقاصد وللمقدمات حكم النتائج
- ٢٤٦ ليس العلم بكثرة الرواية وقوة الجدل
- ٢٤٧ ورثة الأنبياء حقاً، وبقية من أولي العلم والفضل

١٠١٨

- ٢٤٨ التوفيق بين الحديثين : "إن الله لا يقبض العلم " ، و "لن تزال هذه الأمة قائمة "
- ٢٤٨ شرف الفتوى
- ٢٤٩ وصية عمر بن عبد العزيز في كتابة الحديث ونشر العلم خشية اندراسه بموت حملته
- ٢٥١ الاقتصاد في الموعظة : "إني أتخولكم بالموعظة ، كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها "
- ٢٥١ ترجمة أبي وائل وعبد الله بن مسعود
- ٢٥٣ عبد الله بن مسعود سادس ستة
- ٢٥٣ الوعظ والتذكير والقصص من شعب الدعوة إلى الله
- ٢٥٤ من القصص محمود ومذموم
- ٢٥٥ مساوي القصاص
- ٢٥٥ إيثار ابن مسعود يوم الخميس للوعظ والحكمة من ذلك (ت)
- ٢٥٦ طلب أهل مجلسه الاستزادة من وعظه وتذكيره
- ٢٥٦ التخول بالموعظة أدمى للانتفاع بها ، وأحب الأعمال إلى النبي ﷺ
- ٢٥٧ الدوام في كل شيء بحسبه ، وخير المذكرين والواعظين
- ٢٥٨ البعوث في الإسلام (١) : "بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا "
- ٢٥٨ تاريخ البعوث في الإسلام
- ٢٥٩ التيسير على الناس والتخفيف عليهم
- ٢٦١ الحنيفية السمحة
- ٢٦٢ دين الفطرة
- ٢٦٣ بين التيسير والتهاون
- ٢٦٣ المداومة على التيسير

١٠١٩

- ٢٦٥ البعوث في الإسلام (٢)
- ٢٦٥ التبشير ضد التنفير
- ٢٦٦ دعاة مُنْفَرُونَ يقنطون من رحمة الله
- ٢٦٦ الجمع بين التبشير والإنذار
- ٢٦٧ مراعاة الأولويات ومراتب الأعمال
- ٢٦٨ التطاوع والتوافق، ونعمة الأخوة والوحدة
- ٢٦٩ بعث معاذ وأبي موسى إلى اليمن
- ٢٧١ - ٣٩٠ الفصل الثالث : العبادات والأدعية والأذكار
- ٢٧٣ حيّ عليّ الجهاد (١)
- ٢٧٣ بين القول والعمل
- ٢٧٤ قبسٌ من القرآن والسنة في فضل الجهاد والمجاهدين
- ٢٧٥ تمنّي الشهيد
- ٢٧٦ لا يوجد عملٌ صالحٌ يعدل الجهاد
- ٢٧٦ مَنْ هو المجاهد ؟
- ٢٧٧ الجهاد قُبَّةُ الإسلام وذِرْوَةٌ سَنَامِهِ
- ٢٧٨ حيّ عليّ الجهاد (٢)
- ٢٧٨ أصول الجهاد خمسة : جهاد النفس والشيطان والكفار والمنافقين وأرباب المنكرات
- ٢٧٩ فرض الجهاد يختلف باختلاف العباد
- ٢٨٠ جزاء تاركي الجهاد
- ٢٨٠ مكاييد أعداء الإسلام ووحشيتهم
- ٢٨١ أسلحة لا يعرفها العدو

١٠٢٠

- ٢٨١ وصية عمرية
- ٢٨٢ الحذر من الذنوب
- ٢٨٣ الجنة تحت ظلال السيوف : " يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو "
- ٢٨٣ الحرب شرٌّ لا بدَّ منه ، ولا يُقدِّم الإسلام عليها إلاَّ مضطراً
- ٢٨٤ إيثار السلم على الحرب
- ٢٨٥ إعداد القوة ، والنهي عن تمني لقاء العدو
- ٢٨٦ انتظاره ﷺ مِيلَ الشَّمْسِ مِنْ كَبَدِ السَّمَاءِ
- ٢٨٧ الدعاء في القتال
- ٢٨٩ الصَّلَاةُ سِلَاحُ النَّصْرِ : حديث ابن عمر : " غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ نَجْدٍ "
- ٢٨٩ مكانة الصلاة في الإسلام
- ٢٩١ الصَّلَاةُ فِي مِيدَانِ الْقِتَالِ
- ٢٩٢ غزوة ذات الرقاع
- ٢٩٢ أول صلاة صلاها للخوف ﷺ
- ٢٩٣ أول المسؤولين عن الصلاة
- ٢٩٤ إعادة وضرعة
- ٢٩٥ خيرةُ الله خيرٌ : حديث جابر : " كان رسول الله ﷺ يَعْلَمُنَا الْاسْتِخَارَةَ .. "
- ٢٩٦ توحيد الله وتنزيهه والاعتماد عليه وتفويض الأمور إليه
- ٢٩٧ طرائق الناس في الوقوف على المغيِّبات
- ٢٩٧ ضلالة الاستقسام بالأزلام
- ٢٩٩ صلاة ركعتي الاستخارة

١٠٢١

- ٣٠٠ لا تغني الاستشارة عن الاستخارة
- ٣٠٠ التحذير من عادات جاهلية في الاستخارة
- ٣٠٠ مناقشة المؤلف رحمه الله تعالى في جعل الاستخارة بالمنام من سنن الجاهلية (ت)
- ٣٠٢ الْمَسَاجِدُ الثَّلَاثُ : " لا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ "
- ٣٠٢ اختلاف المساجد بالشرف والفضل
- ٣٠٣ المسجد الحرام أعظم المساجد فضلاً
- ٣٠٤ مَسْجِدُ النَّبِيِّ ﷺ
- ٣٠٤ فائدة في حكم ما ألحق بالحرمين (ت)
- ٣٠٦ المسجد الأقصى
- ٣٠٨ شدُّ الرحال لغير المساجد الثلاثة
- ٣٠٩ الرحلة في طلب العلم وزيارة الإخوان
- ٣٠٩ مسجد قباء
- ٣١٠ المسجد المؤسس على التقوى
- ٣١٢ من أسرار الصوم وآدابه : قال الله عز وجل : " كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصوم "
- ٣١٣ مِصْفَاةٌ دَقِيقَةٌ نَقِيَّةٌ وَامْتِحَانٌ سَنَوِيٌّ دَقِيقٌ
- ٣١٣ المزية لا تقتضي الأفضلية العامة. وانظر التتمة الأولى ص ٩٤٧
- ٣١٤ سرُّ إضافته إلى الله تعالى ، وثواب الصوم ومقدار الجزاء عليه
- ٣١٥ درجات الصوم ، والمراد من الصوم في هذا الحديث
- ٣١٦ سدُّ منافذ العدو
- ٣١٧ من المنهاج النبوي في التربية

١٠٢٢

- ٣١٧ تربية الإرادة القوية
- ٣١٨ بشائر الرضا والقبول وفرحتان عاجلة وأجلة
- ٣٢٠ مدرسة الصيام : "كان رسول الله أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان"
- ٣٢٠ أصول الإسلام ودعائه العظمى
- ٣٢١ أساس الدعائم : شهادة التوحيد، واتصال الدعائم الخمس بعضها ببعض
- ٣٢٢ اختصاص رمضان بإنزال القرآن
- ٣٢٢ الدعامة الروحية الكبرى
- ٣٢٣ الإيمان بين الصبر والشكر
- ٣٢٣ التخلق بأخلاق القرآن
- ٣٢٤ نماذج من الجود النبوي
- ٣٢٥ عرض القرآن ومدراسته
- ٣٢٥ دروس يتلقاها الصائمون
- ٣٢٦ استدارة الزمان : "إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض"
- ٣٢٧ خطبته ﷺ في حجة الوداع
- ٣٢٨ ضلالة النسيء
- ٣٢٩ متى استدار الزمان؟
- ٣٣٠ آية من آيات النبوة
- ٣٣٠ فضل الأشهر الحرم
- ٣٣١ مناط التفضيل في الأشياء
- ٣٣٢ نظام الأشهر الحرم

١٠٢٣

- ٣٣٣ شهران لا ينقصان : "شهر عيد : رمضان وذو الحجة"
- ٣٣٣ أكرم الشهور عند الله تعالى
- ٣٣٤ التماس ليلة القدر في العشر الأخير من رمضان
- ٣٣٤ أحبُّ الأيام إلى الله : العشر الأول من ذي الحجة
- ٣٣٥ خلاصة الأشهر الحرام
- ٣٣٦ إكمال الدين وإتمام النعمة
- ٣٣٧ فضل الشهرين الكريمين
- ٣٣٨ هديُّ نبيِّ عمليُّ
- ٣٣٨ مَبْنَى الشريعة على الأمور الظاهرة
- ٣٣٩ رؤية الهلال وتحريُّها بمختلف الطرق
- ٣٤١ أحبُّ الأيام إلى الله : " ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام"
- ٣٤١ كَثْرَةُ شُعْبِ البر
- ٣٤٢ العشر الأول من شهر ذي الحجة أفضل أيام الدنيا
- ٣٤٣ تفضيل العمل في أيام العشر على الجهاد
- ٣٤٤ أيُّهُمَا أفضل أيام العشر من ذي الحجة أم ليالي العشر الأخير من رمضان؟
- ٣٤٦ سرُّ تخصيص هذه الأيام بهذا الفضل
- ٣٤٩ فضل الذكر : " مثل الذي يذكر ربَّه ، والذي لا يذكر ربَّه مثل الحيِّ والميِّت "
- ٣٤٩ الذكر والشكر وحقيقتهما
- ٣٥٠ فضل الذكر
- ٣٥١ أكمل الذكر وأفضله

١٠٢٤

- ٣٥٢ أقسام الذكر
- ٣٥٣ تفاضل الأذكار
- ٣٥٤ تكرار الذكر وحكمة التكرار
- ٣٥٥ عناية الصوفيّة بالذكر وتكراره
- ٣٥٦ عجائب التكرار
- ٣٥٧ أدب الدعاء : " يُستجاب لأحدكم ما لم يَعْجَلْ "
- ٣٥٧ معنى الدعاء وآدابه
- ٣٥٩ السرُّ في تأخير الإجابة، وأسباب الإجابة
- ٣٦١ الدعاء والقضاء
- ٣٦٢ تنوع الإجابة
- ٣٦٣ الدعاء والتفويض
- ٣٦٤ دعاء الله بأسمائه: "إن لله تسعة وتسعين اسماً "
- ٣٦٥ وعدُّ كريم
- ٣٦٥ المرادُ بإحصاء أسماء الله الحُسنى
- ٣٦٦ تخريج حديث: "تخلَّقوا بأخلاق " باستيعاب، مع بيان معناه (ت)
- ٣٦٩ كثرة أسماء الله وصفاته، والحكمة في الاقتصار على هذا العدد
- ٣٧٠ الله وترُّ يحبُّ الوتر
- ٣٧٠ أسماء الله سبحانه توقيفية
- ٣٧١ أمثل خطة وأحكم أسلوب في الدعوة إلى التوحيد
- ٣٧٣ ظنُّ العبد برَّبِّه: " يقول الله تعالى : أنا عند ظنِّ عبدي بي "
- ٣٧٥ الفرق بين الحديث القدسي والقرآن
- ٣٧٦ حُسْنُ الظنِّ بالله تعالى



١٠٢٥

- ٣٧٦ بين حُسْنِ الظنِّ والاعتزاز بالله والجرأة عليه
- ٣٧٧ من ثمرات حُسْنِ الظنِّ بالله
- ٣٧٨ فَضْلُ الذِّكْرِ الجَهْرِيِّ
- ٣٧٨ خَيْرِيَّةُ العَالَمِ العُلُوِيِّ
- ٣٧٩ درجات الطاعة ودركات المعصية
- ٣٨٠ دعاء واستعاذة: " اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل "
- ٣٨٠ شأن الدعاء
- ٣٨١ خمس آفات مهلكات
- ٣٨١ العجز والكسل
- ٣٨٢ الجبن والبخل قرينان
- ٣٨٣ الهرم وعذاب القبر
- ٣٨٣ عذاب القبر ونعيمه حقٌّ
- ٣٨٤ التَّخْلِيَةُ قَبْلَ التَّحْلِيَةِ
- ٣٨٥ تزكية النفس، والتطهير العام الشامل
- ٣٨٦ أربع آفات مهلكات
- ٣٨٧ من أسرار تأخير الإجابة
- ٣٨٧ إرشاداتٌ وتنبهاتٌ
- ٣٩١ - ٤٢٠ الفصل الرابع: الأسرة والمرأة
- ٣٩٣ الظَّفَرُ بذات الدين: "تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها "
- ٣٩٤ عادات الناس في الزواج
- ٣٩٤ سوء اختيار الزوجة ومغيبته، واختيار المرأة الصالحة وأثره

١٠٢٦

- ٣٩٥ علاوة في الفضل وزيادة في الحسنَى
- ٣٩٦ بم تعرف المرأة الصالحة؟
- ٣٩٧ اختيار الرجل الصالح، والكفاءة بين الزوجين
- ٣٩٧ تنشئة البنت على الدين والخلق
- ٣٩٨ مصابنا في بيوتنا وأولادنا، ومصابنا في إحجام الشباب عن الزواج
- ٣٩٨ كلمة إلى ولاية الأمور
- ٤٠٠ النساء في العهد النبويّ
- ٤٠٠ قالت النساء للنبي ﷺ: " غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً "
- ٤٠١ تاريخ النساء في صدر الإسلام
- ٤٠١ حِرْصُهُنَّ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ
- ٤٠٢ أمره ﷺ النِّسَاءَ بِالصَّدَقَةِ
- ٤٠٣ بشارَةُ نَبِيَّةٍ لِمَنْ أَصِيبَتْ بِثَلَاثَةِ مِنْ أَوْلَادِهَا فَصَبِرَتْ وَاحْتَسَبَتْ
- ٤٠٥ مكانة المرأة في الإسلام
- ٤٠٧ الإحسان إلى البنات: "من ابتلي من هذه البنات بشيء..."
- ٤٠٧ عناية الإسلام بالبنات
- ٤٠٨ كراهية العرب في الجاهلية للبنات
- ٤٠٩ من آثار الجاهلية الأولى
- ٤١٠ أفضل سُبُلِ التَّربِيَةِ
- ٤١٠ درجات الإحسان
- ٤١١ عدة آثار وروايات في تفسير المراد بالإحسان وتوضيحه
- ٤١٢ طرائف ولطائف
- ٤١٤ جهاد النساء: "لكنَّ أفضلَ الجهاد: حجٌّ مبرورٌ"، و"نعمَ الجهاد الحجُّ"

١٠٢٧

- ٤١٤ النساء في العهد النبوي
- ٤١٦ استئذان رسول الله ﷺ بالجهاد
- ٤١٦ مشاركة عائشة وأم سليم يوم أحد
- ٤١٧ اتخاذ أم سليم خنجراً يوم حنين
- ٤١٧ مشاركة أم عمارة الأنصارية يوم أحد، وشهوها معركة اليمامة
- ٤١٨ جهادٌ خاصٌّ وبدلٌ كريم
- ٤١٩ النساء بعد عهد النبوة
- ٤٨٥ - ٤٢١ الفصل الخامس : الرقائق والأخلاق
- ٤٢٣ إنّما الأعمالُ بالنيّات
- ٤٢٣ هذا الحديث ثلث الإسلام ومعنى ذلك
- ٤٢٣ تقدير النيّة والاعتداد بها
- ٤٢٤ نية المؤمن خير من عمله
- ٤٢٦ اختلاف الجزاء على الأعمال
- ٤٢٧ جزاء المخلصين والمرائين
- ٤٢٨ اختيار التمثيل بالهجرة
- ٤٢٩ الهجرة في الإسلام
- ٤٣٠ الحبُّ الإلهي : "إذا أحبَّ الله عبداً نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبّه "
- ٤٣٠ منزلة المحبة
- ٤٣١ أسباب محبة الله للعبد
- ٤٣٢ طريقةُ محبة العبد لربه سبحانه
- ٤٣٢ أدياء المحبة

١٠٢٨

- ٤٣٤ من صفات المُحِبِّين الصَّادِقِينَ
- ٤٣٥ مُقْتَضَى مَحَبَّةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِالْمَحَبَّةِ بَعْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
- ٤٣٦ ثَمَرَةُ الْحُبِّ الإِلَهِيِّ
- ٤٣٧ لِمَحَاتٍ وَلطائف
- ٤٣٩ بركة المسلم حياً وميتاً : "إنَّ من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها "
- ٤٣٩ من فنون التربية النبوية
- ٤٤١ تشبيه المسلم بالنخلة
- ٤٤٢ المسلم الحقُّ خيرٌ كُلُّهُ في حياته وبعد مماته
- ٤٤٣ الأمة المسلمة
- ٤٤٥ كياسة المؤمن : "لا يلدغ المؤمن من جُحر مرتين"
- ٤٤٦ أبو عَزَّةَ الجَمَحِيِّ
- ٤٤٧ الخطة المثلى للذين يقودون الأمم
- ٤٤٨ التحلِّيُّ بالحزم والفتانة
- ٤٤٨ الغفلة والبلاهة ليست من صفات المؤمن
- ٤٤٩ الجمع بين هذا الحديث ، وبين وقوله ﷺ : «المؤمن غرٌّ كريم»
- ٤٥٠ لا يصح إطلاق لفظ خليفة الله على الإنسان أو أي مخلوق (ت)
- ٤٥٠ جواز الخداع والكذب في الحرب
- ٤٥١ التفطنُّ لمكايد الشيطان الرجيم عدوِّ الإنسان
- ٤٥٢ الحثُّ على التفطنِّ واليقظة في شؤون الدنيا والآخرة
- ٤٥٣ عزَّةُ الكمال في الناس : "إنما الناس كالإبل المئة "
- ٤٥٣ معرفة الناس وطبائعهم
- ٤٥٤ خبرة الرسل بأحوال الناس

١٠٢٩

- ٤٥٤ الإبداع في التمثيل
- ٤٥٥ من حكمة الله في هذا النقص الإنساني
- ٤٥٦ معنى آخر للحديث
- ٤٥٧ اختلاف الناس في تقدير الكمال الإنساني
- ٤٥٧ نموذجان من الكمال الإنساني
- ٤٥٨ الكمال درجات
- ٤٥٩ من لطائف الحديث وأسراره
- ٤٦٠ من حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه
- ٤٦٠ جوامع الكلم
- ٤٦١ ما الذي يعني المرء؟
- ٤٦٢ جماع القول فيما يعني المرء وما لا يعنيه
- ٤٦٣ أمثلة من فضول الناس
- ٤٦٤ هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما لا يعني المرء؟
- ٤٦٥ لماذا أثر النبي ﷺ ناحية الترك على ناحية الفعل؟
- ٤٦٦ تربية الثقة بالنفس
- ٤٦٧ دعوة الحديث إلى الورع والعلم والعمل
- ٤٦٩ الصَّحَّة والفراغ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس"
- ٤٧٠ نعمتان كبيرتان
- ٤٧١ الاتِّجار في الخيرات والمنافسة في الصَّالِحَات
- ٤٧١ مَثَل الذين صرفوا أوقاتهم في الشهوات والأهواء
- ٤٧٢ مَثَل الذين صرفوا أوقاتهم في طلب المعالي وعمل الصالحات
- ٤٧٢ سرُّ تخصيصه ﷺ هاتين النعمتين بالذكر

١٠٣٠

- ٤٧٣ على قدر إلف النعمة تكون الغفلة عنها
- ٤٧٣ عنايته ﷺ بأمر الصحة
- ٤٧٥ تجزئته ﷺ لوقته، وتقدير السلف للوقت
- ٤٧٦ تفاوت النعم فضلاً ورتبة، وأجلُّ نعم الله على عباده
- ٤٧٨ قلة الشاكرين
- ٤٧٩ التماس رضا الله وإن سَخِطَ الناس
- ٤٧٩ منقبتان كريمتان في سيرة خلفاء المسلمين وأمرائهم
- ٤٨٠ لِمَ اختص معاوية عائشةً لكتابة وصية له؟
- ٤٨٢ حاجة الملوك إلى رضا الرعية
- ٤٨٢ أصناف الذين يلتمسون رضا الناس بسخط الله
- ٤٨٣ الترفق والتلطف والمداراة
- ٤٨٤ موعظة الحسن البصري لابن هُبيرة
- ٤٨٥ إيثار طاعة الله ومرضاته
- ٤٨٧ - ٦٤٠ الفصل السادس : الآداب والأحكام
- ٤٨٩ اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى : " يا حكيم، إن هذا المال خضرةٌ حلوة "
- ٤٩١ من أساليب التربية النبوية وآثارها
- ٤٩١ حكيم بن حزام
- ٤٩٢ مغنم غزوة حنين، وعظةٌ بليغةٌ في العفة والقناعة
- ٤٩٣ منهج حكيم في الاستعفاف والقناعة، والحكمة من امتناعه عن نصيبه من العطاء
- ٤٩٤ إشهاد عمر على حكيم في امتناعه عن عطائه

١٠٣١

- ٤٩٥ هدي أصحاب رسول الله ﷺ
- ٤٩٦ سُنَّةٌ حَسَنَةٌ : " من سنَّ في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها "
- ٤٩٨ التعاون على البر والتعاطف على الخير
- ٥٠٠ عبرٌ وعظات
- ٥٠٠ حقيقة السُّنة الحسنه والسُّنة السيئة
- ٥٠٢ فضيلة كتمان السر : حديث أنس : أتى عليَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان
- ٥٠٢ صدور الأحرار قبور الأسرار
- ٥٠٣ قصةٌ رائعة في كتمان السر ، ومُثلٌ عليا في أخلاق الخادم والمخدوم
- ٥٠٤ أمٌ مربية ( أمٌ سليم )
- ٥٠٥ مثال آخر في كتمان السر : عرض عمر ابنته حفصه على أبي بكر وعثمان
- ٥٠٦ نموذج ثالث في كتمان السر : قصةُ الزهراء مع الصديقة
- ٥٠٨ متى يستحبُّ إظهار السرِّ ؟
- ٥٠٩ من المروءات ستر العورات : " كلُّ أمتي معافيٌ إلا المجاهرين "
- ٥١٠ الهَمُّ بالمعصية بين داعي العقل وداعي الهوى والشهوة
- ٥١٠ المجاهرة بالمعصية والاستهتار بالخطيئة
- ٥١١ الجزاء من جنس العمل
- ٥١٢ استحياء العبد من المجاهرة بالمعاصي ، ووجوب ستر المسلم على أخيه المسلم المتستر
- ٥١٣ التنبيه على خطأ في تسمية صحابي وقع فيه محقق كتاب "جامع الأصول" (ت)
- ٥١٤ التحذير من تتبُّع العورات والبحث عنها

١٠٣٢

- ٥١٤ كشف الستر بين المصلحة والمفسدة
- ٥١٥ ذكر محاسن الموتى والكف عن مساويهم
- ٥١٥ طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس
- ٥١٦ مكان النصح في الإسلام (١)
- ٥١٦ حديث جرير : " بايعت رسول الله ﷺ على والنصح لكل مسلم "
- ٥١٦ مكانة جرير بن عبد الله في الصحابة
- ٥١٨ موضع الحديث في صحيح مسلم ومواضعه في صحيح البخاري
- ٥٢٠ جانب من فقه الإمام البخاري
- ٥٢٠ لم لم يذكر الصوم والحج في المبايعه ؟ والحكمة من تقييد السمع والطاعة بالاستطاعة
- ٥٢٢ مكان النصح في الإسلام (٢)
- ٥٢٢ منزلة حديث جرير من السنة
- ٥٢٢ المسلم الحق ناصح ومنصوح
- ٥٢٣ النصح عام وخاص
- ٥٢٥ الدين النصيحة : حديث تميم الداري " الدين النصيحة "
- ٥٢٥ منزلة النصيحة من الدين
- ٥٢٦ منهاج التربية النبوية
- ٥٢٧ أئمة المسلمين صنفان
- ٥٢٨ نظرة في حياة تميم
- ٥٢٩ أوائل تميمية
- ٥٣٠ الوصاة بكتاب الله عز وجل (١) : " أوصى بكتاب الله "
- ٥٣٠ جماع الوصايا



١٠٣٣

- ٥٣١ بقاء المسلمين بقاء هذا الكتاب ، ورفع آية من آيات الساعة
- ٥٣٢ الوصية بالخلافة لعلي فرية مسطورة
- ٥٣٣ ترويح هذه الفرية بين صديق جاهل أو عدو مخاتل
- ٥٣٤ إساءة وإيذاء ، وتثبت واستيثاق
- ٥٣٤ ترجمة طلحة بن مُصَرِّف ، وعبد الله بن أبي أوفى
- ٥٣٥ الوصية المُفتراة ، والوصية الوافية الشافية
- ٥٣٦ الوصية بكتاب الله عز وجل (٢) : " أوصى بكتاب الله "
- ٥٣٦ الوصية في صدر الإسلام
- ٥٣٧ مطالبة السيدة فاطمة عليها السلام بميراثها
- ٥٣٨ صلابة الصديق وشدته في دين الله
- ٥٣٩ أمانة الرواة وتحريهم في نقل الحديث
- ٥٣٩ أجمع الوصايا خيراً وبراً
- ٥٤٠ وصايا ﷺ بالصحابة رضي الله عنهم ، وبسنه والمحافظة عليها
- ٥٤١ ثلاث وصايا
- ٥٤٢ أين مكاننا من القرآن؟
- ٥٤٣ مَنْ لَا يُرْحَمَ لَا يُرْحَمَ : " أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة "
- ٥٤٤ حنان الجد الرحيم
- ٥٤٥ قانون عام خالد ورحمة عامة شاملة
- ٥٤٥ أولى الخلق بالرحمة
- ٥٤٦ ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يُرحم
- ٥٤٧ الرحمة أساس الأخلاق
- ٥٤٨ الواصلُ والمكافئُ : " ليس الواصل بالمكافئ "

١٠٣٤

- ٥٤٨ الرَّحْمُ عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ ، وَصَلَةُ الرَّحْمِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ
- ٥٤٨ سَيِّدُ الْوَاصِلِينَ فِي قَوْمِهِ
- ٥٥٠ رَحْمُ الْقَرَابَةِ ، وَرَحْمُ الدِّينِ
- ٥٥١ رَحْمُ الْأَخْوَةِ الْعَظْمَى
- ٥٥١ أَصْنَافُ النَّاسِ فِي مَعَامَلَتِهِمْ لِلْأَرْحَامِ : قَاطِعٌ ، وَمُكَافِئٌ ، وَوَاصِلٌ
- ٥٥٢ نَفْيُ الشَّيْءِ أَوْ إِثْبَاتُهُ مُرَادًا مِنْهُ جِنْسُهُ الْكَامِلُ
- ٥٥٣ أَفْضَلُ الْأَصْنَافِ : الْوَاصِلُ الْمُتَفَضَّلُ
- ٥٥٤ الْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ : " لَيْسَ الْكُذَّابُ الَّذِي يَصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ "
- ٥٥٤ أَهْمِيَّةُ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَثَارُ الْخِلَافِ فِي الْأَسْرِ وَالْجَمَاعَاتِ
- ٥٥٥ إِزَالَةُ آثَارِ الْخِلَافِ
- ٥٥٧ الْكُذْبُ فِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ ، وَالْكَذْبُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ، وَفِي الْحَرْبِ
- ٥٥٧ الْحِكْمَةُ فِي التَّرْخِيصِ بِالْكَذْبِ
- ٥٥٨ ذَمُّ الْكَذْبِ وَامْتِدَاحُ الصِّدْقِ
- ٥٥٨ مِرَاعَاةُ الْمَصْلُحَةِ
- ٥٥٩ الْكَذْبُ حَرَامٌ إِلَّا لِمُضْرَرَةٍ أَوْ رِخْصَةٍ مَسْوُوعَةٍ
- ٥٥٩ لِلْوَسَائِلِ حُكْمُ الْغَايَاتِ
- ٥٦٠ التَّحَرُّزُ مِنَ الْكَذْبِ بِالتَّعْرِيفِ وَالتَّوْبِيهِ
- ٥٦٢ اشْفَعُوا تُؤَجَّرُوا : " اشفعوا تؤجروا ، وليقبض الله على لسان رسوله ما شاء "
- ٥٦٢ الشَّفَاعَةُ الْحَسَنَةُ وَالشَّفَاعَةُ السَّيِّئَةُ
- ٥٦٤ الشَّفَاعَةُ فِي الْحُدُودِ

١٠٣٥

- ٥٦٤ ستر العورات وإقالة العثرات
- ٥٦٥ أعظم الجرائم التي تُبطل الشفاعة الحسنة
- ٥٦٦ أعجبُ الشَّفَاعَاتِ وأحبُّها: شفاعَةُ الأَخِ المسلمِ لأخيه في الغيب
- ٥٦٦ مواقف كريمةٌ لأم سلمة
- ٥٦٧ شفاعات نبوية
- ٥٦٨ أمرُهُ ﷺ بالشفاعة عنده
- ٥٦٩ شفاعته في وفد هوازن، وشفاعته في بريرة
- ٥٧٠ الشفاعة والمشيئة
- ٥٧٠ حاجة الحاكم والمحكوم إلى الشفاعة
- ٥٧١ الوصاية بالجار والمرأة: " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ "
- ٥٧٢ عناية الإسلام بالجار
- ٥٧٣ من دلائل العناية بالجار
- ٥٧٥ كفُّ الأذى عن الجار
- ٥٧٥ الوصية بالنساء ومعنى خَلَقَ المرأةَ من ضِلَعٍ
- ٥٧٨ مراعاة حقِّ الحَافِظَيْنِ ونقل كلام نفيس لابن أبي جَمْرَةَ الأندلسي
- ٥٧٩ الجوار في الإسلام (١): " قد أجرتنا من أجرت يا أمَّ هانئٍ "
- ٥٧٩ من معاني الجوار
- ٥٨٠ الجوار في الجاهلية
- ٥٨٠ تهذيب الإسلام للجوار
- ٥٨١ الجوار في الحرب
- ٥٨١ النبيُّ ﷺ يُجِيرُ مَنْ أَجَارَتْ أُمَّ هَانِئُ

١٠٣٦

- ٥٨٣ صلاة الضحى وصلاة الشكر لله عز وجل
- ٥٨٣ النبي ﷺ يُجيرُ مَنْ أجارته ابنته زينب
- ٥٨٥ متى تعرف المسلمة مكانها في الإسلام؟
- ٥٨٧ الجوار في الإسلام (٢): " من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة "
- ٥٨٧ عزة المجير في الإسلام
- ٥٨٨ تقدير الإسلام للإنسانية ومنهج الإسلام في معاملة غير المسلمين
- ٥٨٩ إجارة الإسلام رُسل المحاربين
- ٥٩٠ معاملة الإسلام للمعاهدين والمستأمنين
- ٥٩١ عناية الإسلام البالغة بأهل الذمة
- ٥٩٢ ليست الجزية كالضرائب
- ٥٩٣ عناية دولة الإسلام بجوار أهل الذمة
- ٥٩٣ خليفة المسلمين يوصي بأهل الذمة وهو يُودع الدنيا
- ٥٩٥ الجوار في الإسلام (٣): " إنكم تفتحون مصر، وهي أرض يسمّى فيها القبراط "
- ٥٩٦ قبط مصر وصلتهم بالإسلام
- ٥٩٧ تراجم الصحابة المذكورين في الحديث: أبو ذر، وشرحيل بن حسنة
- ٥٩٨ التنبيه على تحريف وقع في "حسن المحاضرة" في ترجمة عبد الرحمن بن شرحيل (ت)
- ٥٩٨ معرفته ﷺ بطبائع البشر وسياسة الأفراد والأمم
- ٦٠٠ من آيات النبوة في إنباؤه أمته بفتح مصر
- ٦٠١ بشارة للمسلمين والقبط
- ٦٠١ القبط بين الروم والفرس

١٠٣٧

- ٦٠٢ القبط في جوار الإسلام
- ٦٠٢ قبط يُعجبون بالإسلام فيدخلون فيه
- ٦٠٣ بين الفتوحات الإسلامية والفتوحات الأخرى
- ٦٠٤ وَصِيَّةٌ نَبَوِيَّةٌ: " يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة "
- ٦٠٤ ترجمة عبد الرحمن بن سَمْرَةَ وحكمته ﷺ في وصاية أصحابه
- ٦٠٥ من أمارات توفيق الله في الإمارة ومن علامات الإخفاق فيها
- ٦٠٥ سياسة الرسول ﷺ الأَيُّوْبِيَّ الإمارة مَنْ يحرص عليها
- ٦٠٦ التحذير من طلب القضاء والوصاية، ومتى يجوز طلب الإمارة؟
- ٦٠٦ امتناع كثير من السلف عن القضاء
- ٦٠٧ طريق التحلُّل من يمين يحول دون الخير
- ٦٠٧ قصة الرَّهْطِ الأشعريين
- ٦٠٨ أيُّ الأمرين يُقدِّم: التكفير أم فعل ما هو خير؟
- ٦٠٩ سبب إيجاز المؤلف رحمه الله في استنباط الأحكام الفقهية
- ٦١٠ تَخْيِيرُ العاملين: "إنا والله لا نولِّي على هذا العمل أحداً سألَه "
- ٦١٠ سياسته ﷺ في تَخْيِيرِ عُمَّالِهِ
- ٦١١ صحابة رسول الله ﷺ أوفى الناس من الفضائل والمكارم
- ٦١٢ خصلتان للنجاح في الأعمال
- موسى لم يَلْتَقِ شعبياً. وانظر: التتمة الثانية ص ٩٤٩
- ٦١٣ القوة والعلم، والأمانة والحفظ
- ٦١٤ عدم تولية العمل أحداً سألَه
- ٦١٤ اختلاف موقفه ﷺ مِنَ السَّائِلِينَ الإمارة
- ٦١٦ المزيَّة لا تقتضي الأفضليَّة. وانظر: التتمة الأولى ص ٩٤٧

١٠٣٨

- ٦١٦ من أعلام نبوته
- ٦١٧ حَزْمُ العُمَرَيْنِ وورعهما
- ٦١٧ خطر الحرص على الولايات، والتنافس فيها، وتولية غير ذوي الكفايات
- ٦١٧ متى يجب طلب الإمارة؟
- ٦١٨ اختيار العاملين المخلصين، خيار الولاة وشرارهم
- ٦٢٠ الجزء من جنس العمل: "من تحلَّم بحلُّم لم يره كُلف أن يعقد به شعيرتين"
- ٦٢١ موبقات ثلاث: الافتراء في المنام، وإراءة العين مالم تر
- ٦٢٢ الاستماع إلى حديث قوم وهم لذلك كارهون
- ٦٢٤ تصوير الصور الحيوانية ذوات الروح، ومفاسد التصوير
- ٦٢٤ الترخيص في التصوير الذي تدعو إليه الضرورة والحاجة
- ٦٢٦ مثل القائم على حدود الله والواقع فيها
- ٦٢٦ معنى الحد في اللغة والشرع
- ٦٢٩ مسؤولية الخاصة وأولي الأمر في الضرب على أيدي المعتدين
- ٦٣٠ عاقبة السُّكوت عن المنكر والرضا به
- ٦٣٢ استدلال خطأ في تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾
- ٦٣٤ عقوبة السَّارِق: "لعن الله السارق، يسرق البيضة، فتقطع يده"
- ٦٣٤ جريمة وضيعة
- ٦٣٥ حكمة الشريعة في عقوبة السارق
- ٦٣٥ عقوبة السارق قديماً وحديثاً
- ٦٣٧ شبهات أصحاب القوانين الوضعية والرد على شبهاتهم

١٠٣٩

٧٨٤ - ٦٤١

الفصل السابع : السيرة النبوية

٦٤٣

صفته ﷺ في التوراة (١)

٦٤٤

ترجمة عبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو

٦٤٥

خلاصة أوصافه ﷺ في التوراة

٦٤٩

صفته ﷺ في التوراة (٢)

٦٤٩

نعتُه ﷺ في الأمم السابقة، وأخذ الميثاق على النبيين

٦٥٠

دفع شبهة أن هذا النعت كان في التوراة قبل البعثة لا بعدها

٦٥١

حكم النظر في الكتب القديمة

٦٥١

دخول الأسواق والحسبة فيها

٦٥٢

رعاية الأمة وتفقد شؤونها

٦٥٣

أهمية التعرف على سيرته ﷺ

٦٥٤

صفحة من الجهاد النبوي :

٦٥٤

قوله ﷺ لعائشة: " لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة "

٦٥٥

غزوة أحد أعظم الغزوات بلاءً وشدّة

٦٥٦

من آثار الجهر بالدعوة، وفنون الكيد والإيذاء

٦٥٧

رحلة الطائف

٦٥٨

ظلال الشجرة، وضراعة وابتهاال

٦٥٩

أروع الأمثال في مقابلة السوأى بالحسنى

٦٥٩

دخوله ﷺ في جوار المطعم بن عدي

٦٦١

قبسٌ من أدب النبوة: " ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس بن متى "

١٠٤٠

- ٦٦١ قَبَسٌ مِنَ الْأَدَبِ الْأَسْمَى
- ٦٦٢ مَكَانَ عَدَّاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ
- ٦٦٢ صَاحِبَ الْحَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ٦٦٣ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ
- ٦٦٤ أَفْضَلَ الْمُرْسَلِينَ
- ٦٦٤ النَّهْيُ عَنِ الْمَفَاضِلَةِ، وَوُقُوعُ مَجَادَلَةِ فِي الْعَصْرِ النَّبَوِيِّ
- ٦٦٥ لَمْ يَخْصَّ اللَّهُ يُونُسَ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟
- ٦٦٥ سَدُّ الذَّرَائِعِ الْمَفْضِيَةِ إِلَى الْفِتْنَةِ
- ٦٦٦ عَتَابُ اللَّهِ لِأَنْبِيَائِهِ، وَالْأَدَبُ مَعَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
- ٦٦٧ مِنْ أَعْلَامِ النَّبَوَّةِ: " لَمَّا كَذَّبَنِي قَرِيشٌ قَمَتِ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمُقَدَّسِ "
- ٦٦٧ رَحْلَتَانِ عَظِيمَتَانِ قَدْسِيَّتَانِ
- ٦٦٨ التَّسْرِيَةُ عَنْهُ ﷺ وَالرِّبْطُ عَلَى قَلْبِهِ
- ٦٦٩ تَشْرِيفُهُ ﷺ وَتَكْرِيمُهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى
- ٦٧٠ مِحْنَةُ النَّاسِ وَابْتِحَارُهُمْ
- ٦٧١ مَوْقِفَ الْمُشْرِكِينَ وَأَشْيَاعِهِمْ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ
- ٦٧١ خَطَرَ التَّرْيُدِ فِي دِينِ اللَّهِ وَالغُلُوفِ فِي رَسُولِهِ
- ٦٧٢ الْمَنْهَجَ الْحَقَّ
- ٦٧٣ أَدَبَ الْمُؤْمِنِينَ
- ٦٧٤ لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ: " وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَانْفَرُوا "
- ٦٧٤ الْهَجْرَةَ فِي اللُّغَةِ وَالشَّرْعِ
- ٦٧٥ سَبَبَ الْهَجْرَةِ وَمَكَانَتَهَا



١٠٤١

- ٦٧٦ حكم الهجرة، وحكم الإقامة في دار الكفر
- ٦٧٨ الهجرة إلى الله ورسوله
- ٦٧٨ المهاجر الحق، ومكانة الجهاد وأقسامه
- ٦٨٠ الجوار الأعظم: " ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما "
- ٦٨٠ أجلُّ جوار وأعظمه
- ٦٨١ الجوار الإلهي درجات
- ٦٨١ المعية الإلهية الخاصة والعامه
- ٦٨٢ الأخذ بالأسباب في أعلى مقامات الجوار
- ٦٨٣ مقامات خاصة تعرض للمتوكلين الصادقين
- ٦٨٤ جوار الشيطان سراب
- ٦٨٥ بدل من الهجرة: "إن الهجرة شأنها شديد، فهل لك من إبل "
- ٦٨٥ منهاج الحنيفية السمحة
- ٦٨٦ رُبَّ مقيم خيرٌ من مهاجر
- ٦٨٧ حقوق النعم
- ٦٨٧ عطية الرقبة للمنافع
- ٦٨٩ فضل الأنصار
- ٦٩٠ تخصيص حَلْبِ النعم يوم وِردِها
- ٦٩٠ المفاضلة بين صدقة السرِّ وصدقة الجهر، وهل في المال حقٌّ سوى الزكاة؟
- ٦٩١ بدل الهجرة في الأمم الإسلامية
- ٦٩٢ رجالٌ صدَّقوا ما عاهدوا الله عليه: " غاب عمِّي أنس بن النَّضر عن قتال بدر "
- ٦٩٣ كتائب الفداء

١٠٤٢

- ٦٩٥ الفدائيُّ الوفيُّ أنس بن النَّضر
- ٦٩٦ فضل أنس بن النَّضر ومنزلته عند الله
- ٦٩٧ مصيبة المصائب في ترك الجهاد
- ٦٩٨ دعوى الجاهلية : " دعوها فإنها مُنتنة "
- ٦٩٩ حرص الإسلام على سلامة الأمة ووحدها
- ٧٠١ منهجه ﷺ في سياسة الأمة وحرصه على وحدتها
- ٧٠٣ قصة اليهودي قيس بن شاس
- ٧٠٥ راية الإسلام : " لأعطينَ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه "
- ٧٠٦ خروجه ﷺ إلى خيبر
- ٧٠٧ دعوة وبشارة نبوية
- ٧٠٨ من أعلام النبوة
- ٧٠٩ الحكمة في فتح خيبر على يدي عليٍّ دون صاحبيه
- ٧٠٩ ساعة قبل قيام الساعة، وفتنة أكابر مجرميها
- ٧١٠ ألا رجُلٌ يحبُّ الله ورسوله يفتح الله على يديه
- ٧١١ عيد الجلاء الأول (١) : " انطلقوا إلى يهود "
- ٧١٢ اليهود شرُّ الناس مكاناً
- ٧١٢ من فتنِ اليهود
- ٧١٣ شأن اليهود مع المحسن إليهم
- ٧١٤ بنو قينقاع وبنو النَّضير، والتحقيق في تاريخ غزوة بني النَّضير (ت)
- ٧١٥ بنو قُرَيْظَةَ وجلاؤهم في العهد النبويِّ
- ٧١٧ عيد الجلاء الأول (٢) : " اعلموا أنَّما الأرض لله ورسوله ، وإنني أريد أن أجليكم "

١٠٤٣

- ٧١٧ مَنْ هؤلاء اليهود؟
- ٧١٨ تفرد أبي هريرة برواية الحديث وموضعه في صحيح البخاري
- ٧١٨ دقة الإمام البخاري في تراجمه
- ٧١٩ قدوم أبي هريرة المدينة
- ٧١٩ معاملة أهل خيبر
- ٧٢٠ السياسة الحكيمة العليا، والإنذار الأخير
- ٧٢١ العدوُّ الألد
- ٧٢٢ عيد الجلاء الأول (٣) : " يا معشر يهود أسلموا تَسَلَّمُوا "
- ٧٢٢ المثل الأعلى في العدل
- ٧٢٣ الذين ظلموا أنفسهم
- ٧٢٤ الإنذار الجامع والبلاغ الأخير
- ٧٢٥ آخر الوصايا النبوية، وحرص الخلفاء الراشدين على إنفاذ وصيته  
ﷺ
- ٧٢٦ محاولة يهود خيبر قتل عبد الله بن عمر
- ٧٢٦ من دلائل النبوة
- ٧٢٨ مَثَلٌ مِنْ حِلْمِ النَّبِيِّ ﷺ : " لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناساً في  
القسمة "
- ٧٢٩ حِلْمُهُ ﷺ وَعَفْوُهُ
- ٧٢٩ غزوة حُنين وغنائمها
- ٧٣٠ قسمة حكيمة
- ٧٣١ خطبته ﷺ في الأنصار
- ٧٣١ كلمة فاجرة

١٠٤٤

- ٧٣٢ إبلاغ الحديث على وجه الإصلاح، وكياسة ابن مسعود
- ٧٣٢ الحليم يملك نفسه عند الغضب
- ٧٣٤ التطهير في الإسلام (١) : " بايعوني على ألا تشاركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا "
- ٧٣٤ عناية الإسلام بالتطهير
- ٧٣٥ بين الشريعة الربانية والشرائع الوضعية
- ٧٣٦ جماع الموبقات وأصول المهلكات
- ٧٣٦ البيعة الثانية والثالثة وبيعة الفتح
- ٧٣٧ خريج مدرسة الطهر والتطهير
- ٧٣٨ عبادة بن الصامت
- ٧٣٩ التطهير من رجس الشرك، والتطهير من السرقة
- ٧٤٠ البعد عن الزنى، وعن قتل الأولاد ووآد البنات، والنهي عن البهتان
- ٧٤١ الطاعة في المعروف
- ٧٤٢ الناس فرق ثلاث
- ٧٤٣ التطهير في الإسلام (٢)
- ٧٤٣ درجات الناس في الوفاء بالعقود
- ٧٤٤ ستر الله وعفوه وواسع مغفرته ورحمته
- ٧٤٤ قصة القاتل تسعة وتسعين نفساً، وقصة الكفل
- ٧٤٦ موجبات المغفرة والرحمة
- ٧٤٨ الخوف من الله والرجاء فيه
- ٧٤٨ درجات الناس في التطهير من الموبقات
- ٧٤٩ معازر بن مالك الأسلمي، والمرأة الجهنية، والمرأة الغامدية

١٠٤٥

- ٧٥٢ التطهير في الإسلام (٣)
- ٧٥٢ المبايعه بعد فتح مكة
- ٧٥٣ مبايعات النساء على التطهير
- ٧٥٥ مكانة المرأة في الإسلام
- ٧٥٦ متى يحسن ستر العورات؟
- ٧٥٦ التطهير بالمحن والبلايا، ومتى تكون النكبات والمصائب مُطَهِّرات؟
- ٧٥٨ الأخذ بالأسباب
- ٧٥٩ ردُّ حقوق العباد
- ٧٥٩ القول الفصل في مبايعات الصوفية ودعوة إلى إصلاح الطرق
- ٧٦٢ عيد الدستور : نزول قول الله عز وجل : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾
- ٧٦٢ الاحتفال بإكمال الدين
- ٧٦٣ بشائر ثلاث
- ٧٦٣ آخر ما نزل من القرآن
- ٧٦٤ ما قارب الشيء يُعْطَى حكمه
- ٧٦٥ بين الدستور السّماوي والدستور الأرضي الوضعي
- ٧٦٧ آخر الوصايا النبوية (١) : " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد "
- ٧٦٧ حرصُ النبي ﷺ على أمته
- ٧٦٨ أعظم الوصايا في خطبة حَجَّة الوداع
- ٧٦٨ مبدأ اشتداد وجعه ﷺ
- ٧٦٩ الاختلاف والتنازع في الحضرة النبوية

١٠٤٦

- ٧٧٠ أمره ﷺ من قبيل الاجتهاد والإرشاد أو الاختبار والامتحان
- ٧٧٠ أمنية ترجمان القرآن
- ٧٧١ خوف الفاروق رضي الله عنه
- ٧٧٣ آخر الوصايا النبوية (٢)
- ٧٧٣ إعلام النبي ﷺ أمته بالبلاء قبل نزوله
- ٧٧٤ إشارة إلى خلافة الصديق
- ٧٧٥ خوفه ﷺ على أمته
- ٧٧٦ ثلاث وصايا : إخراج المشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفد
- ٧٧٧ الوصية الثالثة
- ٧٧٩ آخر وصاياه ﷺ : الصلاة وما ملكت أيمانكم
- ٧٨٠ آخر الكلام النبوي : "الصلاة الصلاة، واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم"
- ٧٨٠ التوفيق بين حديث علي وعائشة في آخر كلامه ﷺ
- ٧٨١ خلاصة رسالته العامة الخالدة
- ٧٨٢ حقوق الله وحقوق عباده
- ٧٨٣ أحق الناس عملاً بهذه الوصية النبوية، وأعظم خطر يُهدد الدول الإسلامية
- ٧٨٥ - ٨٥١ الفصل الثامن : الشمائل النبوية
- ٧٨٧ من صفات القائد : "كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس"
- ٧٨٧ حاضر العالم الإسلامي وقادة نهضاته
- ٧٨٨ المسلمون إلى خير ولكن الضعف في القيادة
- ٧٨٨ القائد الأعلى وجوده ﷺ وشجاعته ومصدرهما
- ٧٨٩ شجاعته عليه الصلاة والسلام

١٠٤٧

- ٧٩٠ أبو طلحة الأنصاري
- ٧٩١ أثر الجود والشجاعة في بناء المجد
- ٧٩١ الشجاعة والكرم في أوسع معانيهما وأبعد مراميها
- ٧٩٣ منهج النبي ﷺ في العبادة: " لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد،  
وأتزوج النساء "
- ٧٩٤ مقامان كريمان
- ٧٩٥ المثل الأعلى في القانتين والقُدوة المثلى في الهداة المرشدين
- ٧٩٧ خُطة عمليةٌ مثلى
- ٧٩٧ القصد في العبادة
- ٧٩٨ القيام بواجب الشكر والإخلاص والصدق
- ٧٩٨ ما هو الإحسان؟
- ٧٩٩ السرُّ في اختصاص أمهات المؤمنين بالسؤال
- ٧٩٩ من الأساليب المثلى في التربية
- ٨٠٠ التمتع بالطيبات لا ينافي الورع
- ٨٠٢ حرص الرسول وأصحابه على الخير
- ٨٠٢ سؤال النساء وإباحة مخاطبتهنَّ
- ٨٠٣ الحياء النبوي: كان رسول الله ﷺ أشدَّ الناس حياءً من العذراء في  
خدرها
- ٨٠٣ مكانة الحياء النبوي
- ٨٠٤ درَجَات الحياء
- ٨٠٤ سمو الحياء النبوي وعظمته وأتساقه مع الفضائل النبوية
- ٨٠٥ حياء العبودية مع الله عز وجل

١٠٤٨

- ٨٠٦ حياؤه ﷺ مع الناس
- ٨٠٩ حياء الكرم وحياء الشرف والعزة
- ٨١٠ حياؤه ﷺ في بيته وخلوته
- ٨١١ تخريج حديث عائشة: "ما رأيت منه ولا رأى مني" (ت)
- ٨١١ حياؤه ﷺ في النشأة الأولى
- ٨١٣ من أدب النبوة: "يا غلام، سمَّ الله، وكلُّ بيمينك، وكل ممَّا يليك"
- ٨١٤ تربية الناشئ اليتيم
- ٨١٤ أبو سلمة وأسرته
- ٨١٥ زواج رسول الله ﷺ بأمِّ سلمة
- ٨١٦ من حكم تعدد أزواج النبي الكريم ﷺ
- ٨١٧ تربية النبي ﷺ اليتيم، وتنشئته على الفضائل
- ٨١٧ إرشاده إلى أهم آداب الطعام
- ٨١٩ مسامرة نبوية (١): "يا أبا عمير، ما فعل التُّغَيْرُ ؟"
- ٨٢٠ أعرف الناس بالزوج: الخدم والأزواج
- ٨٢٠ معجزة لم تُدَوَّنْ
- ٨٢١ زيارته ﷺ بيوت أصحابه
- ٨٢١ بيت كريم: أم سليم، وأبو طلحة الأنصاري
- ٨٢٢ صبرٌ عجيب
- ٨٢٣ جزاء الصبر والرِّضا
- ٨٢٤ مسامرة نبوية (٢): "يا أبا عمير، ما فعل التُّغَيْرُ ؟"
- ٨٢٤ سرُّ اختصاص بيت أنس بزيارته ﷺ
- ٨٢٤ أعمدة البيت الثلاثة: أبو طلحة الأنصاري، وأمُّ سليم، وأنس بن



١٠٤٩

مالك

- ٨٢٥ نِعْمَ المهر الإسلام
- ٨٢٦ مشاركة أمّ سليم في الجهاد
- ٨٢٦ خادمٌ يفخر بخدمته
- ٨٢٧ دعوة نبوية
- ٨٢٧ كياسة صبيٍّ وأمانته
- ٨٢٨ سببان آخران لاختصاص هذا البيت بزيارته ﷺ
- ٨٢٩ حرام بن ملحان وشهداء بئر معونة
- ٨٣١ سيد الأزواج (١)
- ٨٣١ أعرف الناس بالمخدوم والزوج: الخدم والأزواج
- ٨٣٢ أعزُّ البيوت وأكرمها وأسعدها
- ٨٣٢ سيّد الأزواج وأوفاهم
- ٨٣٣ أساس معاملته ﷺ لأزواجه
- ٨٣٣ أحد عشر كوكباً
- ٨٣٤ بيت النبوة الأول: خديجة رضي الله عنها
- ٨٣٤ أكرم زوج وأعظم أم
- ٨٣٥ مُثَلُّ من المكارم العليا
- ٨٣٧ سيّد الأزواج (٢)
- ٨٣٧ عام الحزن
- ٨٣٧ أحفظ الناس للصنيعة
- ٨٣٨ أولاد النَّبِيِّ ﷺ
- ٨٣٩ سيّدة نساء أهل الجنة، وسبب فضل فاطمة الزهراء على أخواتها

١٠٥٠

- ٨٣٩ القاسم وعبد الله
- ٨٤٠ زينب الكبرى، ورقية وأم كلثوم
- ٨٤١ فاطمة الزهراء، والذرية الطاهرة
- ٨٤١ الشأن في زواجه ﷺ
- ٨٤٢ زوج لا تُعوّض
- ٨٤٣ بيت النبوة الثاني : سودة بنت زمعة
- ٨٤٣ من بركات سودة رضي الله عنها
- ٨٤٤ سيد الأزواج (٣)
- ٨٤٤ البيتان الثالث والرابع : الصديقة بنت الصديق، وحفصة بنت عمر
- ٨٤٥ مكافآت نبوية
- ٨٤٥ البيتان الخامس والسادس : زينب بنت خزيمة، وأم سلمة
- ٨٤٦ موقف رائع لأم سلمة
- ٨٤٦ البيت السابع : زينب بنت جحش
- ٨٤٧ البيت الثامن : جويرية بنت الحارث وبركتها على قومها
- ٨٤٨ البيت التاسع : رملة بنت أبي سفيان
- ٨٤٩ البيتان العاشر والحادي عشر : صفية بنت حيي، وميمونة بنت الحارث
- ٨٥٠ زيارة كريمة عاجلة
- ٨٥٠ روابط الإلفة والمودة، ووشائج من الجمال والنبل
- ٨٥١ محاط الشاء وخالد الذكر
- ٨٥٣ - ٩٠٨ الفصل التاسع : الفضائل والمناقب
- ٨٥٥ خير القرون (١) : " خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم "

١٠٥١

- ٨٥٦ فضل المهاجرين والأنصار
- ٨٥٧ التحذير من بغض الصحابة وسبهم
- ٨٥٧ من حقوق الصحابة رضي الله عنهم
- ٨٥٨ قصة عمر مع حاطب بن أبي بلتعة
- ٨٥٨ تفاوت الصحابة في المراتب
- ٨٥٩ فضيلة خواص الأمة من أئمة الهدى على عوام الصحابة
- ٨٦١ خير القرون (٢)
- ٨٦١ فضائل التابعين
- ٨٦٢ ظهور البدع والضلالات
- ٨٦٣ أربعة مآثم : يشهدون ولا يُستشهدون
- ٨٦٤ يخونون ولا يؤتمنون
- ٨٦٤ يندرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن
- ٨٦٥ تحري الصحابة والتابعين في الرواية
- ٨٦٧ مثل من اختلاف الصحابة : "لا يُصلِّينَ أحدُ العصر إلا في بني قريظة"
- ٨٦٧ غزوة بني قريظة
- ٨٦٨ الاختلاف البريء المحمود
- ٨٦٩ قانون عام شامل : من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد
- ٨٧٠ سيرة السلف في الاختلاف، وأثر التعصب للرأي والهوى
- ٨٧١ الخلاف ضرورٌ شتى
- ٨٧٢ الحكمة في اختلاف الفروع
- ٨٧٣ واجب العلماء والعامه

١٠٥٢

- ٨٧٤ موقف الإمام مالك من تيار توحيد المذاهب
- ٨٧٥ العلماء بمنزلة النجوم في السماء
- ٨٧٦ خُصومةُ الأكابر (١) : خصومة أبي بكر وعمر
- ٨٧٧ الخصومة من طبيعة البشر
- ٨٧٨ موقف الإسلام من الخصومة
- ٨٧٨ أنبلُ خصومة عَرَفها التاريخ
- ٨٧٩ شذرة من مناقب العُمَريْن، وفضل الصُدِّيقِ على الفاروق
- ٨٨٠ درسٌ نبويٌّ عظيم
- ٨٨١ درسٌ إلهيٌّ أجلُّ وأعظم، وشعار الخيريْن بعد الدرِّسيْن
- ٨٨٣ خصومة الأكابر (٢) : خصومة عائشة مع عبد الله بن الزبير
- ٨٨٣ خصومة من طراز آخر
- ٨٨٤ شذرةٌ من حياة الصُدِّيقِ وابنته عائشة رضي الله عنها
- ٨٨٥ شذرةٌ من حياة ابن الزبير
- ٨٨٦ غضب الأم الرؤوم
- ٨٨٦ هجرة الأكابر للتأديب
- ٨٨٨ ألطف الحيل في إصلاح ذات البين
- ٨٨٩ ابنُ بار وأمُّ حنون
- ٨٨٩ خصومة الخير والبركة
- ٨٩٠ أجمل مصالحة بين الأبناء والآباء
- ٨٩١ الإصلاح بين الأكابر : "إن ابني هذا سيّد، ولعلَّ الله أن يصلح بين  
فئتين"
- ٨٩١ الإصلاح بين السادة الكبراء

١٠٥٣

- ٨٩٢ حاجتنا إلى هذا الإصلاح ومن الذي يضطلع به؟
- ٨٩٢ سيادة الحسن رضي الله عنه
- ٨٩٣ علم من أعلام النبوة
- ٨٩٤ نبذ الخصومة عند الشدائد
- ٨٩٥ حديث الصلح
- ٨٩٦ عام الجماعة
- ٨٩٧ سياسة معاوية وكياسته
- ٨٩٨ سيد الحكماء وسيد الشهداء
- ٨٩٩ حقوق الأكفاء: "إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل"
- ٨٩٩ تقدير الكفايات
- ٩٠٠ تأمير أسامة والده
- ٩٠١ من أعلام النبوة
- ٩٠٢ جيش أسامة، ووصية نبوية
- ٩٠٢ إمارة زيد وابنه في البعث والسرايا
- ٩٠٣ كفاية زيد وابنه الحريية، ومقدرتهما الفائقة
- ٩٠٤ عجالة خاطفة في تاريخ الحب وابن الحب
- ٩٠٥ القضاء على عادة التبني
- ٩٠٥ القضاء على الأنفة والكبر والعصية
- ٩٠٦ من أسرار الاختيار، وأروع أمثلة الحزم والعزم
- ٩٠٩ - ٩٤٨ الفصل العاشر: الفتن
- ٩١١ أتباع سنن السابقين: "لتتبعن سنن من قبلكم"

١٠٥٤

- ٩١٢ من دلائل نبوته ﷺ
- ٩١٢ ابتلاء هذه الأمة بما ابتليت به الأمم السابقة
- ٩١٣ شجرة ذات أنواط
- ٩١٤ سبب ورود الحديث
- ٩١٤ ما فائدة التحذير من أمر مُتَحَقِّق؟!
- ٩١٦ بلاء التقليد وسوء مغبته، والحكمة من النهي عن التشبه بالغير
- ٩١٧ مضارُّ التقليد الأعمى وسوءاته
- ٩١٧ التقليد البصير
- ٩١٩ أَخَذُ اللهُ لِلظَّالِمِينَ: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته"
- ٩٢٠ معنى الظلم وأنواعه
- ٩٢٢ المراد بالظلم في الحديث
- ٩٢٣ حكمته سبحانه في الإملاء وجزاء الظالمين
- ٩٢٤ ابتلاء الله الظالمين بالظالمين
- ٩٢٥ افتراق الأمة أحزاباً وشيعاً
- ٩٢٦ حماية هذه الأمة من عذاب الاستئصال ببركة النبي ﷺ
- ٩٢٦ من شؤم الظلم
- ٩٢٧ الفرار من الفتن: " ستكون فتن، القاعد فيها خيرٌ من القائم "
- ٩٢٨ من دلائل النبوة
- ٩٢٨ قَبَسٌ من حِكْمَةِ اللهِ في الفتن
- ٩٢٩ أحوال الناس في الفتن، وموقف السلف منها
- ٩٣١ أيُّ الأمرين أفضل: العزلة، أم الخِلْطَةُ؟
- ٩٣٣ الفتن ضروب شتى

١٠٥٥

- ٩٣٤ سبيل المؤمنين (١) : "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير "
- ٩٣٤ مكان حذيفة في الصحابة
- ٩٣٥ أحاديث الفتن وأشراط الساعة
- ٩٣٦ تعاقب الشر والخير
- ٩٣٧ دعاة الفتن
- ٩٣٨ خيار الأمة وشرارهم
- ٩٣٩ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
- ٩٣٩ من أعلام النبوة
- ٩٤٠ سبيل المؤمنين (٢)
- ٩٤١ الشورى في الإسلام
- ٩٤١ مبادرة الفاروق بمبايعة الصديق، وعهد الصديق بالخلافة لعمر
- ٩٤٢ منشأ الفرق والطوائف في خلافة عثمان وعلي
- ٩٤٢ بشارة نبوية "إن ابني هذا سيد "
- ٩٤٢ مطالبة عائشة بدم عثمان
- ٩٤٣ عام الجماعة وأحداث وفتن
- ٩٤٤ نعمتان كبيرتان: حفظ كتابه وتأييد هذا الدين بمن شاء الله عباده
- ٩٤٤ حكم الخروج على أئمة الجور
- ٩٤٤ متى يكون الفرار؟
- ٩٤٥ لا يأس من رَوْح الله
- ٩٤٧ التهمة الأولى : حول عبارة: المزية لا تقتضي الأفضلية، ونقل كلام شيخنا عبد الله بن الصديق في ردّها، ومناقشة كلامه رحمه الله تعالى

١٠٥٦

- ٩٤٩ التتمة الثانية: موسى لم يدرك شعيباً عليهما السلام  
٩٥٣ فهرس أطراف الأحاديث  
٩٧٨ فهرس أسماء رواة الأحاديث والآثار  
٩٨٤ فهرس المصادر والمراجع  
٩٩٩ فهرس الموضوعات الإجمالي  
١٠٠٥ فهرس الموضوعات التفصيلي

\* \* \* \* \*